معاهد التنصيص
على شواهد التلخيص

الجزء الثالث والرابع

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسي
المتوفى في عام 963 هـ

حققه ، وعلق على حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد يحيى الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

مكتبة
الدكتور مروان العطية

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى

المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيى الدين عبد الحميد

مفتش العلوم الدينية والعربية

بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الثالث

عالم الكتب - بيروت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مكتبة الدكتور مروان العطية

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

جميع حق الطبع محفوظ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله

مكتبة الدكتور مروان العطية

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد الجمع مع التفريق

١٢٨ — فَوَجْهُكَ كالنّارِ فى ضَوْئِهَا وَقَلْبِىَ كالنّار فى حَرِّهَا

البيت لرشيد الدين الوطواط ، من الخفيف

والشاهد فيه : الجمع مع التفريق ، وهو : إدخال شيئين فى معنى ، والتفريق بين جهتى الادخال ، فهنا أدخل وجه الحبيب وقلبه فى كونهما كالنار ، ثم فرق بينهما بأن جهة إدخال الوجه من جهة الضوء ، وإدخال القلب من جهة الحرّ والاحراق ، وفى معناه قول بعضهم [من المتقارب] :

فكالنّارضَوْءاً وكالنّارحرًّا مُحَيّا حبيبى وحُرْقَةُ بالى

فَذَلكَ مِنْ ضَوْئِهفى اختيالٍ وهذا لحرقتِهِ فى اختِلَال

وقريب منه قول الصفى الحلى [من البسيط] :

سَناه كالنُّور يَجْلو كلّ مُظلمةٍ والبَأْسُ كالنّار يُفنى كلّ مُجْترم

ومما يُستشهد به على هذا النوع قولُ الفخر عيسى [من الطويل] :

تَشابهَ دمْعَانا غَداةَ فِراقنا مُشابَهَةً فى قصّةٍ دُونَ قِصّة

فَوَجنتها تكْسُو المَدَامع حُمْرَة ودمعى يَكْسُو حُمْرَةَاللّونِ وجنتى

وقول مروان بن أبى حفصة [من الطويل] :

تَشَابهَ يوْماهُ عَلينَا فأشكلا فمانَحْنُ ندرى أىُّ يوميْهِ أفْضلُ

أيوْمُ نَدَاهُ الغمرُ أم يَوْمُ بؤسه وما مِنهُما إلا أغَرُّ محجّل

وقول البحترى أيضاً [من الطويل] :

ولما التَقينَا والنوى موْعدٌ لنا تعَجَّبَ رائى الدُّرِّ مِنّا ولاقِطُهْ (١)

فمن لُؤلؤٍ تجلوهُ عِنْدَ ابتسامها ومن لؤلؤعِندَ الحديث تُساقِطُهْ

وقول بعضهم أيضاً [من مجزوء الوافر] :

أرى قمَرَين قَدْ طلعا عَلَى غُصنين فى نَسَقِ

وفى ثَوْبين قد صُبغا صباغَ الخدّ والحدَق

(١) فى الأصول «والتقى موعد لنا» محرفا ، ولعل أصله «والنقى» بالنون

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فَهُدِى الشمسُ فى شَفَقٍ وهذا البَدْرُ فى غَسَق

وما أحسن قول على بن مليك فى هذا النوع [من السريع] :

بالرُّوحِ أفْدى صاحِباً لم يَزَل مُحْتَقِراً ذنبِىَ فى عَفْوه

فكَفُّهُ كالماء فى جُودِه وقلبُهُ كالماء فى صَفْوِهِ

وقد أحسن هنا ابن حجة فى تسمية النوع حيث قال [من البسيط] :

يُمناهُ كالبرق إن أبْدَوْا ظلام وغًى والعزْم كالبَرْق فى تفريق جَمْعهم

* * *

شاهد الجمع مع التقسيم

١٢٩ حتّى أقامَ على أرْباض خَرْشنةٍ تَشقى به الرُّومُ والصُّلْبانُ والبِيَعُ

للسّبى ما نكَحُوا والقَتلِ ما ولَدُوا والنّهْبِ ما جَمَعُوا والنّار ما زَرَعُوا

البيتان لأبى الطيب المتنبي، من قصيدة من البسيط، يمدحها سيف الدولة ابن حمدان ، أولها (١)

غَيْرِى بأكْثرِ هذا النّاس ينْخَدِع إنْ قاتلوا جبُنُوا أو حدّثُوا شَجُعُوا

أهلُ الحَفيظَةِ إلاّ أنْ تُجَرِّبَهُمْ وفى التّجارِبِ بَعْدَ الغَىّ ما يَزَعُ

وما الحَياةُ ونفْسى بَعْدَ ما علمت أنّ الحَيـاةَ كما لا تُشْتَهَى طَبَعُ

لَيْسَ الجمالُ لِوَجْهٍ صَحّ مارِنُهُ أنْفُ العَزيز بقَطْع العِزّ يُجْتَدَعُ

أأطْرَحُ المجْدَ عَنْ كَتِفى وأطْلُبُهُ وأتْرُكُ الغَيْثَ فى غمدى وأنْتجعُ

والمَشْرَفيةُ لا زالتْ مُشرّفةً دواءُ كلّ كريم أوْ هِىَ الوَجَعُ

وفارسُ الخيل مَنْ خفّتْ فَوَقرها فى الدّرْب والدّم فى أعطافها دُفَعُ

وأوجَدَتهُ وما فى قلبهِ قَلَقٌ وأغضبَتْهُ وما فى لَفظهِ قَذَعُ (٢)

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (٢-٢٢١)

(٢) فى الأصول « وأغضبته ومافى قلبه فزع » وهو تحريف لا يتناسب مع ما انبنى عليه ، وما أثبتناه موافق لما فى الديوان، والقذع : الفحش والسب يعنى أنه إذا غضب لم يفحش لأنه حليم .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بالجيش يمتنعُ السادات كلُّهمُ والجَيْشُ بابن أبي الهَيجاء :
قاد المَقانِبَ أقصى شُرْبِها نَهَلٌ على الشكيم وأدنى سَيْرِها سَرَعُ
لا يعتَقي بَلَدٌ مَسْراهُ عن بلدٍ كالمَوْتِ ليْسَ له ريٌّ ولا شِبَعُ[1]

وبعده البيتان ، والقصيدة طويلة فريدة .

والأرباض : جمع ربض، بفتح الباء ، وهو سور المدينة، وخرشنة: بلد بالروم وهى التى تسمى الآن أماضية ، والبيع: جمع بيعة، بكسر الباء ، وهى معبد النصارى وإنما لم يقل « من نكحوا » أو « من ولدوا » ليوافق قوله « والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا » وللدلالة على إهانتهم وقلة المبالاة بهم ، حتى كأنهم ليسوا من جنس من يعقل فيخاطبون بخطابه .

والشاهد فيهما : الجمع مع التقسيم ، وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيم متعدد ثم جمعه تحت حكم ، فالأول كما فى البيتين وهو ظاهر ، والثانى كما فى البيتين الآتيين بعدهما، وهما:

* * *

من شواهد الجمع مع التقسيم

١٣٠ — قَوْمٌ إذا حارَبُوا ضرُّوا عَدوَّهُمُ أو حاولوا النَّفعَ فى أشياعِهِمْ نفعُوا
سَجيةٌ تلك منهم غيرُ محدَثةٍ إن الخلائِقَ فاعلم شَرُّها البدعُ

البيتان لحسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه ، من قصيدة من البسيط قالها[2] حين قدم وفد تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيهم الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر ، وعطارد بن حاجب، وأرادوا المفاخرة بخطيبهم - وهو عطارد — وشاعرهم — وهو الزبرقان — فى خبر طويل ، والقصيدة أولها :

---

(١) لا يعتقى : لا يعوق ، ووقع فى بعض الأصول « لا يكتفى » وليس بشىء

(٢) ارجع إليها فى الديوان (٢٤٨) وفى الأغانى (٤ - ٩ بولاق) وفيه الخبر الذى يشير اليه المؤلف .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إن الذَّوائب من فهرٍ وإخوتهم قد بَيَّنوا سُنَّةً للناس تُتَّبع
يَرْضى بها كل من كانَتْ سريرتُهُ تقوى الاله و بالأمر الذى شَرَعوا

و بعده البيتان، و بعدهما :

لا يرْقَعُ النّاسَ ما أوْهَتْ أكفُّهُم عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سَبْقٍ لأدنى سبْقِهِمْ تَبَعُ
أعفّة ذكرتْ فى الوحْى عفّتُهُمْ لا يطبعون ولا يُزْرى بهم طَبَعُ
ولا يضنون عن جارٍ بفضلهم ولا يمسُّهُمُ من مطمعٍ طمع
يسمون للحرْب تبْدو وهى كالحةً إذا الزعانفُ من أظفارها خشَعوا
لا يفرَحونَ إذا نالوا عدُوّهمُ و إن أُصيبوا فلا خورٌ ولا جزَعُ
كأنهمْ فى الوَغَى والموتُ مكتنعٌ أُسودُ بيشةَ فى أرساغها فدَعُ
خُذْ منهمُ ما أتَوْا عفواً وما منَعُوا فلا يكنْ همّكَ الأمرَ الذى منَعُوا (١)
فإنّ فى حرْبهم فاترُكْ عداوتهمْ شُمًّا يخاضُ عليه الصابُ والسَّلَعُ
أكرمْ بقومٍ رسولُ الله قائدُهمْ إذا تفرَّقتِ الأهواء والشِّيَعُ
أهْدَى لهمْ مِدْحَتى قلبٌ يؤازرُهُ فيما أرادَ لسانٌ حاذقٌ صَنَعُ
وأنهمْ أفضلُ الأحياءِ كلهمُ إنْ جَدّ بالناس جِدُّ القول أو شَمَعُوا (٢)

ولما أنشد حسّان رضى الله عنه هذه القصيدة بعد أن خطب ثابت بن شماس خطبته المشهورة ، قال الأقرع بن حابس : إن هذا الرجل لمؤتًى له ، والله لشاعرُه أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطبُ من خطيبنا ، ولأصواتُهم أرفع من أصواتنا ، أعطنى يامحمد ، فأعطاه ، فقال : زدنى ، فزاده ، فقال : اللهم إنه سيد

(١) فى الأصل «وما غضبوا ، ولا يكن همك » وأثبتنا مافى الأغانى لأنه ظاهر المعنى واضح المقابلة .
(٢) فى الأغانى والأصول « سمعوا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

العرب ، وهم الذين أنزل الله فى حقهم (إِنَّ الذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ)

ومعنى «حاولوا» راموا وطلبوا ، والأشياع : جمع شيعة - بكسر الشين المعجمة - وهى : الأنصار والأتباع ، والفرقة : تقع على الواحد والاثنين ، والجمع والمذكر والمؤنث ، والسجية : الغريزة ، وما جُبل عليه الانسان ، والخلائق : جمع خليقة ، وهى الطبيعة هنا ، والبِدَع : جمع بدعة ، وهى الحدَث فى الدين بعد الكمال ، والمراد بها هنا مستحدثات الأخلاق لا ما هو كالغرائز فيها .

والشاهد فيهما : القسم الثانى من الجمع مع التقسيم ، فانه قَسَّمَ فى البيت الأول صفة الممدوحين إلى ضرر الأعداء ، ونفع الأولياء ، ثم جمعهما فى البيت الثانى فى كونهما سجية .

وقد أخذ ابن مفرغ عجز البيت الثانى برُمَّتِهِ ، فقال من قصيدة ، [من البسيط] :

جارُ بنى خلفٍ تحمدْ جوارهُمُ ... والأعظمين دفاعاً كلما دفعوا

والمطعمين إذا ما شَتْوَةٌ أزمتْ ... فالناس شَتَّى إلى أبوابهم سُرُعُ

هم خير أقوامهم : إن حدّثوا صدقوا ، ... أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

وقد أجاد ابن حجة فى قوله هنا مع تسمية النوع [من البسيط] :

جمع الأعادى بتقسيمٍ يفرّقه ... فالحىّ للأسر والأمواتُ للضَّرَمِ

* * *

شاهد وجه آخر من التقسيم

١٣١ — ثقالٌ إذا لاقَوْا ، خِفَافٌ إذا دُعوا ... كثيرٌ إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

البيت للمتنبي ، من قصيدة [١] من الطويل ، أولها :

---

(١) أقرأها فى الديوان (١ - ٣٧٣)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أقلّ فعالى بَلْهَ أكثرَهُ مَجْدُ وذا الجدّ فيه نلت أو لم أنل جدُّ(١)

سأطلب حقّى بالقَنَا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مُرْدُ

و بعده البيت ، و بعده :

وطعن كأنّ الطعن لاطعن عنده وضرب كأنّ النار من حرّه بَرْدُ

إذا شئت حفّتْ بى على كل سابح رجالٌ كأنّ الموت فى فمها شهد

أذمُّ إلى هـذا الزمان أُهَيْلَهُ فأعلمهم فَدْمٌ وأحزمهم وَغْدُ

وأكرمهم كلبٌ وأبصرهم عَمٍ وأسهدهم فَهْدٌ وأشجعهم قِرْدُ

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يَرَى عدوّاً له ما من صداقته بُدُّ

فهو فى البيت المذكور يصف شدة وطأتهم على العدا ، وثباتهم على اللقاء ، وأنهم مسرعون إلى الاجابة إذا دعوا إلى كفاية مهم، ومدافعة خطب مدلهمّ ، وأن الواحد منهم يقوم مقام جماعة من غيرهم .

والشاهد فيه : مجيء التقسيم على وجه آخر ، وهو : أن تُذْكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل من تلك الأحوال ما يليق به ، فانه ذكر أحوال المشايخ وأضاف إلى كل منها ما يليق به ، وهو ظاهر .

ومن أنواع الجمع مع التقسيم قول الخالدى [من البسيط] :

فى وجهه كل رَيحانٍ تراح له منا قلوبٌ وأبصارٌ وتهواه

النرجس الغضّ عيناه ، وطُرّتُه بنفسجٌ ، وجنىُّ الورد خدّاه

ومثله قول ابن قلاقس [من الكامل] :

حملت من الأزهار أشباه الرُّبا فتساوت الأمثالُ والأشكالُ

فالآس صدغٌ ، والأقاحى مبسمٌ ، والورد خدٌّ ، والبنفسج خالُ

(١) وقع فى أصول هذا الكتاب « بل وأكثره مجد » ومعناه ضعيف وما أثبتناه موافق لما فى الديوان .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول الصاحب بن عباد فى الوزير بن العميد [من الكامل] :

قدِمَ الوزيرُ مقدَّما فى سبقِهِ فكأنما الدُّنيا جَرَتْ فى طَوْقِهِ

فجبالها منْ حلْمِهِ ، و بحارُها منْ جُودِهِ، ورياضُها من خُلُقِهِ

ومن بديع الجمع مع التقسيم قول ابن سكرة الهاشمى [من البسيط] :

جاء الشتاء وعنْدِى من حوَائجِهِ سبْعٌ إذا القَطْرُ عَنْ حاجاتِنا حبسا

كِنٌّ وكيسٌ وكانونٌ وكأسٌ طلاً معَ الكبابِ وكُسٌّ ناعمٌ وكِسا

وقد تبع ابن سكرة فى جادته هذه التى سلكها جماعة من الأدباء فمنهم من جاراه ، ومنهم من كبا ، فمن ذلك قول بعضهم [من الوافر] :

وكافات الشِّتاء تعدّ سبعاً ومالى طاقةٌ بلقاء سَبْعِ

إذا ظَفِرت بكافِ الكيس كفّى ظَفِرْتُ بمُفْرد يأتى بجَمْعِ

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

جاء الشِّتاء وما الكافات حاضرة وإنما حَضَرَت منهنَّ أبدال

قلٌّ وقرٌّ وقلبٌ موجعٌ وقلاً وقادرٌ هاجرٌ والقيلُ والقالُ

وقول جمال الدين ياقوت الكاتب [من البسيط] :

جاء الشتاء ببردٍ لا مَرَدّ له ولم يطق حجرٌ قاسٍ يقاسيه

لا الكاس عندى ولا الكانون متقدٌ كنى ظلامى وَكيسى قلّ مافيه

دع الكباب وخلّ الكسّ وا أسفا كساً أتغطّى فى دياجيه

ولمؤلفه فى قريب له [من مخلع البسيط] :

قلت لذى صبوةٍ بكافا تشتوةٍ مِنْ عَنَاكَ دعنى

وألهفَ قلبى على كساءٍ يردُّ برد الشتاء عَنِّى

ومن باب « جاء الشتاء » قول الأعرابى [من الكامل] :

جاء الشتاء وليس عندى درهمٌ ولقد يصاب بمثل هذا المسلم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وتقسم الناس الجِبَابَ وغيرها وكأننى بفناء مكة مُحْرِمُ

وقول آخر من الأعراب [من الكامل] :

جاء الشتاء ومَسَّنَا قرٌّ وأصابنا فى عيشنا ضرٌّ

ضرٌّ وفقرٌ ونحن بينهما هذا لعمر أبيكما الشرُّ (١)

وقول جحظة أيضاً [من البسيط] :

جاء الشتاء وما عندى له وَرِقٌ مما وهبت ولا عندى له خِلَعُ

كانت فبدّدها جودٌ ولعت به وللمساكين أيضاً بالندى وَلَعُ

وقول أبى نصر بن نباتة السعدى [من البسيط] :

جاء الشتاء وما عندى له عُدَدٌ إلا ارتعادٌ وتقريص بأسنانى

ولو قضيت لما قَصَّرْتُ فى كَفَنِى هبنى قضيت فهبنى بعض أكفانى

وقول أبى طالب المأمون فى طست الشمع [من الكامل] :

وحديقةٍ تهتز فيها روضةٌ لم يُنْمِهَا تربٌ ولا أمطار

فصعيدها صفرٌ ، ونامى غصنها شمع ، وما قد أثمرته نار

وقول أبى الفضل الميكالى [من مجزوء الكامل] :

ومنهفٍ تهفو بلبِّ المـــرء منـه شمائلُ

فالردف دِعْصٌ هائل والقد غُصْنٌ مائل

والخدُّ نَوْرُ شقائق تنقدُّ عنه غلائل

والعرف مثل حدائق نَمَّتْ بهن شمائل

والطرف سيفٌ ماله إلا العـذار حمائلُ

ولطيف قول منصور الفقيه [من الهزج] :

(١) كذا فى الأصل « ضر وفقر » وليس به بأس ، لـكن الأنسب بما تقدمه أن يقول « ضر وقر ـ إلخ »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بنو آدَمَ كالنَّبْتِ ونَبْتُ الأرض ألوانُ
فمنه شَجَرُ الصند ل والكافورُ والبانُ
ومنه شجرٌ أفضلُ ما يحمل قَطْرَان

وفى معناه قول رجل من عبد القيس [من الرمل] :

جامل الناس إذا ماجئتهم إنما الناس كأمثال الشجر
منهمُ المذمومُ فى منظرهِ وَهْوَ صلبٌ عودُهُ حُلْوُ الثمرْ
وترَى منهم أثيثاً نبتُهُ طعمُهُ مرٌّ وفى العُودِ خَوَرْ

ومثله قول الآخر أيضا [من السريع] :

الناسُ كالترب ومنها هُمُ من خَشِنِ اللمْسِ ومن لَيِّنِ
فَجَلمدٌ تَدْمَى بهِ أرجُلٌ وإثمَدٌ يوضعُ فى الأعينِ

وقول الآخر [من البسيط] :

والناسُ كالناسِ إلا أن تجرِّبهم وللبصيرةِ حكمٌ ليس للبصرِ
كالأيك مشتبهاتٍ فى منابتها وإنما يقَعُ التفضيل فى الثمرِ

ولأبى عبد الله الغوّاص فى وصف دار [من الكامل] :

يادارَ سعدٍ قدْ علتْ شُرُفاتها بُنيتْ شبيهةَ قبلةٍ للناسِ
لِوُرُود وَفدٍ ، أو لِدفْعِ ملمة ، أو بذلِ مالٍ ، أو إدَارةِ كاسِ

وما أحسن قول الرستمى [من الكامل] :

يا ابنَ الذينَ إذا بنوْا شادُوا ، وإن أسْدَوْا يداً عادوا ، وإن يَعِدوا يَفُوا
إن حاربوا لم يُحْجِموا ، أو قاربُوا لم يندَموا ، أو عاقبوا لم يشتفُوا
ومتى استُجيرُوا أسعفوا ، ومتى استُنِيـــلوا أسرفوا ، ومتى استعيدوا أضعفوا
إن عاهدوا لم يخفرُوا ، أو عاقدوا لم يغدرُوا ، أو مُلِّكُوا لم يعسفُوا

وَ بديع قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أناسٌ أبَوْا غيرَ التلوُّن عادةً فشأنهمُ في الحبِّ هونٌ وإذلالُ
وصالٌ وهَجرٌ ، واجتماعٌ وفرقةٌ وبذلٌ وإمساكٌ ، وحلٌّ وترحالُ
فإنْ سمحُوا ضنّوا ، وإنْ عَطفُوا جنَوْا وإنْ عَقَدوا حلّوا ، وإنْ عَهِدوا حالوا

وقول ابن هرمة [من البسيط] :

قومٌ لهمْ شرفُ الدنيا وسودَدُها صفوٌ على الناسِ لم يُخلطْ بِهمْ رَنَقُ
إن حاربوا وضعوا ، أو سالموا رفعوا ، أو عاقدوا ضمنوا ، أو حدّثوا صدقوا

ومنه قول حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه يهجو [من البسيط] :

قومٌ لِئامٌ فلنْ تلقى لهمْ شبَهاً إلاّ التيوسَ على أكتافها الشَعَر
إنْ سابقوا سُبقوا ، أوْ نافروا نُفروا ، أوكاثروا أحداً منْ غيرهمْ كثروا
قومٌ لئـامٌ أقل اللهُ خيرهمُ كما تساقطَ حولَ الفقحة البَعَرُ
كأنّ ريحهم في الناس إذ برزوا ريحُ الكلاب إذا ما بلّها المطر

* * *

شاهد التجريد

١٣٢ — وشوْهاء تعدو بي إلى صارخِ الوَغى
بمستلئمٍ مثلِ الفنيقِ المـرَحَّلِ

البيت من الطويل ، ولا يعرف قائله

وشوهاء: صفة لفرس، وهى الطويلة الرائعة، والمفرطة رحب الشدقين والمنخرين، والوغى: الحرب ، والمستلئم : لابس اللأمة وهو الدرع ، والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، ويجمع على فُنُق — بضم أوله وثانيه — والمرحل: من رَحَل البعير أشخصه عن مكانه وأرسله

والشاهد فيه : التجريد ، وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله فيها مبالغة لكما لها فيه، وهنا قال: تعدو بى ومعى من نفسى لابس درع لكمال استعدادى للحرب ، فبالغ فى اتصافه بالاستعداد حتى انتزع منه مستعداً آخر لابس درع ، والله أعلم .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد التجريد من غير توسط حرف

١٣٣ — ولئنْ بَقيتُ لأرْحلنَّ بِغزْوةٍ تحوى الغنائِمَ أو يموتَ كريمُ

البيت لقتادة بن مسلمة الحنفي ، من قصيدة من الكامل أولها :

بكرتْ عليَّ منَ السَّفاهِ تلومُني سفهاً تُعَجِّزُ بعْلَها وتلومُ

لما رأتني قدْ رُزئتُ فوَارسى وبدتْ بِجسمى نهكةٌ وكلومُ

ما كنتُ أوّلَ منْ أصابَ بنكبةٍ دهرٌ وحىّ باسلونَ جَميمُ

إلى أن يقول فيها :

ومعى أسودٌ منْ حنيفةَ فى الوَغى للبيضِ فوْقَ رُؤُوسهمْ تسْويمُ

قومٌ إذا لبسوا الحديدَ كأنهمْ فى البَيْضِ والحلقِ الدِّلاصِ نُجومُ

و بعده البيت

والغنائم : جمع غنيمة ، وهى الفوز بالشىء بلا مشقة .

والشاهد فيه : التجريد بدون توسط حرف ، فإنه عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة فى كرمه ، ولذا لم يقل أو أموت .

* * *

شاهد التجريد بطريق الكناية

١٣٤ — يا خيرَ منْ يركبُ المطىّ ولاَ يشربُ كأساً بكفٍّ منْ بَخلا

البيت من المنسرح ، وقائله الأعشى ، من قصيدته السابقة[1] فى شواهد المسند

والشاهد فيه : التجريد بطريق الكناية ، فإنه انتزع من الممدوح جوادا يشرب هو الكأس بكفه ، على طريق الكناية ، لأنه إذا نفى عنه الشرب بكف البخيل فقد أثبته له بكف الكريم ، ومعلوم أنه شرب بكفه ، فهو ذلك الكريم .

* * *

١٣٥ — * لاَ خيلَ عِندكَ تُهديها ولاَ مالُ *

قائله أبو الطيب المتنبي ، وهو أول قصيدة من البسيط[2] يمدح بها فاتكا

---

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ٣٥) فى ج ١ ص ١٩٤ من هذا الكتاب)

(٢) اقرأها فى الديوان (٣ — ٢٧٦)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد حمل إليه هدية ألف دينار ، وكان بمصر مقيما ، وتمامه :

* فليسعدِ النطقُ إنْ لم تُسعدِ الحالُ *

وبعده :

واجْزِ الأميرَ الذى نعْماهُ فاجئةٌ ... بغير قولٍ ، ونُعمى الناسِ أقوالُ
فربَّما جزتِ الاحسانَ مولِيهُ ... خريدة منْ عذارَى الحىِّ مكسالُ
وإنْ تكنْ مُحكماتُ الشكل تمنعنى ... ظهور جرْيٍ فلى فِيهن تَصْهَالُ
وما شَكَرْتُ لأنَّ المالَ فرحنى ... سيَّان عِندىَ إكثارٌ وإقلال
لكنْ رأيتُ قبيحاً أنْ يجَادَ لَنَا ... وأننا بقضاءِ الحقِّ نُخَّالُ

وهى طويلة ، وأراد بالحال الغنى

والشاهد فيه : التجريد بمخاطبة الانسان نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله فى فقد الخيل والمال والحال ، ومثله قول الأعشى [من البسيط]

ودِّعْ هريرةَ إنَّ الركبَ مُرْتَحِلُ ... وَهلْ تُطيق وِداعا أيُّها الرَّجل(١)

ومن الأمثلة فى التجريد قول التميمى لنجدة بن عامر الحنفى الخارجى [من الوافر] :

متى تلقَ الجريشَ جريشَ سعدٍ ... وعبَّاداً يقودُ الدَّارِعينا
تبينْ أنَّ أمَّك لم تورِّك ... ولم ترْضعْ أمِير المؤمنينا

ومثله قول ذى الرمة أيضاً [من الطويل] :

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادَّرَعْتُهُ ... بأربعةٍ والشخص فى العينِ واحدُ(٢)

---

(١) الرواية * وهل تطيق وداعا أيها الرجل *

(٢) وقع فى أصول هذا الكتاب صدر هذا البيت * وليل كأبناء الدويدى جبته * وما أثبتناه موافق لما فى الحيوان للجاحظ (٣-٢٥٠) وفى ديوان المعانى (٢ - ٣٥٢) وفى الصناعتين (١٧٥ و٢٢١) وفى العمدة (٢-٢٩) وفى شرح الشريشى على المقامات (١-٧١) وفى الموازنة بتحقيقنا (٧٠)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أحمّ علافيٌّ وأبيض صارمٌ وأعيس مهريٌّ وأروع ماجدُ

أراد بالأحم العلا فى الرحل، وهو منسوب إلى علاف رجل من قضاعة تنسب إليه الرحال لأنه أول من عملها، وأراد بالأروع الماجد نفسه، وهو تجريد ظاهر، لأن قوله «جبته بأربعة» ثم عد فيها الأروع الماجد مُشْعِر بأنه شخص آخر، وهو معنى التجريد.

ومنه قول الشاعر [من الطويل]:

أباحتْ بنو مروانَ ظلماً دماءنَا وفى اللهِ إنْ لم يُنْصِفوا حكمٌ عدلُ

وقول المعرى [من البسيط]:

هاجتْ نمير فهاجتْ منك ذا لبَدٍ والليثُ أفتكُ أفعالاً من النَّمِرِ

وقول الشاعر أيضاً [من الطويل]:

وبى ظَبيةٌ أدماء ناعمةُ الصلا تحار الظباء الغيدُ من لفتاتها

أعانق غصنَ البانِ من لينِ قدِّها وأجنِى جنِىَّ الوردِ من وَجَناتها

وقول الآخر أيضاً [من البسيط]:

إنْ تلقنِى لاترَى غيرى بناظرةٍ ينسى السلاحَ ويغزو جبهةَ الأسدِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من المتقارب]:

جزيل الندَى ذو أيادٍ غدتْ تُحدِّثُ عنهنَّ فى كلِّ نادِى

يُلاقيكَ منه إذا جئتَهُ كثير الرَّمادِ طويلُ النجادِ

* * *

شاهد المبالغة (التبليغ)

١٣٦ — فعادَى عِداءً بَينَ ثورٍ ونعجةٍ دِراكاً ولم يُنْضَحْ بماءٍ فيُغْسَلِ

البيت لامرىء القيس، من قصيدته المشهورة السابقة فى شواهد المقدمة(١)

وقبل البيت:

---

(١) انظر شرح الشاهد (رقم ١ فى ج ١ ص ٨ من هذا الكتاب)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فَعَنَّ لنا سِرْبٌ كأنَّ نِعاجَهُ عذارَى دَوارٍ فى مُلاءٍ مُذَيَّلِ
فأدْبَرْنَ كالجزعِ المُفَصَّلِ بينه بِجيدٍ مُعِمٍّ فى العشيرةِ مُخْوَلِ
فأَلْحَقَنَا بالهادياتِ ودونهُ جَوَاحِرُها فى صَرَّةٍ لم تَزَيَّلِ (١)

و بعده البيت ، و بعده :

فظَلَّ طُهَاةُ اللحم من بين مُنْضِجٍ صفيفَ شِوَاءٍ أو قَدِيرٍ مُعَجَّلِ (٢)
وَرُحنا يكادُ الطَّرْفُ يقصرُ دونهُ متى ما تَرَقَّ العينُ فيه تَسَهَّلِ
فباتَ عليهِ سَرْجُهُ ولجامُهُ وبات بعينى قائماً غيرَ مُرْسَلِ

والمعنى فى البيت أنه يصف فرسه بأنه لا يعرق و إن كثر العَدْوُ منه، والعِداء بالكسر والمد — الموالاة بين الصيدين يصرع أحدهما على أثر الآخر فى طلق واحد، وأراد بالثور الذكر من بقر الوحش ، وبالنعجة الأنثى منها ، ومعنى « درّاكا » متتابعاً ، و « يغسل » مجزوم معطوف على ينضح ، والمعنى لم يعرق فيغسل .

والشاهد فيه : المبالغة ، و يسمى التبليغ ، وهو : ادعاء ممكن عقلا وعادة ، فانه ادعى أن فرسه أدرك ثوراً و بقرة وحشيين فى مضمار واحد ولم يعرق ، وهذا ممكن عقلا وعادة .

وقد استعمل امرؤ القيس هذا المعنى فى شعره كثيراً ، فقال من قصيدة [من الطويل]

وعاديتُ منهُ بين ثَوْرٍ ونعجةٍ وكان عِدَائى إذ ركبتُ على بالى

وقال أيضا من أخرى [من الطويل] :

فأقصَدَ نعجة وأعرض ثورُهَا كفحل الهجان ينتحى لفضيض

---

(١) فى شرح القصائد العشر للتبريزى * فالحقه بالهاديات . . . . *

(٢) فى الأصل « ضعيف شواء » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه عن شرحي التبريزى والزوزنى على المعلقات .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ووَالَى ثلاثاً واثنتين وأربعاً وغادَرَ أُخْرَى فى قناةٍ رفيض

وقال أيضاً من أخرى [من الطويل] :

فأدركَ لم يعرقْ مَنَاطُ عذارهِ يمرُّ كخذروفِ الوليد المثقَّبِ

إلى أن قال بعد أبيات [من الطويل] :

فغادرَ صَرْعَى من حمارٍ وخاضبٍ وتيسٍ وثَوْرٍ كالهشيمة قرهبِ

وقال من أخرى [من الطويل] :

فصادَ لنا عيراً وثوراً وخاضباً عِداءً ولم يَنْضَحْ بماء فيعرَقِ

وقد ألم المتنبي بهذا المعنى ، فقال فى وصف جواد وأجاد [من الطويل] :

وأصرَعُ أىَّ الوحش قَفَّيْتُهُ بهِ وأنزلُ عنهُ مثلهُ حين أركبُ

وينظر إلى صدر بيت المتنبي قوله أيضا [من الطويل] :

وَخَيْلٍ إذا مرّتْ بوحشٍ وَرَوضةٍ أبَتْ رَعْيَهَا إلا ومِرْجَلُنَا يغلى

وقد ألم به أبو طاهر الأردستانى بقوله من قصيدة [من الطويل] :

طِمِرٍّ أبَىَ أن يرتعَ العشبَ فى الطَّوَى ولم نغلِ للأضياف فى الحىّ مِرْجَلاَ

ومنه قول امرىء القيس أيضا [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قالَ ولدَانُ بيتنا تعَالَوْا إلى أن يأتىَ الصيدُ نحطِبِ

يشير إلى سرعة مجيئهم بالصيد وقوة يقينهم بالظفر به .

ومثله قول ابن المعتز فى وصف البازى [من الرجز] :

قدْ وثقَ القـومُ لهُ بمـا طلبْ فهوَ إذا خلى لصيدٍ واضطربْ

عَدُّوا سكَا كينهم منَ القرَبْ

ومثله قول الآخر فيه [من الرجز] :

* مُبَارَكٌ إذَا رَأى فَقَدْ رُزِقْ *

رجع إلى المبالغة و إن لم نخرج عنها .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال ابن أبى الأصبع : أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة [من الطويل] :

رَهَنْتُ يدى بالعجز عن شُكْرِ برّهِ وما فوقَ شكرى للشكور مَزيدُ
ولو كان ممّا يستطاعُ استطعتهُ ولكنّ ما لا يستطاعُ شديدُ

ومن هنا قال أبو نواس [من الكامل] :

لا تُسْدِيَنّ إلىّ عارفةً حتى أقومَ بشكر ماسلفَا

ومن المبالغة قول النظام [من الطويل] :

تَوَهَّمَهُ طرْفى فآلم خدّهُ فصار مكانُ الوهْمِ من نَظرى أثرُ
وصافحه كفّى فآلم كفَّهُ فمنْ صَفح كفى فى أنامله عَقْرُ
ومَرَّ بفكرى خاطرا فجرَحتهُ ولم أرَ خلقاً قطّ يجرَحهُ الفكرُ

يقال إن الجاحظ لما بلغه ذلك قال : هذا ينبغى أن لا يناك إلا بأير من الوهم .

وعجيب فى المبالغة قول البلامى فى عضد الدولة أيضا [من الطويل] :

إليكَ طَوَى عَرْضَ البسيطة عاجِلاً قِصَارَى المطايا أن يلوحَ لها القصرُ
فكنتُ وعزمى فى الظلام وَصارمى ثلاثةَ أشباهٍ كما اجتمع النسْرُ
وبشَّرْتُ آمالى بمَلْكٍ هو الورى ودارٍ هى الدنيا ويومٍ هوَ الدَّهرُ

وقوله أيضا ، وأجاد [من البسيط] :

أقْبِلْ علىّ وقلْ ضيفى ومتّبِعِى وشاعرى قاصدى راجىّ مُمْتَارِى
أنتَ الأنامُ فمن أدعو وحضرتكَ الدُّنيا فأينَ أقضّى بعضَ أوطارِى

ومثله قول المتنبى [من الطويل] :

هى الغرضُ الأقصى ، ورُؤيتكَ المُنَى ومنزلُكَ الدُّنيا ، وأنتَ الخلائقُ

وقول القاضى ناصح الدين الأرجانى [من البسيط] :

ياسائلى عنهُ لمّا جئتُ أمدحهُ هذا هوَ الرجلُ العارى من العار
لقيتهُ فرأيتُ الناسَ فى رجُلٍ والدهر فى ساعةٍ والأرض فى دارِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول أبي محمد الخوارزمي [من الطويل] :

ألا ياسائلي عن كنهِ عَلياهُ إنهُ لأُعطِيَ ما لم يُعْطَهُ الثقلانِ
فمنْ يَرَهُ في منزلٍ فكأنما رأى كلَّ إنسانٍ وكلَّ مكانِ

ومن بديع المبالغة قولُ ابن نباتة السعدي في سيف الدولة من قصيدة وأجاد [من البسيط] :

قَدْ جُدْتَ لي باللُّهى حتى ضَجِرْتُ بها وكدْتُ من ضَجَرِي أُثني على البَخَلِ
إن كنتَ ترغبُ في بذلِ النوالِ لنا فاخْلُقْ لنا رغبةً أولا فلا تنلِ
لم يُبْقِ جودُكَ لي شيئاً أُؤمّلهُ تركتني أصحَبُ الدنيا بلا أمَلِ

وأبلغ منه قول أبي الفرج الببغاء ، في سعد الدولة ، ابن سيف الدولة ، [من المنسرح] :

لاغيثُ نعماهُ في الورَى خَلَبَ البرْقَ ولا وردُ جوده وَشَلُ
جادَ إلى أن لم يُبْقِ نائلهُ مالاً ولم يبقَ للورَى أملُ

وقريب من هذا المعنى قول ابن بابك في الصاحب بن عباد [من البسيط] :

فحسنُ ظنكَ بي استوفى مَدَى أملي وحُسنُ رأيكَ بي لم يُبْقِ لي أرَبا

ومن محاسن المبالغة قول ابن اللبانة ، وقد رأى ابن المعتمد بن عباد صائغاً بعد الملك [من البسيط] :

أذكى القلوبَ أسىً أجْرَى الدُّموعَ دما خطبٌ وجودُكَ فيه يشبهُ العَدَمَا
وعادَ كونكَ في دكّانِ قارعةٍ من بعدِ ما كنتَ في قصرٍ حكى إرمَا
صَرَّفْتَ في آلةِ الصوّاغِ أنمُلةً لم تدرِ إلا النّدَى والسيفَ والقلما
يَدٌ عهِدْتكَ للتقبيلِ تبسطُها فتستقلُّ الثُّرَيّا أن تكون فَما
يا صائغاً كانتِ العليا تصاغُ لهُ حلياً وكانَ عليهِ الحَلْيُ مُنتظما
للنفخِ في الصورِ هولٌ ماحكاهُ سوى يومٍ رأيتكَ فيهِ تنفخُ الفَحَما

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَدِدْتُ إذْ نَظَرَتْ عَيْنِى إليكَ بهِ لَوْ أنَّ عَيْنِيَ تَشكو قَبْلَ ذَاكَ عمى
لُحْ فى العُلَا كَوْكَباً إن لم تَلُحْ قمراً وقُمْ بها رَبْوَةً إنْ لَمْ تَقُمْ عَلَما

وما أبلغ قول السلامى [من الطويل] :

ففى جيشهِ خمسونَ ألفاً كعنترٍ وأمضَى وفى خُزَّانِهِ ألفُ جاتِمِ

ولمؤلفه فيها من قصيدة [من المتقارب] :

متى لَمَسَتْ كفهُ مُعدماً أصابَ الغِنى وانثنى مُسْعَفَا
و إنْ لَمَحَتْ عينهُ خامِلاً غَدَا نابهاً قبلَ أنْ يَطْرِفَا

ومن المبالغة فى المجون قول ابن حجاج [من الوافر] :

فتاةٌ كالمَهاةِ تَرُوقُ عينى مَشَاهِدُها وتفتنُ من رآها
تكادُ تَرُدُّ للمجبُوبِ أيراً وتحدثُ للفتىَ العنِّينِ باها

وهو من قول جحظة البرمكى [من الكامل] :

لو مرّ بالأعمى لأبصرَ أو بِعِنِّينٍ لأنعظْ

ولقد أحسن الخالدى وأجاد إل الغاية فى قوله من قصيدة [من البسيط] :

كأنمَا منْ ثنَاياها ومبسِمِها أيدى الغَمَام سَرَقْنَ البرْدَ والبرَدَا

وَبديع قول السلامى أيضا [من الطويل] :

تبسمْتَ والخيلُ العتاقُ عوابسٌ وأقدَمتها والحربُ لم تتأجَّجِ
فما وطئتْ إلا علىَ خدّ سيدٍ ولا عثرتْ إلا برأسِ متوَّجِ

وقد أغرب الوأواء الدمشقى بقوله [من الوافر] :

متى أرْعَى رياضَ الحسنِ منهُ وعَينى قَدْ تَضمنهَا غَديرُ
ولوْ نُصِبَتْ رَحَى بإزاء دَمعى لكانتْ من تحدُّرهِ تَدُورُ

ومن المبالغة فى البخل قول ابن الرُّومى [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لو أنّ قَصْرَكَ يا ابنَ يوسفَ مُمْتَلٍ ... إبراً يَضيقُ بها فناءُ المنزلِ
وأتاكَ يوسفُ يَستعيرُكَ إبرةً ... ليخيطَ قَدَّ قميصِهِ لم تفعَلِ

ومثله قول كشاجم [من الكامل] :

يا مَن يؤمِّلُ جعفراً ... من بين أهلِ زمانِهِ
لو أنّ في آستِكَ درهماً ... لاستَلَّهُ بلسانِهِ

وقول دعبل [من الخفيف] :

إنّ هذا الفتى يصونُ رَغيفاً ... ما إليهِ لناظرٍ مِنْ سبيلِ
هوَ في سفرَتين مِنْ أدَمِ الطا ... ئفِ في سلّتين في منديلِ
خُتِمَتْ كلُّ سلّةٍ بحديدٍ ... وسُيُورٍ قُدِدْنَ من جلدِ فيلِ
في جرابٍ في جوفِ تابوتِ موسى ... والمفاتيحُ عندَ إسرافيلِ

وقول بعضهم أيضا [من الوافر] :

فَتىً لو أدْخلَ الحمامَ حَوْلاً ... وحولاً بعدَ أحوالٍ كثيره
وألبسَ ألفَ فَرْوٍ بعدَ ألفٍ ... ولُحْفٍ حشوُها قطنُ الجزيرهْ
وأوقدَتِ الجحيمُ عليه حتى ... تصيرَ عِظامُهُ مِثْلَ الذَّريرَهْ
لما عَرِقَتْ أناملُهُ لِبخْلٍ ... بعُشْرِ عُشَيرِ معْشارِ الشَّعيرَهْ

ومنه قول بعضهم [من الوافر] :

رَغيفكَ في الحجابِ عليهِ قفْلٌ ... وحُرّاسٌ وأبْوابٌ منيعهْ
رأوْا في بيتِهِ يَوْماً رَغيفاً ... فقالَ لضيفِهِ : هذا وَديعهْ

ومنه قول عبدان الأصبهاني [من المتقارب] :

رَغيفكَ في الأمنِ يا سيدي ... يحِلُّ محَلَّ حمامِ الحَرَمْ
فللهِ دَرُّكَ مِنْ سيدٍ ... حَرامٍ الرغيفَ حلالَ الحُرَمِ

وقول ابن الرُّومي أيضا [من المنسرح] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فتىً عَلىَ خُبزه وَنائلِهِ أشفقُ من والدٍ على ولَدِهْ
رَغيفهُ مِنهُ حِينَ تسألهُ مكان روح الجبان من جَسَدِهْ

ومن المبالغة فى الهجو قول الشريف الناسخ [من الخفيف] :

لستُ أخشى حرّ الهجير إذا كا ن حسينُ الصوّاف فى الناس حيّا
فبِبَيْتٍ من شعرهِ أتـقِى الحَـرَّ وَفِى ظِلّ أنفـهِ أتفَيّـا

ومنه قول الآخر أيضا [من السريع] :

وَرُبّ أنْف لصديق لنا تحديدُهُ ليسَ بمعـلومِ
ليسَ عن العرش له حاجبٌ كأنهُ دَعـوَةُ مظلومِ

وقول النجم يحيى أيضا [من الكامل] :

شبهتُ أنفكَ كردكوهَ بعينها والفرقُ بينهما جَلِيُّ المقصدِ
إنّ الملاحدَ أصبحوا فى قلعةٍ وَرأيتُ أنفكَ قلعةً فى ملحَدِ

وقول الصابى يهجو أبخر [من الكامل] :

قد أبصرتْ عينى العجائبَ كلها ما أبصرت مثلَ ابن نصر أبخرا
مَا شمّ نـكهتهُ امرؤ متعطرٌ إلا وعادَ مُخاطهُ منها خَرَا

وقوله فيه أيضاً [من الكامل] :

نطق ابن نصرٍ فاستطارتْ جيفةٌ فى العالمينَ لنَتْنِ فيهِ الفاسدِ
فكأنّ أهل الأرض كلهم فُسَوْا متواطئينَ علىَ اتفاقٍ واحدِ

ومثله قول ابن زريق الكوفى الكاتب [من الطويل] :

ولى صاحبٌ أفْسَى البريةِ كلها يشككنى فيهِ إذَا ما تنفسَا
تحوّلتِ الأنفاسُ منهُ إلى استه فما أحدٌ يدرى تنفسَ أمْ فسَا

ولبعضهم ، وأجاد [من الوافر] :

أتانَا عالمٌ من أرض فاسٍ يجادلُ بالدليل وبالقياسِ
وما فاسٌ ببلدته ولكنْ فسَا يفْسُو فسَاء فهو فاسِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول ابن درة الشاعر فى معيان [من مخلع البسيط] :

مدوّر الكعب فاتخذهُ لِتلِّ غرْسٍ وثلَّ عرْشِ
لوْ رمقتْ عينهُ الثريّا أخرجها فى بَناتِ نعْشِ

وقد بالغ بعضهم فى ملازمة الرقيب بقوله [من الخفيف] :

أنا والحبُّ ما خلونا ولاطرْ فةَ عينٍ إلاّ علينا رقيبُ
ماجتمعْنا بحيثُ أنْ يمكنَ الدّهـ ـرُ بأنى أقولُ أنتَ الحبيبُ
بلْ خلونا بقدرِ ما قُلتُ أنتَ الـ ـحَ فوافى فقُلتَ كيمُ الطَّبيبُ

ومن المبالغة نوع يسمى الاستظهار، كقول ابن المعتز العباسى لابن طبا طبا العلوى أو غيره [من المتقارب] :

الاستظهار (نوع من المبالغة)

فأنتمْ بنو بنتهِ دُونا ونحنُ بنو عمهِ المسلمِ

فقوله « المسلم » استظهار لأن العلوية من بنى عم النبى صلى الله عليه وسلم أيضاً أعنى أبا طالب ، ومات جاهليا ، فكأن ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة وقد أخذه ابن المعتز من قول مروان[1] بن أبى حفصة وكان شديد العداوة لآل أبى طالب حين قال مخاطبا لهم [من الكامل] :

خلوا الطّريقَ لمعشرٍ عاداتُهمْ حَطمُ المناكِب يومَ كلّ زِحامِ
ارْضُوا بما قسمَ الإلهُ لكمْ به ودَعُوا وِراثة كلّ أصْيدَ سامِى
أنّى يكونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ لِبنى البناتِ وِراثةُ الأعمامِ

وقد أخذه من مولًى لتمام بن العباس بن عبد المطلب ، قاله لمولى من موالى النبى صلى الله عليه وسلم ، لما أتى الحسين رضى الله عنه، فقال له : أنا مولاك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « من قول ابن مروان » بزيادة ابن .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

جحدتَ بنى العباسِ حقَّ أبيهمُ فما كنت فى الدَّعوَى كريمَ العواقبِ
متى كانَ أوْلادُ البنـاتِ كوارثٍ يحوزُ ويُدْعَى والداً فى المناسبِ

ومثله قول الطاهر بن على بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس فى الطالبيِّين [من الكامل] :

لو كانَ جدُّكمُ هُناكَ وجدُّنا فتنازَعا فيهِ لوَقتِ خِصامِ
كانَ التراثُ لجدِّنا منْ دونهِ فحواهُ بالقرْبى وبالإسلامِ
حقُّ البناتِ فريضةٌ معلومة والعَمُّ أوْلى منْ بنى الأعمامِ

* * *

١٣٧ — ونكرمُ جارَنا ما دامَ فِينا ونُتبعهُ الكرامةَ حيثُ مالاَ

البيت من الوافر ، وهو لعمرو بن الأهتم التغلبى .

شاهد الاغراق

والشاهد فيه : الإغراق ، وهو : ادعاء ممكن عقلا لا عادة ، فإنه ادعى أن جاره لا يميل عنه إلى جانب إلا وهو يرسل الكرامة والعطاء إليه على أثره ، وهذا ممكن عقلا ممتنع عادة ، ومن أمثلته قول امرىء القيس [من الطويل] :

تنوّرتُها منْ أذْرعاتٍ وأهلُها بيثربَ ، أدْنى دارِها نَظَرٌ عالى

فإن أذرعات من الشام ، ويثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، ورؤية النار من بعد هذه المسافة لا يمتنع عقلا ، ويمتنع عادة

ومن محاسن ما استشهدوا به على نوع الإغراق قول القائل [من الطويل]:

ولو أنَّ ما بِى منْ جوَى وصبابةٍ على جملٍ لم يدخُلِ النار كافرُ

يريد أنه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط ، وذلك لا يستحيل عقلا ، إذ القدرة صالحة لذلك ، لكنه ممتنع عادة

أمثلة من مبالغات الشعراء

وقد تفنن الشعراء فى المبالغة فى النحول ، فمن ذلك قول المتنبى [من البسيط] :

رُوحٌ تردَّدُ فى مثْلِ الخلالِ إذَا أطارَتِ الرِّيحُ عنهُ الثَّوْبَ لم يَبِنِ
كفى بجسمى نحُولاً أننى رجلٌ لوْلا مخاطبتى إيّاكَ لم ترَنِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد أخذه من قول الآخر [من البسيط] :

برى ضنًى لم يدَعْ منى سوَى شبَحى لوْ لم أقلْ ها أنا لِلنَّاس لم أَبِنِ

ومثله قول بعضهم [من البسيط] :

ها فانظرُونى سقيماً بعدَ فُرقتكمْ لوْ لم أقلْ ها أنا للناسِ لم أبنِ

لوْ أن إبرَةَ رفّاءٍ أكلّفُهـا جرَيتُ فى ثُقبهامنْ دقّةِ البدنِ

وما ألطف قول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى هذا المعنى [من الطويل]:

كأنى هلالُ الشكِّ لوْلاَ تأوُّهى خفيتُ فلم تُهدَ العيونُ لرؤيتى

ومثله قول نصر السفاقسى [من البسيط] :

أذَابهُ الحبُّ حتى لوْ تَمثلهُ بالوَهمِ خلقٌ لأعياهمْ توَهُّمُهُ

لوْلاَ الأنينُ ولوْعاتٌ تحركهُ لم يدْرِهِ بعيانٍ منْ يكلمهُ

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

قـدْ سَمعتمْ أنينهُ منْ بعيدٍ فاطلبُوا الشَّخْصَ حيثُ كانَ الأنينُ

وقول ابن حجة الحموى [من البسيط] :

وقدْ تجاوَزَ جسمى حدّ كلِّ ضنًى وَها أنا اليومَ فى الأوْهامِ تخْييلُ

وما أحسن قول بشار [من الطويل] :

سلبْتِ عظامِى لحمهـا فتركتهـا عوَارىَ فى أجْلادِهـا تتكسَّرُ

وأخليْتِ منهـا مُخهـا فتركتهـا أنابيبَ فى أجوافِها الرِّيح تَصْفِرُ

خُذِي بيدِى ثمَّ ارْفعى الثوْبَ فانظرِى ضنى جسدِى لكنَّنى أتسترُ

وليسَ الذِى يَجرى منَ العينِ ماؤُها ولكنها نفسٌ تَذوبُ فتقطرُ

ومثل البيت الأخير قول ديك الجن [من الخفيف] :

ليسَ ذَا الدّمعُ دَمعَ عَينىولكنْ هى نَفْسٌ تُذيبها أنفـاسِى

وقول ابن دريد أيضاً [من الكامل] :

لا تحْسبى دَمعى تحدُّرَ ، إنَّما رُوحى جرَتْ فى دَمْعِىَ المتحدِّرِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن الإغراق قول أبى القاسم بن هانى [من الكامل] :

لبسَ الصباحُ بهِ صَباحاً مُسفراً وسقَتْ شمائلُه السحابَ سحابا

وقول المتنبي [من الطويل] :

وثِقْنا بأنْ تُعْطِي فلوْ لم تجُدْ لنا حسبْناكَ قدْ أعْطَيْتَ من قوةِ الوَهمِ

ولم أقف على ترجمة ابن الأهتم التغلبي قائل البيت

*
* *

١٣٨ — وأخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنهُ لتخافكَ النطفُ التى لم تُخْلَقِ

شاهد الغلو

البيت لأبى نواس، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد، أولها :

خَلَقَ الزمانُ وشِرَّتى لم تخلق ورَمَيْتُ فى غرضِ الزّمانِ بأفوقِ

تقعُ السهامُ وَراءهُ وكأنهُ أثرَ الخوَالفِ طالبٌ لم يلحَقِ

وأرَى قُوايَ تكادُ تَبْهَا رَيثةٌ فإذا بطشتُ بطشتُ رِخْوَ المرْفقِ

ولقدْ غدوْتُ بدستبان معلم صخب الجلاجل فى الوظيف منسق

حر صنعناه لتحسن كفُّه عملَ الرفيقة واستلابَ الأخرَق

واستمر فى وصف البازى إلى أن قال :

هذا أميرُ المؤمنينَ انْتاشنى والنفْسُ بينَ محنجر ومُخنق

نفسى فِداؤكَ يوْمَ دابقَ منهما لولا عواطفُ حِلمهِ لم أُطلَقِ

حرّمت منْ لحمى عليكَ مُحللاً وجمَعتَ منْ شتى إلى مُتفرقِ

فاقذفْ برَحلكَ فى جنابِ خليفةٍ سبّاقِ غاياتٍ بها لم يُسبَقِ

إلى أن قال :

إنى حَلفتُ عليكَ جهْدَ أليّةٍ قسماً بكلِّ مُقصرٍ ومُحلِّقِ

لقدِ اتقيتَ اللهَ حقَّ تُقاتهِ وجهدْتَ فيهِ فوقَ جهدِ المُتقى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و بعده البيت ، و بعده :

و بضاعةُ الشُّعراءِ إنْ أنفقتها نفقتْ و إنْ اكسدْتَهَا لم تنفُقِ

والشاهد فى البيت : الغلو ، وهو : ادعاء مالا يمكن عقلا ولا عادة ، فانه ادعى أن النُّطَفَ غير المخلوقة تخاف من سطوته ، وهذا ممتنع عقلا وعادة .

ومن ألطف ما يحكى هنا أن العتابى الشاعر لقى أبا نواس فقال له : أما استحييت من الله بقولك:

* وأخفت أهل الشرك — البيت *

فقال له أبو نواس : وأنت ما استحييت من الله بقولك [من البسيط] :

ما زلتُ فى غَمراتِ الموتِ مُنطرحاً يضيقُ عنى وسيعُ الرُّأى من حِيلى
فلمْ تزَلْ دائماً تَسعى بِلطفكَ لِى حتى اختلَسْتَ حياتِى من يدَىْ أجَلى

فقال له العتابى : قد علم الله وعلمت أن هذا ليس مثل ذاك ، ولكنك أعددت لكل ناصح جوابا .

وقد استعمل أبو نواس معنى البيت ثانيا ، فقال من قصيدة أخرى [من الكامل] :

أمثلة من الغلو حتى الذِى فى الرَّحمِ لم يكُ صورةً لفؤادهِ منْ خوفهِ خفقانُ

ومن الغلو أيضا قول البحترى [من الكامل] :

ولوَ انَّ مُشتاقاً تكلفَ فوقَ ما فى وُسعهِ لسعى إليكَ المنبرُ

ومن هنا أخذ المتنبى قوله [من الكامل]

لوْ تعقلُ الشجَرُ التى قابلتَهَا مدتْ مُحيِّيَةً إليكَ الأغصُنا

إلا أن بيت البحترى أحسن وأمكن

حدث أحمد البلاذرى المؤرخ ، قال : كنت من جلساء المستعين بالله ، فقصده الشعراء ، فقال: لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

* ولو أن مشتاقا — البيت *

فرجعت إلى بيتى ، وأتيته ، وقلت : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فقال : هات ، فأنشدته [من الطويل] :

ولوْ أن بُرْد المصطفى إذْ لبستَهُ يظنُّ لظنّ البردُ أنكَ صاحِبُهْ
وقالَ وقدْ أُعطيتَهُ ولبستَهُ نَعَمْ هذِهِ أعطافهُ ومناكبُهْ

فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به ، فرجعت ، فبعث إلى بسبعة آلاف دينار ، وقال : ادخر هذه للحوادث بعدى ، ولك على الجراية والكفاية ما دمت حيا .

ومنه قول أبى نواس فى وصف الخمر [من مخلع البسيط] :

لاينزلُ الليْلُ حيثُ حلَّتْ فدَهرُهُ شُرَّابها نهارُ

وقول الآخر أيضا [من الكامل] :

منعَتْ مهابتُكَ القلوبَ كلامَها بالأمرِ تكرَهُهُ وإنْ لم تعلمِ

وقول التمار الواسطى ، وقيل : نصر الخابز [من السريع] :

قدْ كانَ لِى فِيما مَضى خاتمٌ واليوْمَ لوْ شئْتُ تَمنطقْتُ بهْ
وذُبْتُ حتى صِرْتُ لوزُجّ بِى فى مُقلةِ النائم لم ينتبهْ

وقول كشاجم [من الطويل] :

وما زَال يبرِى جُمْلةَ الجسمِ حُبُّهَا وينقصهُ حتى لطُفْتُ عنِ النقْصِ
وقدْ ذُبْتُ حتى صرْتُ إذ أنا جِئتها أمنْتُ عليها أنْ يرَى أهلُها شَخْصِى

وقول المظفر بن كيغلغ [من مخلع البسيط] :

عبدُكَ أمرضْتَهُ فعُدْهُ أتلِفْهُ إنْ لم تكنْ تُرِدْهُ
ذَابَ فلوْ فَتَّشَتْ عليه كفُّكَ فى الفرْشِ لم تجدْهُ

وقول ابن دانيال أيضا [من المتقارب] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مُحِبٌّ غدَا جِسمه ناحلاَ يكاد لِفرطِ الضنى أنْ يذُوبا
ورَق فلو حرَّكتهُ الصبّا لصار نسيا وعادتْ قضيبَا

ومن الغلو قول الفرزدق يمدح العذافر بن زيد [من الطويل] :

لعمرك ما الأرزاق حين اكتيالها بأكثر خَيْراً من خِوَانِ العذافر
ولو ضافه الدجال يلتمس القِرَى وحلَّ على خبازه بالعساكر
بعدة يأجوج ومأجوج كلهم لأشبعهم يوما غداء العذافر

وقال بعض أهل الأدب : هذا طعام اتخذ فى قِدْرِ القائل [من الطويل] :

وبوَّأتُ قِدْرِى موْضعاً فوضعتها برابيةٍ منْ بين ميثٍ وأجرَعِ
جعلْتُ لها هضبَ الرجامِ وطحنةٍ وغولا أثافى جذرها لم ينزع
لقدر كأنَّ الليلَ سحمة قعْرِها ترَى الفيلَ فيها طافِياً لم يقطَّع

وهذه الأبيات للفرزدق أيضا

ومن الغلو قول ابن دريد فى النحول [من السريع] :

إنى امرُؤ أبقيْتَ منْ جسمهِ يا مُتلفَ الصبِّ ولم يشعرِ
صبابةً لو أنها قطرةٌ تجولُ فى عينكَ لم تقطرِ

وقول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولو شئْتُ فى طىِّ الكتابِ لزُرتكمْ ولم تدْرَ عنِّى أحرُفٌ وسطورُ

وأزيد منه فى الغلو قول أبى عثمان الخالدى [من الطويل] :

بنفسى حبيبٌ بَانَ صبرى ببينهِ وأوْدعنى الأحزَان ساعةَ ودّعا
وأنحلنى بالهجر حتى لوَ انّنى قَذًى بينَ جفنىْ أرْمدٍ ما توجعا

ومثله قول الوزير أبى الفضل بن العميد [من الكامل] :

فلَوَ انَّ ما أبقيْتَ منْ جسمى قذًى فى العينِ لمْ يمنع منَ الإغفاء

وزاد عليه المتنبي بقوله [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أراكَ ظننتَ السِّلْكَ فَعُقْتَهُ جسمى عليكَ بِدُرٍّ عن لقاء الترائبِ
ولو قلم أُلقيتُ فى شَقّ رأسهِ من السقم ماغيرتُ من سَطر كاتبِ

ومن الغلو المفرط قول بعضهم [من الطويل] :

غرامٌ وَوجدٌ واشتياقٌ وغربةٌ وماذاق إنسانٌ من الحب ماذقتُ
نحلتُ فلو عُلِّقْتُ فى رجل ذرَّةٍ لطارتْ ولم تشعرُ بأنى تعلقت
ولو نمتُ فى جفن الذباب معرَّضاً منَ السقم لم تشعر بأنِّىَ قد نمتُ
ولَوْ نَفَسٌ من أنفها قد أصابنى من الشوق أوَمن حر أنفاسها ذُبتْ

وهذه الأبيات خبر غريب أحببت ذكره

حدث الشيخ المقرى الصوفى الواعظ أبو عبد الله بن الخباز، قال: كنت مع جماعة من أهل التصوف بأصبهان فى رباط هناك، واجتمع أصحابنا ليلة فى سماع، فلما كان فى أثناء ذلك بعد مضى جزء من الليل والوقت قد طاب، إذ طرق الباب طارق، فخرج إليه مَنْ سمع ذلك، فوجد شيخا طويل القامة، عظيم الهامة، على رأسه كرزية، وعليه فرجية، وبيده إبريق وعكاز، فقال: ما هذا؟ قلنا: سماع اجتمع فيه الأصحاب، فقال: ندخل؟ فدخل فوجد القائل يقول [من الطويل] :

خليلى لا والله ما القلبُ سالمٌ وإن ظهرتْ منِّى شمائلُ صاحى
وإلا فمَا بالى ولمْ أشْهَدِ الوغَى أبيتُ كأنى مُثْخَنٌ بِجراح

فرمى للمنشد ما كان على رأسه، ثم قال له: قل، فقال [من البسيط] :

يابَانةَ الجزعِ لولاَ رنة الحادِى لما تنقلتُ مِنْ وادٍ إلى وادِ
ولا سَلَكْتُ بنعمان الأراكَ ولا شربت ماء به يا نبلةَ الصادِى

ثم قال أيضا [من الكامل] :

كرِّرْ على أحاديثهم يا حادِى فحديثهم يُطْفِى لهيب فؤادِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كرّ عليّ حديثهم فلربما لانَ الحديدُ لضربة الحدّادِ

فنزع فرجيته ، و بقي الشيخ عريانا ، وقال : قل ، فقال الأبيات السابقة ، قال الشيخ أبو عبد الله بن الخباز : فصاح الشيخ صيحة عظيمة وشهق شهقة قوية وخرجت روحه ، رحمة الله عليه ! ولما أصبح الصباح وطلع النهار غسلناه وكفناه وجهزناه إلى حفرته ، وتركناه في عظيم رتبته

ونظير ذلك ما حكاه بعض أهل دمشق قال : قال شيخ من الفقراء لآخر : إني أحب اليوم أن نجتمع وأغني لكم ، قال : فاجتمعوا ، فغنى لهم [من البسيط] :

سَلي نُجومَ السَّمَا يا طلعةَ القمر عنْ مَدمعي كيفَ يدمى فيكِ بالسهر

إيهٍ بعيشكِ ماذَا أنتِ صانعةٌ منَ الجميل فهذَا آخرُ العمر

ثم شهق ومات رحمه الله تعالى

ومثل ذلك ما رواه ابن القماح قال : سمعت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يذكر في مجلس درسه بجامع ابن طولون أنه حضر سماعا ، وكان هناك فقير ، فغنى مغن بأبيات ابن الخياط الدمشقي ، وهي [من الطويل] :

خذَا منْ صَبَا نَجْدٍ أماناً لقلبهِ فقدْ كادَ رياها يطيرُ بلبهِ

وإياكما ذاك النسيم فانه إذا هَبَّ كان الموتُ أيْسَرَ خطبه

أغارُ إذا آنستُ في الحيِّ أنةً حذاراً وخوفاً أنْ تكونَ لحبهِ

وفي الركبِ مطويُّ الضلوعِ على جَوًى متى يدعهُ داعي الغرامِ يُلَبِّهِ

قال : فقال ذلك الفقير : لبيك ، ورفع رأسه فاذا هو ميت ، رحمه الله ونفعنا به

ولنرجع إلى ذكر الغلو — ومراتبه تتفاوت إلى أن تؤول بقائلها إلى الكفر والعياذ بالله تعالى ، فمن ذلك قول ابن دريد في المقصورة [من الرجز] :

مارسْتَ منْ لوهوتِ الأفلاكُ منْ جوانب الجوِّ عليهِ ماشكا

قيل : لأجل ادعائه في هذا البيت ابتلاه الله بمرضٍ كان يخاف فيه من

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من الذباب أن يقع عليه .

ومنه قوله أيضا [من الرجز] :

ولوْ حَمَى المقدُورُ منهُ مُهجةً لَرَامها أو يستبيحَ ما حَمَى
تغدو المنايَا طَائعاتِ أمرِهِ ترضى الذى يرضى وتأبَى ما أبَى

ومنه قول أبى الطيب المتنبى [من الطويل] :

كأنِّى دَحَوْتُ الأرْضَ مِنْ خِبْرَتِى بِهَا
وكانَ بِنَا الإسكندَرِ السدَّ مِنْ عَزْمِى

وقوله أيضا [من الكامل] :

لو كانَ ذو القرْنين أعملَ رَأيهُ لما أتى الظلماتِ صِرْنَ شُمُوسَا
أو كانَ صادفَ رَأسَ عازرَ سيفُهُ فى يومِ معركةٍ لأعْيَا عِيسَى
أو كانَ لُجُّ البحرِ مثلَ يمينهِ ما انشقَّ حتى جاز فيهِ مُوسَى

وقوله أيضا [من الخفيف] :

يترَشَّفْنَ مِن فمى رَشَفَاتٍ هُنَّ فيهِ أحلى مِنَ التوحيدِ

وقال بعض من اعتذرَ للمتنبي : إن المرَاد بالتوحيد هنا : نوع من التمر ، و بعضٌ أصلح البيت ، فقال:

* هُنَّ فيهِ حَلاَوَةُ التوحيدِ *

ومنه قول الوزير أبى القاسم المغربى [من السريع] :

قارَعَتِ الأيامُ مِنى امْرَءًا قدْ عَلَّقَ المجدَ بأمرَاسِهِ
تستنزلُ الرزقَ بأقدَامه وتستمدُّ العزَّ من باسِهِ
أرْوَعَ لا ينحطُّ عنْ تيهِهِ والسيفُ مَسلولٌ على راسِهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن الغلو القبيح قول عضد الدولة [1] بن بُوَيْه [من الرمل] :

ليسَ شُرْبُ الكأسِ إلا فى المطرْ ... وَغناءٌ مِنْ جوارٍ فى السحرْ

غانياتٍ سالباتٍ للنُّهَى ... ناغماتٍ مِنْ تضاعيف الوترْ

مبرزاتِ الكأسِ منْ مطلعها ... ساقياتِ الرَّاحِ مَنْ فَاقَ البشرْ

عَضُدَ الدولةِ وابنَ رُكنِهَا ... مَلِكَ الأملاكِ غَلَّابَ القَدَرْ

يُرْوَى أنه لم يفلح بعد هذا القول ، وأخذته علة الصرع ، ودخل فى غمرات الموت ، فكان لا ينطق إلا بقوله تعالى (مَا أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ ، هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ) .

والمتساهلون فى هذا النوع كثيرون ـ كأبى نُوَاس ، وابن هانىء الأندلسى ، والمتنبى ، وأبى العلاء المعرِّى ، وغيرهم من المتأخرين ـ كابن النبيه ، ومَنْ جَرَى مجراه ، والاضراب عن ذكر ذلك أنسب ، والله أعلم .

* * *

شاهد الغلو المقبول

١٣٩ ـ عَقَدَتْ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عِثْيَرًا ... لَوْ تَبْتَغِى عَنَقًا عَلَيْهِ أَمْكَنَا

البيت لأبى الطيب المتنبي ، وهو من قصيدة من الكامل [2] ، يمدح بها ابن عمار ، أولها :

الحبُّ ما منعَ الكلامَ الألسُنَا ... وألذُّ شكْوَى عاشقٍ ما أعلنَا

---

(١) روى هذه الأبيات الأربعة ابن حجة فى خزانة الأدب (٢٨٥) وذكر ماذكره المؤلف عنه من أنه لم يفلح بعد هذا القول.

(٢) اقرأها فى ديوانه (٤ ـ ١٩٥)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ليتَ الحبيبَ الهاجرى هَجْرَ الكَرَى
مِنْ غيرِ جُرْم ٍ واصلِي صِلةَ الضنَى
بنَّا فَلَوْ حاوَلْتَنا لَمْ تَدْرِ مَا أَلواننَا مما امتقِعْنَ تَلوُّنَا[1]
وتوَقَّدَتْ أنْفَاسنَا حَتى لَقَدْ أشفقْتُ تحترِقُ العواذلُ بيننَا

إلى أن قال :

طَرِبَتْ مَرَا كبنَا فخلنا أنها لولا حياءُ عاقها رَقَصتْ بنَا
أقبلت تبسمُ والجيادُ عوابسٌ يَخبِبنَ بالحلق المضاعفِ والقَنَا

وبعده البيت ، وبعده :

وَالأمرُ أمرُكَ والقلوبُ خوَافقٌ فى موقفٍ بينَ المنيةِ وَالمُنَى
فعجبتُ حتى ماعجبتُ مِنَ الظبَا وَرَأيتُ حتى مارأيتُ من السنَا

وهى طويلة .

والسنابك : جمع سُنبك — بضَمّ أوله وثالثه — وهو طرَفُ الحافرِ ، والعثير — بكسر أوله — التراب والعجاج ، والعَنَقُ — محركه — سيرٌ مستطرد للإبل والدابة

والشاهد فيه : الغلو المقبول ، وهو : ماتضمن معنى حسنا من التخييل ، فانه ادّعى أن الغبار المرتفع من سنابك الخيل قد اجتمع فوق رؤوسها مترا كما متكاثفاً بحيث صار أرضا يمكن أن تسير عليها تلك الجياد ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، لكنه تخييلٌ حسن .

---

(١) فى نسخة الديوان « بنا فلو حليتنا » ومعنى حليتنا وصفتنا . يريد انهم لعظم ما نالهم من ألم الفراق لو حاول محاول أن يصفهم ما استطاع لشدة تغير ألوانهم ، يريد أنه لا يستطيع وصفهم بلون خاص من بين الألوان .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقريب من معناه قول ابن فضال القيروانى [من الوافر] :

بنيتَ الأرضَ فوقهمُ سماءً وقدْ أجريت من عَرَقٍ بحارَا
فليسَ تَرَاكَ ألحاظُ الدَّرَارِى وأنتَ حشوْتَ أعيُنَهَا غبَارَا

ومنه قول على بن عاصم الأصبهانى [من الكامل] :

مدَّتْ سنابكُهُ عليكَ سُرَادِقاً نسجَتْ مضاربهُ من القسطَالِ
فى حَومةٍ ما إن يبينُ من الوغَى إلاَّ هَلاً منْ زَجرهنّ وَهَالِ
لَيلٌ من الغمرَاتِ أنتَ سِرَاجهُ ونجومهُ هِنديَّةٌ وعوَالِ (١)

وقول الببغاء أيضا [من الكامل] :

كالليلِ إلا أن ثوب ظلامهِ من عِثْيَرٍ ونجومه من لامِ

وقول السرى الرفاء أيضا [من الكامل] :

فى معركٍ طافَ الرَّدَى بكُمَاتهِ عند اختلاف الطعن أىّ مطافِ
فإذا السنابكُ أنشأتْ ليلاً بهِ بعث الصباحَ لها سنَا الأسيافِ

وقول البحترى أيضا [من الخفيف] :

فِى نهارٍ من السيوفِ مضىءٍ تحتَ لَيْلٍ من مُسْتَثَارِ الصعيدِ

وقد تقدم طرَف من ذلك فى شواهد التشبيه .

* * *

ريب لصحة ١٤٠ — يُخَيَّلُ لِى أن سُمُرَ الشهبُ فى الدّجى
وَشُدَّتْ بأهْدَابِى إليهنّ أجْفَانِى

البيت للقاضى الأرجانى ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها شمس الملك عثمان بن نظام الملك ، أولها :

(١) هندية : أراد بها السيوف ، وعوال : أراد بها الرماح

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أأجفانُ بيضٍ هنّ أم بيضُ أجفانِ ... فوَاتِكُ لا تُبْقِي على الدِّنفِ العانِي
صوارمُ عشاقٍ يُقَتِّلْنَ ذا الهوَى ... ومن دونها أيضاً صوارمُ فرسانِ
مررْتُ بنعمان فما زلتُ واجداً ... إلى الحول نَشْرَ المسكِ من بطن نعمانِ
سوَافر فى خضرِ الملاءِ سوَائر ... كما ماسَ فى الأوراقِ أعطافُ أغصانِ
وقد أطلعت وردَ الخدُودِ نوَاضرا ... ومن دونها شوكُ القنَا فَمَنِ الجانِي

إلى أن قال :

وقفتُ بها صبحاً أُناشدُ معشَرِى ... وأُنْشِدُ أشعارى وأَنْشُدُ إخوانِي
ولما توَسمتُ المنازلَ شاقنِى ... تذكرُ أيامٍ عهدتُ وإخوانِ
مضَتْ ومَضَوْا عنى فقلتُ تأسُّفاً ... قِفَا نبكِ من ذكرى أُناسٍ وأزمانِ (١)
تأوّبنى ذكرُ الأحبةِ طَارِقاً ... وللّيْلِ فى الآفاقِ وقفةُ حيرانِ
وأرّقنى وَالمشرَفىُّ مُضَاجِعِى ... سنَا بارقٍ أسْرَى فهَيَّجَ أحزَانِي
ثلاثةُ أجفانٍ ففى طىّ واحدٍ ... غرَارٌ وخالٍ من غِرَارَيهِمَا اثنانِ

و بعده البيت ، و بعده :

نظرْتُ إلى البرْقِ الخفىّ كأنهُ ... حديثٌ مُضَاعٌ بينَ سِرٍّ وإعلانِ
وباتَ له منى وَقد طَنَّبَ الدُّجَى ... كلُوءَ الليالى طرفهُ غير وَسنَانِ

وهى طويلة .

والشاهد فى البيت : إدْخال شىء على الغلو يقرب به إلى الصحة ، مع تضمنه نوعاً حسنا من التخييل ، فانه يقول : يوقع فى خيالى أن الشُّهُبَ محكمة بالمسامير

---

(١) عجز هذا البيت من قول امرىء القيس بن حجر الكندى :

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ... وربع عفت آياته منذ أزمان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لا تزول عن مكانها ، وأن أجفان عيني قد شُدت بأهدابها إلى الشهب لطول سهري في ذلك الليل وعدم انطباقها والتقائها ، وهذا ممتنع عقلا وعادة ، ولكنه تخييل حسن ، ولفظ « يخيل » مما يقرب به إلى الصحة .

ومن المقبول في الغلو أيضا قول أبي العلاء المعري [من الوافر] :

تكادُ قسيُّهُ من غيرِ رَامٍ تمكنُ في قلوبهم النِّبالاَ
تكادُ سيوفهُ مِن غير سَلٍّ تجدُّ إلى رقابهم انسلالاَ

وما أبدع قوله في هذه الأبيات ، وهو مما نحن فيه :

يذيبُ الرُّعبُ منهُ كلَّ عضبٍ فلولاَ الغمدُ يمسكهُ لَسالاَ

وفي معناه قول ابن المعتز [من المنسرح] :

يكادُ يجري من القميصِ من النعـــمة لولا القميصُ يمسكهُ

وقوله أيضا يصف فرساً [من الرجز] :

يكاد أن يخرج من إهابهِ إذا تدلى السوطُ لولا اللَّبَبُ

ومنه قول أبي الشيص [من الكامل] :

لولا التمنطق والسوار معاً والحجلُ والدملوج في العضدِ
لتزايلت من كل ناحيةٍ لكن جُعِلْنَ لها على عمدِ

وقد أخذه ابن النبيه ، فقال [من الطويل] :

لها معصمٌ لولا السوارُ يصدُّهُ إذا حَسَرَتْ أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول بعضهم أيضا [من الرجز] :

لها من الليل البهيم طُرَّةٌ على جبينٍ واضحٍ نهارهُ
ومعصمٌ يكاد يجري رقةً وإنما يعصمه سوارُهُ

ولعز الدين بن عبد الرزاق في معناه [من السريع] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قالتْ وقد صرت كطيف الخيالْ كيفَ ترى فعل الدمى بالرجالْ
وسدّدت سهماً إلى مقتلى تقولُ هل فيك لدفع النصالْ
رقيقةُ الجسم ، فلولا الذى يمسكهُ من قسوة القلب سالْ

وما ألطف قولَ شرف الدين الحلاوى ، يصف كأساً من أبيات ، [من المنسرح] :

رقّ فلولا الأكفُّ تمسكه سالَ مع الخمر حين ترشفه

ومنه قول ابن حمديس فى وصف فرس [من الكامل] :

يجرى فلمعُ البرْق فى آثارهِ من كثرة الكبوات غيرُ مفيقِ
ويكاد يخرجُ سرعةً من ظلهِ لو كان يرغبُ فى فراق رفيقِ

ومثله قول شمس الدولة بن عبدان [من الكامل] :

أبَتِ الحوافرأن يَمَسَّ بها الثرى فكأنهُ فى جريهِ متعلقُ
وكأنَّ أربعةً تُرَاهِنُ طَرْفَهُ فتكاد تسبقهُ إلى ما يرمقُ

وقول الآخر أيضا [من الكامل] :

كم سابح أعددته فوجدتهُ عند الكريهة وهو نسرٌ طائرُ
لم يرم قطُّ بطرفهِ فى غايةٍ إلا وسابقهُ إليها الحافرُ

وَقول الطاهر الجزرى [من الطويل] :

وأدهمَ كالليل البهيم مطهمٍ فقد عزَّ من يعلو بساحة عُرْفهِ
يفوت هبوبَ الريح سبقاإذاجرى تُرَاهِنُ رجلاهُ مواقع طرفهِ

وَقول جمال الدين الصوفى [من البسيط] :

وَأدهم اللون فاق البرْق وانتظرهْ فغارت الريح حتى غيَّبَتْ أثرهْ
فواضعٌ رجله حيث انتهت يدهْ وَواضعٌ يَدَهُ أنَّى رمى بَصَرَهْ
سهمٌ تراه يحاكى السهم منطلقاً وماله غرضٌ مستوقفٌ خبرهْ
يعفر الوحش فى البيداءِ فارسهُ وَينثنى وادعاً لم يستثر غبَرَهْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَقد أبدع أبو القاسم بن هانىء ، فقال [من الكامل] :

عُرِفَتْ بسرعة سَبْقِها لا أنها علقت بها يوم الرِّهان عيون

وأجَلُّ علم البرْق فيها أنهـا مرّت بجانحتيه وَهْيَ ظنونُ

ومثله قول ابن نباتة السعدى [من الكامل] :

لا تعلق الألحاظ من أعطافهِ إلا إذا كفكفت من غلوائه

وما أبلغ قول ابن الخطيب الأندلسى مع التورية المرشحة [من المتدارك] :

يعتدُّ بهـا ملكٌ شهمٌ لو رام بها الشعرى سبقا

أو عارضها بالبرْق كَبَا أو أو رد عين الشمس سقَا

وأبدع امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

كأن غلامى إذ علا حالَ متنهِ على ظهر طيرٍ فى السماء محلق

هكذا قيل ، والرواية فى ديوانه بلفظ « باز » بدل « طير »

وأجاد معاوية بن مرداس بقوله أيضا [من البسيط] :

يكاد فى شأوهِ لولا أسكِّنهُ لو طار ذو حافرٍ من سرعة طارا

ومثله لبعض الأعراب أيضا [من المتقارب] :

فلو طار ذو حافرٍ قبلها لطارت ولكنه لم يطرْ

وَما أبدع قول ابن المعتز [من الكامل] :

فكأنه موجٌ يذوبُ إذا أطلقتهُ فإذا حبست جمدْ

وهومأخوذ من قول العكوك [من الرجز] :

مضرَّجٌ يرتج فى أقطارهِ كالماء جالتْ فيه ريح فاضطربْ

وما أحسن قول أبى العلاء المعرى [من الوافر] :

ولمّا لم يُسابقْهُنَّ شيء من الحيوان سابقْنَ الظِّلالا

ولمؤيد الدين الطغرائى [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

سَبَقَتْ جوَارِفُها النَّوَاظِرَ فاسْتَوَى سَبْقٌ إلى غاياتِها وسُكُونُ
لَوْلاَ تَرَامِي الرَّايَتَيْنِ لأقْسَمَ الرَّاءُونَ أنَّ حِرَاكَهَا تَسْكِينُ
وتَكَادُ تُشْبِهُهَا البُرُوقُ لوَ انَّهَا لم تَعْتَلِقْها أعْيُنٌ وظُنُونُ

وبالغ ابن الحجاج فى مرثية فرس له فقال [من السريع] :

قال لهُ البرْقُ وقالت لهُ الرِّيحُ جميعاً وهُما ماهُما
أأنتَ تَجرى مَعَنا قال لا إنْ شِئتُ أضحكْتُكُما منكما
هذَا ارْتِدَادُ الطَّرْفِ قدفُتُّه إلى المَدَى سَبَقاً فَمَنْ أنتُما

وبديع قول الصلاح الصفدى [من السريع] :

يا حُسنَهُ منْ أشْقَرٍ قصَّرَتْ عَنهُ بُرُوقُ الجَوِّ فى الرَكْضِ
لاتَستطيعُ الشمْسُ من جَرْيِه تَرْسُمُهُ ظِلاًّ على الأرْضِ

ومن الغلو المقبول قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم [من البسيط] :

يكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحتِهِ رُكْنُ الحَطِيم إذا ماجاء يَستلمُ

ترجمة القاضى الأرجانى

والقاضى الأرجانى هو : أحمد(١) بن محمد بن الحسين بن على ناصح الدين(٢) وهومنسوب إلى أرجان ـ بتشديد الراء المفتوحة وبالجيم ـ وهى من كور الأهواز من بلاد خوزستان ، وأكثر الناس يقولونها بالراء المخففة ، واستعملها المتنبى فى شعره (٣) كذلك ، وكان القاضى المذكور أحد أفاضل الزمان ، كامل الأوصاف ،

---

(١) له ترجمة فى ابن خلكان (١ـ٨٣)

(٢) فى الأصول « بن ناصح الدين » وكلمة « بن » مقحمة ، يؤيده قول ابن خلكان « الملقب ناصح الدين » وسيأتى للمؤلف (ص٤٥) يقول «ومن شعر القاضى ناصح الدين» .

(٣) وقع ذلك فى قوله من قصيدة :

أرجانُ أيتها الجيادُ فانه عزمى الذى يذر الوشيج مكسرا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لطيف العبارة ، غواصا على المعانى ، إذا ظفر بالمعنى لايدع فيه لمن بعده فضلا ، قال أبوالقاسم هبة الله بن الفضل الشاعر : كان الغزّى صاحب معنًى لا لفظ ، وكان الأبيوردىُّ صاحب لفظ لامعنى ، وكان القاضى أبو بكر صاحب لفظ ومعنى . قال ابن الخشاب : والأمر كما قال ، وأشعارهم تُصدق هذا الحكم إذا تؤملت ، وكان فى عنفوان شبابه بالمدرسة النظامية بأصبهان وكان ينوب فى القضاء ببلاد خوزستان تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم ، ومن شعره فى ذلك [من الكامل]:

ومنَ النّوَائِبِ أننى فى مِثْلِ هذَا الشّغْلِ نائِبْ
ومنَ العَجَائِبِ أنّ لى صبراً على هذِى العَجَائِبْ

وكان فقيها شاعرا ولذلك قال [من الكامل] :

أنا أَفْقَهُ الشُّعَرَاءِ غيرَ مُدَافِعٍ فى العَصْرِ لا بَلْ أَشْعَرُ الفُقَهَاءِ
شِعْرٌ إذا ماقُلْتُ دَوَّنَهُ الوَرَى بالطَّبْعِ لا بتكلُّفِ الالقاءِ
كالصَّوْتِ فى قُلَلِ الجِبَالِ إذا علا لِلسَّمْعِ هاجَ تَجَاوُبَ الأصداءِ

وقد قدم الأرجانى بغداد مرات ، ومدح الامام المستظهر وغيره

ومن شعره وهو غريب [من الطويل] :

رثَى لِى وقَدْ ساوَيْتُهُ فى نُحُولِهِ خَيَالِىَ لَمّا لم يكُنْ لى راحمُ[1]
فَدَلَّسَ بى حتَّى طَرَقْتُ مكانهُ وأوهمْتُ إلفى أنه بى حالِمٌ
وبِتْنا ولم يَشْعُرْ بنا النّاسُ لَيلَةً أنا ساهِرٌ فى جَفْنِهِ وهْوَ نائِمُ

وله قصيدة يصف فيها الشمعة، وقد أحسن فيها كل الاحسان ، واستغرق

---

(١) فى الأصول كلها « أتى لى » فى مكان « رثى لى » وهو تحريف عما أثبتناه عن ابن خلكان ، وعن الديوان (٣٥٥) أيضا. و « يكن » هنا تامة ، و « راحم » فاعلها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

سائر الصفات ، ولم يكد يخلى لمن بعده فيها فضلا ، ولنذكر طرفا منها ، فأولها [من البسيط] :

نَمَّتْ بأسْرار لَيْل كانَ يُخفيها ... وأطْلَعتْ قَلبها لِلنّاس مِنْ فيها
قَلْبٌ لَهَا لم يَرُعنا وهْوَ مكتَمِنٌ ... ألا ترى فِيه ناراً مِنْ تَرَاقيها
سَفيهَةٌ لم يَزَل طُولُ اللِّسان لَهَا ... فى الحَيِّ يُجنى عَليها حَذْف هاديها
غَريقَةٌ فى دُموع وهْىَ تحْرِقُهَا ... أنفَاسُها بِدَوام مِنْ تَلَظّيها
تَنفّستْ نَفَسَ المَهْجُور إذ ذكَرت ... عَهْدَ الخَليطِ فَبات الوَجدُ يُذْكِيها
يُخشَى عليَها الرَّدى مَهما أَلَمَّ بها ... نَسيمُ ريح إذَا وافى يُحيِّيهَا
بدَت كنَجْمِ هَوَى فى إثْرِ عِفْرِيةٍ ... فى الأرض فاشتَعَلَتْ مِنْهُ نواصيها
كأنّها غرّةٌ قَدْ سادَ شادخَها ... فى وجْهِ دَهماء يَزْهاها تجلِّيها
أوضَرَّةٌ خُلِقَتْ لِلشَّمْس حاسدة ... فكُلّما حُجِبَتْ قامتْ تُحاكيها
وحيدَةٌ بشباةِ الرُّمْح هازمةٌ ... عسا كِرَاللّيلِ إن حلّت بواديها
ما طنبت قَطُّ فى أرض مُخَيَّمَةً ... إلا وأقْبَرَ لِلأبْصار دَاجيها
لَهَا غَرَائِبُ تَبدو من محَاسِنها ... إذَا تَفَكَّرتَ يوماً فى مَعَانيها
فالوَجنَةَ الوَرْدُ إلا فى تَنَاوُلِهَا ... والقَامَةُ الغُصْنُ إلا فى تَثَنِّيها
قَدْ أثمَرَتْ وَردَةً حَمْرَاءَ طالِعةً ... تجنى عَلى الكَفِّ إن أهويت تجنيها
وَرْدٌ تُشاكُ بِهِ الأيْدِى إذا قطفت ... وما عَلَى غُصنِها شَوْكٌ يُوَقِّيهَا
صُفْرٌ غلائِلُهَا حُمْرٌ عمَائِمُهَا ... سُودٌ ذَوائِبُها بِيضٌ لَياليها

ومنها :

وصيفَةٌ لَستَ مِنها قاضياً وَطَراً ... إن أنتَ لَمْ تكْسُها تاجاً يُحلِّيها
صَفْراءُ هِنْدِيةٌ فى اللَّوْنِ إن نُعِتت ... والقَدِّ واللِّين إن أتممت تشبيها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فالهِنْدُ تقتُل بالنِّيرانِ أنفُسها وعِنْدَها أن ذاكَ القتْلَ يُحييها

منها :

غَرَّاء فَرْعاء ما تَنفكُّ خالِيةً تقُصُّ لَمَّتها طَوراً وتَفليهـا

شيباء شعثاء لا تكسى غَدَائرها لونَ الشَّبيبةِ إلا حين تُبليها

يَلمها فى سوَادِ اللّيل مُسعدة إذا الهُمُومُ دعت قلبي دواعيها

لولا اختِلافُ طِباعينا بِواحِدَةٍ وللطِّباع اختِلافٌ فى مبانيها(١)

بأنّها فى سَوادِ اللّيل مُظهِرةٌ تِلكَ التى فى سوادِ القَلْبِ أخفيها

وبَيْننا عبرَاتٌ إنْ هُمُ نَظَرُوا غيّضتُهاخوْفَ واشٍ وهى تجريها

ما عانَدَتها اللّيالى فى مَطالبِها ولا عدَتها العوادى فى مباغيها

ولا رَمتها بِبُعدٍ مِنْ أحبّتها كما رمَتنى ، وقُربٍ من أعاديها

ولا تُكابِدُ حُسّاداً أكابِدُها ولا تُداجى بنى دَهرٍ أداجيها

وعلى ذكر الشمعة فما أحسن قول الصنوبرى فيها أيضاً [من الكامل] :

مَجْدولة تحكى لَنَا فى قَدِّها قَدَّ الأَسَلْ

كأنها عُمْرُ الفتى والنّار فيها كالأَجَلْ

ومنه قول ابن شبل [من البسيط] :

وساعَدَتنى عَلى الظَّلْماء مُشبهتى هَيْفَاء حافَ عَلَيها السُّقْمُ والأرقُ

الفَضْلُ فىَّ وفيها النّار نَفْعهُما لغيرِنا وكِلانا فِيهِ يحْتَرِقُ

وهو من قول العباس بن الأحنف [من المنسرح] :

---

(١) فى الأصول « لولا اختلاف طبائعنا » ولا يستقيم معه الوزن وما أثبتناه يوافق ما وجدناه فى الديوان (٤٢٧) بعد ذلك ، والحمد لله .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أحْرَمُ مِنكُمْ بِما أقولُ وقَدْ نالَ بِهِ العَاشِقُونَ مَنْ عشقُوا
حتى كأنِّى ذُبالَةٌ نُصِبَتْ تُضِىءُ للنّاسِ وَهْىَ تَحتَرِقُ

ومن شعر القاضى ناصح الدين الأرجانى قوله [من البسيط] :

تَقُولُ لِلبَدْرِ فى الظَّلْماءِ طَلْعَتُهُ بأىّ وجْهٍ إذا أقبَلْتُ تَلْقانى
وجْهُ السَّمالِىَ مِرآةٌ أُطَالِعُهَا والبَدْرُ وهْناً خَيالى فيهِ لاقانى[1]
لم أنْسَهُ يوم أبكانى وأضحكَهُ وقُوفُنا حَيْثُ أرعاهُ وَيَرْعانى
كلٌّ رأى نَفْسه فى عَيْنِ صاحبه فالحسْنُ أضحكَهُ والحُزْنُ أبكانى

ومنه [من الطويل] :

تمتَّعْتُما يانَاظِرَىَّ بِنَظْرَةٍ فأوْرَدتما قَلبى أشَرَّ المَوَارِدِ
أعيْنَىَّ كُفّاعَنْ فُؤادى فانه من البَغْىِ سَعْىُ اثنين فى قَتلِ واحد

ومنه [من الكامل] :

اقرِنْ برَأيكَ رأىَ غيْرِكَ واستَشِرْ فالحَقُّ لا يَخْفَى عَلى إثنَيْنِ
المَرْءُ مرآة تريه وَجْهَهُ ويَرَى قَفَاه بِجَمْعِ مِرْآتَينِ

ومنه [من البسيط] :

شاوِرْ سِوَاكَ إذا نابَتْكَ نائبةٌ يوما وإن كنتَ من أهلِ المَشورات
فالعين تلقى كفاحاً ما نأى وَدَنا ولاَ تَرَى نَفْسَها إلاّ بِمِرآةِ

وبالجملة فمحاسنه كثيرة ، ولطائفه غزيرة ، وشعره كثير ، والذى جمع منه

---

(١) فى الأصول * والبدر وهنا خيالا فيه لاقانى * ولا يستقيم عليه المعنى ، وما أثبتناه يوافق ما فى الديوان (٤١٦) يريد أنها إنما رأت فى البدر خيالها ، ففيه تشبيه ضمنى لها بالبدر ، وصدر هذا البيت فى الديوان * وجه السماء مراة لى أطالعها * وما هنا أسلم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لا يكون عشره ، ويقال : إنه كان له فى كل يوم ثمانية أبيات ينظمها على الدوام وكانت ولادته سنة ستين وأربعمائة ، ووفاته بتستر فى ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة

***

شاهد إخراج الغلو مخرج الهزل

١٤١ — أَسْكَرَ بالأَمْسِ إنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْبِ غَدًا ، إنَّ ذا من العَجَبِ

البيت من المنسرح، ولا أعلم من قائله

والشاهد فيه : إخراج الغلو مخرج الهزل والخلاعة ، وهو ظاهر، ومنه قول أبى نواس [من الطويل] :

فلما شَربناها وَدَبَّ دبيبها إلى مَوْضِعِ الأَسْرَارِ قلتُ لها قِفِى

مَخافةَ أن يَسطو على شعاعها فتُطْلِعَ نَدْمانى على سِرِّىَ الخفى (١)

ومنه قول ابن لنكك البصرى [من الوافر] :

فديتكَ لوْ علمت ببَعْضِ مابى لمـا جرَّعتنى إلاّ بِمِسْطْ

بِحَسبكَ أنَّ كَرْماً فى جوَارى أمرُّ بِبابِهِ فأكاد أسْقُطْ

وقوله أيضا [من المجتث] :

قرأتُ عهدةَ كَرْمٍ فأسكرَتنى سنينا

وقول أبى الحسن أحمد بن المؤمل [من الطويل] :

وقائلَةٍ لى مالكَ الدَّهْرَ طافحاً وأنتَ بُمسِنٌّ لا يليقُ بكَ السُّكْرُ

(١) معنى هذا البيت أنه لما دب دبيب الخمر إلى باطنه امتنع عن الشرب مخافة أن يسطو شعاعها عليه فيصير جسمه شفافا لا يحجب ما وراءه وحينئذ يظهر لنديمه ويتجلى لعينيه ما فى باطنه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقلت لها أفكرت فى الخمر مرة فأسكرنى ذاك التوهم والفكر

ومنه قول السراج الوراق [من السريع] :

ومُرّةٍ مِنْ طول ماعمّرت كُنّى إبليس أبا مرّهْ
ترَى الندامى حَوْل حيطانها صَرْعى وماذاقوا ولا قطْرَهْ

وقول بعضهم يهجو [من المنسرح] :

أخشَن مِنْ قنفذٍ ومنْ حَسَكٍ وَمِنْ عِظام تكون فى السمَكِ
ويدّعى ضيقه وأسْفَله يَصلح طوْقا لِدارَةِ الفَلَكِ

وهو ينظر إلى قول ابن الرومى فى معناه [من الرجز] :

أوسَعُ من وقت العشاء الآخرهْ أولج فيهِ كالقَناةِ العابِرَهْ
كأنّ أيْرِى نقطة فى الدّائرهْ

وهو على إساءة أدبه مخطىء فى المعنى .

وظريف قول ابن سناء الملك [من السريع] :

إن قلتُ ما أحْسنه شادنا فانما قصدىَ ما أخْشَنَهْ
يَظلّ أيرى ضائعاً فى آستِهِ كأنّه المِغْزل فى الرّوزنَهْ

وقول ابن حجاج [من السريع] :

فتَى له عزْمٌ إذا كلّتِ الأسياف مثلُ المُرْهفِ الصّارم
وراحة لو صفَحَت حاتماً تعلّمَ الجُودَ قفا حاتِم

وقول النفرى البغدادى [من مجزوء الرمل] :

وصَدِيقٍ جاءنى يَسألنى ماذا لدَيْكْ
قلتُ عِنْدِى بحر خمرٍ حوله آجامُ نَيْكْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

١٤٢ حَلَفتُ فلم أترُكْ لنفسك رِيبةً ... وليْسَ وراء اللهِ للمَرْءِ مطْلَبُ
لئنْ كنتَ قدْ بُلِّغتَ عنِّي خيانةً ... لَمُبلِغكَ الواشي أغشُّ وأكْذَبُ
ولَكننِي كنتُ امرأً لي جانبٌ ... من الأرْضِ فيهِ مُستَرادٌ ومذهبُ
ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتهم ... أحكّم في أموالِهم وأقرَّبُ
كفِعلكَ في قومٍ أراكَ اصْطَفَيْتَهُم ... فلم تَرهم في مَدْحِهم لكَ أذنَبوا

الأبيات للنابغة من قصيدته السابقة في أواخر الفن الأول (١) وقبلها :

أتاني وَعيدٌ والتّنائف بَيننَا ... سخاويُّهَا والغائطُ المتصوّبُ (٢)
فبتُّ كأنّ العائداتِ فَرشنني ... هراساً بهِ يعلى فراشي ويُقْشَبُ (٣)

والريبة: التهمة ، والمستراد : موضع يتردد فيه لطلب الرزق ومنتجع من راد الكلأ ، ومعنى أقرَّبُ يجعلونني حكما في أموالهم مقربا منهم رفيع المنزلة عندهم

والشاهد فيها : المذهب الكلامي ، وهو : إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وهو : أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب ، فهو هنا يقول : لا تلمني ولا تعاتبني على مدح آل جَفْنة وقد أحسنوا إلي كما لا تلوم قوماً مدحوك وقد أحسنت إليهم ، فكما أن مدح أولئك لك لا يعدُّ ذنبا كذلك مدحي لمن أحسن إلي ، وهذه الحجة على صورة التمثيل الذي تسميه الفقهاء قياسا ، ويمكن

---

(١) ارجع الى شرح الشاهد (رقم ٦٦)

(٢) في الأصل « سخاوية » وما أثبتناه عن لسان العرب (س خ ١) ويروى هذا البيت في الديوان

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني ... وتلك التي أهتم منها وأنصب

والسخاوية : الأرض التي لا شيء فيها .

(٣) العائدات : الزائرات في المرض ، والهراس : نبات من نبات البرية كثير الشوك . ووقع في الأصل « يقلى » بالقاف ـ وهو تحريف عما أثبتناه عن الديوان واللسان (هـ) ويقشب : يخلط ويجدد لي مرة بعد مرة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رده إلى صورة قياس استثنائى بأن يقال : لو كان مدحى لآل جفنة ذنبا لكان مدح أولئك القوم لك أيضاً ذنبا ، لكن اللازم باطل ، فكذا الملزوم ، وآل جفنة كانوا ملوك الشام ، كما أن آل النعمان كانوا ملوك الحيرة

أمثلة من المذهب الكلامى

ومن المذهب الكلامى قول الفرزدق [من الطويل] :

لكلّ امرىء نفسانِ نفسٌ كريمةٌ ... وأُخرَى يُعاصيها الهوَى فيطيعُها

ونفسكَ منْ نفسيكَ تشفعُ للندَى ... إذَا قلَّ مِنْ أحرارهنَّ شَفيعُهَا

وقول إبراهيم بن العباس [من الطويل] :

وَعلَّمتنى كيفَ الهوَى وَجهلتهُ ... وعلَّمكمْ صبرِى علَى ظلمكمُ ظلمِى

وأعلم مالى عِندكم فيميل بِى ... هوَايَ إلى جهلى فأعْرِضُ عنْ علمِى

وقولُ إبراهيم بن المهدى ، يعتذرُ للمأمون من وثوبهِ على الخلافة ، [من البسيط] :

البرُّ منك وِطَاء العذْرِ عندكَ لِى ... فيما فعلتُ فلمْ تعذِلْ ولم تَلُمِ

وقامَ علمكَ بِى فاحتجَّ عندَكَ لى ... مقامَ شاهدِ عدلٍ غيرِ متهمِ

وقول ابن المعتز [من المجتث] :

أسرفتُ فى الكتمانِ ... وذاكَ مِنِّى دَهانِى

كتمتُ حبكَ حتى ... كتمتهُ كِتمَانِى

فلَم يكنْ لِىَ بدٌّ ... مِنْ ذِكرهِ بِلسانِى

وقوله أيضاً [من المديد] :

كيفَ لا يخضرُّ شاربهُ ... ومياهُ الحسنِ تسقيهِ

وقول قابوس [من البسيط] :

ياذَا الذى بصرُوفِ الدَّهْرِ عيَّرَنَا ... هلْ عائدَ الدهرُ إلاَّ مَنْ له خَطَرُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أما ترَى البحرَ تطفو فوقهُ جيفٌ وتستقرُّ بأقصىَ قعرهِ الدُّرَرُ
وفى السماء نجومٌ لا عِدَادَ لهَا وَليسَ يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ

وقول أبى عبد الرحمن العطوى [من الخفيف] :

فوَحقّ البيانِ يعضدهُ البرْ هان فى مأقطٍ ألدِّ الخصامِ
ما رأينا سوَى الحبيبةِ شيئاً جمعَ الحسنَ كله فى نظامِ
هى تجرى مجرَى الاصابة فى الرأ ىِ ومجرى الأرواح فى الأجسامِ

وقول ابن رشيق [من السريع] :

فيكَ خلافٌ لخلافِ الذى فيهِ خلافٌ لخلافِ الجميلْ
وغيرُ منْ أنتَ سوَى غيرهِ وغير منْ غيركَ غيرالبخيلْ

وقول الآخر أيضا [من الوافر] :

محاسنه هيُولاَ كلّ حسنٍ وَمغناطيس أفئدة الرّجالِ

وقول مالك بن المرحل الأندلسى [من الرمل] :

لو يكون الحبُّ وصلاً كلهُ لم تكنْ غايته إلاّ المَلَلْ
أو يكون الحبّ هجراً كله لم تكنْ غايته إلاّ الكَلَلْ
إنما الوصل كمثل الماء لاَ يستطاب الماء إلا بالعللْ

البيتان الأولان قياس شرطى ، والثالث قياسٌ فقهى ، فانه قاس الوصل على الماء ، فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش ، فالوصل مثله لا يستطاب إلا بعد حرارة الهجر .

يروى أن أبا دُلَفٍ قصده شاعر تميمى ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : منْ تميم ، فقال [من الطويل] :

تميمٌ بِطُرْقِ اللؤمِ أهْدَى منَ القَطَا ولو سلكتْ سبلَ المكارم ضَلَّتِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال له التميمى : نعم بتلك الهداية جئت إليك ، فألجمه بدليل حَمْلى ألزمه فيه أن المجىء إليه ضلال .

وظريفٌ قول ابن لنكك [من الطويل] :

تعستمْ جَميعاً مِنْ وجوهٍ لبلدةٍ تَكَنَّفَهُمْ جهْلٌ وَلؤمٌ فأفرَطَا
أرَاكم تعيبونَ اللئامَ وإننى أرَاكم بطرق اللؤم أهدَى من القَطَا(١)

ومنَ المذهب الكلامى قول ابن جابر الأندلسى [من الخفيف] :

لوْ قضى الله أنَّ قلبيَ يبقَى ما حكى لحظه الغزَالَ التفاتَا
لكنِ اللحظ قد حكاه فقلبى قدْ قضى نَحْبَهُ زماناً وماتَا

وقول أبى جعفر الأندلسى [من البسيط] :

لو كنتَ تعلم ما عيناكَ قدْ صنعا لما بخلت على المشتاق بالأمل
لكن بخلت فلم تعلم بما صنعَتْ فى مهجتى لحظاتُ الأعين النُّجُلِ

* * *

١٤٣ — لمْ يحْكِ نَائلَكَ السحابُ وإنما
حُمَّتْ به فصَبيبها الرُّحَضَاءُ

شاهد حسن التعليل

البيت للمتنبى من قصيدة من الكامل(٢) ، ذكر أولها : فى شواهد التشبيه ،(٣) وبعده قوله :

---

(١) آخر هذا البيت مأخوذ من قول الشاعر ، وقد تقدم قريبا إنشاده تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(٢) اقرأها فى الديوان (١ : ١٢ ـ ٣١)

(٣) ارجع إلى شرح الشاهد (رقم ٩٤ ج ٢ ص ٩٣)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لمْ تلقَ هذا الوجه شمسُ نهارنا إلا بوجهٍ ليسَ فيهِ حياء
فبأيّ ما قدمٍ سعيتَ إلى العلاَ أُدمُ الهلالِ لأخمُصيكَ حذاء
ولكَ الزمان منَ الزمانِ وقايةٌ ولكَ الحمام منَ الحمام فداء
لوْ لمْ تكنْ منْ ذا الورى الذْ منك هو عقمت بمولدِ نسلها حوّاء(١)

والنائل : العطاء ، والرحضاء : العرق أثر الحمى .

والشاهد فيه : حسن التعليل لصفة لا يظهر لها فى العادة علة ، وقد عللها بأن عرق حماها الحادثة بسبب عطاء الممدوح

ويقرب من معنى البيت قول أبى القاسم الزعفرانى [من الطويل] :

رَأى المزنُ ما تُعطِى فضمّ على الأسى فؤاداً كأنّ البرْق فيهِ لهيب

وما أحسن قوله بعده :

وكم لاح برقٌ وابتسمت لشائمٍ فكنت صدوقَ الوبْلِ وهو كذوب

* * *

(١) الذ : لغة فى الذى ، يريد ـ لو لم تكن من هذا الورى الذى كأنه منك لأنك جماله وشرفه وأنت أفضل أهله لكانت حواء فى حكم العقيم التى لم تلد ، لكنها صارت ذات ولد بك ، ولولا أنت لكان أولادها كلاولد ، وقد استعمل « الذ » بدون الياء كما استعملها الراجز فى قوله :

* كالذ تزبى زبية فاصطيدا *

والسر فى اجترائهم على هذا الحذف أن الموصول طويل بسبب ما يستلزمه من الصلة والعائد ، فهم يحذفون بعض الموصول أحيانا ، ويحذفون الصلة أحيانا ، ويحذفون العائد أحيانا ، ولكن حذف بعض الموصول وحذف الصلة مما لا يقدم عليه إلا للضرورة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

١٤٤ — مابهِ قَتلُ أعاديهِ ولـكنْ يَتَّقِي إخلافَ ما ترجو الذئاب

شاهد ظهور علة لشيء غير علته

البيت للمتنبي ، من قصيدة من الرمل (١) ، قالها فى بدر بن عمار ارتجالا ، وهو على الشراب ، [أولها] (٢) :

إنما بدرُ ابن عمارٍ سحابُ هَطِلٌ فيهِ ثوابٌ وعقابُ *

إنما بدرٌ رَزايا وعطايا ومنايا وطعانٌ وضرابُ *

ما يجيلُ الطرْف إلا حمدتهُ جَهْدَها الأيدى وذمتهُ الرقابُ

و بعده البيت ، و بعده :

فلهُ هيبةُ مَنْ لا يرتجى ولهُ جودُ مُرَجَّى لا يهابُ (٣)

طاعن الفرسان فى الأحداق شزراً وعَجَاجُ الحرب للشمس نقابُ

باعث النفس على الهولِ الذى ليس لنفس وقعتْ فيهِ إيابُ

بأبى ريحكَ لا نرجسنَا ذَا وأحاديثكَ لا هَذا الشَّرَاب

ليسَ بالمنكر أن برَّزتَ سبقاً غيرُ مدفوعٍ عن السَّبْق العِرَاب

والشاهد فيه : ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية ، فلا يكون من حسن التعليل ؛ فان قتال الأعداء فى العاده : إنما يكون لدفع مضرتهم ، لا لما ذكره من أن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ومحبة تصديق رجاء آمليه بعثته على قتل أعدائه ، لما علم أنه لما غدا للحرب غدت الذئاب ترجو سعة الرزق من قتلاه وهذا مبالغة فى وصفه بالجود ، و يتضمن المبالغة فى وصفه بالشجاعة على وجه تخييلى : أى تناهى فى الشجاعة ، حتى ظهر ذلك للحيوانات العجم من الذئاب

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ – ١٣٣)

(٢) زيادة يقتضيها المقام

(٣) فى الديوان * فله هيبة من لا يترجي * وهى الصواب للوزن

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وغيرها ، فاذا غدا للحرب رَجَتْ أن تنال من لحوم أعدائه ، و يتضمن أيضا مدحه بأنه ليس ممن يُسْرف فى القتل طاعـة للغيظ والحنق ، أى ليست قوته الغضبية متصلة برذيلة الافراط ، و يتضمن أيضا قصور أعدائه عنه ، وفرط أمنه منهم ، وأنه لا يحتاج إلىَ قتلهم واستئصالهم .

ومثله أيضا قول أبى طالب المأمونى [من الخفيف] :

مغرمٌ بالثناء صبٌّ بكسب المجـــد يهـتز للسماح ارتيـاحا
لا يذوقُ الإغفاء إلا رجاءً أنْ يَرَى طيف مستميح رَوَاحا

وأصله من قول الآخر [من الطويل] :

و إنى لأستغنى وما بى نعسةٌ لعلّ خيالا منك يَلْقَى خياليا

* * *

شاهد إثبات صفة ممكنة لموصوف

١٤٥ — ياواشياً حَسُنَتْ فينا إساءته نَجَّى حذارُكَ إنسانى من الْغَرَق

البيت لمسلم بن الوليد ، من قصيدة من البسيط ، لم أقف منها إلا علىَ هذه الأبيات :

إنى أصدُّ دموعاً لَجَّ سائقها مطروفة العين بالْمَرْضَى من الحدقِ
إيه فإن النوى وافتْ مصيبته مولَّعَ القلب بين الشوق والقلقِ
ما كلّ عاذلةٍ تُصْغِي لها أُذنى وقد سمعت على الاكراهِ فانطلقِ
فما سلوت الهوى جهلا بلذته ولا عصيت إلهَ الحلم عن خرقِ

والمراد بالانسان هنا : إنسان العين .

والشاهد فيه : إثبات صفة ممكنة لموصوف ، فان استحسان إساءة الواشى شىء ممكن ، لـكن لما خالف الناس فيه عَقَّبه بأن حذاره منه نجى إنسان عينه من الغرق فى الدموع حيث ترك البكاء خوفا منه .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَقد تشبث القاضى السعيد بن سناء الملك بأذيال مسلم بن الوليد وأحسن اتباعه بقوله [من الخفيف] :

علمتنى بهجرها الصبرَ عنها فَهْىَ مشكورةٌ على التقبيحِ

وهو من قول القائل [من المنسرح] :

أعتقنى سوءُ ما صنعتَ من الرق فيا بَرْدَها على كبدى

فصرت عبدًا للسوء فيك وما أحْسَنَ سوءٌ قبلى إلى أحد

ومنه قول أسامة بن منقذ، ولم أدر أيهما أخذ من الآخر [من مخلع البسيط] :

قل للملول الذى تَجَنَّى وخان من بعد ملك رق

أحسن بى لا عن اعتماد غَدْرُكَ إذ جاد لى بعتق

ومنه قول الشاعر [من الكامل] :

أهلا وسهلاً بالمشيب فانه سِمَةُ العفيف وحلية الزهاد

ومنه قول بعضهم [من الوافر]:

جزى الله الشدائد كل خير وإن جرَّعْنَنِى غصصى بريقى

وما شكرى لها إلا لأنى عرفتُ بها عدوّى من صديقى

وقول الآخر [من الطويل] :

عداتى لهم فضل على ومنة فلا أذْهَبَ الرحمنُ عنى الأعاديا

هُمُ بحثوا عن زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

ترجمة مسلم بن الوليد

ومسلم بن الوليد هو صريع الغوانى ، وأبوه مولى أبى أمامة أسعد بن زرارة الخزرجى ، ومسلم شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، منشؤه ومولده بالكوفة وهو - فيما زعموا - أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لَقَّبَ هذا الجنس بالبديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائى، فانه جعل شعره كله

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مذهبا واحدا فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفا فى شعره

وقال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النمط ، جيد القول فى الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبى نواس فى هذا المعنى ، وهو أول من عقد هذه المعانى اللطيفة الظريفة واستخرجها

وحدث محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعت أبى يقول : أول من أفسد الشعر مسلم بن الوليد ، جاء بهذا المعنى الذى سماه الناس بالبديع ، ثم جاء الطائى بعده فتحير الناس(١)

واجتمع أصحاب المأمون عنده يوما فأفاضوا فى ذكر الشعر والشعراء ، فقال له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد حيث يقول ، قال : ماذا قال ؟ قال : حيث يقول وقد رثى رجلا [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه ... فطيبُ ترابِ القبر دلَّ على القبرِ

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال [من البسيط] :

يجود بالنفس إنْ ضنَّ الجواد بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال [من الكامل] :

قبحتْ مناظره فحين خبرته ... حسنتْ مناظره لقبح المخبرِ

وتغازل فقال [من الرجز] :

هوى يجد وحبيبٌ يلعب ... أنتَ لقىً بينهما معذَّبُ

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم فى ذكره

وحدث أبو القاسم الفقيه الموصلى قال : جاريت ابن فراس الكاتب بحضرة

---

(١) فى مهذب الأغانى وقد نقل هذا الكلام كله (٨ - ٢) «ثم جاء بعده الطائى فتفنن فيه »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

القاسم بن عبيد الله فى شىء من أشعار المحدَثين ، فاعتقد تفضيل أبى نواس ، واعتقدت تفضيل مسلم بن الوليد ، وطال الخطاب فى ذلك حتى دخل أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، فتحاكمنا إليه ، فقال : قال لى عبد الصمد بن المعذل ومارأيت أغربَ معرفة منه بالشعر وقدسألته عنهما : والله ما جرى أبو نواس قط فى ميدان مسلم ، ولاتسمو نفسه إلى أن يفاضل بينهما ، إلا أن له حظا من الشهرة والذكر ليس لمسلم مثله

وكان مسلم منقطعا إلى البرامكة ، ثم اتصل بعد ذلك بالفضل بن سهل ، وقرب من قلبه وحظى عنده حتى قلده أعمالا بجرجان اكتسب فيها ألف ألف درهم ، فلما حصل المال عنده لزم منزله ، وكان كريما سمحاً ، فأتلف جميع ما اكتسبه ، ثم صار إلى الفضل بن سهل بعد ذلك مستجديا ، فقال له : ألم أغنك؟ قال : ما غناى فى ألف ألف وألف ألف وألف ألف ، ولاهى قدرك ولا قدرى ، فقال له الفضل : إن بيوت الأموال لا تقوم على هذا الفعل ، ثم قلده الضياع بأصبهان ، وضم إليه رجلا يأخذ مرافق العمل ويطلق له منها شيئا يحتاج إليه بقدر نفقته ويبتاع له بالباقى ضياعا ، فاكتسب منها أيضاً ألف ألف ابتيع له بها ضياع ، فلما قتل الفضل بن سهل لزم منزله ولم يمدح أحداً حتى مات

وحدثت رابعة البرمكية قالت : كنت يوماً وأنا وصيفة على رأس مولاى الفضل بن يحيى بن خالد البرمكى وبيدى مِذَبة أذب بها عنه إذ استؤذن لمسلم بن الوليد الأنصارى ، فأذن له، فلما دخل عليه أعظمه وأكرمه واستنشده ، قالت : ثم خلع عليه وأجازه وانصرف ، فما قلت إنه جاز الستر حتى استؤذن لأبى نواس فامتنع من الاذن له ، حتى سأله بعض من كان فى المجلس أن يأذن له ، ففعل على تكره منه ، فلما دخل سلم عليه ، فما علمت أنه ردَّ عليه ، ولا أمره بالجلوس ، ولا رفع إليه رأسه ، فلما طال عليه الوقوف قال : معى أبيات أفأنشدها ؟ قال : افعل ، وهو فى غاية التكره والثقل ، فأنشده إياها [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

طرحتم على الترحالِ أمراً فغمَّنا ولو قد فعلتم صبَّح الموتُ بعضَنا

فلما بلغ إلى قوله :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالدٍ هوالكِ لعلَّ الفضلَ يجمع بيننا

قَطَّبَ وجهه وقال : أمسك عليك لعنة الله ، اعزب قبحك الله ، وأمر باخراجه محروما ، فأخرج ، والتفتَ الفضلُ إلى أنس بن أبي شيخ وقال : مارأيت مثل هذا الرجل ولا أقل تميزاً فى كلامه منه ، فقال أنس : إن اسمه كبير ، فقال : عند من و يلك ؟ هل هو إلا عند سُقَّاط مثله وخَلْق يشاكونه ، فقال له : وأين هو من مسلم ؟ فقال الفضل وقد غضب : والله لأحجبنك ثلاثاً ، ولا كلمتك سبعا إذ كان هذا مبلغ عقلك ونهاية معرفتك ، والله إن مسلما ليفضل عندى الطبقة المتقدمة أو يساويهم ، فلا أرينَّكَ ثلاثا

وحدث حماد بن إسحاق عن أبيه قال : لقى مسلم بن الوليد أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط ، قال : ما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ماشئت حتى أريك سقطه فيه ، فأنشده [من الكامل] :

ذكرَ الصبوح بسحرةٍ فارتاحا وأملَّه ديكُ الصباح صياحا(١)

فقال مسلم : فلم أملَّه وهو الذى أذكره وبه ارتاح ؟ فقال أبونواس : فأنشدنى أنت شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأنشده مسلم [من الكامل] :

عَاصَى الشبابَ فراح غير مفنَّدٍ وأقام بين عزيمة وتجلدِ

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيما فى حالة ، فتشاغبا وتسابَّا ساعة ، وكلا البيتين صحيح المعنى

وقال يزيد بن مزيد : أرسل إلى الرشيد يوماً فى وقت لايرسل فيه إلى مثلى فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر إن أراده ، فلما رآنى ضحك إلى ثم قال : يا يزيد خبرنى من الذى يقول فيك [من البسيط] :

(١) فى الأصل * وأمله ديك الصباح فصاحا * وأثبتنا ما فى الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تراه فى الأمن فى درع مُضَاعَفَةٍ لا يأمن الدهر أن يُدْعَى على عجل
لله من هاشم فى أرضه جبل وأنت وابناك ركنا ذلك الجبل

فقلت : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سوءةً لك من سيد قوم يُمْدَح بمثل هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أميرَ المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم بن الوليد ، فانصرفت فدعوت به ووصلته وواليته

وحدث ذو الهدمين قال : دخل يزيد بن مزيد على الرشيد فقال له: يايزيد ، من الذى يقول فيك [من البسيط] :

لا يعبق الطيب خَدَّيْهِ ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل
قد عَوَّدَ الطير عاداتٍ وثقن بها فهن يتبعنه فى كل مُرْتَحَلِ

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له : أيقال فيك مثل هذا الشعر ولا تعرف قائله ؟ فخرج من عنده خَجِلاً ، فلما صار إلى منزله دعا حاجبه ، فقال له : مَنْ بالباب من الشعراء ، قال : مسلم بن الوليد ، فقال : وكيف حجبته عنى فلم تعلمنى بمكانه ؟ قال : أخبرته أنك مُضَيِّق وأنه ليس فى يدك شىء تعطيه إياه وسألته الامساك والمقام أياما إلى أن تتسع ، قال : فأنكر ذلك عليه ، وقال : أدخله إلى ، فأدخله إليه فأنشده قوله [من البسيط] :

أجررتُ حبلَ خليعٍ فى الصِّبَا غزلِ وشَمَّرَتْ هممُ العذالِ عن عَذَلِى
رد البكاء على العين الطموح هوًى مفرقٌ بين توديعٍ ومرتحلِ
أما كفى البينَ أن أرْمَى بأسهمه حتى رمانى بسهم الأعين النجلِ
مما جنت لى وإن كانت مُنًى صدقتْ صبابةً خُلَسُ التسليم بالمقلِ

فقال له : قد أمر نالك بخمسين ألف درهم ، فاقبضها واعذر ، فخرج الحاجب فقال لمسلم: قد أمرنى أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفاً لنفقته ، فأعطاه إياها وكتب صاحب الخبر بذلك إلى الرشيد

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فأمر له بمائتى ألف ، وقال : اقض الخمسين ألفاً التى أخذها الشاعر ، وزده مثلها وخذ مائة ألف لنفقتك ، فافتكّ ضيعته وأعطى مسلما خمسين ألفاً أخرى

وحدث مسلم قال : كنت يوما جالساً فى دكان خياط بازاء منزلى إذ رأيت طارقا ببابى ، فقمت إليه فاذا هو صديق لى من أهل الكوفة قد قدم من قُمّ ، فسررت به ، وكأن إنسانا لطم وجهى حيث لم يكن عندى درهم واحد أنفقه ، فقمت فسلمت عليه وأدخلته منزلى ، وأخذت خفين كانا لى أتجمل بهما فدفعتهما إلى جاريتى ، وكتبت معها رقعة إلى بعض معارفى فى السوق أسأله أن يبيع الخفين و يشترى لحما وخبزا ، فمضت الجارية وعادت إلى وقد اشترى لها ما حددته له ، وقد باع الخفين بتسعة دراهم ، فكأنها إنما جاءت إلى بخفين جديدين ، فقعدت أنا وضيفى نطبخ ، وسألت جاراً لى أن يسقينا قارورةَ نبيذٍ فوجه بها إلى ، وأمرت الجارية بأن تغلق باب الدار ، فانّا لجالسان نطبخ إذ طرق طارق الباب ، فقلت لجاريتى : انظرى من هذا ، فنظرت من شق الباب فاذا رجل على جواد عليه سوادوشاشية وقطيفة ومعه شاكرى ، فحيرتنى بموضعه ، فأنكرت أمرى ، ثم رجعت إلى نفسى فقلت : لست بصاحب دَعارة ، ولا للسلطان على سبيل ، ففتحت الباب وخرجت إليه ، فنزل عن دابته وقال : أنت مسلم بن الوليد ؟ قلت : نعم ، قال : كيف لى بمعرفتك ؟ قلت : الذى دَلَّكَ على منزلى يصحح لك معرفتى ، فقال لغلامه : امض إلى الخياط فسله عنه ، فمضى فسأله عنى ، فقال : نعم هو مسلم بن الوليد ، فأخرج إلى كتابا من خفه وقال : هذا كتاب الأمير يزيد بن مزيد يأمرنى أن لا أفضه إلا عند لقائك ، فاذا فيه « إذا لقيت مسلم بن الوليد فادفع إليه هذه العشرة آلاف درهم تكون له فى منزله ، وادفع له أيضاً ثلاثة آلاف درهم نفقة ليتحمل بها إلينا » فأخذت الثلاثة والعشرة ودخلت إلى منزلى والرجل معى فأكلنا ذلك الطعام ، وازددت فيه وفى الشراب ، واشتريت فاكهة ، واتسعت ، ووهبت لصاحبى من الدراهم ما يُهْدِى به هدية لعياله ، وأخذت فى الجهاز ، ثم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مازلت معه حتى صرت إلى الرقة إلى باب يزيد بن مزيد ، فدخل الرجل و إذا هو أحد حجابه فوجده فى الحمام فخرج إلى فجلس معى قليلا ، ثم خبرنى الحاجب بأنه قد خرج من الحمام ، فأدخلنى إليه فاذا هو جالس على كرسى وعلى رأسه وصيفة وبيدها غلاف مرآة ومشط يسرح به لحيته ، فقال لى : يامسلم، ما الذى أبطأ بك عنا ؟ فقلت : أيها الأمير قلة ذات اليد ، قال : فأنشدنى ، فأنشدته قصيدتى التى مدحته بها ، فلما صرت إلى قولى منها [من البسيط]:

لا يَعْبَق الطِّيبُ خديهِ ومَفْرِقَهُ ولا يُمَسِّحُ عَينَيْهِ من الكحلِ

وضع المرآة فى غلافها وقال للجارية : انصرفى فقد حرم علينا مسلم الطيب ، فلما فرغت من القصيدة قال لى : يامسلم، أتدرى ما حدانى إلى أن وجهت إليك ؟ قلت : لا والله ما أدرى، قال : كنت عند الرشيد منذ ليالى أغمز رجليه إذ قال: يايزيد من القائل فيك [من البسيط]:

سلَّ الخَليفةُ سَيْفاً من بَنى مَطَر يَمْضى فَيَخترمُ الأجسادَ والهَامَا

كالدَّهر لا ينثنى عَمَّا يَهُمُّ بِهِ قَدْ أوسَعَ الناسَ إنعاماً و إرغاما(١)

فقلت : لا والله ماأدرى ، فقال لى الرشيد : يا سبحان الله ! أنت مقيم على أعرابيتك ، يقال فيك مثل هذا الشعر ولا تدرى من قائله فيك ، فسألت عنه فأخبرت أنك هو، فقم حتى أدخلك على أمير المؤمنين ، ثم قام فدخل على الرشيد فما علمت حتى خرج على الآذن، فأذن لى فدخلت على الرشيد فأنشدته مالى فيه من الشعر فأمر لى بمائتى ألف درهم ، فلما انصرفت إلى يزيد بن مزيد أمر لى بمائة وتسعين ألفاً وقال : لا يجوز أن أعطيك مثل ما أعطاك أمير المؤمنين ، وأقطعنى إقطاعات تبلغ غلتها مائتى ألف درهم ، قال مسلم : ثم أفضت بى الأمور بعد ذلك إلى أن أغضبنى ، فهجوته ، فشكانى إلى الرشيد ، فدعانى وقال لى : أتبيعنى عرض يزيد؟ قلت: نعم ،فقال لى : بكم؟ فقلت: برغيف خبز ، فغضب حتى خفته على نفسى وقال

(١) فى الأصل * لاينثنى عما بهم أبدا * عمرقا ، وأثبتنا ما فى الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قد كنت أرى أن أشتريه منك بمال جسيم، ولست أفعل ولا كرامة، فقد علمت إحسانه إليك، وأنا نَفِيٌّ عن أبي والله ثم والله لئن بلغني أنك هجوته لأنزعنّ لسانك من بين فكيك، فأمسكت عنه بعد ذلك ولا ذكرته بخير ولا شر

وحدث أبو توبة قال: كان مسلم بن الوليد جالساً بين يدي يزيد بن مزيد، فأتاه كتاب فيه مُهم له ثم أراد القيام، فقال له مسلم بن الوليد [من البسيط]:

الحزمُ تخْرِيقُهُ إن كُنْتَ ذا حذر ... وَإنّمَا الحَزْمُ سوء الظّنّ بالنّاس

لَقَدْ أتاكَ وَقَدْ أدّى أمانَتَهُ ... فاجْعَلْ صِيانَتَهُ في بَطْنِ أرْماس

قال: فضحك يزيد وقال: صدقت لعمري، وخرق الكتاب وأمر باحراقه

وحدث الحسن بن سعيد عن أبيه قال: كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبي يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحداً، فيقصدونه لذلك اليوم و ينشدونه، فوجه إليه مسلم بن الوليد براويته بشعره الذي يقول فيه [من البسيط]:

جَعَلته حَيْثُ تَرتابُ الرِّياحُ بِهِ ... وتحسُدُ الطير فيهِ أضْبُعَ البِيدِ

فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء، ولحقه بعقب خروجهم عنه، فتقدم إلى الحاجب وحَسَرَ لثامه عن وجهه ثم قال له: استأذن لي على الأمير، قال: ومن أنت لقد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو على القيام؟ فقال له: ويحك! قد وفدت على الأمير بشعر ماقالت العرب مثله، قال: وكان مع الحاجب أدب يفهم به مايسمع، فقال: هات حتى أسمع فان كان الأمر كما ذكرت أوصلتك إليه، فأنشده بعض القصيدة، فسمع شيئاً يَقْصُر الوصف عنه، فدخل على داود فقال له: قد قدم على الأمير شاعر بشعر ماقيل فيه مثله، فقال: أدخل قائله، فلما مثل بين يديه سلم وقال: قد قدمت على الأمير أعزه الله بشعر يسمعه فيعلم به تقدمي على غيري ممن امتدحه، فقال: هات، فلما افتتح القصيدة فقال [من البسيط]:

لاتَدْعُ بي الشَّوْقَ إنّي غيرُ مَعْمُودِ ... نَهَى النّهى عَنْ هَوَى البيضِ الرَّعاديدِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجلُ على آخر الشعر ، ثم رفع رأسه إليه فقال : أهذا شعرك؟ قال : نعم أعز الله الأمير ، قال : فى كم قلته ؟ قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله ، قال : لو قلته فى ثمانية أشهر لكنت محسنا ، وقد اتهمتك لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فان كنت قائل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثلها ، وأمرت بالأجراء عليك ، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم وإلا حرمتك ، فقال : أو الاقالةَ أعز الله الأمير ، قال : قد أقلتك ، قال : الشعر لمسلم بن الوليد ، وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، قال : أنا ابن حاتم ، إنك لما افتتحت شعره فقلت :

* لاتَدْعُ بى الشَّوْقَ إنى غيرُ مَعْمُود *

سمعت كلام مسلم بن الوليد يُنادى ، فأجبت نداءه واستويت جالسا ، ثم قال : ياغلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة إلى مسلم بن الوليد مائة ألف درهم

وحدث محمد بن عبدالله التميمىّ ، قال : دخل مسلم بن الوليد على الفضل ابن سهل لينشده شعراً فقال : أيها الكهل إنى أجلك عن الشعر ، فسل حاجتك قال : بل تستتم اليد علىّ بأن تسمع ، فأنشده [من البسيط] :

دُمُوعُها من حِذَار البين تنسكِبُ وقَلْبُها مُغرمٌ من حَرِّ ما يَجِب[1]
جدّ الرَّحيلُ بها عَنْهُ ففارَقَهُ لبيْنِها اللّهْوُ واللذات والطَّرَب
يهوى المسيرَ إلى مرو فيحزنُهُ فراقُها فهو ذو نفسينِ يرتقبُ

فقال له الفضل : إنى لأجلك عن الشعر ، قال : فأغننى بما أحببت من عملك ، فولاه البريد بجرجان

وحدث محمد بن عمرو بن سعيد قال : خرج دعبل الخزاعى إلى خراسان لما بلغه حظوة مسلم بن الوليد عند الفضل بن سهل ، فصار إلى مرو وكتب إلى الفضل ابن سهل [من الكامل] :

---

(١) يجب : يخفق ويضطرب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لا تعبأنْ بابن الوليـدِ فانهُ يرميك بعدَ ثلاثةٍ بملالِ
إنَّ الملولَ و إن تقادم عهدُه كانت مودّته كَفَيْءِ ظلالِ

قال : فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم وقال : انظر يا ابن الوليد رقعة دعبل فيك فلما قرأها قال له : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يفسق به ؟ قال : لا ، قال : كان يلقب بمياس ، ثم كتب إليه يقول [من الكامل] :

مَيَّاسُ قل لى أين أنت من الورى لا أنت مَعْلومٌ ولا مجهولُ
أما الهجاء فَدَقَّ عرضُكَ دونه والمدحُ عنك كما علمت جليلُ
فاذهب فأنت طليق عرضك إنه عِرضٌ عززت به وأنت ذليلُ

وكان مسلم أستاذ دعبل ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى

وحدث الحسين بن دعبل قال : سمعت أبى يقـول : بينا أنا جالس بباب الكَرْخ إذ مرت جارية لم أر أحسَنَ منها وجها ولا قَدًّا ، تتثنى فى مشيها وتنظر فى أعطافها ، فقلت متعرضا لها [من مخلع البسيط] :

دموعُ عينى بها انبساطُ ونومُ عينى به انقباضُ

فأجابتنى مسرعة فقالت :

وذا قليـلٌ لمن دهتْهُ بلحظها الأعينُ المِرَاضُ

فأدهشتنى وأعجبتنى فقلت :

فهل لمولاتِ عطفُ قلبٍ وللذى فى الحشى انقراضُ(١)

فأجابتنى غير متوقفة وقالت :

إن كنتَ تهوى الوداد منا فالودُّ فى ديننا قِراضُ

قال : فما دخل فى أذنى كلام قط أحلى من كلامها ، ولا رأيت أنضر وجها منها ، فعدلت بها عن ذلك الوجه وقلت [من الكامل] :

(١) حذف ياء المتكلم من « لمولاتى » اكتفاء بالكسرة قبلها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أترى الزمان يسرنا بتلاقِ ويضم مشتاقا إلى مشتاقِ

فأجابتني بسرعة فقالت :

ما للزمان وللتحكم بيننا أنت الزمان فَسُرَّنَا بتلاقِ

قال : فمضيت أمامها أؤم بها دار مسلم بن الوليد وهى تتبعنى ، فصرت إلى منزله ، فصادفته على عشرة فدفع إلى منديلا وقال : اذهب فبعه وخذ لنا ما نحتاج إليه وعُدْ ، فمضيت مسرعا فلما رجعت وجدت مسلما قد خلا بها فى سرداب ، فلما أحس بى وَثَبَ إلى وقال : عَرَّفَكَ الله يا أبا على جميل ما فعلت ، ولَقَّاكَ ثوابه ، وجعله أحسن حسنةلك ، فغاظنى قوله وطَنْزه بى ، وجعلت أفكر أى شىء أعمل به ، فقال : بحياتى يا أبا على أخبرنى من الذى يقول [من الخفيف] :

بتُّ فى درعها وبات رفيقى جنبَ القلب طاهر الأعطاف

فقلت :

من له فى حِرامِهِ ألفُ قَرْنٍ قد أنافت على علوّ مناف

وجعلت أشتمه وأثب عليه ، فقال لى : يا أحمق منزلى دخلت ، ومنديلى بعت ، ودراهمى أنفقت ، على من تَحْرَدُ أنت(١) ؟ وأى شىء سبب حَرَدِك يا قواد ؟ فقلت له : مهما كذبت على فيه من شىء فما كذبت فى الحمق والقيادة

ولقى محمد بن أبى أمية مسلم بن الوليد وهو يمشى وطويلته مع بعض أصحابه ورواته ، فسلم عليه ثم قال : قد حضرنى شىء ، فقال : هاته ، فقال : على أنه مزاح ولا تغضب ، قال : هاته ولو كان شتما ، فأنشده [من المديد]

مَنْ رأى فيما خَلاَ رجُلاً تيهُهُ أرْبَى على جِدَتِهْ

يتمشَّى راجلا وله شاكرىٌّ فى قلنسيَتِهْ

فسكت عنه مسلم ولم يجبه ، وضحك ابن أبى أمية ، وافترقا

(١) حرد حردا : مثل غضب غضبا ، وزنا ومعنى.

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكان لمحمد بن أبي أمية بِرْذَوْنٌ يركبه ، فنفق ، فلقيه مسلم وهو راجل فقال له : مافعل برذونك ؟ قال : نفق ، قال : فنجازيك إذاً على ما أسلفتنا ، ثم أنشده [من السريع] :

قل لابن مَيٍّ لا تَكُنْ جازعاً ... لَنْ يَرْجِعَ البِرذَوْنُ بالليتِ (١)

طامَنَ أحشاءَكَ فِقْدانه ... وكنتَ فيهِ عالِيَ الصَّوْتِ (٢)

وكُنْتَ لاتنزل عَنْ ظَهْرِهِ ... ولو مِنَ الخُشِّ إلى البيت

ماماتَ مِنْ سُقْمٍ وَلَكِنَّه ... ماتَ مِنَ الشَّوْقِ إلى المَوتِ (٣)

وعن الحسين بن أبي السرىّ قال : قيل لمسلم بن الوليد : أى شعرك أحب إليك؟ قال : إن فى شعرى لبيتا أخذت معناه من التوراة وهو قولى [من البسيط] :

دَلتْ عَلى عَيبِها الدُّنيا وصَدَّقها ... ما استَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كانَ أعطانى

قال الحسين : وحدثنى جماعة من أهل جرجان أن راوية مسلم جاءه بعد أن تاب ليعرض عليه شعره ، فتغافل مسلم ، ثم أخذ منه الدفتر الذى فى يده فقذف به فى البحر ، فلهذا قل شعره ، فليس فى أيدى الناس منه إلا ما كان بالعراق وما كان فى أيدى الممد وحين من مدائحه

وحدث الحسين بن دعبل قال : قال أبو لمسلم بن الوليد : مامعنى قولك

* لا تَدْعُ بى الشَّوقَ إنى غير مَعْمُود *

---

(١) يروى عجز هذا البيت :

* ليس على البرذون من فوت *

(٢) فى مهذب الأغانى (٨ - ١٩)

* طأطأ من تيهك فقدانه *

(٣) فى المهذب « ماماتَ من حتف »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال: لاتدعنى صريع الغوانى فإنى لست كذلك ، وكان يلقب هذا اللقب ، وكان له كارها

وحدث محمد بن المهنَّا قال : كان العباس بن الأحنف مع إخوان له على الشراب فذكروا مسلم بن الوليد ، فقال بعضهم : صريع الغوانى ، فقال العباس : ذلك ينبغى أن يسمى صريع الغيلان ، لا صريع الغوانى ، وبلغ ذلك مسلما فقال يهجوه (١) [من البسيط] :

بَنو حنيفة لا تَرْضَى الدَّعِى بهم ... فاتْرُكْ حنيفةَ واطْلُبْ غيرها نَسَبا
فاذْهَبْ فأنت طليقُ الحلم مُرتَهَنٌ ... بسوْرَة الجهلِ مالم أملكِ الغضَبا
ارْجعْ إلى عرَب ترْضَى بنسبَتِهِمْ ... إنى أرى لكَ خَلْقاً يشبهُ العَرَبا
مُنيت منِّى وقَدْ جدَّ الجراء بنا ... بغايةٍ مَنعَتْكَ الفَوْت والطَّلَبا

وكانت وفاته بجُرجان وهو يتقلد بها عملا ، يروى أنه لما احتضر نظر إلى نخلة لم يكن بجرجان مثلها فقال [من الهزج] :

ألا يانَخْلَةً بالسَّفْـ ... ـحِ مِنْ أكنافِ جُرْجَانِ
ألا إنى وإياكِ ... بجرْجان لغَرِيبان

ثم مات عند آخرها ، رحمه الله تعالى !

* * *

١٤٦ — لَوْلَمْ تكنْ نِيَّةُ الجَوْزَاءِ خِدْمَتَهُ ... لَمَا رَأَيْت عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقِ

شاهد إثبات صفة غير ممكنة لموصوف

البيت من البسيط ، وهو مترجم من الفارسية

والجوزاء : برج فى السماء ، والانتطاق شد المنطقة ، ونطاق الجوزاء : كواكب حولها .

---

(١) فى المهذب ذكر هذه الأبيات ضمن ستة أبيات مع اختلاف فى ترتيبها وفى بعض ألفاظها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فيه : إثبات صفة غير ممكنة لموصوف، فنية الجوزاء خدمة الممدوح صفة غير ممكنة قصد إثباتها له

أمثلة من إثبات صفة غير ممكنة

ومثله قول التهامى [من البسيط] :

لو لم يكنْ أقحوانًا ثَغْرُ مبسمها ما كان يَزْدادُ طيباً ساعةَ السَّحَرِ

وقوله أيضا [من السريع] :

لو لم تكُنْ ريقتُهُ خمْرةً لما ثنى غُصْنَهُ وهْوَ صاحْ

وقول الأمير مجيرالدين بن تميم فى مليح وقاد [من السريع] :

لامُوا على الوقّاد فى حُسنِهِ وَحُبُّهُ باللّوْم يزدادُ

لو لم يكنْ فى حُسنِهِ كَوْكَباً ما كانَ أمْسَى وهْوَ وَقّادُ

وقول السرى الرفاء [من الرمل] :

مَوْقِدٌ لو لم يَكُنْ ناراً إذًا لم تكُنْ زُرْقَ عواليهِ شَرَرْ

وقول أبى إسحاق إبراهيم الغرناطى [من المتقارب] :

لَعَمْرُكَ ما ثَغْرُهُ باسمٌ ولكِنّهُ حَبَبٌ لاعِبُ

ولو لم يَكُنْ ريقهُ مُسكراً لَمادارَ من حَوْلِهِ الشارب

وقوله: وكتب به على الكتاب المسمى بتاج المفرق[من الكامل] :

إنّ الإمامَ أبا البقاءِ الأوحَدَا عجَب يَعزُّ بمَغْرِبٍ وبمَشْرِقِ

لو لم تكُنْ دُرَراً لنا كلماته ما نُظِّمَتْ حَلْيا بتاج المَفْرِق

وما أحسن قول محمد بن هانىء [من الكامل] :

قَدْ طَيَّبَ الأفواه طيبُ ثنائه من أجْلِ ذا تَجِدُ الثُّغور عِذَابا

وقول الآخر أيضا [من السريع]:

قد قُلتُ إذْ أبْصَرْتُها حاسِراً عَنْ ساقها فاضِلَ سِرْبالِهَا

لو لم تَكُنْ من بَرَدٍ ساقُها لاحتَرَقَتْ من نار خلخالِها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد التعليل على سبيل الشك

١٤٧ — كأنّ السَّحابَ الغُرَّ غَيَّبْنَ تحتَها حَبيباً فَمَا تَرْقَا لَهُنَّ مَدَامِعُ

البيت لأبي تمام الطائي، من قصيدة من الطويل[١] يمدح بها قومه طيئا، أولها:

ألا صَنَعَ البَيْنِ الذي هُوَ صانِعُ فإنْ تَكُ جَزَاعاً فَمَا البَيْنُ جازِعُ
هُوَ العامُ من أسْماءَ والعامُ رابِعٌ لهُ بِلِوَى خَبْتٍ فهَلْ أنْتَ رابِعُ[٢]
ألا إنّ صَدْرِي من عزائِيَ بَلْقَعٌ عشيَّةَ شاقَتْنِي الدِّيارُ البلاقِعُ[٣]

وبعده البيت، وبعده:

رُبًا شفعَتْ ريحُ الصَّبا لِرِياضِها إلى الغيثِ حتَّى جادَها وهْوَ هامِعُ
فبشَّرَ الضَّحَى غَدْوًا لهُنَّ مُضاحِكٌ وجَنْبُ النَّدَى ليلا لهُنَّ مُضاجِعُ[٤]
كَسَاكَ من الأنوارِ أبْيَضُ ناصِعٌ وأصفرُ فَقّاعٌ وأحمرُ ساطِعُ[٥]
لئنْ كانَ أمْسَى شَمْلُ وحْشِكَ جامِعًا لَقَدْ كانَ لِي شَمْلٌ بأنْسِكَ جامِعُ

وهي طويلة

والسحاب الغر: جمع أغر، وهي الماطرة الغزيرة الماء، والضمير في «تحتها» راجع للديار في البيت الذي قبله

والشاهد فيه: التعليل على سبيل الشك، فانه علل شاكًّا نزولَ المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الربا حبيبا فهي تبكي عليه

---

(١) انظرها في الديوان (٤٧٧) في باب الفخر

(٢) في الديوان «هو الربع من أسماء»

(٣) في الديوان «ألا إن صدري من بلائي بلاقع»

(٤) غدوا: لغة في غد، ومنه قول لبيد:

وما الناس إلا كالديار وأهلها بها يوم حلوها، وغدوا بلاقع

وأراد هنا وقت الغداة

(٥) ورد هذا البيت في الديوان:

كساك من الأنوار أصفر فاقع وأبيض نصاع وأحمر ساطع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومنه قول محمد بن أبي زرعة [من البسيط] :

كأنَّ صَبَّيْنِ باتَا طولَ ليلهما يستمطِران على غُدْرانها المُقَلاَ

ومنه قول أبي الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنَّ كل سحابةٍ وقفتْ بها تبكي بعينيْ عروةَ بنِ حزامِ

ومنه قوله أيضا [من الكامل] :

رَحلَ العزاءُ برحلتي فكأنني أتبعتهُ الأنفاسَ للتشييعِ

ومنه قول بعضهم ، وقد مات صديق له فى يوم ماطر [من الطويل] :

برُوحي الذى جاء الغمامُ يعودُهُ فصادَفَهُ نحوَ المنية قدْ سرَى

فما زالَ يبدى حُرْقةً وتنهداً ويبكي إلى أن بلّ من دَمعه الثرَى

وقريب منه قول ابن رَشيق ، وقد غاب المعز صاحب أفريقية عن حضرته وكان العيد ماطراً [من البسيط] :

تَجَهَّمَ العيدُ وانهلَّتْ بوَادرُهُ وكنتُ أعهدُ منه البشر والضحكا

كأنما جاءَ يَطْوِى الأرضَ من بُعُدٍ شوقاً إليكَ فلما لم يجدْكَ بكَى

وبديعٌ قولُ الوزير الأديب أبي الأصبغ بن رشيد ، وقد هطلت بأشبيلية سحابة بقطر أحمر فى يوم السبت الثالث عشر من صفر عام أربعة وستين وخمسمائة [من المتقارب] :

لقد آنَ للناس أن يُقْلِعُوا ويَمْشُوا على المنهج الأقوَمِ

متى عُهِدَ الغيثُ يا غافلاً كلون العقيقِ أو العَنْدَمِ

أظنُّ الغمامَ فى جوِّهَا بكتْ رَحمةً للورَى بالدَّمِ

ولنذكر طرَفًا من محاسن حسن التعليل : فما جاء من ذلك قول البحترى ، [من المتقارب] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولو لم يكن ساخطاً لم أكن أذم الزمان وأشكو الخطوبا

طرف من حسن التعليل

وقول أبي هفان أيضا [من الطويل] :

ولو لم تصافحْ رجلُها صفحةَ الثرى لما كنتُ أدرى علةً للتيمم

وقد أخذه ابن رشيق ، فقال [من الوافر] :

سألت الأرض لِمْ كانت مُصَلَّي ولمْ كانت لنا طهراً وطيبا
فقالَتْ غيرَ ناطقةٍ : لأني حَوَيتُ لكل إنسان حبيبا

وقول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

إن يقعدوا فَوْقَ لغيرِ نزاهةٍ وعلوّ مرتبةٍ وعزٍّ ومكانِ
فالنارُ يعلوها الدخانُ وربما يعلو الغبار عمائم الفرسانِ

ولمؤلفه في معناه [من السريع] :

إن يقعد الجاهلُ فوْقَ ولمْ يرعَ ذمامَ العلم والأصلِ
فالشمسُ يعلو زُحَلٌ فوقها وهي على الغاية في الفضلِ

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن المعتز [من المنسرح] :

قالوا اشتكت عينهُ فقلتُ لهمْ من كثرة الفتك نالها وَصَبُ
حُمْرَتها منْ دماء ما قتلتْ والدمُ في النصل شاهدٌ عَجَبُ

وقد أخذه ابن المعتز من قول الواثق بالله [الخفيف] :

لي حبيبٌ قد طالَ شوقي إليهِ لا أسميهِ من حِذَاري عليهِ
لم تكن عينهُ لتجحدَ قتلي وَدَمي شاهدٌ على وَجنتيهِ

ولأبي خلف العكبري في مثله ، وقيل : لأبي محمد الباقي الشافعي ، [من البسيط] :

لم تستعرْ عينهُ منْ وَرْدِ وَجنتهِ إلا خضاباً وحاشاها مِنَ الوصَبِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تَبَيَّنَتْ من محبّ كان يألفها شواهدَ الغدر فاحمرَّت من الغضبِ

ومثله قول بعض الأندلسيين أيضا [من الكامل] :

قالوا الحبيبُ شكا جُعلتُ فداءهُ رَمَداً أضرّ بعينه كالعَنْدَمِ
فأجبتهم ما زالَ يفتكُ لحظهُ في مهجتي حتى تلطخَ بالدَّمِ

وقول أبي الفرج البغاء [من الطويل] :

بنفسيَ ما يشكوهُ مَنْ راحَ طرفهُ ونرجسهُ ممازهُا حُسْنُهُ وَرْدُ
أراقت دمي ظلماً محاسنُ وجههِ فأضحى وفي عينيه آثارهُ تبدُو
غدتْ عينه كالخدّ حتى كأنما سقَى عينه من ماء توريده الخدُّ
لئن أصبحتْ رمداء مقلةُ ما الكى لقد طالما استثفت بها مقلٌ رُمدُ

ومن بديع حسن التعليل قولُ ابن نباتة السعدي ، في فرس أدهم محجل القوائم ذي غُرَّة [من الوافر] :

وأدهمَ يستمدُّ الليلُ منهُ وتطلعُ بينَ عينيهِ الثُّرَيَّا
سرَى خلف الصباح يطيرُ رهواً ويطوى خلفهُ الأفلاكَ طيًّا
فلما خافَ وشكَ الفوتِ منهُ تَشَبَّثَ بالقوائم والمحيَّا

وفي معناه ، وهو جيد إلى الغاية [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينهُ فاقتصَّ منهُ فخاض في أحشائه

وقد أخذه ابن الشهيد الأندلسي ، وقصر عنه بقوله [من الكامل] :

وأغرّ قد لبسَ الدُّجى بردا فراقك وهو فاحمْ
يحكي بغُرَّته هِلا لَ الفطر لاحَ لعين صائمْ
وكأنما خاضَ الصبا حَ فجاء مبيضَّ القوائمْ

ولطيف قول ابن قلاقس فيه أيضا [من الوافر] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأدهمَ كالغرابِ سَوادَ لونٍ يطيرُ معَ الرّياح ولاَ جَناحُ
كساهُ الليلُ شملتهُ وولّى فقبّلَ بين عينيهِ الصباحُ

وما أحسن قول ابن القصار البغدادى فيه [من مخلع البسيط] :

أدهمُ كالليل ذو حجُولٍ قد غوّرت صبحهُ بليْلهْ
كأنما البرقُ خافَ منهُ فجاء مُستمسكاً بذَيْلهْ

وما ألطف قول التهامي أيضاً [من البسيط] :

لو لم يكن ريقها خمراً لما انتطقتْ بلؤلؤ من حَبَاب الثغر مبتسمِ

و بديع قول الأرجانى فى التعليل [من البسيط] :

أبدَى صَنيعك تقصيرَ الزمانِ ففى وقت الرّبيع طلوعُ الوردِ من خجلِ

وقول أبى طالب المأمونى يصف دارا من أبيات [من الخفيف] :

وثراها من عنبر شيب بالمســـــكِ فإن هَبَّتِ الصَّبا فيهِ فاحا
ما بكاه الرياض بالطلِّ إلاّ خجلاً منْ رياضها وافتضاحا

وقوله أيضاً يمدح [من الوافر] :

وما جاراكَ صوبُ المُزْنِ لما جرَى وجرَى ندَاك وماحكا كاَ
ولكنَّ الغمام عَنَى سجوداً على وجْهِ الثرَى لما رآ كاَ

ومما أحسن قول الصلاح الأربلى ، معللا عدم نزول المطر بأرض مصر غالباً [من البسيط] :

ماقصرَ الغيثُ عن مصرٍ وتربتها طبعاً ولكنْ تعدّاكم منَ الخجلِ
ولاجرَى النيلُ إلا وَهْوَ معترفٌ بسبقكمْ فلذَا يجْرى عَلىَ مهَلِ

ويقرب منه قول ابن رشيق القيروانى [من الطويل]:

وأهوَى الذى أهوَى لهُ البدرُ ساجداً ألستَ ترَى فى وَجهِهِ أثرَ التُّرْبِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَمن بديع حسن تعليل دنوّ السحاب من الأرض ، قول أبى العباس ابن حديدة اللخمى [من الكامل] :

يا رُبَّ مُثقلةٍ تنُوء بثقلها تسقى البلادَ بوابلٍ غيداقِ
مرّت فُوَيق الأرض تسحب ذَيلها وَالريحُ تحملها على الأعناقِ
ودَنت فكادالترب ُينهض نحوها كنهوض مشتاقٍ إلى مشتاقِ
فكأنما جاءتْ تقبلُ ترْبها أوْ حاوَلتْ منها لذيذَ عِناقِ

وما أحسن تعليل أبى العلاء المعرى فى قوله [من الطويل] :

وَما كَلَفُ البدرِ المنيرِ مذمةٌ ولكنهُ فى وجههِ أثرُ الدَّمِ

ومن حسن التعليل ، ما أنشده عبد الملك بن إدريس الحريرىّ بديهاً ، وكان بين يدى المنصور أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفى بالسحاب تارة ، وهو [من الوافر] :

أرَى بدرَ السماء يلوحُ حيناً وَيبدو ثمّ يلتحفُ السحابَا
وَذَاكَ لأنهُ لما تبدّى وأبصرَ وجْهكَ استحيا وَغابَا

ومثله ما حكى أن أبا الحسن النوبختى ، كان مع جماعة من أهله ، على سطح ابن سهل النوبختى ، فى ليلة من الليالى يشربون ، ومعهم إبراهيم بن زرزر المغنى وكان أمرد حسن الوجه ، وكان فى السماء غيمٌ ينجاب مرة ، ويتصل أخرى ، فانجاب الغيم عن القمر فانبسط ، فقال أبو الحسن النوبختى ، وأقبلَ على إبراهيم [من البسيط] :

لم يطلعِ البدرُ إلا من تَشَوُّقهِ إليكَ حتى يوافى وجهكَ النضِرَا

ثم لما غاب القمر تحت الغيم ، قال :

ولا تَغَيَّبَ إلا عندَ خَجلتهِ لما رآكَ فولَّى عنكَ واستترا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن رقيق حسن التعليل قول ابن عمار ، حين أُخرج من الأندلس ، [من الطويل] :

علىَّ وإلا مَا بكاهُ الغمَائمِ ... وفىَّ وإلا ما صياح الحمَائمِ
وعنّى أثارالرعدُ صَرخةطَالبٍ ... لثارٍ وَهز البرْق صفحةَ صارمِ
وهَل لبستَ زُهرُ النجوم حدادها ... لمثلىَ أوقَامت له فى المآتم
وهل شَقَّقَتْ هوجُ الرياح جُيوبها ... لغيرىَ أوحنت حنين الرَّوائم

وما أَبشق قول بعضهم [من الكامل] :

لو لم أُعانق من أحبُّ بروضةٍ ... أحدَاقُ نرجسها إلينا تنظرُ
مَاشقَّ جيب شقيقها حسداً ولا ... باتَ النسيمُ بذيله يتعثَّرُ

ولبعضهم فيه أيضاً [من الطويل] :

وَلما نضَا وجهُ الرَّبيع نقابهُ ... وفاحت بأطراف الرّياض النسائمُ
فطارتْ عقولُ الطير لما رَأينهُ ... وقَدْ بُهتتْ مِنْ بينهنَّ الحمائمُ
وخفنَ جنوناً بالرِّياض وحسنها ... صدَحْنَ وفى أعناقهنَّ التمائمُ

ومنه قول وجيه الدين الأنصارى [من الطويل] :

برُوحىَ معشوقُ الجَمال فمالهُ ... شبيهٌ ولا فى حبهِ لىَ لائمُ
تثنَّى فمات الغصنُ من حسدٍ لهُ ... ألم ترَهُ ناحتْ عَليهِ الحمَائمُ

ومنه قول بعضهم فى الآذريون ، ويسمى المنثور الرُّومى ، وهو ينضم ليلا ويتفتح نهارا [من المنسرح] .

عيونُ تبرٍ كأنها سرقتْ ... سوادَ أحدَاقها من الغَسَقِ
فإن دَجاَ لَيلها بظلمتهِ ... ضممن من خوفها على السَّرَقِ

وما أحسن قول بعضهم أيضاً [من الخفيف]

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَرياضٍ من الشقائق أضحَتْ يتهادى بها نسيمُ الرِّياحِ
زُرْتُها والغمامُ يجلدُ منها زهَراتٍ تفوقُ لَوْنَ الرّاحِ
قلْتُ: ماذَا نبا؟ فقالَ مجيباً: سرَقَتْ حُمرَةَ الخدُودِ الملاحِ

وما أظرف قول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

ومعذَّرٍ رَقَّتْ حواشي وجهِهِ فقلوبنَا وَجْداً عليهِ رقاقُ
لمْ يكسُ عارضهُ السوادَ و إنما نفضت عليهِ سوادها الأحداقُ

وقول غوث الدين بن العجمي في العذار، وفي الخال [من الوافر] :

لهيبُ الخدِّ حين بدَا لعيني هوَى قلبي عليه كالفَرَاشِ
فأحرَقَهُ فصارَ عليهِ خَالاً وهَا أثرُ الدخان على الحواشي

وقول مظفرٍ الأعمى فيه [من البسيط] :

لا تحسبوا شامةً في خدِّهِ طبعتْ على صحيفةِ خَدٍّ رَاقَ منظرُهُ
و إنما خدُّهُ الصافي تخالُ بهِ سَوَادَ عينكَ خالاً حين تنظرُهُ

وما ألطف قول ابن رشيق في تعليل حمرة الخد [من السريع] :

همتْ عذاراهُ بتقبيلهِ فاستَلَّ من عينيه سيفين
فذلكَ المحمرُّ من خدِّهِ دِماءُ ما بينَ الفريقين

ومنه قول ابن حمديس الصقلي في الخال [من الكامل] :

يا سَالباً قمرَ السماء جمالهُ ألبستني في الحب ثوب سقامهِ
أشعلت قلبي فارتمى بشرارة علقتْ بخدِّكَ فانطفت في مائهِ

ومن لطيف حسن التعليل، في خال تحت الحنك، ما حكاه ابن رشيق، قال: كنت أجالس محمد بن حبيب، وكان كثيراً ما يجالسنا غلامٌ مليح، ذو خال تحت لحييه، فنظرَ إليَّ ابن حبيب يوماً، وأشار إلى الخال ثم أطْرَقَ ساعة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال : ففهمت منه أنه يصنع شيئاً فيه ، فصنعت بيتين ، وأمسكت عنهما خوف الوقوع دونه ، فلما رفع رأسه قال : اسمع وأنشد [من الطويل] :

يقولون لِمْ من تحت صفحة خدّهِ تنزَّلَ خالٌ كان منزلَهُ الخدُّ
فقلت رأى بهْرَ الجمال فهابَهُ فحطّ خضوعاً مثلَ ما خضع العبدُ

فقلت : أحسنت أحسن الله إليك . ولكن اسمع . قال: أو صنعت شيئاً ؟

قلتُ : نعم، وأنشدته [من الخفيف] :

حبذا الخالُ كائناً منه بين الخـــدّ والجيد رقْبَةً وَحذَارَا
رَامَ تقبيلهُ اختلاساً ولكنْ خَافَ من لحظ طَرْفهِ فتوارَى

فقالَ : فضحتني قطع الله لسانك .

ولأبي سعيد المغربي وأجاد [من الرمل] :

إنّ للجبهة في قلبي هَوًى لم يكن عندي للوجه الجميلْ
يرقصُ الماءُ بها من طَرَبٍ ويميلُ الغصن للظلّ الظليلْ
وتودُّ الشمسُ لو باتتْ بها فلذا تصفرُّ أوْقاتَ الرحيلِ

ومثله قول بعضهم أيضاً [من الكامل] :

نهدٌ يهيمُ بحسنه مَن لم يَهِمْ ويُجيد فيهِ الشعرَ مَنْ لم يشعرِ
ما اصفرّ وجه الشمس عند غروبها إلا لفرقة حسن ذَاكَ المنظر

ولعله سرقهُ من قول ابن الرّومي [من البسيط] :

أمّا ذُكاءُ فلم تصفرّ إذ جنحتْ إلا لفرقةِ ذَاكَ المنظر الحسنِ

ومما ألطف قول عبد الله بن القائلة البستي [من الطويل] :

وَوَجهُ غزَالٍ رَقّ حسناً جَمَالهُ يرى الصبُّ فيهِ وَجههُ حين ينظرُ
تَعَرّضَ لي عندَ اللقاء بهِ رَشاً تكادُ الحيَا من مُحيَّاهُ تقطرُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولم يتعرَّض كى أراه، وإنما أرادَ يُريني أن وَجهيَ أصفرُ

وما أحسن قول بعضهم فى مليح يطيل حمل الكأس ، وقد تشاغل بشم الآس [من الطويل] :

حبيبي وعَدْتَ الكأسَ منك بقبلةٍ وأعقبَ ذاكَ الوعدَ منكَ نِفارُ
فأوقفتها تحتَ الرَّجاء وقَلْبُها بهِ خوفَ خُلفِ الوعد منكَ شَرَارُ
وما كانَ هذا لَوْنها غيرَ أنها عَلاها لطولِ الانتظار صَفَارُ

وما أحلى قول ابن نباتة هنا [من الخفيف] :

لم يزلْ جودهُ يجورُ على المـا لِ إلى أن كسا النضار اصفرارا

ولابن الدهان الموصلى [من الكامل] :

تَرْدِي الكتائبَ كتبهُ فإذا سرتْ لم تدرِ أنفذَ أسطراً أمْ عسكرا
لم يَحسُنِ الأترابُ فوق سطورها إلا لأنَّ الجيشَ يعقدُ عِثْيَرَا

ومن لطيف حسن التعليل ، ما أنشده الملك الأشرف ، شاه أرمن موسى ، فى مملوك له جميل ، وقعت عليه شمعة فأصابت شاربه [من المتقارب] :

وذِي هيفٍ زارَنى ليلةً فأمسى بهِ الهمُّ فى معزلِ
فمالتْ لتقبيلهِ شمعةٌ ولم تخشَ من ذَلكَ المحفلِ
فقلت لصَحْبي وقد حكمتْ صوارمُ لحظيهِ فى مقتلى
أتدرُون شمعتَنا لِمْ هوتْ لتقبيل هذا الرشا الأكحلِ
دَرَتْ أنَّ ريقتَهُ شهدةٌ فمالت إلى إلفها الأولِ

ومن المضحك فيه قول ابن قلاقس ، فى أصفر الوجه ، ذى لحية حمراء ، [من المتقارب] :

لئنْ زادَ فى ذقنهِ حُمْرَةً بما زادَ فى الوجهِ من صُفْرَتِهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فمن كثرة الصفع فى رأسه تَصفَّى لهُ الدَّمُ فى لحيته

ومن ظريف حسن التعليلُ قولُ ابن النبيه ، وقد دخل على الصاحب صفى الدين بن شكر فى مرضه فوجده قد حُمّ بقشعريرة [من الرجز المشطور] :

تبًّا لحماكَ التى أصلَتْ فؤادى وَلَهَا
هَلْ سألنكَ حَاجةً فأنتَ تهتزُّ لها

فكانت جائزة هذين البيتين استخدامه على ديوان أوقاف الجامع المعمور بدمشق المحروسة بجراية وافرة وجارٍ موفور .

ومنه قول المتنبى ، مخاطباً لسيف الدولة ، وقد وقعت عليه الخيمة ، [من المتقارب] :

رَأَتْ لونَ نورك فى لونِها كلون الغزَالة لا يغسلُ
* وأنّ لها شرفاً باذِخاً وَأنّ الخيامَ بها تخجلُ
فلا تنكرَنَّ لها صرعةً فمن فرَحِ النفس مايقتلُ

ولصاحب الدوح شاعر الحاكم ، وقد زلزلت مصر فى أيامه [من البسيط] :

يالحاكم العدلِ أضحى الدينُ معتلياً نجلِ العلاَ وَسليلِ السادَة النجبَا
ما زلزلتْ مصرُ مِنْ كيدٍ يرَادُ بها وإنما رَقصتْ مِنْ عدلهِ طرَبَا

ولشرف الدين التيفاشي فى مثله [من البسيط] :

أمَا تَرَى الأرضَ من زلزالِهَا عجباً تدْعو إلى طاعةِ الرحمنِ كلَّ تقِى
أضحَتْ كوالدةٍ خَرْقاءَ مُرضعةٍ أولادَها دَرَّ ثدْيٍ حَافلٍ غَدِقِ
قَدْ مهَّدَتهم مِهَاداً غيرَ مضْطربٍ وأفرَشتهمْ فرَاشاً غيرَ ما قَلِقِ
حتى إذا أبصَرت بعضَ الذى كرهتْ مما يَشُقُّ مِنَ الأولاد مِنْ خُلُقِ
هَزَّتْ بهمْ مَهدَهمْ شيئاً تنبِّهُهُمْ ثم استشاطَتْ وآلَ الطبعُ للخُرُقِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فصكت المهدَ غضبيَ وهيَ لافظةٌ بعضاً على بعضهمْ مِنْ شدة النَّزَقِ

ومثله أيضا قول الحظيرى [من المجتث] :

يقولُ لى حينَ وَافىَ قَدْ نلْتَ ما ترتجيهِ
فما لقلبكَ قد جَا بخَفْقَةٍ تعْترِيهِ
فقلتُ وصلكَ عُرْسٌ والقلبُ يرقُصُ فيهِ

وفى معناه قول بهاء الدين[1] زهير [من مجزوء الكامل] :

لا تنكرُوا خفقانَ قلـــبي والحبيبُ لدىّ حاضِرْ
ما القلبُ إلا دارُهُ دُقَّتْ لهُ فيها البشائرْ

وما ألطف تعليل خفقان القلب فى قول ابن رشيق [من الكامل]:

ومُهَفْهَفٍ يحميه عن نظرِ الوَرَى غَيرَ انسكنى الملك تحتَ قبابهِ
أوْمَى إلىّ أنِ ائتنى فأتيتهُ والفجرُ يرمقُ من خلال نقابهِ
وضممتهُ للصدْر حتى استوهبتْ منى ثيابى بعضَ طيبِ ثيابهِ
فكأن قلبى منْ وَراء ضلوعهِ طرَباً يخَبرُ قلبهُ عما بهِ

ومن لطيف حسن التعليل، وهو قريب من هذا المعنى، قول ابن بقى الأندلسى [من الكامل] :

بأبى غزَالاً غازلتهُ مُقلتى بينَ العُذَيْبِ وَ بينَ شطى بارِقِ
وسألتُ منهُ زيارة تشفى الجوَى فأجابنى منها بوعدٍ صادقِ
بتنا ونحنُ من الرَّجا فى خَيْمَةٍ ومن النجوم الزهر تحتَ سرادقِ

---

(١) وينسبان إلى سلطان العاشقين أبى حفص عمر بن الفارض، ولكنهما بشعر البهاء زهير أشبه .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عاطَيْتُهُ والليـلُ يَسحب ذيْلَهُ صهباء كالمسـكِ الفتيق الناشقِ
وضَمَمتُهُ ضَمَّ الـكمِيِّ لسيْفِهِ وذؤابتاهُ حمـائلٌ فى عاتِقِ
حتى إذا مالَتْ به سنَةُ الـكَرَى زحزحْتُهُ شيئاً وكان مُعَـانِقى
أبْعَدْتهُ عن أضْلُعٍ تشتـاقهُ كى لا ينـامَ على وسادٍ خافِقِ

وقد ناقض ابن عيال اللبيب البيتَ الأخير والذى قبله بقوله [من مخلع البسيط] :

إن كانَ لا بدَّ من رُقادِ فأضلعى هاكَ كالوِسادِ
فنمْ على خَفْقِهَا هـدوًّا كالطفلِ فى هزةِ المِهَادِ

وقد تعصب لابن بقى قوم ، ولابن عيال آخرون ، وقالوا : إن بيتى ابن بقى عليهما اعتراضان : الأول : إفحاشه العبارة بقوله « أبعـدته » وكان ينبغى أن يقول « أبعدت عنه أضالعاً » والثانى : ما ذكره ابن عيال ، فقـال المتعصبون لابن بقى : أما الاعتراض الأول فمسلَّم ، وأما الثانى فممنوع ، فان شعر ابن بقى يدل على أن خفقانه لـكثرة قوته مما يمنع النوم ، بخلاف ما ذكره ابن عيال ، فان تشبيهه بتحريك المهد يقتضى أنه يسير ضعيف ، ويدل عليـه قوله « هدوًّا » فقول ابن بقى أدل على قوة المحبة والشفقة على المحبوب والرفق به ، وقد سئل ابن فضل الله عن فصل الحـكومة بينهما فأجاب بقوله [من الـكامل] :

قولُ ابن بقى عليـهِ مأخَذٌ لـكنهُ قول المحـبِّ الوامِقِ
يكفيهِ فى صدق المحبةِ قولهُ «زحزحته شيئاً وكان معانقى»
وأرادَ شيئاً ما ليهْدَأَ فى الـكَرَى « كى لاينامَ على وسادٍ خافقِ»
ماحبُّهُ كذبٌ كدعوَى غيرِهِ ماالـكاذب الدعوى نظيرُ الصادقِ
تا الله ماهذا فؤادُ متيَّمٍ كلا ولا هذا المَقَالُ بلائقِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولَقَوْلُ من قد قال إن ضُلُوعَه خفقانُها كالمهدِ غيرُ موافقِ
ما الحب إلا تذل مالَ له الحشَا وبِبره يهدَا فؤاد العاشقِ

وقد رد الصلاح الصفدى على ابن بقى بقوله [من الكامل] :

أبعدتَهُ من بعد ما زَحْزَحْتَهُ ما أنتَ عندذوى الغرام بعاشقِ
هذا يدُلُّ الناسَ منك على الجفا إذ لَيْسَ هذا فعْلَ صَبّ وامقِ
إن شئتَ قلْ أبْعَدْتَ عنهُ أضالعى ليكونَ فعْلَ المُسْتَهام الصَّادقِ
أوقُلْ فبات على اضْطِراب جوانحى كالطفل مضطجعاً بمهْدٍ خافقِ

ومن بديع حسن التعليل فى العذار قول ابن عبد ربه [من الكامل] :

ياذا الذى خَطَّ العذَارُ بخَدِّه خطين هاجا لوْعَةً وبلابلا
ما كنتُ أقْطَعُ أن لحظك صارم حتى رأيتُ بعارضَيكَ حمائلا

ومثله فى الحسن قوله أيضاً فى العذار [من الكامل] :

ومُعَذَّرٍ نَقَشَ الجمالُ بخطه خدًّا له بدم القلوب مُضَرّجا
لما تيقّنَ أن عضْبَ جفونه من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وينظر إلى البيتين الأولين قول على بن حسن الاشبيلى [من المتقارب]

غزالٌ كحيلٌ له ريقةٌ يشابُ بها المسكُ والقرْقَفُ
كأن العذار على خده نجادٌ ومقلته مرهفُ

ومثله قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

وأسمرُ اللون عَسْجَدِيّ يكاد يَسْتَمطر الجهاما
ضاقَ بحمل العِذارِ ذَرْعاً كالمهر لايعرف اللجاما
ونكس الرأس إذ رآنى كآبةً واكتسى احتشاما
وظن أن العذارَ مما يزيح عن قلبىَ الغراما

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وما دَرَى أنهُ نباتٌ أنْبَتَ فى جِسْمِيَ السقاما
وهلْ ترى عارضيه إلاّ حمائلاً حملتْ حُساما

ومثله قول ابن جكينا البغدادى [من الوافر] :

تبرَّمَ بالعذارِ وظَنَّ أنى أُقاطِعُهُ وأخْرُجُ من يديهِ
وخافَتْ عارضاهُ خلاص قلبي من التبريح فانغلقت عليه

وما أحسن قول ابن الشقاق أيضاً [من البسيط] :

بخدٍّ أحمد للأبصارِ مُعْتَبَرٌ عِذَارمسكٍ جرى فى صفحتى بَرَد
كأن وجْنتَهُ من حُسنه خجلتْ واسْوَدَّ عارضُهُ من شدَّة الحسد

ولطيف قول ابن الخباز فى العذار والخال [من الطويل] :

ولى كاتبٌ أضْمَرْتُ فى القلب حبّه مخافة حسّادِى عليه وعُذّالى
له صنعةٌ فى خطِّ لام عذاره ولكن سَهَا إذ نَقَّطَ اللام بالخال

وما أبدع تعليل ابن اللبانة للعذار بقوله [من مخلع البسيط] :

بدا على خده عذارٌ بمثله يُعْذر اللبيبُ
وليس ذاك العذارُ شَعْراً لكنما سرُّهُ غريبُ
لما أراق الدماء ظلماً بدتْ على خدِّهِ الذنوبُ

وهذا كقول عبد الجليل المرسى أيضا [من الوافر] :

فطوَّقهُ الزمانُ بما جناهُ وعلَّق فى عذاريه الذُّنوبا

ومن لطيف حسن التعليل قول ابن رشيق فى العذار [من البسيط] :

خطَّ العذارُ لهُ لاماً بصفحتهِ من أجلها يستغيثُ الناسُ باللاّم (١)

---

(١) يريد أن عبارة الاستغاثة فى كلام العرب تستعمل فيها لام فيقول المستغيث : ياالله للمسلمين ، مثلا ، ولكن اللام فى صدر البيت يراد بها العذار الذى يشبه اللام

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد تفنن الشعراء فى تشبيه العذار باللام ، وقد عكس ابن غالب وأبدع وأبعد حيث قال [من الطويل] :

سأصْنَعُ فى ذم العذار بدائعاً فمن شاء يقضى بالدليل كما أقضى
ألا إنهُ كاللام واللامُ شأنُها إذا التصقت بالاسم آل إلى الخفض

فاجعله محتملا لما شئت من الذم : إن شئت وجهت الخفض لانخفاضه للعمل المطلوب منه ، وإن شئت جعلته انخفاض حاله .

رجع إلى حسن التعليل .

ومن لطيف حسن التعليل ما جاء فيه قول السراج الورّاق فى العذار [من الرجز] :

وفاتك يجْرَحُ سيفُ لحظِهِ مجرَّداً من جفنهِ ومُغمدا
خافَ على خدَّيه من لحاظِهِ فبات فى عِذَارِه مزرَّدا

ومنه قول ابن جكينا البغدادى [من المنسرح] :

عينـاكَ ترمى قلبي بأسْهُمِهَا فما لخدَّيك تلْبَسُ الزَّرَدَا
ريقَتُهُ الشَّهْدُ والدليـل على ذلك نَمْلٌ بخدِّه صَعَدَا

وما أحسن قول ابن معد القيروانى فيه [من الخفيف] :

أطْلَعَ الحسنُ من جَبينك شمساً فوقَ وردٍ من وجنَتيك أطَلاَّ
فكأنَّ العِذَارَ خاف على الوَرْ دِ ذبولاً فمـدَّ بالشَّعْرِ ظِلاَّ

وللأمير سيف الدين المشد أيضاً [من السريع] :

يا من عذارُهُ وأصـداغُهُ حـدائقٌ هِمْتُ بأزهارها
لو لم يكن خـدك لى كَعبةً لمـا تعلَّقْتُ بأستارها

ولأبى هلال العسكرى فى حسن التعليل أيضاً [من الكامل] :

ومُهفهفٍ قال الإلهُ لِحُسْنِهِ كُنْ فتنةً لِلعالمينَ فكانَهُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

زعمَ البَنفسجُ أنهُ كعِذَاره حسداً فسلُّوا من قفَاه لِسانَهُ

ولبعضهم [من المتقارب]:

أتتنى تؤَنبنى بالبكا فأهلاً بها وبتأنيبها
تقولُ وفى قَوْلها حشمةٌ أتبكى بعينٍ تَرَانى بها
فقُلتُ إذا استَحْسَنت غيرَكُمْ أمَرْتُ الدُّموع بتأديبها

ولابن الخازن أيضاً [من الكامل] :

لوْ فاخرَتْ ذاتُ العِمادِ بُيُوتَها عَادَتْ مُقوَّضةً بغيرِ عِمادِ
لاتكْذِبنَّ فما لها دار إذا أنْصفتنى إلا صميمُ فؤَادِى
فَلِذَاك لا تَسْقى السَّحائِبُ أرضها إلا يَزِدْنَ جَرَارة الأكبادِ

ولابن قلاقس فى بركة عليها قبة مذهبة [من الكامل]:

فَسقِيَّةٌ نُصبتْ عَلَيها قُبَّةٌ تَزْهُو بابريز لها مُتوقدِ
لوْ لم يكُنْ مَلِك على أرْجائها ما شُرِّفتْ بمظلةٍ من عَسْجَدِ

ولابن الساعاتى أيضاً [من الكامل]:

لا تَعْجبَنَّ لِطالبٍ بَلَغ المُنَى كهلاً وأخفقَ فى الشَّبَابِ المُقبلِ
فالخمرُ تَحكم فى العُقُول مُسِنَّةً وتُدَاسُ أوَّل عَصْرِها بالأرجُلِ

ولبعضهم يرثى ابن البواب الكاتب [من الكامل] :

استَشْعرَ الكُتَّابُ فَقْدَكَ سالِفاً وقَضَتْ بِصحةِ ذلكَ الأيامُ
فلِذَاك سُوِّدتِ الدَّوِيُّ كَآبةً أسفاً عَلَيْكَ وشُقَّتِ الأقلامُ

ولصرَّدُر فى جارية سوداء [من السريع]:

عُلِّقتُها سَوْدَاء مَصقُولة سَوَادُ قلبى صِفَةٌ فيها
ما انكَسَفَ البدرُ على تمِّهِ ونورِهِ إلا لِيَحكيها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لأجلها الأزمانُ أوقاتُها مُؤَرَّخات بلياليهـــا

وبديع فى معناه قول ابن رشيق أيضا [من مخلع البسيط] :

دَعابِكِ الحُسْنُ فاستَجيبى يامِسكُ فى صِبْغَةٍ وطيبِ
تِيهِى على البيض واستَطيلى تِيهَ شبابٍ على مَشيبِ
ولا يَرُعْكِ اسْوِدَادُ لوْنٍ كقُلْةِ الشادِنِ الرَّبيب
فإنَّمَا النُّورُ عن سَوادٍ فى أعيُنِ الناس وَالقلُوبِ

وقد أخذه ابن قلاقس فقال [من الخفيف] :

رُبَّ سَوْدَاء وهْىَ بيضاء معنى نافَسَ المِسكَ فى اسمِها الكافُورُ
مثْلُ حبِّ العُيُون يَحْسبهُ النّا سُ سواداً وإنما هُوَ نُورُ

والأصل فى هذا المعنى قول الوزير المهلبي [من الوافر] :

وسَمّوْهُ مع القُرْبَى غَريباً كَنُور العين سَمّوْهُ سوَادا

وما أحسن تعليل اليغمورى بقوله [من الرمل] :

أنا مِرآةٌ فإنْ أبصرْتمُ حَسَنَاً أنتمْ بها ذاكَ الحَسَنْ
أوْ تَرَوْا ما ليْس يُرْضيكم فقد صدقَتْ إذ لم تروْها منْ زمَنْ

وفى معناه قول ابن اللبانة [من الكامل] :

زَادُوا جفاءً فانتَقَصتْ مَوَدّةً ومِنَ الزِّيادة مُوجبُ النُّقْصان
أنا مثْلُ مرآةٍ صقيلٍ صفْحُها ألقى الوجُوه بمثـل ما تلقانى

ومن لطيف حسن التعليل قول الصفى الحلى [من المتقارب] :

وعدْتَ جميلاً فأخلفْتهُ وذَلكَ بالحُرِّ لا يجْمُلُ
وقُلت بأنكَ لى ناصرٌ إذا قابل الجحفَلَ الجحفَلُ
وكم قَدْ نصرْتُك فى كرَّةٍ تكسَّرَ فيها القنا الذُّبَّلُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولستُ أُمُنّ بفضلى عليكَ فأعجبُ بالقوْل إذ أعجلُ
كما قالهُ البازفى عزّةٍ به حينَ فاخرَهُ البُلبُلُ
وقالَ أراكَ جليسَ الملوك ومِنْ فَوْق أيديهمُ تحمَل
وأنت كما علموا صامتٌ وعن بَعْض ما قلتهُ تنكل
وأحبَسُ مع أنى ناطقٌ وحالىَ عِنْدَهمُ مُهْملُ
فقالَ صدقت ولكِنّهُم بذا عرَفُوا أينا الأكلُ
لأنى فعلتُ وما قُلْتُ قط وأنْتَ تقولُ ولا تَفْعلُ

ولابن القيسرانى أيضاً [من البسيط] :

هذا الّذى سلبَ العُشّاق نَوْمَهُمُ أما ترَى عَيْنهُ مَلْأَى من الوَسَن

وللخباز البلدى أيضاً [من البسيط]:

لَيْلُ المحبين مطوىٌّ جوانبهُ مشمِّرُ الذّيل منسُوبٌ إلى القصر
إذا الحبيبان باتا تحت جانبه غابَتْ أوائله فى آخر السَّحر
ما ذاكَ إلا لأن الصُّبْح نمَّ بنا فأطلع الشّمْس من غيظٍ على القمر

ولصدر الدين بن الوكيل [من الكامل] :

لم يُصْلب الراووقُ إلا عِنْدما قطع الطريق على الهُمُوم وساقها

وهو من قول سيف الدين المشد فى مليح نصرانى [من البسيط] :

يصبو الْحَبَابُ إلى تقبيل مَبْسِمِهِ وتكتسى الرّاحُ من خدّيه أنوارا
من أجلهِ أصْبَحَ الرّاوُوق منعكفاً على الصّليب وشدّ الكاس زنارا

وما أحسن قول صدرالدين بن الوكيل أيضاً [من الطويل] :

أرَقْتُ دم الرّاووق حلاً لأننى رأيت صليباً فوْقه وهْوَ مشرك
وزوّجْت بنت الكرْم لابن غمامةٍ فصحّ على التّعْليق والشرطُ أمْلَكُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وما أحسن قول ابن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام ، وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين بن الوكيل حيث قال [من مجزوء الكامل]:

أنا لا أُكَلِّمُ واصباً إلا بإذن منه يُملَكُ
شَرْطى شفاءُ الهَا لِكينَ من الأذى والشّرْط أملكْ

وقد ذكرت بهذين البيتين بيتين قلتهما قديما وهما [من مجزوء الخفيف]:

بى من الحَبْش غادةً وصفُها لَيْسَ يُدْرَكُ
مَلكَ القلبَ شرطُها وكذَا الشّرْطُ أملكُ

رجعنا إلى حسن التعليل .

ولابن سناء الملك فيه [من السريع] :

يا بأبى مَنْ ذِكْرُه فى الحشا ضيفى وذِكرِى فى الحَشا ضَيفُهُ
لا تحسبونى نَاعساً إنَّمَـا سَجَدْتُ لمـا مَرَّ بى طَيفُهُ

٭ ٭ ٭

شاهد التفريع

١٤٨ — أحلامَكُمْ لِسَقَامِ الجهلِ شافيةٌ
كَمَا دِمَاؤُكُمُ تَشْفِى مِنَ الكَلَبِ

البيت للكميت الشاعر ، من قصيدة من البسيط ، أولها :

هَلْ للشبابِ الذى قدْ فاتَ من طلبِ أمْ ليسَ غابرُهُ الماضى بمنقلبِ
دَعِ البكاءَ علىَ ما فاتَ مَطلبُهُ فالدَّهرُ يأتى بألوانٍ منَ العجبِ

والأحلام : جمع حلم ـ بالكسر ـ وهو الأناة والعقل ، والكَلَبُ : جنون الكلاب المعترى من أكل لحم إنسان ، وشبه جنونها المعترى للانسان من عضها ، أو هو داء لا يصبر الانسان معه عن الأكل ساعة واحدة ، ولا دواء له أنجح من شرب دم ملك . قال ابن الأعرابى : كانت العرب تقول : من

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أصابه الكَلَبُ والجنون لا يبرأ منه ، إلا أن يسقى من دم ملك ، فهو يقول : إن ممدوحيه أربابَ العقول الراجحة ملوكٌ وأشراف .

ومثله قول الحماسى ، وهو القاسم بن حنبل المزنى حيث قال [من الوافر] :

بُناةُ مكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ دماؤكم منَ الكَلَبِ الشفاءُ[1]

وقول عبد الله بن الزِّبِير الأسدى فى عبيد الله بن زياد [من البسيط] :

منْ خير بيتٍ علمناهُ وأكرَمِهِ كانتْ دماؤهُمُ تشفى من الكَلَبِ

وقريب من معناه قول العباس بن مرداس [من الطويل] :

وإنّى منَ القوم الذينَ دماؤهمْ شفاءٌ لطلاب الترات منَ الوَغْمِ[2]

وقول البحترى مهنئاً من افتصد [من البسيط] :

ليَهْنِكَ البرْءُ مما كنتَ تألمهُ وليهنِكَ الأجرُ عقبى صائب الوصبِ

لئنْ فُصِدْتَ ابتغاء البرْءِ من سَقَمٍ فقد أرَقْتَ دماً يشفى من الكَلَبِ

والشاهد فى البيت : التفريع ، وهو : إثبات حكم لمتعلق أمر بعد إثباته لمتعلق له آخر ، على وجه يشعر بالتفريع والتعقيب ، فها هنا فَرَّعَ على وصفهم بشفاء أحلامهم لسقام الجهل ، وَصْفَهم بشفاء دمائهم من الكلب .

ومن التفريع قول الشريف الرضى [من الطويل] :

إذا فاتَ شىءٌ سمعَهُ دلَّ أنفهُ وإن فاتَ عينيهِ رَأى بالمسامعِ

وقول ابن المعتز أيضا [من السريع] :

كلامُهُ أخدعُ منْ لحظهِ وَوَعدُهُ أكذبُ منْ طيفهِ

فبينا هو يصف خدع كلامه فرع خدع لحظه ، وبينا هو يصف كذب وعده فرع كذب طيفه .

وقوله أيضا يصف ساقى كأس ، حيث قال : [من الكامل] :

---

(١) الأساة : جمع آس ، وهو المداوى ، والكلم : كالجرح ، وزنا ومعنى

(٢) الوغم ـ بفتح فسكون ـ الترة ، والحقد الثابت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فكأنّ حمرة لونها من خدّه وكأنّ طيبَ نسيمها من نَشْرِهِ(١)

حتى إذا صاب المزاجُ تبسمتْ عنْ ثغرها فحسبتهُ من ثغره

ومن التفريع الجيد قول الصّنوبرى [من الكامل] :

ما أخطأت نوناتهُ من صدغه شيئاً ولا ألفاتهُ منْ قدّه

وكأنما أقلامهُ من شَعْرِه وكأنما قرطاسهُ من جلده

وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا ، أنشده الصولى فى أبيات [من الوافر]

كأنّ دواتَهُ من ريق فيهِ تُلاَقُ فنَشْرُها أبداً كريه

ومنه قول ابن النطاح يصف البحر [من المنسرح] :

يامادح البحر وَهْوَ يجهلهُ مهلاً فانى قتلتهُ علْمَا

مكسبه مثل قعره بعداً ورزقهُ مثل مائه طَعْمَا

وذكرت بهذين البيتين ، قول ابن رشيق فى ذم البحر وركوبه [من مخلع البسيط]

البحرُ صعْبُ المرَام مُرٌّ لا جُعِلَتْ حاجتى إليه

أليس ماء ونحنُ طينٌ فَما عسى صَبْرُنا عليه

قال ابن حمديس : اجتمعت مع أبى الفضل الكاتب جعفر بن المقترح بسبتة ، فذكر لى بيتى ابن رشيق ، ثم قال لى : أتقدر على اختصار هذا المعنى؟ قلت : نعم أقدر على ذلك، وأنشدته [من المجتث] :

لاأركبُ البحر خوفاً على منهُ المعاطب

طينٌ أنا وَهْوَ ماءٌ والطينُ فى الماء ذائب

---

(١) النشر ـ بفتح فسكون ـ الرائحة الطيبة ، أو مطلقا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فاستحسن ذلك إذ كان على الحال ، وأقام عنى أياماً ثم اجتمعت به فأنشد لنفسه فى المعنى [من المجتث] :

إنّ ابن آدم طينٌ والبحرُ ماءٌ يذيبُهْ
لولا الذى فيه يُتلَى مَاجازعندى رُكوبُهْ

فأنشدته لى فيه [من الطويل]:

وأخضر لو لا آيةٌ ما رَكبته وللهِ تصريفُ القضاء بما شاءَ
أقولُ حذاراً من ركوب عُبابه أيارب إنّ الطين قدركب الماءَ

ومن التفريع قولُ كشاجم [من المنسرح] :

شيخٌ لنا من مشايخ الكوفه نسبته للمريض مَوْصوفهْ
لوْ حوّل الله قلبهُ غنَماً ماطمع الكلب منهُ فى صُوفَهْ

ومن المستحسن فيه قول الخوارزمى [من الكامل] :

سَمْحُ البديهة ليس يمسك لفظهُ فكأنما ألفاظهُ من مالهِ
وكأنما عزماتهُ وسيوفهُ منْ حَدِّهنّ خُلِقْنَ من إقباله
متبسمٌ فى الخطب تحسبُ أنهُ تحت العجاج ملثمٌ بفعاله

ومثله قول ابن جابر [من الطويل] :

كريمٌ شكتْ أموالهُ منْ سَمَاحه كما قدْ شكتْ أعداؤهُ من سِنَانِهِ
فلوْ لمْ يُبِدْ جمع العداة برمحه لأغرقهمْ بحر الندى منْ بنانه

وقوله أيضا [من الطويل] :

يزينُ منها الخصرَ لطفٌ ورقة كرِقّةِ معناها ولطف جوابها
وَتسمعنا حلو الجواب كأنما قَدِ امتزجتْ ألفاظها برُضَابِهَا

وقوله أيضا [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

خضبتْ أناملَهَا فخلنا أنها مخضوبةٌ من حمرةٍ فى خدّها
وبكون قائم نَهْدِهَا رُمانةً حقّقْتُ أنَّ الغصنَ مُشبهُ قدّها

ولأبى جعفر الأندلسى أيضا [من الطويل] :

وكيف يكون الصبرُ عنها لعاشقٍ وقدْ حُكِّمَتْ ألحاظها فى فؤاده
إذا أرسلتْ سودَ الغدائر خلتَها صبغن بما فى طَرْفِهَا منْ سواده

ومن التفريع أيضا قول العسجدى [من السريع]:

رأيتُه ممتطياً أشهبا يحملُ بازاً حمل قفازه
وطِرْفُهُ أسبق منْ طَرْفِهِ ولحظهُ أصيدُ منْ بازه

ومنه قول المتنبي على غير هذا النظام [من الطويل] :

أسيرُ إلى أقطاعه فى ثيابه على طِرْفه منْ داره بحسامه
ومامطرتنيه من البيض والقنا وروم العِبدّى هاطلات غمامه

وهذا التفريع تناوله من قول أبى تمام [من الطويل]:

وقالوا فما أولاكَ صِفْ بعضَ فعلهِ فقلتُ لهم من عنده كلُّ ماعندى

وأصله قول أبى نواس يصف كلب صيد [من الرجز] :

أنعتُ كلباً أهلهُ فى كدّهِ قدْ سَعِدَتْ جُدُودُهُمْ بجدّهِ
وكلُّ خيرٍ عندهمْ من عندهِ وكلُّ رِفْدٍ عندَهمْ من رِفْدهِ

وأخبث ما سمع فى باب التفريع ، قول ابن الرومى ، يهجو رجلا ، [من مجزوء المتقارب] :

لهُ سالِسٌ ماهرٌ يجولُ على متنهِ
ويطعنُ فى دُبرهِ أفانينَ منْ طَعْنهِ
بأطولَ من قَرْنهِ وأغلظ من ذهنهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ترجمة الكميت

والكميت [١] : هو ابن زيد الأسدى ، شاعر مقدم ، عالم بلغات العرب ، خبير بأيامها ، فصيح ، من شعراء مضر وألسنتها ، والمتعصبين على القحطانية المقارنين المقارعين لشعرائهم ، العلماء بالمثالب والأيام ، المفاخرين بهـا . وكان فى أيام بنى أمية ، ولم يدرك الدوله العباسية ، ومات قبلها ، وكان معروفاً بالتشيع لبنى هاشم ، مشهوراً بذلك ، وقصائده الهاشميات من جيد شعره ومختاره .

قال ابن قتيبة : وكان بين الكميت والطرماح خلطة ومودة وصفاء لم يكن بين اثنين ، حتى إن راوية الكميت . قال : أنشدت الكميت قول الطرماح [من الطويل] :

إذَا قُبِضَتْ نفسُ الطرماحِ أخلَقَتْ
عُرَى المجدِ وَاسترخى عِنانُ القصائدِ

فقال الكميت : إى والله وعنان الخطابة وَالرواية .

قال : وهذه الأحوال بينهما على تفاوت المذاهب والعصبية والديانة ، وكان الكميت شيعياً عصبيا عدنانيا من شعراء مضر متعصبا لأهل الكوفة ، والطرماح خارجيا صفريا قحطانيا عصبيا لقحطان من شعراء اليمن متعصبا لأهل الشام ، فقيل لهما : ففيم اتفقتما هـذا الاتفاق مع سائر اختلاف الأهواء ؟ قال : اتفقنا على بغض العامة

وحدّث محمد بن أنس السلامى الأسدى ، قال : سئل معاذ الهراء : مَنْ أشعر النـاس ؟ قال : من الجاهليين ، أم من الاسـلاميين ؟ قالوا : بل من الجاهليين! قال : امرؤ القيس وزُهَير وعَبيد بن الأبرص ، قالوا : فمن الاسلاميين ؟ قال : الفرزدَق ، وجرير ، وَالأخطل ، والراعى ، فقيل له : يا أبا محمد ، مارأيناك

---

(١) للكميت ترجمة فى الأغانى (١٥ / ١١٣ - ١٣٠) ومهـذب الأغانى (٥ / ٢٠٣ - ٢١٦) وطبقات الشعراء لابن قتيبة (٣٦٨ - ٣٧١) ليدن

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ذكرت الكميت فيمن ذكرت . قال : ذاك أشعر الأولين والآخرين ! .

وحدّث محمد بن النوفلى قال : لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أول ماقال الهاشميات ، فسترها ، ثم أتى الفرزدق ، فقال له : يا أبا فراس : إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسدى . قال له : صدقت أنت ابن أخى ، فما حاجتك ؟ قال : نفث على لسانى ، فقلت شعرا فأحببت أن أعرضه عليك ، فان كان حسنا أمرتنى باذاعته ، و إن كان قبيحا أمرتنى بسَتْره ، وكنت أولى (١) من ستره علىّ ، فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن ، و إنى لأرجو أن يكون شعرك على قدرعقلك ، فأنشدنى ماقلته ، فأنشدته [من الطويل] :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيضِ أطْرَبُ *

فقال لى : ففيم تطرب يا ابن أخى ؟ فقلت :

* وَلا لعباً منى وَذُو الشوقِ يلعبُ *

فقال : يا ابن أخى فالعب فانك فى أوان اللعب ، فقلت :

ولمْ تُلهنى دارٌ ولارسمُ منزل ولمْ يَتطَرّبْنِى بنانٌ مخضّبُ

فقال : مايطربك يا ابن أخى؟ فقلت :

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيةً أمرُّ سليمُ القَرْنِ أمْ مرٌّ أعضَبُ

فقال : أجل لم تتطير ، فقلت :

ولكنْ إلى أهل الفضائلِ والنُهَى وخيرِ بنى حوّاء والخيرُ يطلبُ

فقال: مَنْ هؤلاء ويحك ؟! فقلت:

إلى النَّفَرِ البِيضِ الذينَ بحبهمْ إلى الله فيما نابنى أتقرّبُ

---

(١) فى الأصل «وكنت أول» وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥-١٢٥)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال : أرحنى ويحك مَنْ هؤلاء ؟ فقلت :

بنى هاشم رَهطِ النبيِّ فإننى بهم ولَهُمْ أرضى مِرَاراً وأغضبُ
خفضت لهم منى جناحَىْ مودَّةٍ إلى كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحَبُ
وكنت لهمْ منْ هؤلاء وهؤلا مِجَنًّا على أنِّى أذمُّ وأُقصَبَ
وأرْمى وَأرْمى بالعداوَةِ أهلها وإنى لأوذَى فيهم وأؤنبُ

فقال له الفرزدق : يا ابن أخى ، أذع ثم أذع . فأنت والله أشعر مَنْ مضى ومن بقى .

وحدث إبراهيم بن سعد الأسدى ، قال : سمعت أبى يقول : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم ، فقال لى : من أىِّ الناس أنتَ ؟ قلت : من العرب ، قال : أعلم فمن أىّ العرب أنت ؟ قلت : من بنى أسد ، قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم ، قال : أهـلا لىٌّ أنت ؟ قلت : نعم ، قال : أتعرف الكميت بن زيد ؟ قلت : يا رسول الله ، عمى ومن قبيلتى . قال : أتحفظ من شعره شيئا ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدنى :

* طربتُ وَما شوقا إلى البيضِ أطرَبُ *

قال : فأنشدته حتى وصلت إلى قوله :

فمالىَ إلا آل أحمد شيعةٌ ومالى إلا مشعب الحق مشعبُ

فقال لى : إذا أصبحت فاقرأ عليه السلام وقل له : قد غفر الله لك بهذه القصيدة .

وحدَّث نصر ابن مزاحم المنقرى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم ورجل بين يديه ينشده [من الخفيف] :

* مَنْ لقلبٍ متيم مستهامِ [1] *

(١) هذا صدر مطلع قصيده هاشمية أيضا ، وعجزه قوله :
* غير ما صبوة ولا أحلام *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال : فسألت عنه ، فقيل لى : هـذا الـكميت بن زيد الأسدى . قال: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : جزاك الله خيرا ! وأثنى عليه .

وحدّث محمد بن سهل صاحب الـكميت قال: دخلت مع الـكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد فى أيام التشريق : فقال له : جعلت فداك ألا أنشدك فقال : إنها أيامٌ عظامٌ ، قال : إنها فيكم : قال: هات ، و بعث أبو عبد الله إلى بعض أهله ، فقرّب ، فأنشده ، فـكثر البـكاء ، حتى أتى على هذا البيت ، [من الطويل] :

يُصيبُ بهِ الرَّامُونَ عنْ قوْسِ غيرهمْ
فَيـا آخراً أسـدَى لهُ الغىّ أوَّلُ

فرفع أبو عبد الله رحمه الله تعالى يديه فقال : اللهم اغفر للكميت ما قدّم وما أخر وما أسر وما أعلن ، وأعطه حتى يرضى .

وحدث صاعد مولى الكميت قال : دخلنا على أبى جعفر محمد بن على، فأنشده الـكميت قصيدته التى أولها :

* مَنْ لِقلْبٍ مُتيَّمٍ مُسْتهامِ *

فأمر له بمال وثياب ، فقال الـكميت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت مَنْ هى فى يديه ، ولـكننى أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التى أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها ، وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب .

قال : ودخلنا على فاطمة بنت الحسين رضى الله عنهما فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت ، وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها وأسقته الـكميت ، فشربه، ثم أمرت له بثلاثين دينارا ومركب ، فهملت عيناه وقال : لا والله لا أقبلها ، إنى لا أحبكم للدنيا .

وكان خالد بن عبد الله القسرى قد أنشد قصيدة الـكميت التى يهجو فيها اليمن ، وهى التى أولها:

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

* ألا حُيِّيتِ عنّا يا مدينا *

فقال : فعلمها(١) ؟ والله لأقتلنه ، ثم اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهايةً فى الحسن والكمال والأدب، فروّاهن الهاشميات، ودسهن مع نخاس إلى هشام ابن عبد الملك ، فاشتراهن جميعا ، فلما أنس به واستنطقهن رأى منهن فصاحة وأدبا ، فاستقرأهن القرآن فقرأن ، واستنشدهن الشعر فأنشدن قصائد الكميت الهاشميات ، فقال هشام : ويلكن! مَنْ قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميت بن زيد الأسدى ، قال : وفى أى بلد هو ؟ قلن : بالعراق ثم بالكوفة ، فكتب إلى خالد عامله فى العراق : ابعث إلى برأس الكميت بن زيد ، فلم يشعر الكميت إلا والخيل محدقة بداره ، فأخذ وحُبس فى الحبس ، وكان أبان بن الوليد عاملا على واسط ، وكان الكميت صديقه ، فبعث إليه بغلام على بغل، وقال له : أنت حر إن لحقته، والبغل لك ، وكتب له : أما بعد فقد بلغنى ما صرتَ إليه، وهو القتل إلا أن يدفع الله عز وجل ، وأرى لك أن تبعث إلى حُبَّى — يعنى زوجة الكميت وكانت ممن يتشيع أيضاً — فإذا دخلتْ عليك تنقبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت ، فانى أرجو الاوبة لك ، قال : فركب الغلام البغل وسار بقية يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبحها فدخل الحبس متنكراً وخبر الكميت بالقصة ، فبعث إلى امرأته وقص عليها القصة ، وقال لها : أى ابنة عم ، إن الوالى لا يقدم عليك ولا يسلمك قومك ، ولو خفتُ عليك ما عرضتك له ، فألبسته ثيابها و إزارها وخمرته وقالت له : أقبل وأدبر ، ففعل ، فقالت: ما أنكر منك شيئاً إلا يبساً فى كتفيك ، فاخرج على اسم الله تعالى ، وأخرجت معه جاريتين لها ، فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح حبيب بن بدير ومعه فتيان من أسد فلم يُؤْبَه

(١) فى الأغانى أنهم لما أنشدوا خالدا أوائل قصيدة الكميت قال خالد : لا أبالى ما لم يجر لعشيرتى ذكر ، فأنشدوه ماقال فى قومه ، فقال : فعلمها ؟ والله لأقتلنه إلخ ماينقله المؤلف. ووقع فى المطبوعتين « فقال بعلها » محرفا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

له ، ومشى الفتيان بين يديه إلى محلة شعيب بناحية الكناس ، فمر بمجلس من مجالس بني تميم ، فقال بعضهم : رجل و رب الكعبة ، وأمر غلامه فاتبعه ، فصاح به أبو الوضاح : يا كذا وكذا أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم ، وأومأ إليه بنعله ، فولى العبد مدبراً ، وأدخله أبو الوضاح منزله ، ولما طال على السجان الأمر نادى الكميت فلم يجبه ، فدخل ليعرف خبره ، فصاحت به المرأة : وراءك لا أم لك فشق ثوبه ، ومضى صارخا إلى باب خالد فأخبره الخبر ، فأحضر المرأة فقال : يا عدوة الله ، احتلت على أمير المؤمنين وأخرجت عدو أمير المؤمنين ، لأنكلن بك ولأصنعن ولأفعلن ، فاجتمعت بنو أسد عليه ، وقالوا له : ما سبيلك على امرأة منا خدعت ، فخافهم فخلى سبيلها ، وسقط غراب على الحائط ونعب فقال الكميت لأبي الوضاح : إني لمأخوذ و إن حائطك لساقط ، فقال : سبحان الله ! هذا مالا يكون إن شاء الله تعالى ، وكان الكميت خبيرا بالزجر ، فقال له : لابد أن تحولني ، فخرج به إلى بني علقمة وكانوا يتشيعون ، فأقام فيهم ، ولم يصبح حتى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب ، قال المستهل : وأقام الكميت عدة شواريا ، حتى إذا أيقن أن الطلب خفّ عنه خرج ليلا في جماعة من بني أسد على خوف ووَجَلٍ ، وفيمن معه صاعد غلامه ، وأخذ الطريق على القطقطانة ، وكان عالما بالنجوم مهتديا بها ، فلما صار سحيراً صاح بنا هَوِّمُوا يا فتيان ، فهومنا ، وقام فصلى . قال المستهل : فرأينا شخصاً فتضعضعت له ، فقال : مالك ؟ قلت : أرى شخصاً مقبلاً ، فنظر إليه فقال : هذا ذئب قد جاء يستطعمكم ، فجاء الذئب فربض ناحية فأطعمناه يد جزور فتعرَّقَها ، ثم أهوينا له بإناء فيه ماء فشرب منه ، فارتحلنا وجعل الذئب يعوي ، فقال الكميت : ماله ويله ألم نطعمه ونسقه ؟ وما أعرفني بما يريد هو يدلنا أنا لسنا على الطريق ، تيامنوا يا فتيان ، فتيامنا فسكن عواؤه ، ثم نزل نسير حتى جئنا الشام ، فتوارى في بني أسد وبني تميم ، وأرسل إلى أشراف قريش - وكان سيدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص - فقال : يا أبا خالد ،

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

هذه مكرمة أتاك بها الله تعالى ، هذا الكميت بن زيد لسان مضر ، وكان أمير المؤمنين قد كتب فى قتله فجاء حتى تخلص إليك وإلينا . قال : مروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء . فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره ، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام ، فقال له : يا أبا شاكر ، مكرمة أتيتك بها تبلغ الثريا إن اعتقدتها ، فان علمت أنك تفى بها وإلا كتمتها عنك ، قال : وما هى؟ فأخبره الخبر ، وقال : إنه قد مدحكم عامة وإياك خاصة بما لم يسمع بمثله ، فقال : على خلاصه ، فدخل على أبيه هشام وهو عند أمه فى غير وقت دخول ، فقال له هشام : أجئت لحاجة ؟ قال : نعم ، قال : هى مقضية إلا أن تكون الكميت ، فقال : ما أحب أن تستثنى على فى حاجتى ، وما أنا والكميت ، فقالت أمه : والله لتقضين حاجته كائنة ما كانت ، قال : قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها ، قال : هى الكميت يا أمير المؤمنين وهو آمن بأمان الله عز وجل وأمان أمير المؤمنين وأمانى ، وهو شاعر مضر ، وقد قال فينا قولا لم يقل مثله ، قال : قد أمنته وأجزت أمانك له ، فاجلس له مجلسا ينشدك فيه ما قال فينا ، فقعد مجلسا وعنده الأبرش الكلبى ، فتكلم بخطبة ارتجلها ما سمع بمثلها قط ، وامتدحه بقصيدته الرائية ، ويقال : إنه قالها ارتجالا ، وهى قوله [من مجزوء الكامل] :

* قِفْ بالديارِ وُقوفَ زائِرْ *

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله :

ماذا عليكَ منَ الوُقو ... فِ بِها وأنكَ غيرُ صاغِرْ

دَرجَتْ عليكَ الغادِيا ... تُ الرائحاتُ منَ الأعاصِرْ

وفيها يقول :

فالآنَ صِرْتَ إلى أُمَيَّةَ والأمورُ إلى المصائرْ

فجعل هشام يقرمسلة بقضيب في يده ، فيقول له : اسمع ، ثم استأذنه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

في مرثية ابنه معاوية ، فأذن له ، فأنشده قوله [من الطويل] :

سأبكيكَ للدنيـا وللدِّين، إنني رأيْتُ يَدَ المعْرُوفِ بعدكَ شُلَّتِ

أدامَتْ عليكم بالسَّلَام تحيـةً ملائكةُ الله الكرام وصَلَّتِ

فبكى هشام بكاء شديداً ، فوثب الحاجب فسكته ، ثم جاء الكميت إلى منزله آمناً ، فحشدت له المضرية بالهدايا ، وأمر له مَسْلمة بعشرين ألف درهم ، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم ، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنه لا سلطان له عليهم ، قال : وجمعت له بنو أمية فيما بينها مالا كثيراً .

وفي رواية أنه لما أجاره مسلمة بن هشام و بلغ هشاماً دعا به وقال له : أتجير على أمير المؤمنين بغير أمره ؟ فقال : كلا ، ولـكني انتظرت سكون غضبه، قال: أحْضِرْنيهِ الساعةَ فانه لاجوار لك ، فقال مسلمة للـكميت: يا أبا المستهل إن أمير المؤمنين أمرني باحضارك ، قال : أتسلمني يا أبا شاكر ؟ قال: كلا ، ولـكني أحتال لك ، ثم قال له : إن معاوية بن هشام قد مات قريباً ، وقد جزع عليه جزعا شديداً فاذا كان من الليل فاضرب رِوَاقَكَ على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق ، فاذا دعا بك تقدمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون : هذا مستجير بقبر أبينا ، ونحن أحق باجارته ، قال : فأصبح هشام على عادته متطلعاً من قصره إلى القبر فقال : ما هذا ؟ فقالوا : لعله مستجير بالقبر ، فقال : يجار من كان إلا الـكميت فانه لا جوار له ، فقيل : فانه الـكميت ، فقال : يحضر أعنف إحضار ، فلما دعا به رَبَطَ الصبيان ثيابهم بثيابه ، فلما نظر هشام إليهم اغرورقت عيناه واستعبر واهم يقولون : يا أمير المؤمنين ، استجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظه من الدنيا فاجعله هبة لنا ولا تفضحنا في من استجار به ، فبكى هشام حتى انتحب ، ثم أقبل على الـكميت فقال له : يا كميت ، أنت القائل :

وإلا فقولوا عَيْرِها تتعرفوا نواصِيَهَا تردي بناوهي شُزَّبُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال : لا والله ، ولا أتان من أتن الحجاز وحشية ، ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أما بعد فانى كنت أتدهدى فى غمرة جهالة ، وأعوم فى بحر غواية ، أخبى على خطلها ، واستنفرنى وهلها ، فتحيرت فى الضلالة ، وتسكعت فى الجهالة ، مهرعا عن الحق ، جائراً عن القصد ، أقول الباطل ضلالا ، وأفوه بالبهتان وبالا ، وهذا مقام العائذ المبصر الهدى ، ورافض العمى ، فاغسل يا أمير المؤمنين الحوبة بالتوبة ، واصفح عن الزلة ، واعف عن الجرم ، ثم قال [من مجزوء الكامل] :

كم قال قائلكم لعاً لك عندَ عَثْرَتِهِ لعاثِرْ
وغَفَرْتُمُ لذوى الذنو ب منَ الأكابرِ والأصاغِرْ
أبنى أُميَّةَ إنكم أهْلُ الوسائل والأواصرْ
ثِقَتى لكلِّ مُلِمّةٍ وعشيرَتى دونَ العَشائرْ
أنتم مَعَادِنُ للخلا فَةِ كابراً من بَعْدِ كابرْ
بالتسعةِ المتتابعينَ خلائفاً وبخيرِ عاشِرْ
وإلى القيامة لا تزا لُ لشافع منكم وواتِرْ

وقطع الانشاد ، وعاد إلى خطبته فقال : إغضاء أمير المؤمنين وصباحته ، وسماحته ومناط المنتجعين [بحبله] ، من لا يحل حبوته لاساءة المذنبين ، فضلا عن استشاطة غضبه لجهل الجاهلين ، فقال له : ويلك يا كميت مَنْ زين لك الغواية ودلاك فى العماية ؟ قال : الذى أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد فلم يجد له عزما ، فقال له : إيه يا كميت ألست القائل [من الطويل] :

فياموقداً ناراً لغيرك ضوءها ويا حاطبا فى غير حبلك تحطب

فقال : بل أنا القائل [من المتقارب] :

إلى آل بَيْتِ أبى مالكٍ مناخ هُوَ الأرْحَبُ الأسْهَلُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

نمتُ بأرحامِنا الداخلا ت من حَيْثُ لا ينكرُ المدخلُ
بِمُرَّةَ والنضرِ والمالكيـ ـن رهطٌ هم الأنبلُ الأنبلُ[1]
وجَدْنا قُرَيشاً قريشَ البِطَاح على ما بنى الأوَّلُ الأوَّلُ
بهم صَلَحَ الناسُ بعدَ الفسادِ وحيصَ من الفَتْقِ ما رعبَلوا[2]

قال له : وأنت القائل [من الخفيف] :

لا كعَبْدِ المليك أو كَوَليدٍ أو سُلَيمان بعده أو هِشَامِ[3]
من يمت لايمت فقيداً ومن يحـيا فلا ذو إلٍّ ولا ذو ذمام[4]

ويلك يا كميت ! جعلتنا ممن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة، فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين [من مجزوء الكامل] :

فالآنَ صِرْتُ إلى أُمَيَّـ ـةَ والأمورُ إلى المصائرْ[5]
والآنَ صِرْتُ بها المصيـ ـبَ كمهتدٍ بالأمس حائرْ
يا ابن العقائل للعقا ئل والجحاجحةِ الأخايرْ

---

(١) في الأغاني (١٥ – ١١٨) « بمرة والنضر والمسالكين » وفيه بعد هذا البيت بيت زائد عما هنا ، وهو قوله :

وباري خزيمة بدر السما ء والشمس مفتاح ما نأمل

(٢) في الأصل «وغيض من الفتق» مصحفا عما أثبتناه عن الأغاني، وتقول: حاص فلان الفتق ، تريد خاطه ، وهو بمعنى أصلح الفاسد ، و « رعبلوا » من قولهم : رعبل اللحم ، إذا قطعه ، ورعبل الثوب رعبلة ، إذا مزقه تمزيقا .

(٣) في الأغاني « أو سليمان بعد أو كهشام » .

(٤) الإل – بكسر الهمزة وتشديد اللام – العهد .

(٥) وقع في الأصول « المصائر » بالهمز وهو خطأ عربية ، لأن ياء « المصير » الذي هو مفرد أصلية ، وما أثبتناه موافق لما في الأغاني .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من عَبْدِ شمسٍ والأكا برِ من أُمَيَّةَ فالأكابرْ
إن الخلافةَ والالا فبرغمِ ذي حَسَدٍ وواغرْ
دَنَفًا من الشَّرَفِ التلي ـدِ إليكَ بالرِّفْدِ الموافرْ
فَحَلَلْتَ مُنْتَجِعَ البطا حِ وحل غيرُكَ بالظواهرْ

قال : إيه ، فأنت القائل [من الوافر] :

فقل لبنى أمية حيثُ كانوا وإن خِفْتَ المهند والقطيعا
أجاعَ اللهُ من أشبعتموهُ وأشبعَ من بجوركم أجيعا
بمرضيِّ السياسة هاشمى يكون حيًا لأمته ربيعا

فقال : لاتثريب ياأمير المؤمنين ، إن رأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب ، قال : بماذا ؟ قال : بقولى الصادق [من الخفيف] :

أورثتهُ الحصانُ أم هِشَام حَسَبًا ثاقبًا ووَجْهًا نضيراً
وتعاطى به ابنُ عائشةالبد رَ فأمْسَى لهُ رَقيباً نظيرَا
وكساهُ أبو الخلائفِ مروا نُ سَنَاء المكارم المأثورا(١)
لم تَجُمْهم له البطاحُ ولكنْ وَجَدَتْهُا لهُ معانا ودُورا

وكان هشام متكئًا ، فاستوى جالساً وقال : هكذا الشعر فليكن ، يقولها لسالم ابن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم ، وكان إلى جانبه ، ثم قال : رضيت عنك ياكميت ، فقبّل يده وقال: ياأمير المؤمنين إن رأيت أن تزيد فى تشريفى فلا تجعل لخالد علىَّ إمارة ، قال : قد فعلت ، وكتب بذلك ، وأمر له بأربعين ألف درهم

---

(١) فى الأصول « أبو الخلائق مروان » محرفا عما أثبتناه ، والخلائف : جمع خليفة ، وفى الأغانى مثل ما أثبتناه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وثلاثين ثوبا شامية ، وكتب إلى خالد أن يُخلى سبيل امرأته و يعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوبا ، ففعل

وللكميت مع خالد هذا أخبار عند قدومه الكوفة بالعهد الذى كتب له : منها أنه مر يوماً وقد تحدث الناس بعزله عن العراق ، فلما جاز تمثل الكميت وقال [من الطويل] :

أرَاها و إن كانَتْ تُحَبُّ كأنها سَحَابةُ صيفٍ عَنْ قليلٍ تقشَّعُ

فسمعه خالد ، فرجع وقال : أما والله لاتنقشع حتى يغشاك منها شؤبوب برد ، ثم أمر به فجرد وضرب مائة سوط ، ثم خلى عنه ومضى ، رواه ابن حبيب

وحدث السلامى قال : كان هشام بن عبدالملك مشغوفا بجارية له يقال لها صدوف مدنية اشتريت له بمال جزيل ، فعتب عليها ذات يوم فى شىء وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام ، فدخل عليه الكميت وهو مغموم بذلك ، فقال : مالى أراك مغموما يا أمير المؤمنين ؟ لا أغمك الله ! فأخبره هشام بالقصة ، فأطرق الكميت ساعة ثم أنشأ يقول [من الكامل] :

أعَتَبتَ أم عَتَبتْ عَليكَ صدُوفُ وعِتابُ مِثلكَ مِثلَهَا تَشْرِيفُ

لاتَقْعُدَنّ تلومُ نَفسك دائِباً فِيها وأنتَ بِحُبِّهَا مَشْغُوفُ

إنّ الصَّرِيمة لا يقومُ بِمثلها إلا القَوِىُّ بِهَا وأنت ضعيفُ[1]

فقال هشام : صدقت والله ، وقام من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته وانصرف الكميت ، فبعث إليه هشام بألف دينار ، و بعثت إليه بمثلها

وحدث حبيش بن الكميت قال : وَفَدَ الكميتُ على يزيد بن عبد الملك ،

---

(١) فى الأغانى (١٥ - ١٢٢) « لا يقوم بثقلها » وهو أحسن مما هنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فدخل عليه يوما وقد اشتريت له سَلَّامة القَسِّ[١] فأدخلت إليه والكميت حاضر فقال له . يا أبا المستهل ، هذه جارية تُباع ، أفترى أن نبتاعها ؟ فقال : إى والله يا أمير المؤمنين ، وما أرى أن لها مثيلا فى الدنيا فلا تفوتنك ، قال : فصفها لى فى شعر حتى أقبل رأيك ، فقال الكميت [من الخفيف] :

هى شمسُ النهار فى الحُسْن إلا ... أنها فضَّلت بفَتْكِ الطِّرَافِ[٢]

غَضَّة بَضَّة رَخيمٌ لَعُوبٌ ... وعثةُ المَتْن شختةُ الأطرَافِ[٣]

زانَها دلُّهـا وثغرٌ نقىٌّ ... وحَدِيثٌ مُرَتّل غيرُ جافِ

خُلقتْ فَوْقَ مُنيةِ المتمنِّى ... فاقبل النصحَ يا ابن عبدِ مناف

قال : فضحك يزيد ، وقال : قد قبلنا نُصحك يا أبا المستهل ، فأمر له بجائزة سنية .

وحدث ابن قتيبة قال : مر الفرزدق بالكميت وهو ينشد ، والكميت يومئذ صبى ، فقال له الفرزدق : ياغلام ، أيسرك أنى أبوك ؟ فقال : لا ، ولكن يسرنى أن تكون أُمى ، فخجل الفرزدق وأقبل على جلسائه فقال : مامر بى مثلها قط

وقال محمد بن مسلمة : كان مبلغ شعر الكميت حين مات خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً ، وكانت ولادته أيام مقتل الحسين بن على رضى الله تعالى عنه وذلك سنة ستين ، ووفاته سنة ست وعشرين ومائة فى خلافة مروان بن محمد

وكان سبب موته ماحكاه حجر بن عبدالجبار قال : خرجت الجعفرية على

---

(١) فى الأصل « سلامة النفس » محرفا ، وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ – ١٢٢)

(٢) فى الأغانى « فضلت بقتل الظراف »

(٣) فى الأصل « ثخنة الأطراف » محرفا عما اثبتناه موافقا لما فى الأغانى (١٥ – ١٢٢)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

خالد القسرى وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم ، فخرجوا فى الثياب ينادون: لبيك جعفر ، لبيك جعفر ، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم مايقول فزعاً ، فقال : أطعمونى ماء ، ثم خرج الناس إليهم ، فأخذوا ، فجعل يجيء بهم إلى المسجد و يؤخذ طن قصب فيطلى بالنفط ويقال للرجل منهم : احتضنه ويضرب حتى يفعل ، ثم يحرق ، فحرقهم جميعاً ، فلما عزل خالد عن العراق وولیه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن على رضى الله عنهما فأنشده قوله فيه [من الطويل] :

خَرَجْتَ لهم تمشي البَرَاحَ ولم تكن ... كمَنْ حصنُهُ فيهِ الرِّتاجُ المُضببُ

وما خالدٌ يستَطْعِمُ الماءَ فاغراً ... بعِدْلِكَ والداعى إلى المَوْتِ ينعب

قال : والجند قيام على رأس يوسف بن عمر ، وهم يمانية [1] فتعصبوا لخالد ، فوضعوا ذُبَاب سيوفهم [2] فى بطن الكميت فوجؤوه بها وقالوا : أتنشد الأمير ولم تستأمره ، فلم يزل ينزف الدم حتى مات

وحدث المستهل بن الكميت قال : حضرت أبى عند الموت وهو يجود بنفسه وأغمى عليه ، ثم أفاق ففتح عينيه ثم قال : اللهم آل محمد ، اللهم آل محمد ، ثلاثا ، ثم قال : يابنى ، وددت أنى لم أكن هجوت نساء كلب بهذا البيت وهو [من الوافر] :

مَعَ العُضْروطِ والعُسفاء ألقَوْا ... برادعَهُنَّ غيرَ مُحَصتينا

فعممتهن قذفا بالفجور ، والله ما خرجت ليلا قط إلا خشيت أن أرمى بنجوم السماء لذلك ، ثم قال : يابنى ، إنه بلغنى فى الروايات أنه يحفر بظهر الكوفة خندق ويخرج فيه الموتى من قبورهم و ينبشون منها فيحولون إلى قبور غير قبورهم ، فلا تدفنى فى الظهر ولكن إذا مت فامض بى إلى موضع يقال له مكران فادفنى فيه ، فدفن فى

---

(١) فى الأصول « وهم ثمانية » محرفا عما أثبتناه ، والذى أثبتناه موافق لما فى الأغانى (١٥ - ١٢١)

(٢) فى الأصول « نعال سيوفهم » وأثبتنا ما فى الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ذلك الموضع ، وكان أول من دفن فيه ، وهو مقبرة بنى أسد إلى الساعة ، والله تعالى أعلم

***

شاهد تأكيد المدح بما يشبه الذم

١٤٩ـ ولا عَيْبَ فِيهِمْ غيْرَ أنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ

البيت للنابغة الذبياني، من[1] قصيدة من الطويل ، يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر حين هرب من النعمان بن المنذر اللخمي من الحيرة، وأولها :

كِلِينِي لِهَمٍّ يا أُمَيمَةُ ناصِبِ ... وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ

تَطَاوَلَ حتى قُلتُ لَيْسَ بِمنقَضٍ ... وَلَيْسَ الذِي يَرْعَى النُّجُومَ بِآيِبِ

وصَدْرٍ أَنَاخَ اللَّيلُ غاربَ هَمِّهِ ... تَضَاعَفَ فِيهِ الهَمُّ من كلِّ جانبِ[2]

عَلَيَّ لِعَمْرٍو نِعمَةٌ بَعدَ نِعمَةٍ ... لِوَالِدِهِ لَيْسَتْ بِذَاتِ عَقَارِبِ[3]

حَلَفْتُ يَمِيناً غيرَ ذِي مَثْنَوِيَّةٍ ... وَلا عِلمَ إلا حُسْنُ ظنّ بصاحب

لَئِن كانَ لِلْقبرين قبر بِجِلِّقٍ ... وقبر بِصَيْدَاءَ الذِي عِنْدَ حَارِبِ

وللحارثِ الجفنى سَيِّدِ قَوْمِهِ ... لَيَلْتَمِسَنْ بِالجَيْشِ دارَ المُحَارِبِ[4]

ومنها :

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٢) وفى شعر النصرانية (١٤٤)

(٢) فى الديوان وشعراء النصرانية

وصدر أراح الليل عازب همه

وهو المحفوظ .

(٣) فى الأصل « كوالده » محرفا عما أثبتناه عن مراجع عديدة

(٤) فى الأصل « وللحارث الجفنى تشييد قومه » وهو تحريف شنيع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فَهُمْ يتساقَوْنَ المنيّه بينَهُم بأيديهمُ بيضٌ رقاقُ المَضارب
يَطيرُ فُضاضا بينَها كلُّ قَوْنس ويتْبعُهامنهُمْ فَرَاشُ الحواجب

وبعده البيت ، وبعده :

تُورِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ إلى اليومقدْجربن كل التجاربِ

إلى أن قال فيها :

لهُمْ شيمةٌ لم يعطها الله غيرَهُمْ منَ الجود والأحلامُ غيرُعوازبِ(١)
مَحَلَّتُهُمْ ذاتُ الإله ودينهمْ قويمٌفما يرجون غيرَ العواقبِ(٢)
رِقاقُ النعال طيبٌ حجزَاتهمْ يحيونَ بالريحان يومَ السباسبِ

والفلول : جمع فل ، وهو الثلم ، وقراع الكتائب : مضاربة الجيوش .

والشاهد فيه : تأكيد المدح بما يشبه الذم ، كأنه قال : ولا عيب فى هؤلاء القوم أصلا إلا هذا العيب ، وهو فلول أسيافهم من المقارعة والمضاربة ، وهذا ليس بعيب ، بل هو نهاية المدح ، فهو تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لأن قوله : « غيرَ أنّ سيوفهم » يوهم أن ما يأتى بعده ذمّ ، فاذا كان مدحاً فقد تأكد المدح .

ويروى أن عُرْوَةَ بن الزبير رَضى الله عنه سأل عبد الملك بن مروان أن يردّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزبير ، رضى الله عنهما ! فأخرجه إليه فى سيوف مُنتَضَاة ، فأخذهُ عُرْوَة رضى الله عنه من بينها . فقال له عبد الملك : بم عرفته؟ فقال : بقول النابغة ، وأنشده البيت .

ومن مليح هذا النوع قول أبى هفان [من الطويل] :

---

(١) فى الأصل « لهم سمة » محرفا عما أثبتناه عن عدة مراجع منها الديوان وشعراء النصرانية

(٢) فى الأصل « فما يرضون غير العواقب » محرفا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مثل من تأكيد المدح بما يشبه الذم

ولا عَيبَ فينا غيرَ أنّ سَماحَنا ... أضرّبنا والبأسُ منْ كلِ جانبِ
فأفنىَ الرّدَى أرْوَاحنا غيرَ ظالمٍ ... وأفنىَ الندَى أموَالنا غيرَ عَائبِ

وقول الآخر [من الطويل] :

ولاعيبَ فيهِ غيرما خوف قومهِ ... على نفسهِ أن لا يطول بقاؤها

وقول الشاعر [من الطويل] :

ولا عيبَ فِيكم غيرَ أن ضيوفكمْ ... تعابُ بنسيانِ الأحبة والوطنْ

ومثله قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنى قصدتهُ ... فأنستنىَ الأيامُ أهلا وموطنَا

وقول الصفى الحلى [من البسيط] :

لا عيْبَ فيهمْ سِوَى أنّ النزيل بهمْ
يسلو عَنِ الأهلِ والأوْطانِ وَالحشَمِ

وَلمؤلفه رَحمهُ الله تعالى ، فيمنْ ألفَ الكتابَ باسمهِ الكريم ، [من الكامل]:

لاعَيبَ فيهِ سوَى مكارمهِ التى ... نَسَبَتْ لحاتم بخلَ كلّ بخيلِ

وقوله أيضا فى غيره [من الكامل] :

لاعَيْبَ فيه غيرَ أنّ يمينهُ ... تدعُ العديمَ مهنئاً بيسَارهِ

وما أحسن قول بعضهم أيضا [من الطويل] :

ولا عيبَ فى معروفهم غيرَ أنهُ ... يُبَيّنُ عجزَ الشاكرين عن الشكرِ

وقول ابن الرومى أيضا [من السريع] :

ليس به عيبٌ سوى أنهُ ... لا تقعُ العينُ علي شبههِ

وما أحسن قول ابن الحجاج [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أتوني فقالوا مَنْ أحبُّ جهالةً وذاكَ على سمع المحبِّ خفيفُ
فما فيه عيبٌ غيرَ أنَّ جفونهُ مِراضٌ وأنَّ الخصْرَ منه ضعيفُ

وقول أبي جعفر القرشي [من الطويل] :

فتىً لم تسافرْ عنهُ آمالُ آملٍ وليسَ لها إلا إليه إيابُ
ولا عيبَ فيه لامرىء غيرأنهُ تعابُ لهُ الدنيا وليسَ يعابُ

وما أبدعَ قولَ ابن نباتة ، يمدح الملك الأفضل ، صاحبَ حماة ، من قصيدة [من الكامل] :

لا عيبَ فيه سوى عزائم قصَّرتْ عنها الكواكبُ وهيَ بعدُ تحلِّقُ

وقوله [من الخفيف] :

ليسَ فيه عيبٌ سوى أنَّ إحسا نَ يديه يستعبدُ الأحرارا

وقوله [من البسيط] :

لا عيبَ فيه أدامَ اللهُ دولتهُ إلا عزائمَ مجدٍ عندهُنَّ شرَهْ

وقوله [من الطويل] :

ولا عيبَ فيها غيرَ سحرِ جفونها وأحببْ بها سحَّارةً حين تسحرُ

وقوله [من الكامل] :

وتتابعِ المثنى التي ما عيبها إلا رُجوعُ الوصفِ عنها قاصرا

وبديع قول الآخر أيضا [من الخفيف] :

عيبُ تلكَ الخلالِ أنْ لم يعوِّذْ نَ بعيبٍ يكونُ فيهنَّ خالا

وظريفٌ قولُ بعضهم [من الطويل] :

ولا عيبَ في هذا الرشا غيرَ أنهُ لهُ معطفٌ لدْنٌ وخدٌّ مُكمَّمُ

وما أحسنَ قولَ بعضهم ، وهو من باب تأكيد الذم بما يشبه المدح ، عكس هذا الباب [من البسيط] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بيضُ المطابخ لاتشكو ولائدهم طَبخَ القُدُور ولا غَسلَ المناديلِ
لا تأكُلُ النار فى مغنى بُيُوتهمُ إلا فتائلَ سُرج أو قناديل

وتقدم ذكر النابغة فى شواهد الايجاز والاطناب (١)

* * *

١٥٠ — هُوَ البَدْرُ إلا أنّهُ البَحْرُ زَاخِراً سِوَى أنه الضرْغام لكنّهُ الوَبْلُ

تأكيد المدح بالاستدراك

البيت لبديع الزمان الهمذانى ، من قصيدة من الطويل يمدح بها خلف بن أحمد السجستانى أولها :

سماء الدُّجى ماهذه الحدقُ النُّجل أصَدْرالدُّجى حال وجيدُالضحى عطلُ

وفيها يذكر أباه بهمذان واستقباله الحجيج للسؤال عن خبره ، والبحث عن وطنه ووطره ، حيث قال :

يُذكّرنى قُرْب العراق وديعة لدَى الله لا يُسليه مالٌ ولا أهلُ
إذا وَرَد الحجاجُ وَافى رفاقَهُمْ بِفوّارتى دَمعٍ هُما النجل وَالسَّجْلُ
يُسائلُهُمْ أينَ ابنهُ أينَ دَارُهُ إلى م انتهَى لم لَمْ يعُدْ هل له شُغل
أضاقَتْ له حالٌ أطالت له يَدٌ أأخّرَهُ نقصٌ أقدَّمهُ فضلُ
يقولون وافى حضْرَةَ الملك الذى له الكَنَفُ المأمولُ والنائل الجزل
وفاضت عليهِ ديمةٌ خَلَفيَّةٌ بها للغوادى عن ولايتها عزْلُ
يذكّرُهُمْ بالله إلا صَدَّقْتُمُو لدىَّ أجِدٌّ ما تقولون أم هَزْلُ
سَلُونا للقيـاكَ الملوكَ وإنما بمثلك عن أمْثالهم مثلنا يَسْلو (٢)

(١) انظر ترجمته فى شرح الشاهد (رقم ٦٦ فى ج ١ ص ٣٥٨ من هذا الكتاب)
(٢) فى الأصل « صبونا للقياك الملوك »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولما بَلَوْناكم تَلَوْنا مديحكم فياطيبَ ما تبلو وياصِدْقَ مانتلو
فِدًى لك من أبناء دهرك مَنْ غدا فلا قَوْلُهُ علمٌ ولا فعلهُ عدلُ
أيا ملكا أدنى مناقبهِ العلا وأيْسَرُ ما فيه السَّماحَةُ والبذل

و بعده البيت ، و بعده :

محاسنُ يُبْديها العيانُ كما تَرَى و إن نحن حدثنا بها دفع العقل

وهى طويلة ، وقد مضى طرف منها فى مراعاة النظير .

والضرغام : الأسد ، والوبل : المطر الشديد الضخم القطر ، ومثله الوابل .

والشاهد فيه : أن الاستدراك الدال عليه لفظ لكن فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كالاستثناء فى إفادة المراد ، فالأولان استثنا آن ، وقوله « لكنه » استدراك يفيد ما يفيده هذا الضرب من الاستثناء لأنه استثناء منقطع ، و« إلا » فيه بمعنى لكن ، ومثله قول ابن قلاقس [من الطويل]:

هو الثغر إلا أنهُ الفجر طالعاً على أنه الكافورُ لكنه البَدْرُ

وقول بعضهم أيضا [من البسيط] :

يسعى به البرْقُ إلا أنه فَرَسٌ من فَوْقِهِ الموْت إلا أنه رجلُ

وقول السرى الرفاء أيضاً [من البسيط] :

أما ترى الثّلْجَ قدخاطت أنامِلُهُ ثوباً يُزَرُّ على الدنيا بأزرار
نارٌ ولكنها ليست بمُبْدِيةٍ نوراً وماء ولكن ليسَ بالجارى

وقول التنوخى [من الكامل] :

غصْنٌ تأودَ فوقَ دِعْصٍ من نقاً ليل تبلّجَ عن صَباح مُسْفِرِ
كالشمس إلا أنه متنفس عن مسكة متبسمٌ عن جَوْهَرِ

وقوله أيضا [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وجوهٌ كأكباد المحبينَ رقةً ولكنها يومَ الهياجِ صُخُورُ

وقوله وأجاد [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقةٌ بَدَتْ لك فى قَدَحٍ من نُضَارِ
هَوَاءٌ ولكنهُ ساكنٌ وماءٌ ولكنه غيرُ جارى

وما أحسن ما قال بعدهما، وهو من بديع التشبيه

كأن المدبرَ لها باليمين إذا قام للسعى أو باليسارِ
تَدَرَّعَ ثوباً من الياسمين له فردُ كم من الجلنَارِ

وهذا المعنى من قول بعضهم [من الطويل] :

و بكرٍ شَربناها على الوَردبكْرَةً فكانت لنا وردًا إلى ضَحْوَةَ الغد
إذا قامَ مُبْيَضُّ الثياب يديرُها توَهَّمْتُهُ يسعَى بكم موَرَّدِ

ولأبى القاسم الطبرى [من الطويل]

قَضيبٌ ولكن مَبسمُ النور ثَغْرُها وبدرٌ ولكنَّ المحاقَ بخَصْرها

ولابن جابر الأندلسي أيضا [من الطويل] :

ولم ترَ عيني مثل جَنَّةِ خَدِّها ولكن حماها اللحظ بالصارم العَضْب
موَردةُ الخدين مَعْسُولة اللَّمَى سوَى أنها تفترُّ عن لؤلؤٍ رَطْب

وما أحسن قول بعضهم فى شكوى الزمان [من الطويل] :

و لى فَرَسٌ من نَسْل أعْوَجَ سابقٌ ولكن على قَدْرِ الشعير يحمحمُ
وأقسم ما قَصَّرت فيما يزيدنى علوا ولكن عند من أتقدم

ترجمة بديع الزمان الهمذانى

و بديع الزمان[1] هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى ، قال فى

(١) للبديع ترجمة في يتيمة الدهر للثعالبي (٤ — ٢٤٠ مصر)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حقه صاحب اليتيمة : هو بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، ونادرة الفلك ، وبكر عطارد ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، ومَنْ لم يلف نظيره (٢) فى ذكاء القريحة ، وسرعة الخاطر ، وشرف الطبع ، وصفاء الذهن ، وقوة النفس ، ولم يدرك قرينه فى طُرَف النثر وملحه ، وغرر النظم ونكته ، ولم يرو أن أحدا بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب : فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط وهى أكثر من خمسين بيتاً فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لايخرم منها حرفاً ، وينظر فى الأربع أو الخمس الأوراق من كتاب لا يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه، ويسردها سرداً ، وهذه حاله فى الكتب الواردة وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة فى معنى بديع و باب غريب فيفرغ منها فى الوقت والساعة ، والجواب عنها فيها. وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطوره ، ثم هلم جراً إلى الأول ، ويخرجه كأحسن شىء وأملحه، ويوشح القصيدة من قوله (٣) بالرسالة الشريفة من إنشائه فيقرأ من النظم النثر ويروى من النثر النظم ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الأبيات الشريفة (٤) ، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النثر والنظم فيرتجله فى أسرع من الطرف، على ريق لا يبلعه ونَفَس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض القريحة، ومسارقة

---

(١) فى اليتيمة « ومن لم يلق » من اللقاء ، وهى أحسن لموافقتها قوله بعد « ولم يدرك قرينه »

(٢) فى اليتيمة « فى ظرف النثر » وما هنا أحسن لتوافقه مع « ملح » و « غرر » و « نكت »

(٣) فى الأصل «من قبله» وقد أثبتنا ما فى اليتيمة

(٤) فى اليتيمة « الرشيقة »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

القلم ، ومسابقة اليد ، وجمرات الحدة ، ونمرات المده ، ومجاراة الخاطر للناظر ، ومباراة الطبع للسمع ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع ، إلى عجائب كثيرة لا تحصى ، ولطائف يطول أن تستقصى ، وكان مع هذا كله مقبول الصورة ، خفيف الروح ، حسن العشرة ، ناصع الظرف ، عظيم الخلق ، شريف النفس ، كريم العهد ، خالص المودة ، حلو الصداقة ، مر العداوة

فارق همذان سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة ، غض الحداثة ، وقد درس على أبى الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده ، واستنفد علمه ، واستنزف بحره [١] ، وورد حضرة الصاحب فتزود من ثمارها ، وحسن آثارها ، ثم قدم جرجان وأقام بها مدة على مداخلة الاسماعيلية ، والتعيش فى أكنافهم ، والاقتباس من أنوارهم .

ثم إنه قصد نيسابور فنشر بها بزه ، وأظهر طرزه ، وأملى بها أربعمائة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الجد وغيره ، وضمنها ماتشتهى الأنفس ، وتلذ الأعين : من لفظ أنيق قريب المأخذ بعيد المرام ، وسجع رقيق المطلع والمقطع كسجع الحمام ، وجد يروق فيملك القلوب ، وهزل يشوق فيسحر العقول

فمن ذلك قوله : المقامة السادسة [٢] عن أبى الفتح الاسكندرى قال : حدثنا عيسى ابن هشام ، قال . اشتهيت [٣] الأزاد ، وأنا ببغداذ ، وليس معى عقد على نقد ، فخرجت أخترق محالها حتى أحلنى الكدح بسوادى [٤] يحدو بالجهد

(١) فى الأصل « واستنزف سحره » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة

(٢) اقرأها فى المقامات (٦٣ بيروت)

(٣) الأزاذ : ضرب من التمر الجيد

(٤) الكدح : السعى مع جهد ، وفى المقامات « الكرخ » محلة ببغداد والسوادى : الرجل من ريف العراق ، وريف العراق يسمى السواد

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حماره ، ويطرّف بالعقد إزاره ، فقلت : ظفرنا والله بصيد ، وحياك الله يا أبازيد! من أين أقبلت ؟ وأين نزلت ؟ ومتى وافيت ؟ فهلم إلى البيت . فقال : لست بأبي زيد ، وإنما أنا أبوعبيد . فقلت : لعن الله الشيطان، أنسانيك طول العهد . كيف أبوك أشابٌّ كهدى، أم شَابَ بعدى؟ فقال: قد نبت المرعى على دمنته(١). فقلت : إنا لله [ونفسى فى سبيل الله(٢)] ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومددت يد البدار(٣) إلى الصِّدار [أحرك زيقه(٢)] وأريد تمزيقه ، فقبض السوادى على خصرى بجُمعه ، وقال : نشدتك الله(٤) لامزقته ، فقلت : فهلم إلى البيت نصيب غداء(٥)، أو إلى السوق نَشترى شِواء، والسوق أقرب، وطعامه أطيب، فاستفزته حُمَة القرم(٦) وعطفته عطفة النهم(٧) وطمع ، ولم يدر أنه وقع . ثم أتينا شوّاء يتقاطر شواؤه عرقا ، وتتسايل جوانبه مرقا . فقلت له : زن لأبى زيد من هذا الشواء ، ثم زن له من تلك الحلواء . واخترله من تلك الأطباق ، وأنضد عليه ورقا من(٨) الرقاق ، وشيئاً من ماء السُّماق(٩) ليأكله أبو زيد هنيئاً . فانحنى الشواء

---

(١) كناية عن موته

(٢) ليست هذه الجملة فى المقامات

(٣) البدار ـ بكسر الباء ـ المبادرة والاسراع . والصدار ـ بزنة الكتاب ـ القميص الصغير يلى الجسد

(٤) فى الأصل « أنشدتك الله » وما أثبتناه موافق لما فى المقامات

(٥) فى المقامات « نصب غداء » بالجزم فى جواب الأمر

(٦) استفزته : استخفته ، وحمة الشىء ـ بضم الحاء وفتح الميم مخففة ـ شدته ، وأصل الحمة إبرة العقرب التى تلدغ بها . والقرم ـ بفتح القاف والراء ـ الشهوة إلى أكل اللحم خاصة

(٧) فى المقامات « وعطفته عاطفة اللقم » فأما النهم فهو شدة الشهوة إلى الطعام ، وأما اللقم فهو الأكل السريع

(٨) فى المقامات « وانضد عليها ورق الرقاق »

(٩) السُّماق: حب أحمر صغير بالغ الحموضة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بساطوره ، على زبدة تنُّوره ، فجعلها كالكحل سحقا ، وكالطِّحْن دقّا(١). ثم جلس وجلست ، وما نبس وما نبسْتُ، حتى استوفيناه . فقلت لصاحب الحلوى : زن لأبي زيد من هذا اللُّوزينج(٢) رطلين فهو أجرى في الحلوق ، وأسرى في العروق(٣) ولْيَكُنْ ليلي العُمر يومي النَّشْر(٤) رقيق الجلد كثيف الحشو، لؤلؤي الدهن ، كوكبي اللون ، يذوب كالصمغ ، قبل المضغ . فوزنه وقعد وقعدت ، وجرد وجردت(٥) ، حتى استوفيناه ، ثم قلت: ياأبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يشعشع بثلج ليقصع هذه الصارة ، ويفثأ هذه اللقم الحارة(٦) ، اجلس يا أبا زيد حتى آتيك بسقاء يحيينا بشربة ماء ، وخرجت وجلست بحيث أراه ولا يراني ، أنظر ما يصنع به ، فلما أبطأت عليه قام السوادىُّ إلى حماره ، فاعتلق الشواء بإزاره . وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ فقال : أكلته ضيفا ، فقال: هاك وهاك ، متى دعوناك ؟ زن ياأخا القحبة عشرين [وإلا أكلت ثلاثا وتسعين] فجعل السوادى يبكى [ويمسح دموعه بأردانه] ويحل عَقْدَه بأسنانه . ويقول : كم قلت لذلك القرَيْدُ ، أنا أبوعبيد وهو يقول أنت أبوزيد . وأنشأ يقول(٧)[من مجزوء الكامل] :

---

(١) الطحن ـ بكسر الطاء ـ الدقيق ، ووقع فى الأصل « والطين دقا » وهو تحريف ما أثبتناه من المقامات

(٢) اللوزينج : ضرب من الحلواء يصنع من خبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالجوز واللوز

(٣) فى المقامات « وأمضى فى العروق »

(٤) ليلى العمر : يعنى أنه صنع بالليل ، ويومى النشر : أى أخرج من مصنعه بالنهار

(٥) جرد : أخرج يده من بين ثيابه ، ووقع فى الأصل « جود » محرفا

(٦) الصارة : العطش ، ويقمعها : يدفعها ويقهرها. ويفثا : يسكن ويهدىء

(٧) فى المقامات مكان هذه العبارة « فأنشدت » وهى أحسن

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إعمل لِرِزْقِكَ كل آله ... لا تَقعدَنّ بذل حالهْ

وانْهَضْ لكلّ عظيمةٍ ... فالمَرْءُ يَعجز لامحالهْ

ثم شجر بينه و بين أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني ،وعلو أمره ، وقرب نجحه ، و بعد صيته ، إذ لم يكن في الحسبان والحساب أن أحداً من الأدباء والكتاب [والشعراء](١) ينبري لمباراته ، و يجترىء على مجاراته، فلما تصدى الهمذاني لمساجلته، وتعرض للتحكك به ، وجرت بينهما مكاتبات ومبادهات(٢) ومناظرات ومناضلات ، وأفضى العنان إلى العنان (٣) وقرع النبع بالنبع ، وغلب هذا قومٌ وذاك آخرون ، وجرى بينهما من الترجيح مايجرى بين الخصمين المتحاكمين والقرنين المتصاولين — طار ذكر الهمذاني في الآفاق ، وارتفع مقداره عند الملوك والرؤساء ، وظهرت أمارات الاقبال على أموره ، وأدَرّ الله تعالى له أخلاف الرزق ، وأركبه أكتاف العز ، وأجاب الخوارزمي رحمه الله تعالى داعي ربه عز وجل، فخلا الجو للهمذاني ، وتصرفت به أحوالٌ جميلة ، وأسفار كثيرة ، ولم يبق من بلاد خُرَاسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها وجنى ثمرها ، واستفاد خيرها وميرها ، ولا بقي ملك ولا أمير ، ولا رئيس ولا وزير ، إلا استمطر منه بنَوْء ، وسرى معه في ضوء ، ففاز برغائب النعم ، وحصل على غرائب القسم، وألقى عصاه بهراة ، واتخذها دار قراره ، ومجمع أسبابه ، ومازال يرتاد للوصلة بيتا يجمع الأصل والفصل، والطهارة والفضل ، والقديم والحديث ، حتى وُفق للتوفيق كله ، وخار الله عز وجل له في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد الخشنامي وهو الفاضل الكريم

---

(١) هذه الكلمة زائدة في اليتيمة .

(٢) في اليتيمة « ومباهاة » وما هنا أحسن ، والمبادهة : المغالبة ليعرف أيهما أسرع بديهة

(٣) في اليتيمة « وأفضى السنان إلى العنان » وما هنا أحسن

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

الأصيل الذى لايزداد اختباراً ، إلا زيد اختيارا ، فانتظمت أحوال أبى الفضل بصهره ، وتعرف القرة فى عينه والقوة فى ظهره ، واقتنى بمعونته ومشورته ضياعا فاخرة ، وأثل معيشة صالحة ومروءة ظاهرة ، وعاش عيشة راضية ، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة ناداه الله تعالى فلبَّاه ، وفارق دنياه ، فى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة فى حادى عشرة جمادى الأخيرة ، وقيل : مات مسموما ، وقيل : عرض له داء السكتة فعجل دفنه وإنه أفاق فى قبره وسمع صوته بالليل ، وإنه نُبش فوُجد وقد قبض على لحيته من هول القبر وقد مات فقامت [عليه][1] نوادبُ الأدب ، وانثلم حد القلم . وفقدت عين الفضل قرتها ، وجبهة الدهر غرتها ، ورثته الأفاضل مع الفضائل ، وبكته المكارم مع الأكارم ، على أنه مامات من لم يمت ذكره ، ولقد خلد من بقى على جبهة الأيام نظمُه ونثره . والله تعالى يتولاه بعفوه وغفرانه ، ويحييه بروحه وريحانه .

وأنا أذكر من طُرف ملحه ولقط غرره[2] ماهو غذاء القلب، ونسيم العيش، وقوت النفس، ومادة الأنس، فأقول :

فصل — من رقعة للخوارزمى وهو أول ما كاتبه به : أنا لقُرْب دار الأستاذ * كما طرب النشوان مالت به الخمر * ومن الارتياح للقائه * كما انتفض العصفور بَلَله القطر * ومن الامتزاج بولائه * كما التقت الصهباء والبارد العذب * ومن الابتهاج لمزاره * كما اهتز تحت البارح الغُصن الرطب *

فصل — ورد للخوارزمى كتاب يتقلبُ فيه على جنب الحرد[3] ويتقلى على

---

(١) هذه الكلمة زيادة عن اليتيمة

(٢) فى اليتيمة « ولفظ غرره »

(٣) الحرد : النصب ، وحرد يحرد حرودا ، مثل جلس يجلس جلوسا ، وفيه لغة كضرب وأخرى كسمع .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

جمر الضجر ، و يتأوه من خُمار الخجل ، و يذكر أن الخاصة قد علمت الفَلج(١) لأينا كان ، فقلت : استُ البائن أعلم ، والأخبار المتظاهرة أعدل ، والآثار الظاهرة أصدق ، وحَلبة السَّباق أشهد ، والعودُ إن نشط أحمد ، ومتى استزاد زدنا ، و إن عادت العقرب عُدْنا (٢) وله عندى إذا شاء كلُّ ما ساء ، ولن يعدم إذا أراد نقدا يُطير فراخه ، ونقفاً يُصم صماخه ، وما كنت أظنه يرتق بنفسه إلى طلب مُساماتى بعدماسقيته نقيع الحنظل ، وأطعمته الخراء بالخَرْدل ، فان كان الشقاء قد استهواه ، والحين (٣) قد استغواه ، فالنفس منتظرة ، والعين ناظرة ، والنعل حاضرة ، وهو منِّى على ميعاد ، وأناله بمرصاد .

فصل — حَضْرَتُه التى هى كعبة المحتاج ، لا كعبة الحجاج ، ومشعر الكرم ، لامشعر الحرم ، ومُنَى الضيف ، لامِنَى الخيف ، و قِبلة الصِّلات ، لا قبلة الصلاة

فصل — من كتاب (٤) إلى أبيه : للشيخ لذة فى العتب والسب ، وطبيعة فى العنف (٥) والأسف ، فاذا أعوزه من يغضب عليه ، فأنا بين يديه ، و إذا لم

---

(١) الفلج — بفتح فسكون — الظفر والفوز والغلبة

(٢) هذا من قول الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لهـا
بالنعل ، والنعل لها حاضره

(٣) الحين — بفتح الحاء المهملة — الهلاك ، ووقع فى الأصل « الجبن » بالجيم والباء ، وهو محرف عما أثبتناه .

(٤) هكذا فى الأصل تبعا لما وقع فى اليتيمة ، والذى فى رسائل البديع أن هذه الرسالة موجهة إلى الشيخ أبى عبدالله الحسين بن يحيى ، وهو المعقول ، فان مستهل هذه الرسالة لا يوجه إلى والد ، ولم يعرف البديع بالعقوق . وختام الرسالة على تشبيه المرسل إليه بالوالد ، وليس على حقيقته

(٥) وقع فى الأصل « وطيبة فى العنف والعسف » محرفا عما أثبتناه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يجد من يصونه ، فأنا زبونه ، والولد عبد ليس له قيمة ، والظفر به عزيمة ، والوالد مولى أحسن أم أساء ، فليفعل ماشاء .

فصل — من رقعة إلى خلف : سمعت منشداً ينشد (١) :

لحَى الله صُعلوكاً مناه وهمه من العيش أنْ يلقى لبوساً ومَطعمَا

فقلت : أنا معنىّ بهذا البيت ، لأنى قاعد فى البيت ، آكل طيب الطعام ، وألبس لين الثياب ، ويفاض علىّ نزل (٢) ، ولا يفوض إلى شغل ، ويملأ لى وَطْب ، ولا يدفع بى خطب ، هذا والله عيش العجائز ، والزمن العاجز ، وماء الرأس — أيدك الله ! — كثير الخيوط ، والضيف كثير التخليط ، وصبُّ هذا الماء خيرٌ من شربه ، وبعد هذا الضيف أولى من قربه ، وكأنى بالأمير يقول ، إذا قرئت عليه هذه الفصول : الهمذانى رأى بهذه الحضرة من الإنعام ، ما لم يره فى المنام ، فكفّ عن الآثام (٣) ، ولعله أنشأ هذا الكتاب سكران ، فعدل به عادل السكر ، عن طريق الشكر ، وكأنه نسى مورده ، الذى أشبه مولده ، وإنما رفع لحنه ، حين أشبع بطنه ، واللئيم إذا جاع ابتغى ، وإذا شبع طغى ، والهمذانى لو تُرِكَ بجلدته ، يرقص تحت رعدته ، ما تربع فى قعدته ، ولا تجشأ من معدته ، ولكنه حين لبس الحلة ، وركب البغلة ، وملك الخيل والخول (٤) تمنى الدول . ورأس اليتيم يحتمل الوهن ، ولا يحتمل الدهن . وظهر الشقى يحتمل (٥) عدلين من الفحم ، ولا يحتمل رطلين من الشحم ، ولولا الشعير ما نهق الحمير ،

---

(١) البيت من الطويل ، وهو لعروة بن الورد

(٢) النزل : كل ما يقدم للضيف من لطائف الاكرام

(٣) فى اليتيمة بدل هذه الجملة « فكيف من الأنام »

(٤) الخول — بفتحتين — الخدم

(٥) فى اليتيمة « يحمل » فى الموضعين

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولو لم تتسع حاله لم يتسع مجاله . وكذا الكلب يزمن حين يسمن (١) ، ولا يتبع حين يشبع ، وعند الجوع يهم بالرجوع .

رقعة له إلى مستميح عاوده مراراً وقال له : لم لا تديم الجود بالذهب ، كما تديمه بالأدب ؟.

عافاك الله ! مثل الانسان فى الاحسان كمثل الأشجار فى الاثمار ، سبيله إذا أتى بالحسنة أن يرقعه إلى سنه ، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدى ، وهما فؤادى ويدى . أما الفؤاد فيعلق بالوفود ، وأما اليد فتولع بالجود ، لكن هذا الخلق النفيس ، لا يساعده الكيس ، وهذا الطبع الكريم ، ليس يحتمله الغريم ، ولا قرابة بين الذهب والأدب فلم جمعت بينهما ؟ والأدب لا يمكن ثَرْده فى قصعة ، ولا صرفه فى ثمن سلعة . ولى مع الأدب نادرة ، جهدت فى هذه الأيام بالطباخ ، أن يطبخ من جيمية الشماخ (٢) لوناً فلم يفعل ، وبالقصاب أن يسمع أدب الكتاب (٣) فلم يقبل . وأنشدت فى الحمام ديوان أبى تمام فلم ينفذ ودفعت إلى الحجام مقطعات اللحام فلم يأخذ ، واحتيج فى البيت إلى شىء من الزيت ، فأنشدت من شعر الكميت ألفاً ومائتى بيت فلم يغن ، ولو وقعت أرجوزة العجاج فى توابل السكباج ما عدمتها عندى ، ولكن ليست تقع ؟ فما أصنع ؟ فان كنت تحسب اختلافك إلىّ إفضالا علىّ ، فراحتى ، أن لا تطرق ساحتى ، وفرجى ، أن لا تجىء ، والسلام .

فصل — إن هذا الدين لذو تبعات : الصوم والفطام شديد ، والحج والمرام بعيد ، والصلاة والمنام لذيذ ، والزكاة والمال عزيز ، وصدق الجهاد ، والرأس

---

(١) هذا مأخوذ من قولهم فى مثل « جوع كلبك يتبعك »

(٢) قصيدة على حرف الجيم للشماخ بن ضرار الغطفانى

(٣) كتاب لابن قتيبة يعده مشايخ ابن خلدون من أصول كتب الأدب وأمهاتها ، والكثير أن اسمه « أدب الكاتب »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لا ينبت بَعد الحصاد ، والصبر الحامض، والعفاف اليابس ، والجدّ الخشن، والصدق المرّ ، والحق الثقيل، والكظم وفى اللقمة العظم .

رقعة — ياشبر، ما هذا الكبر؟ ويا فتر ما هذا الستر؟ ويا قرد ماهذا البرد ، ويا يأجوج ، ما هذا الخروج [١] ويا فقاع بكم تباع؟ ويا فرانى ، متى ترانى ، ويالقمة الخجل، نحن ببابك ، ويا بيضة البقيلة من لنا بك ! ويا دبه ، ويا حبه ، ويا من فوق المكبه ، ويا من قرنه المذبه ، وَيا من خلفه المسبه، وَيادمل ما أوجعك ، وَيا قمل لنا حديث معك، إن رؤيت أوذيت ، السلام .

فصل — أعجوبه، ولكنها محبوبه [٣] حين تصلى على النبى تنشاط [٤] ، وتنزل عن قيراط ، يا هى صبراً ياخبيث ، إليك يساق الحديث ، إن عشنا وعشت رأيت الآتان تركب الطحان ، رُوح ولا جسد ، وصوت ولا أحد . والعود أحمق، ومتى فرزَنْتَ يا بيدق [٥] يا أسخف من ناقد على راقد . وَشرّ دهرك آخره . أيا عجبا أيلد الأغرّ البهيم ، وولد آزر إبراهيم :

يا أيها العامُ الذى قَدْ رَابنى أنتَ الفداء لذكر عام أوّلاً

وما أفدّى العام ، لكن الأنعام ، ولا أشكو الأيام [٦] ولكن اللئام ، عام أول عدنان . والعَام هذا العريان [٧] لنا فى كل أوان أمير يملأ بطنه والجار

---

(١) فى اليتيمة « ويايأجوج ، متى الخروج ؟ »
(٢) فى اليتيمة « ويا من قربه المذبة » وما هنا أحسن
(٣) فى اليتيمة « ولكنها محجوبة »
(٤) فى الأصل « تنساط » وما أثبتناه موافق لما فى اليتيمة
(٥) فى الأصل «فرزندت» محرفا ، والفرز والبيدق : قطعتان فى لعبة الشطرنج
(٦) فى اليتيمة والرسائل « ولا أشكو الأنام »
(٧) فى اليتيمة والرسائل « والعام هذا القرنان »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

جائع ، ويحفظ ماله والعرض ضائع .

تبـدَّلت الأشياءُ حتىَّ لخلتها
ستَبدى غروب الشمس من حيثُ تطلعُ

كانت السيادة فِي المطابخ ، فصارت فى المباطخ . أشهد لئن كثرت مزارعكم لقد قلت مشارعكم ، ولئن سمنت أقفيتكم ، لقد أمحلت أفنيتكم :

رَأيتـكمْ لايصونالعرضجارُكمُ ولا يَدِرُّ عَلىَ مرعاكم اللبنُ

فصْـلٌ — من كتاب إلى ابن فارس : نعم أيد الله تعالى الشيخ ، إنه الحمأ المسنون ، و إن ظنت الظنون ، والناس ينسبون لآدم ، و إن كان العهد قد تقادم ، وتركبت الأضداد [١] واختلط الميلاد . والشيخ يقول : قد فسد الزمان . أفلا يقول : متى كان صالحا ؟ أفى الدولة العباسية ؟ فقد رأينا آخرها وَسمعنا بأوّلها ! . أم فى المدة المرْوانية وفى أخبارها :

* لاَ تكْسعِ الشوْلَ بأغبَارِهَا *

أم السنين الحَرْبية [٢] :

والسيفُ يغمدُ فى الطُّلَى والرُّمحُ يركزُ فى الكلى
ومَبيتُ حَجرٍ فى الفلاَ والحرَّتانِ وَكَرْبَلاَ

أم البيعة الهاشمية [٣] [وعلى يقول : ليت] [٤] العشرة [منكم بإرأس

---

(١) فى الرسائل واليتيمة « وارتبكت الأضداد »

(٢) يريد بالسنين الحربية المدة التى تبدأ بحكم معاوية بن أبى سفيان لأن جده حرب بن أمية

(٣) يريد بالبيعة الهاشمية أيام ولاية على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه

(٤) الزيادة عن الرسائل ، ولا يتم الكلام إلا بها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من بنى فراس ، أم الأيام الأموية(١) والنفير إلى الحجاز ، والعيون إلى الأعجاز أم الإمارة العدوية (٢) ، وصاحبها يقول : وهل بعد البزول إلا النزول ؟ أم الخلافية التيمية(٣) ، وصاحبها يقول : طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام . أم على عهد الرسالة و يوم الفتح قيل: اسكتى يافلانة فقد ذهبت الائمانه ؟ أم فى الجاهلية ولبيد يقول [من الكامل] :

ذَهَبَ الذينَ يُعَاشُ فى أكنافهمْ وَبقيتُ فى خلف كجلد الأجرَبِ

أم قبل ذلك وأخو عاد يقول [من الطويل] :

بِلادٌ بها كنا وكنا نحبها إذِ الناسُ ناسٌ وَالزمان زمانُ

أم قبل ذلك و يروى عن آدم عليه السلام :

* تغيرت البلادُ ومن عليها *

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة (أتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدماء) ما فسد الناس ، إنما اطرد القياس ، ولا أظلمت الأيام، إنما امتد الظلام، وهل يفسدُ الشيء إلا عن صلاح ، ويمسى المرء إلا عن صباح

ومنه — اثنان قلما يجتمعان : الخراسانية والانسانية [وأنا] وإن لم أكن خراسانى الطينة ، فانى خراسانى المدينة ، والمرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث يثبُت ، لا من حيث ينبُت ، فاذا انضافت إلى خُرَاسان ولادة همذان ارتفع القلم وسقط التكليف، فالجُرْحُ (٤) جبَارٌ والجانى حِمَارٌ،

---

(١) الأيام الاموية : عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه لأنه من بنى أمية
(٢) الامارة العدوية: عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأنه من بنى عدى.
(٣) الخلافة التيمية: أيام أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأنه من بنى تيم
(٤) هذا من قوله عليه الصلاة والسلام « جرح العجماء جبار » وجبار — بزنة غراب — أى هدر لا ضمان فيه ولا عقوبة ، والعجماء : الدواب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لا جنة ولا نار ، فلتحملنى على هناتى، أليس صاحبنا يقول [من الخفيف] :

لا تلمنى على ركاكة عقلى إذ تيقّنتَ أننى همذانى

فصل — مثل الشيخ فى التماس الخل ، كمثل المكدى فى التماس الخل ، تقدم إلى الخلال فقال : يا منكوح العيال ، صب قليلا من هذا الخل فى هذا الاناء، فقال الخلال : قبح الله الكسل ، هلا التمست بها اللفظ العسل .

فصل — حج البيت مخنث فسئل عما رأى فقال : رأيت الصفا والحَجُون وقوما يموجون ، وكعبة تزف عليها الستور ، وترفرف حولها الطيور ، و بيتا كبيتى، ولكن سل عن البخت ، لا عن البيت .

فصل — جرجان ، وما أدراك ما جرجان ؟ أكلة من التين ، وموتة فى الحين، ونظرة إلى الثمار ، وأخرى إلى الحفار [١] ، ونجار إذا رأى الخراسانى نجر التابوت على قده ، وأسلف الحفار على لحده ، وعطار يُعِدُّ الحنوط برسمه، وبها الغريب ثلاث فتحات : أولها لكراء البيوت ، والثانية لابتياع القوت ، والثالثة لثمن التابوت .

فصل — من رقعه إلى وارث مال : العزاء [٢] عن الأعزة رشد كأنه الغى ، وقد مات الميت فليحى الحى ، فاشدد على مالك بالخمس ، فأنت اليوم غيرك بالأمس ، كان ذلك الشيخ وكيلك ، تضحك ويبكى لك ، وسيعجم الشيطان عودك ، فان استلانه رمالك بقوم يقولون : خير المال متلفه بين الشراب والشباب وسنفقه بين الحَبَاب والأحباب ، والعيش بين القداح والأقداح ، ولولا الاستعمال ما أريد المال ، فان أطعتهم فاليوم فى الشراب ، وغداً فى الخراب، واليوم واطرا

---

(١) فى اليتيمة « والأخرى إلى التابوت والحفار »

(٢) وقع فى الأصول هكذا « إلى وارث ما لعزاء عن الأحبة إلخ » والحروف واحدة ولكنها صحفت بسبب اختلاط الرسم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

للكاس ، وغداً واحربا من الافلاس . يا مولاى هذا المسموع من العود يسميه الجاهل نقراً ، و يسميه العاقل فقرا ، وذلك الخارج من الناى هو اليوم فى الآذان زمر ، وهو غدا فى الأثواب جمر [١] ، والعمر مع هذه الآلات ساعة ، والقنطار فى هذا العمل بضاعة .

فصول قصار وألفاظ وأمثال — المرء لا يعرف ببرده كالسيف لا يعرف بغمده . الحذق لا يزيد الرزق . والدعة لا تحجب السعة . إن للمتعة حدا وللعارية ردا . ما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء ، ولا كل بيت بيت الله ، ولا كل محمد رسول الله . الخبر إذا تواتر به النقل قبله العقل . إنما يجذب السيف على الكلب لا على القلب ، والراجع فى شيئه كالراجع فى قيئه .

وهذه ملح وغرر من شعره فى كل فن : فمن ذلك قوله من قصيدة فى أبى القاسم ابن ناصر الدولة [من مجزوء الكامل] :

غُضَّى جُفُونَكِ يا ريا ضُ فقَدْ فَتنت الحورَ غمزا
واقنى حَيَاءَك يا ريا حُ فقد كَدَدْتِ الغُصْنَ هزّا
وارْفق بجَفْنك يا غما م فقد خَدَشْتَ الوردَ وخزا
خَلَعَ الرَّبيعُ على الرُّبا ورُبوعها خَزّا وبزّا
ومَطَارِفاً قد نَقَّشَتْ فيها يدُ الأمطارِ طَرْزا
أسْرِ المطىّ إلى المدا م على جنىّ الوردِ جمزا
أو ما تَرَى الأقطارَ قد أخَذَتْ من الأمْطَار عزّا
أوليسَ عجزاً أن يفو تكَ حُسْنُهَا أوليس عجزا

(١) فى اليتيمة — وهو الكتاب الذى أخذ عنه المؤلف كل ما فى هذه الترجمة — وقعت هذه الفاصلة « وهو غدا فى الأبواب سمر » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حَلَّتْ عَزَالِيها السَّمَا ء فعادت البيداء نَزًّا
وكأن أمْطَارَ الربيع إلى ندَى كَفَّيْكَ تَعْزَى

وله من أخرى [من الكامل] :

خَرَجَ الأميرُ ومن وَراء ركابِهِ غيرى، وعز علىَّ أن لم أخْرُجِ
أصْبَحتُ لا أدرى أأدعو طغمشى أم يكتكينى أم أصيح بترعجى
و بقيت لا أدرى أأركَبُ أبرشى أم أدهمى أم أشهبى أم دبرجى
ياسيد الأمراء مالى خَيْمَةٌ إلا السَّماء إلى ذرَاها ألتجى
كَتِفى بعيرى إن ظَعَنت ومَفْرَشى كمِّى وجِنْحُ الليل مَطْرَحُ هوْدجى

وله من قصيده فى أبى عامر بن عدنان [من الكامل] :

ليلُ الصبا ونهارُهُ سكْرَانُ حَدَثان لم يعركهما حدثانُ
يا زَفْرَةً لى لا يكاد أزيزُهَا يَسمَعُ الضُّلوعَ إليكِ يا هذَانُ
قسما لقد فَقَدَ العراق بى امرأ لَيْست تجوْد بردّه البُلْدَانُ
يادهر إن تكُ لا محالة مُزْعِجى عن خصلتى ولكل دهرٍ شانُ(١)
فاعمد براحلتى هَرَاةَ فانها عَدْنٌ وإن رئيسها عَدْنَانُ(٢)

وله من قصيدة فى الأمير أبى على وهو بمرو [من البسيط] :

علَىَّ أن لا أريحَ العيسَ والقتَبَا وألبس البيضَ والظلماء واليَلَبَا (٣)
وأترُكُ الخودَ معْسولا مُقَبَّلُها وأهجرُ الكأسَ تَغْذُو شَرْبَها طَرَبا (٤)
حسبى الفلا مجلِساً والبومُ مطربةً والسَّيرُ يسكِرُنى من مَسَّةِ تَعَبا

ومنها :

(١) فى الديوان (٨١) «عن خطتى»
(٢) فى الديوان «وأنت رئيسها عدنان»
(٣) فى اليتيمة «وألبس البيض»
(٤) فى الأصل «يمرو شوبا طربا» وأثبتناه فى الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وطفلةٌ كقضيب البان مُنْعَطِفًا ... إذا مَشت وهلالِ الشهر مُنْتَقِبَا
تظلُّ تنثرُ من أجفانها حبَبًا ... دُوِى، وتَنظمُ من أسنانها حبَبًا(١)
قالَتْ وقد عَلِقتْ ذيلى تُوَدِّعنى ... والوجدُ يخنقها بالدمع منسكبًا
لاَ درَّ درُّ المعالى لا يزالُ بها ... برْقٌ يسوقكَ لاهوْنًا ولا كَثِبَا(٢)
يا مشرعًا المنىَ عذْبًا موارده ... بيناهُ مبتسمُ الأرْجاءِ إذ نضبَا
أطلعْتَ لى قمرًا سعدًا منازلهُ ... حتى إذا قلتُ يجلو ظلمتى غَرَبَا
كنتَ الشبيبةَ أبهى ما دَجَتْ دَرَجتْ ... وكنتَ كالوَرْدِ أذكى ما أتى ذهبَا
أستوْدعُ اللهَ عينًا تنتحى دفعًا ... حتى تؤوبَ وقلبا يرتمى لهبَا
وظاعنًا أخذَتْ منهُ النوى وطرًا ... من قبل يقضى الهوى من حكمه أرَبَا
غُضِّى عليكِ قناعَ الصبرِ إنَّ لنا ... إليْكِ أوْبةَ مشتاقٍ ومُنقلبَا

ومنها :

أبىَ المقامَ بدارِ الذُّلِّ لى كرمٌ ... وهمّةٌ تصلُ التخويدَ والخببَا (٣)
وعزمةٌ لا تزالُ الدهرَ ضاربةً ... دونَ الأمير وفوقَ المشترى طُنُبَا

ومنها :

---

(١) فى اليتيمة وقع المصراع الأول من هذا البيت * تظل تنثر من أجفانها درا *
(٢) فى اليتيمة والديوان « برق يشوقك »
(٣) فى اليتيمة * وهمة تصل التوخيد والخببا * وكلا اللفظين له وجه ولكن ما هنا أدق ، والتخويد : سرعة السير ، وقيل : سرعة سير البعير خاصة . ويقال : خود البعير - بتشديد الواو - إذا أسرع وزج بقوائمه . والوخد - بفتح فسكون - ضرب من سير الابل ، وسعة الخطو فى المشى ، وفعله وخد يخد وخدا ، مثل وعد يعد وعدا ، ولم أجد المضعف من هذا الفعل فى مراجع اللغة التى بين يدى .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يا سيدَ الأمراءِ افخر فما ملكٌ إلا تمناكَ مولاً واشتهاكَ أبا(١)
يامن ترَاهُ ملوكُ الأرض فوقهمُ كما يرَوْنَ على أبراجها الشهُبا
لا تكذبنَّ فخيرُ القول أصدقهُ ولا تهابنَّ فى أمثالها العَرَبا
فما السموألُ عهداً والخليلُ قِرًى
ولا ابن سُعدَى ندًى والشَّنْفَرَى غلبا
منَ الأمير بمعشارٍ إذا اقتسموا مآثرَ المجد فيما أسلفوا نهبا
ولا ابنُ حجرٍ ولاذبيان يعشرنى والمازنىُّ ولا القيسىُّ منتدبا(٢)
هذا لركبته ، أوْ ذا لرهبته أوْ ذا لرغبته ، أوْ ذا إذا طربا

والقصيدة كلها غرر ، وتقدم شىء منها فى شواهد التفريق .

وله من قصيدة أخرى ميكالية [من مجزوء الرمل] :

اذهب الكأس فعرفا لـــفجر قدْ كادَ يلوحُ
وَهْو للناس صباحٌ ولذى الرَّأى صبوحُ
لا يغرَّنك جسمٌ صادقُ الحسن ورُوحُ
إنما نحنُ إلى الآ جال نغدو ونروحُ
بينما أنتَ صحيحُ الجسم إذ أنتَ طريحُ
فاسقنيها مثلَ ما يلفظهُ الدِّيكُ الذبيحُ

وله من أخرى ، فى الملك المعظم ، يمين الدولة محمود بن سبكتكين ، [من الهزج] :

تعالى الله ما شاء وزَاد اللهُ إيمانى

---

(١) فى اليتيمة « ولا ملك » وفى الديوان (٥) مثل ماهنا
(٢) فى الأصل « يعثرنى وأثبتنا مافى الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أإفريدون فى التاج أم الاسكندر الثانى
أم الرجعة قدْ عادتْ إلينا بسليمانِ
أظلتْ شمسُ محمودٍ على أنجم سامانِ
وأمسى آل بهرامٍ عبيداً لابن خاقانِ
إذا ما ركب الفيلَ لحربٍ أوْ لميدانِ
رأتْ عيناك سلطاناً على منكب شيطانِ

وَله من قصيدة فى جماعة من العمال حبسوا [من المنسرح] :

مالى أرى الحرّ ذاهباً دَمُهُ ولا أرى النذل ذاهباً ذهبهْ
أراحنا الله منك يا زمنا أرْعَنَ يصطادُ صقرَهُ خَرَبُهْ
يا ساغبا جائع الجوارح لا يسكن إلا بفاضل سَغَبَهْ
يا ضَرَمًا فى الأنام متقداً والجودُ والمجدُ والنُّهى حطَبُهْ
يا خاطباسا كتا وليس سوى نعى قنىً أوْ فتوّةٍ خُطَبُهْ
يا صائداً والعلى فَريستهُ وناهبًا والجمالُ منتهبهْ
يا سادتى لا تَلِنْ عظامكُمُ لعضة الدَّهرِ إنْ يهج كَلَبُهْ(١)
فالدَّهرُ لونان لا يدومُ على حالٍ، سريعٌ بالناس مُنقَلَبُهْ
أتىَ بشرٍّ لمْ نرْتقبهُ كذا يأتى بخيرٍ وليس نَرْتَقِبُهْ(٢)

ومحاسنه كثيرة، وقد أوردنا منها ما فيه مقنع، رحمه الله!.

***

(١) فى الأصل « لا تكن عظامكم » وفى اليتيمة « كعضة الدهر » محرفا عما هنا

(٢) فى اليتيمة « وليس نحتسبه » ، وفى الديوان « أتى بخير » وفيه « يأتى بشر وليس تحتسبه »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد الاستتباع

١٥١ — تَهَبْتَ من الأعمار ما لَوْ حَوَيْتَهُ
لَهُنِّئْتَ الدُّنيا بأنَّكَ خالدُ

البيت لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الطويل (١) ، تقدَّم ذكر مطلعها ، وطرف منها فى شواهد المقدمة ، ومنها قبل البيت :

أخُو غزَواتٍ لا تغبُّ سيوفهُ رقابهمُ إلاّ وسيحانُ جامدُ (٢)
فلم يبق إلا مَنْ حماها من الظبا لمى شفتيها والثدىُّ النواهدُ (٣)
تبكى عليهنّ البطاريقُ فى الدُّجى وهنّ لدينا مُلْقَيَاتٌ كواسدُ
بذا قضت الأيامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ
ومنْ شرف الاقدام أنكَ فيهمُ على القتل موموقٌ كأنك شاكد (٤)
وأنَّ دما أجريتهُ بك فاخرٌ وأنَّ فؤاداً رُعْتَهُ لك حامدُ
وكلٌّ يرى طُرقَ الشجاعة والندى ولكنّ طبع النفس للنفس قائدُ

و بعده البيت ، و بعده :

فأنتَ حسامُ الملك والله ضاربٌ وأنتَ لواء الدّين والله عاقدُ

والشاهد فيه : الاستتباع ، وهو : المدح بشىء يستتبع المدح بشىء على

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ ـ ٢٦٨)

(٢) فى الديوان «ما تغب سيوفه» يريد أن غزوات الممدوح ـ وهو سيف الدولة ـ لا تنقطع عن أعدائه إلا فى زمن الشتاء ، تقول : غب وأغب ، إذا تأخر . وعبر عن الشتاء بجمود الماء فى نهر سيحان

(٣) اللمى : سمرة الشفة . وهو فاعل حماها . يريد أن القتل أجهز عليهم حتى إنه لم يبق منهم إلا النساء اللاتى حماهن حسنهن البارع من القتل

(٤) موموق : محبوب ، والشاكد : المعطى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وجه آخر، فانه وصفه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لصلاح الدنيا، حيث جعلها مهنأة بخلوده، وفيه وجهان آخران: أحدهما: أنه نهب الأعمار دون الأموال، وهذا ينبيء بعلو الهمة، كما قال الشاعر [من البسيط]:

إنَّ الأسودَ أسودَ الغاب همتها ... يومَ الكريهة في المسلوب لا السلبِ

والثاني: أنه لم يكن ظالما في قتلهم، إذ لو كان كذلك لما كان لأهل الدنيا سرور بخلوده، ومثله قول المتنبي في سيف الدولة [من الطويل]:

إلى كم تردّ الرسلَ عما أتَوْا به ... كأنهمُ فيما وهبتَ مَلاَمُ

فانه مدحه بالشجاعة والعز في رد الرسل عما أتوا به، وصدِّهم عن مطلوبهم، والتهاونِ برسلهمْ، واستتبع في باقي البيتِ مدحه بالكرَم، لعصيانِ الملام في الهبات.

وعجيب هنا: قول أبي بكر الخوارزمي، المستشهد به في التفريع، وهو [من الكامل]:

سمحُ البديهة ليس يملكُ لفظَهُ ... فكأنما ألفاظهُ من مالِهِ

فانه مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم.

ومن شواهده قول بعض العراقيين يهجو بعض القضاة، وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر فلم يقبل شهادته [من مجزوء الرمل]:

إنَّ قاضينا لأعمى ... أم تراهُ يتعامى

سرقَ العيدَ كأن العيدَ أموالُ اليتامى

ورأيت في اليتيمة هذين البيتين منسوبين للصاحب بن عباد، وذكر معهما بيتين آخرين في معناهما، وإن لم يكونا مما نحن فيه، وهما [من المجتث]:

يا قاضياً باتَ أعمى ... عندَ الهلالِ السعيدِ

أفطرْتَ في رمضان ... وصمتَ في يومِ عيد

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن الاستتباع قول زكى الدين بن أبى الأصبع [من الطويل]:

تَخيلَ أنّ القِرْن واهاهُ سائِلاً فقابَلَهُ طَلقَ الأسرّة ذا بِشْرِ
ونادى فِرندَ السّيفِ دُونكَ نحره فأحسنُ ماتُهدَى اللآلى إلى النحر

وقد أخذ ابن نباتة المصرى نكتة النحر فقال [من الطويل]:

تَهنأ بعيدِ النَّحر وابق مُتمتَّعاً بأمثاله سامى العُلا نافذ الأمر
تُقلِّدُنا فيه قلائِدَ أنعم وأحسنُ ماتبدُوالقلائِدُفى النحر

* * *

شاهد الادماج ١٥٢ — أُقلِّبُ فِيهِ أجفَانى كأنِّى أعدُّبها على الدَّهْرِ الذُّنوبا

البيت لأبى الطيب المتنبى من قصيدة من الوافر [١] يمدح بها على بن [محمد بن] [٢] سيار بن مكرم التميمى، أولها:

ضروبُ الناس عُشاقٌ ضُرُوبا فأعذرُهم أشفُّهم حبيبا [٣]
وماسَكنى سِوَى قتْلِ الأعادِى فهلْ مِنْ زوْرَةٍ تشفى القُلوبا
تظلُّ الطيْرُ مِنْها فى حَدِيثٍ تُرِدُّ بِهِ الصَّرَاصرَ والنعيبا [٤]
وقد لبستْ دِماؤُهُمُ عَليهِمْ حِدَاداً لم تشقَّ لها جُيوبا
أدَمنا طعْنَهمْ والقتلَ حتى خَلطنَا فى عِظامِهمُ الكعُوبا

---

(١) اقرأها فى الديوان (١ — ١٣٧).
(٢) الزيادة عن شرح العكبرى للديوان
(٣) أشفهم حبيبا: أراد أفضلهم حبيبا
(٤) الصراصر: جمع صرصرة، وهي صوت النسر والبازى وغيرهما. والنعيب: صوت الغراب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كأنَّ خُيولَنا كانتْ قديماً تُسَقَّى فى قحوفهمُ الحلِيبَا
فمرَّتْ غيْرَ نافِرةٍ عَليْهِمْ تدوس بنا الجَماجِم والتَّريبَا(١)

إلى أن قال فى وصف الليل :

أعَزْمى طالَ هٰذَا الليل فانظرْ أمِنكَ الصُّبْح يَفرَق أن يؤوبا(٢)
كأنَّ الفَجْر حِبٌّ مستزارٌ يرَاعى مِنْ دُجُنَّتِه رقيبَا
كأنَّ نجومَه حَـلْىٌ علَيْه وقدْ حذيتْ قوَائمَه الجبوبا(٣)
كأنَّ الجوَّ قاسَى ما أقاسى فصارَ سَوَاده فيـه شحوبا
كأنَّ دجَاه يجذبها سهادى فليْسَ تغيب إلاّ أنْ يَغيبَا

و بعده البيت ، و بعده :

وما ليلٌ بأطْوَل مِنْ نهَار يَظلُّ بلحْظِ حسَّادى مريبَا(٤)
وما مَوْتٌ بأبغَضَ من حياة أرى لَهُمُ معى فِيها نَصيبا
عرفت نوائِبَ الحدثان حتى لو انتَسبتْ لكنت لَها نقيبا

وهى طويلة

وقريب من معنى البيت قول القاضى الفاضل [من الطويل] :

وقدْ خفقتْ رَاياته فكأنها أناملُ فى عُمر العَدُوِّ تحاسِبُهْ

---

(١) التريب كالتريبة : واحدة التَّرائب ، وهى موضع القلادة من العنق
(٢) فى الأصل « يفرق أم يؤبا » وما أثبتناه موافق لما فى الديوان ، وهو الصواب ، و «أن يؤبا» منصوب على نزع الخافض ، والأصل من أن يؤوب ويفرق : يخاف . ويؤوب : يرجع
(٣) الجبوب ـ بفتح الجيم ـ وجه الأرض
(٤) فى الديوان « يظل بلحظ حسادى مشوبا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ويضارعه أيضاً قول ابن سناء الملك يرثي [من الكامل] :

أوسعت فيه الدَّهْرَ عتباً مؤلماً فأجابني بالبهت والبُهتان(١)

قلبي يُحاسبهُ على إجْرَامه وَيعدُّها بأنامل الخفقان

وقول عكاشة بن عبد الصمد القمي في وصف عوّادة [من الكامل] :

وكأنَّ يُمناها إذا نطقت به تلقى على يَدها الشّمال حسابا

وقوله أيضا [من الطويل] :

إذا ماحكت بالعُود رَجْعَ لِسانها رأيْتَ لسان العودِ عن كفِّها يُمْلِي

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

كأنَّ دمُوعي إذ تكاثَرَ وَقعها تعدُّ على الدُّنيا بهنَّ المساويا

ولطيفٌ قول ابن الخيمي في سبحة [من السريع] :

وسُبْحةٍ مسوَدةٍ لونها يحكي سوَادالقَلْب والناظِرِ

كأنني وقتَ اشتِغالي بها أعـدُّ أيامكَ ياهاجِرِي

والشاهد فيه : الادماج ، وهو : أن يضمِّن كلاما سيق لمعنى ـ مدحاً كان أو غيره ـ معنى آخر ، فهنا ضمن وصف الليل بالطول الشكاية من الدهر

مثل من الادماج

ومنه قول عبدالله بن عبدالله بن طاهر لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان عبد الله قد اختلّت حاله فكتب إلى ابن سليمان يقول [من الطويل] :

أبى دَهْرُنا إسعافَنا في نُفوسنا وأسعفَنا فِيمنْ نُحِبُّ ونكرم

فقُلْتُ له نُعماكَ فيهمْ أتمُّها وَدعْ أمْرنا إن المهمّ المُقدّمُ

(١) في الأصل « أوسعت الدهر فيه » ولا يستقيم به وزن البيت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ففطن ابنُ سليمان لمراده ووصله واستعمله . وقول الصاحب بن عباد يمدح الوزير أبا الفضل بن العميد [من الخفيف] :

إن خيرَ المدّاح مَنْ مَدَحَتْهُ شُعراءُ البلادِ فى كلِّ نادى

فأدمج الافتخار فى أثناء المدح، وإنما ألم به من قول يزيد بن محمد المهلبيّ لابن مدبر حيث قال [من الخفيف] :

إن أكُنْ مهديا لكَ الشِّعْرَ إنى لابْنُ بيتٍ تهدَى له الأشعار

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى [من الطويل] :

ففخراً بشعر من قفى كانَ أهلُه يهاديهمُ بالشِّعْرِ من كان يَشْعر

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

ولا زال كل رفيع الذّرى يَصوغ الجواهر فى المدْح لك

ومنه قول ابن المعتز فى وصف الخيرى [من المنسرح] :

قدْ نفَضَ العاشقُونَ ماصنعَ الهَجْرُ بألوانهمْ على وَرَقِهْ

وقول ابن نُباتة السعدى [من الطويل] :

ولا بُدّ لى من جَهْلةٍ فى وصاله فَهلْ مِنْ حليمٍ أودِعُ الحلْمَ عِنْدَه

وقول وجيه الدولة فيه [من البسيط] :

أفْدِى الذى زارَنى بالسّيْفِ مُشْتَمِلاً ولحْظُ عَينَيهِ أمْضى مِنْ مَضاربهِ
فماخلَعْتُ نجَاداً فى العِنَاق له حتى لَبِستُ وشاحاً من ذَوَائبهِ
وَباتَ أسْعَدُنا حظّاً بِصَاحبِهِ مَنْ كان فى الحُبِّ أشقَانا بِصاحبِهِ

وقول العفيف التلمسانى [من الخفيف] :

وأعِدْلى حديثَهُ فلسَمْعى فَرْطُ وجْدٍ باللؤلُؤ المنثُور
ثم صِفْ لى ذؤابةً منه طالت ودجَتْ فهْىَ ليلة المَهْجُور

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول بعض الأندلسيين [من الوافر] :

وحقك لارضيتَ بذا ، لأنى جعلت وحقك القسم الجليلا

* * *

١٥٣ — * لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَاءْ *

شاهد التوجيه

قيل : إن قائله بشار[١] بن برد ، وهو من الرمل ، وقبله :

* خاطَ لى عَمْرٌو قَبَاء *

وبعده :

قلتُ شعراً لَيْسَ يُدْرى أمَدِيح أمْ هجاء[٢]

يروى أنه فصل قباء عند خياط أعور اسمه عمرو أو زيد كما فى تحرير التحبير فقال له الخياط على سبيل العبث به : سآتيك به لا تدرى أهو قباء أم دواج ، فقال له : إن فعلت ذلك لأنظمن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم عليك ، ففعل الخياط ، فقال هذا البيت

ومثله ماحكاه ميمون بن هارون قال: تقدم جعيفران الموسوس[٣] إلى يوسف الأعور القاضى بسر من رأى فى حكومة فى شىء كان فى يده من وقف له ، فدفعه عنه وقضى عليه ، فقال له : أرانى الله أيها القاضى عينيك سواء ، فأمسك عنه ، وأمر برده إلى داره ، فلما رجع أطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعابه فقال له : ماذا

---

(١) انظر خزانة الأدب لابن حجة الحموى (١٦٩ بولاق) فقد حكي عن ابن أبي الأصبع حكاية ينسب البيتان فيها إلى شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع

(٢) الذى أحفظه فى رواية هذا البيت :

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء

(٣) فى الأصل « جعيفر بن الموسوس » صوبناه عما أثبتناه .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أردت بدعائك أردت أن يرد الله علىّ من بصرى ماذهب ؟ فقال له : والله لئن كنت وهبت لى هذه الدراهم لأستحيين منك إنك لأنت المجنون ، لاأنا ، أخبرنى كم من أعور رأيته عمى ؟ قال : كثير ، قال : فهل رأيت أعور صح قط ؟ قال : لا ، قال : فكيف توهمت على الغلط ؟ فضحك منه وصرفه

والشاهد فى البيت التوجيه : وهو إيراد الكلام محتملا لوجهين مختلفين ، فهنا يحتمل تمنى العوراء صحيحة وعكسه

أمثلة من التوجيه

ومن شواهده قولُ الشاعر فى الحسن بن سهل حين تزوج المأمون بابنته بوران [من مجزوء الخفيف] :

بارَكَ الله للحسَنْ ... و لبُوارن فى الختن

يااِبْنَ هارون قدْ ظفر ... تَ ولكن ببنت مَنْ

فلم يعلم ما أراد بقوله « ببنت من » فى الرفعة أو فى الحقارة

ومنه أيضاً قول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

لايأكُلُ السُّرحان شِلْوَ طعينِهِمْ ... مِمَّا عليهِ من القَنا المتكسِّرِ

فإنه يحتمل المدح ويكون المقتول منهم والرماح المتكسرة رماح أعدائهم ، ويحتمل الذم ويكون المقتول من أعدائهم والرماح لهم

ومنه أيضا قول المتنبى فى كافور الاخشيدى [من الطويل] :

ولله سِرٌّ فى عُلاكَ وإنما ... كلامُ العِدَا ضربٌ من الهَذيان

ومن محاسن التوجيه قول الوداعى [من البسيط] :

مَنْ أمّ بابكَ لم تبرحْ جَوَارحهُ ... تَرْوى أحاديثما أوليتَ من مِنَن

فالعينُ عَنْ قُرَّةٍ والكَفُّ عن صلَةٍ ... والقلبُ عَنْ جابر والسَّمْعُ عن حسَن

فان هذا البيت يصدق على المعنى الواحد ، وهو أسماء الأعلام من رواة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

الحديث ، وعلى المعنى الآخر ، وهو المناسبة بين العين والقرة ، والكف والصلة ، والقلب والجبر ، والسمع والحسن

وقول السراج الوراق [من الوافر]:

يخافُ التبرُ سَطوَة راحتيهِ ولونُ الخائفِ المُرْتاع أصفَرْ
يُقصِّر آل بَرْمك عنْ نداهُ فنُعماهم لدَى نُعماهُ تُكْفَرْ
له فضلٌ لنا منه رَبيعٌ وبحر نَدًى ولا أرضى بجعفر(١)

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل]:

خليليَ كم رَوض نزلت فناءه وفيه ربيعٌ للنزيل وجعفر
وفارقته والطير صافرة به وكم مثلها فارقتها وهي تصفر(٢)

ومثله قول القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر يصف نهرا صافيا ، فى روض نزيه [من الطويل] :

إذا فاخرته الريح ولت عليلةً بأذيال كُثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

ومثله قول مؤلفه ، وهو مما كتب به على تربة بجوار قبر الامام الشافعى ، رضى الله عنه وأرضاه ! وهو [من الوافر] :

بأبواب الكرام وضعت رحلى لكى يَرْوَى بفيض الجود مَحْلِى
ومن أضحى نزيل المجد يحيي بجعفر فضله السامى المحلَّ

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

---

(١) الجعفر : النهر الصغير ، وجعفر : اسم علم من أعلام البرامكة
(٢) النصف الثانى من هذا البيت من كلام تأبط شرا ، والبيت بتمامه :
فأبت الى فهم وما كدت آئبا وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

[أنى][1] وهو بحرٌ لا يقاس بفضله ربيع، وكم يحيي إذا جاء جعفر

وقول عمر بن الوردى رحمه الله تعالى [من السريع] :

هو يت أعرابية ريقها عذب، ولى فيه عذاب مذاب

رأسى بها شيبان، والطرف من نبهان، والعذال فيها كلاب[2]

ومنه قول ابن النقيب أيضا يهجو [من الطويل] :

أرح ناظرى من عابس الوجه يابس له خُلُقٌ صعب ووجه مُقَطّب

أقول له إذ أيأستنى صفاته وإن قيل إنى فى المطامع أشعب

متى يظفر الآتى إليك بسؤله وينجح من مسعاه قصد ومطلب

ولؤمك سيار وشرُّك ياسر ووجهك عباس وخلقك مصعب

ومما جاء فى التوجيه فى قواعد العلوم قول القاضى شرف الدين المقدسى ، فى شىء من قواعد الفقه وتلطف ماشاء [من السريع] :

احجج إلى الزهر لتحظى به وارم جمار الهم مستنفرا

من لم يطف بالزهر فى وقفة[3] من قبل أن يحلق قد قصرا

ومنه فى الحديث قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

قالت أعندك من أهل الهوى خبر فقلت إنى بذاك العلم معروف

---

(١) سقطت هذه الكلمة من كافة الأصول .

(٢) فى خزانة ابن حجة (١٧٣) « رأسى بنو شيبان » . وشيبان ونبهان وكلاب : أعلام قبائل من العرب ، وشيبان : يحتمل الوصف من الشيب . ونبهان : يحتمل الوصف من التنبه الذى هو اليقظة . وكلاب : يحتمل أن يكون جمع كلب

(٣) فى الأصل * من لم يطف بالزهر فى وقته * وما أثبتناه موافق لما فى خزانة ابن حجة ، وهو من تمام التوجيه المقصود إليه فى البيت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مسلسل الدمع من عَيْنَيَّ مرسله على مُدَبَّجِ ذاك الخد موقوف (١)

وقوله أيضا [من الخفيف] :

عارضوا مرسل الظلام بنقل مُسْنَدٍ عن حِسَان تلك الفروع
عذلوا فى رواية الحبِّ جفنى مع جرح الدموع عند الهموع
عنعنوا نقلَ لوعتى عن دُموعى عنْ جفونى عن قلبيَ الموجوعِ

ومن التوجيه فى أسماء السور قول السراج الوراق [من الخفيف] :

كلُّ قلبٍ علىَّ كالصخر مالا نَ وهيهاتَ أن تلينَ الصخورُ
مُغلق الباب ما تلا سورة الفتح ، وقافٌ من دونهِ والطورُ

وقول أبى الحسين الجزار [من الكامل] :

أشكو لعدلك جور دهر جائرٍ فضلتْ به فُضَلاءهُ الجهالُ
مُنِعت به عقلاؤه إذ قُسِّمَتْ بالجور فى أنعامهِ الأنفالُ

وقول المولى الفاضل على بن مليك [من الطويل] :

ألا يابنى الروم القتال فدونكمْ فأنا تدرّعنا الحديد إلى الحشر
ولا زالَ آىَ الفتح تتلو رماحنا وأسيافنا تتلو بها سورة النصر

ومثله قول مؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الطويل] :

وزلزلةٍ كادت تهدُّ بعزمها أقاليم لا يبقى لها أبداً أثرُ
وَواقعةٍ قد صارَ منها تغابنٌ على الروم لا تنفك أو يحصل الحشر
لقدْ سمعوا وقع الحديد فلا ترى لهم همة نحو القتال ولا كرُّ

(١) فى خزانة ابن حجة « مسلسل الدمع من عينى ومرسله » وهو أحسن، و « عينى » فيه مفرد ، وهو فيما هنا مثنى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وله أيضا فى وقعة مصر [من الكامل] :

فدموعهم فى الذاريات وروحهمْ ... فى النازعات وكربهم لا يُقْدَرُ
لاَ معـقلا يلقونـه كلا ، ولاَ ... كهفاً ولوجأوا لقـاف لأحصروا
شَمْسُ السعادة عنهمْ قدْ كوِّرتْ ... وعلىٌّ قدْرهمُ غـدا يتقهقر
والملك طلقهم طـلاَقاً بائنـا ... ما دام عصرٌ فى الورى يتـكرر
لمـا أبوْا تحـريمَ ما قدْ سَـنَّه ... وأتى بهِ المـزَّمّل المـدَّثر

ومنه فى أسماء القراء قول السراج الوراق [من الخفيف] :

يا جواداً له القرَى والقرَاءا ... ت وفيهِ منْ كلّ نفعٍ وخيرِ
إن مددتَ العطاء مدة وَرْشٍ ... ليسَ هـذا علىّ بالمقصور
دمت لى نافعاً كما أنا راجٍ ... عاصماً لى منْ فجأة المحذور

ومن التوجيه فى النحو قول أمين الدين علىّ السلمانى [من الطويل] :

أضيفَ الدُّجى معنىً إلى لون شعرهِ ... فطالَ ، ولولا ذاكَ ما خص بالجر
وحاجبُهُ نون الوِقَاية ما وقتْ ... على شرطها فعل الجفون من الكسر

وكان بالعراق عاملان : أحدهما : اسمه عمر (١) ، والآخر اسمه أحمد ، فعزل عمر عنْ ولايته ، واستقر مكانه أحمد بمـال وَزَنه ، فقال فيه بعض الشعراء [من الوافر] :

أياعمرُ استعدّ لغير هذا ... فأحمد فى الولاية مطمئنُّ
فتصدق فيك معرفة وعَدْلٌ ... وأحمـد فيه معرفة ووَزْنُ

(١) فى الأصل « عمرو » فى الموضعين وهو تحريف ، ويؤيده ما ذكر فى الشعر ، فان الذى فيه المعرفة والعدل من موانع الصرف هو « عمر »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومثله قول كمال الدين الشريشي فى قاض عزل اسمه أحمد [من السريع] :

يا أحمد الرازىّ قمْ صاغراً عزلت عن أحكامكَ المسرفهْ
مافيكَ إلاالوزنُ، والوزْن لا يمنعكَ الصَّرْف بلا معرفهْ

ومثله قول ابن عنين ، فيمن عزل عن وظيفته وكانت سيرته غير مشكورة [من المتقارب] :

شكا ابن المؤيد من عزله وذمَّ الزمان وأبدى السفهْ
فقلت له لا تذمَّ الزما نَ فتظلم أيامه المنصفهْ
ولا تغضبنّ إذا ما صُرِفْتَ فلا عَدْلَ فيك ولا معرفهْ

وقول بدر الدين الأسعردى فى بعض مدرسى العجم [من الطويل] :

يقولون إن المجد بالقصف مولعٌ فقلت لهم ما اعتاد شيئا سوى القصف
فقالوا أسا علماً ولفظا بمجلسٍ فَلِمْ مَنَعُوا عن صرفه راغم الأنف
فقلت لتأنيث به ولعجمةٍ فقالوا لقد تُلْجِي الضرورات للصرف
ولا بدّ من تقطيعه عند قبضه فقد زاد بسط الكف فى جهة الوقف

ورشيق قول شرف الدين بن ريان [من البسيط] :

أتيت حانة خمار وصاحبها محارف متقن للنحو ذو لَسَن
وحوله كل هيفاء منعمة وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لى إذ رأى عينى قد انصرفت إلى البناء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة واجمع وزد واسترح من عجمة وزن

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل]

خط ولاحظ، وشعر ماله سعر، أأنثر فيهما أم أنظم
كم جهدا أرفع قصتى ويحطها حظى وأنصب والحوادث تجرم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و بديعٌ قول الشهاب التلعفرى [من الكامل] :

وإذا الثنيةُ أشْرَقتْ وشممتَ من أرْجَائِها أرَجاً كنَشْر عَبِيرِ
سَلْ هضبَها المنصوبَ أينَ حديثهُ المَرْفوعُ من ذَيلِ الصبا المجرُورِ

وله فى معناه أيضا [من الكامل] :

قُلْ للصبَا سِرّاً فإنَّ لها شذاً يُضْحِي بما يُفْضَى إليهِ مُذيعَا
يا ذَيلها المجرُورَ عَنْ هضبِ الحِمَى المنصوبِ هاتِ حديثها المرفوعَا

وقول الصفى الحلى يصف رياض الميطور [من الكامل] :

إنْ جزتَ بالمَيطُورِ مبتهجاً به ونظرتَ باطنَ دَوحهِ المعطورِ
وأراكَ بالآصال خفقَ هوائهِ الممْدُودِ تحريكُ الهوَى المقصورِ
سَلْ بانهُ المنصوبَ أينَ حَدِيثهُ المَرْفوعُ مِنْ ذيْلِ الصَّبَا المجرُورِ

وذكرت بالمقصور والممدود هنا بيتين قلتهما ، وهما من هذا الباب الذى نحن بصدده [من الخفيف] :

رَبِّ مَنْ جاء نحوَنا بالفجُورِ لاتُجِرْهُ من شرّ صَرْفِ الدُّهورِ
وأضِفْهُ إلى المنايا سريعاً انراهُ الممدودَ فى المقصورِ

وظريف قول بعضهم أيضا [من السريع] :

عَرِّجْ بنا نحوَ طلولِ الحِمَى فلم تزلْ آهلةَ الأربُعِ
حتى نُطيلَ اليومَ وقفاً على السـ ـكنِ أوعطفاً على الموضعِ

وقول أبى الفتح البستى أيضا [من الطويل] :

عُزِلتُ ولم أذنبْ ولم أكُ جانياً وهذا لإنصاف الوزير خلافُ
حُذِفْتُ وغيرى مُثْبَتٌ فى مكانهِ كأنِّىَ نونُ الجمع حينَ يضافُ

وقوله أيضا [من مجزوء الرمل]:

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وبَصيرٍ بمعانى الشعرِ والإعراب جدًّا
قالَ لى لمـارَآنى طالباً مالاً وَرِفْدَا
إنَّ مالى يا حبيبي لازمٌ لا يتعـدَّى

وقوله [من السريع] :

أدْرِجْتُ فى أثناء نسيانكمْ حتى كأنىَّ أَلِفُ الوصلِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

أفدى الغزالَ الذى فى النحو كلمنى مناظراً فاجتنيتُ الشهدَ من شفتهْ
وأورَدَ الحججَ المقبولَ شاهدُها محققاً ليريني فضْـلَ معرفتـهْ
ثم افترقنا على رأىٍ رَضيتُ بهِ الرفعُ من صفتى والنصبُ من صفتهْ

وما ألطف قول السراج الوراق [من الخفيف] :

كم أُناديكَ مفرداً علماً أرْ فَعُهُ عالمـاً بشرط المنادَى
وَجوابى مُلْغًى يحاكى للولاَ خبراً لو أتى بهِ ما أفادَا

وظريف قول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط] :

ياساكناً قلبيَ المعنىّ وليس فيه سواهُ ثانى
لأىّ معنى كَسَرْتَ قلبى وما التقى فيه سا كنان

قال الصـلاح الصفدى : وهـذا المعنى فيه نقص ، لأن القلب ظرف لاجتماع السا كنين ، وحينئذ يكون السا كنان غير القلب ، والكسر إنما وقع على القلب ، لا على أحد السا كنين ، ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجهاً ، وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدّبين ، وما رأيت فيهم من تَنَبَّهَ له .

وقد نظم الفقير مؤلف الكتاب بيتين ، راجيا سلامتهما من هذا الايراد ، وهما [من مخلع البسيط] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قلبي من الهجْرِ في اضطرابِ ياسا كنا فيهِ دُونَ ثانِي
فكيفَ عاملتهُ بكسرٍ وما التقى فيه ساكنانِ

وفي معناه قول شرف الدين القيروانى ، فى رجل عجز عن افتضاض عِرْسِهِ ليلة البناء ، وهو [من مخلع البسيط] :

كم ذكرٍ فى الورى وأُنثى أولى منَ اثنين باثنتين
إن الليالى أتتْ بلَحْنٍ لجمعها بين ساكنين

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

يا ساكنا قلبي ذكرتك قبله أرأيت قبلى مَن بدا بالساكن
وجعلته وَقْفًا عليك وقد غدَا متحركا بخلاف قلب الآمنِ
وبذا جرى الاعراب فى نَحْوِ الهوى فاليك معذرتى فلستُ بلاحنِ

وما أحسن قول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

بكيت وما يجدى البكاء عن العانى ولكنَّ تَشْتيت الأحبة أشجانى
كأنَّ زمانى ضاق لحناً فلم يكن ليَجْمَعَ بين الساكنين بأوطانى

ولمحاسن الشواء أيضا [من السريع] :

أرسلَ فَرْعًا ولَوَى هاجرى صُدْغا فأعيا بهما واصفهْ
فخلت هذا حَيَّةً خلفهُ تسعى وهذا عقربا واقفهْ
ذا ألفٌ ليست لوصلٍ ، وذا واوٌ ولكن ليستِ العاطفهْ

وللسليمانى أيضا [من الطويل] :

نصبتُ على التمييز إنسانَ مقلتى أُشاهدُ قدّاً منه نَصْبًا على الظرف
أأخشى فراقا بعدها أو قساوةً وقد جاءواوُ الصدغ للجمع والعطف

ومثله لمؤلفه [من السريع] :

تطمعنى فى الوصلِ أصداغهُ حين ثريني أحرفَ العطفِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن لطائف البهاء زهير قوله من هذا الباب [من الطويل] :

يقولونَ لى أنتَ الذى سارَ ذكرهُ ... فمن صادرٍ يُثنِى عليه ووَارِدِ
هَبُونى كما قد تزعمونَ أنَا الذى ... فأينَ صِلاَتِى منكمُ وعوائِدِى

ونظير ذلك ما اتفق لابن عنين ، وهو أنه مرض ، فكتب إلى الملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، صاحب دمشق [من الكامل] :

انظر إلىّ بعين مولًى لم يزلْ ... يُولِى النَّدَا وتلافَ قبلَ تلافِى
أنا كالذى أحتاجُ ما يحتاجهُ ... فاغنم دُعائى والثناءَ الوافِى

فعاده الملك المعظم ، ومعه خمسمائة دينار ، وقال : أنت الذى ، وأنا العائد ، وهذه الصلة.

ومثله قول جعفر الأديب المصرى [من الكامل] :

وَافيتُ نحوكُمُ لأرفعَ مبتدًا ... شعرى وأنصبَ خَفْضَ عيشٍ أغبرَا
حاشاكمُ أن تقطعوا صلةَ الذى ... أو تصرفوا منْ غير شىء جعْفَرَا

وقول الأمير أمين الدين السليمانى [من الطويل] :

وإنى الذى أضْنَيْتَهُ وهَجَرْتَهُ ... فهل صلةٌ أو عائدٌ منكَ للذى

ولابن حجلة [من الكامل]

قَطَعَ الأحبةُ عادتى منْ وصلهمْ ... فكأنَّ قلبى باتواصل ما غُذِى
فاذا سمعتمْ فى النحاة بعاشق ... منعوه منْ صلةٍ لهُ فأنا الذى

وقول الآخر [من الكامل] :

لاتهجروا من لا تَعودَ هَجرَكم ... فهو الذى بلبان وصلكم غُذِى
وَرَفعتمُ مقدارهُ بالابتدا ... حاشاكمُ أن تقطعوا صلةَ الذى

وقول الآخر [من الكامل] :

لما رَأتْ عيناكَ أنى كالذى ... أبدُو فينقصنى السقامُ الزائدُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وافَيْتنى ووَفَيْتَ لى بمكارم فَنَدَاكَ لى صِلةٌ وأنت العائِدُ

ولابن حجلة أيضاً [من المتقارب] :

ومُسْتَتِرٍ من سَنَا وجهه بشمس لها ذلك الصدغ فَىْءُ (١)

كَوَى القلب منى بلام العِذَارِ فعَرَّفنى أنها لامُ كَىْ.

وما ألطف قول محاسن الشواء [من الوافر] :

وكنا خَمْس عشرةَ فى التِئَامٍ على رغْمِ الحسود بغير آفَهْ (٢)

فقد أصْبَحْتُ تنويناً وأضْحَى حبيبى لاتفارقُهُ الاضافَهْ

وقوله أيضا [من مخلع البسيط] :

لنا صَدِيقٌ له خِلَالٌ تُعْرِبُ عن أصلهِ الأخَسِّ

أضحت له مثلَ حيث كَفٌّ ودِدْتُ لو أنها كأمْسِ (٣)

ومثله قول أبى محمد الواسطى [من مخلع البسيط] :

لنا صديق فيه انْقِبَاضٌ ونَحْن بالبَسْطِ نَستلِذُّ (٤)

لا يَعْرِف الفتحَ فى يديهِ إلا إذا ما أتاه أخْذُ

فكفُهُ أينَ حين يُعْطَى شيئاً وبَعْدَ العطاء مُنْذُ

وقول عمر بن الوردى رحمه الله [من السريع] :

---

(١) بفتح الفاء وسكون الياء ، وأصله « فىء » ومعناه الظل

(٢) أراد بخمسة عشر هذا اللفظ ، والنحاة يقولون : إنه مبنى على فتح الجزءين لأنه تركب صدره وعجزه فصارا كلمة واحدة

(٣) « حيث » عند النحاة مبنية على الضم ، و « أمس » عندهم مبنية على الكسر ، فهو يقول : إن كف صديقه مثل حيث فى أنها بنيت على الضم من البخل والشح ، أنه يتمنى أن تكسر

(٤) الأنسب بالوزن أن يكون * لنا صديق به انقباض *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قلت لنَحْوِيٍّ إذا عُرِّضا له بأوقات الرِّضَى أعْرَضا
يا حِبُّ لو أصبحَ بابُ الرضى كيْفَ لما كنتَ كأمْسِ مَضَى

وقول ابن يعمور فى المجون [من الخفيف] :

ومليحٍ يعلِّم النَّحْوَ يحكى مُشكلات له بلَفْظٍ وجيزِ
ما تميزْتُ حسنهُ قط إلاَّ قامَ إيرى نَصْباً على التمييز

وقول ابن الأردخل ومعناه المجيد فى البناء [من الكامل] :

أير أنامُ الليلَ وهو يَقوم حامى الأهابِ كأنهُ محمومُ
مُغرًى بطول الجرِّ إلا أنه ما زالَ مَفْتوحاً به المضمُومُ

وقول السراج الوراق [من الكامل] :

ومُبَخَّلٍ بالمال قلْتُ لعلهُ يَنْدَى وظنى فيه ظَنٌّ مخلَفُ
جَمْعُ الدراهم ليس جمْعَ سلامةٍ فأجابنى لكنهُ لا يُصْرَفُ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

كم يريدُ الخبَّازُ يرفَعُ رطلى وأرجِّى بالنصب مشىَ أُمورى
وإلى كم شِرَاىَ بالجرِّ منهُ وانصرافى بخاطرٍ مكسور

من التوجيه فى العروض

ومن التوجيه فى العروض والنحو قول السباسكونى يهجو عروضياً نحويا [من المنسرح] :

لا تنكروا ما ادَّعَى فلانٌ من الشِّعْر إذا قال إنهُ شاعِرْ
فالنَّحْو ثم العَرُوض قد شهدا له على الشعر أنهُ قادرْ
يقصرُ ممدودَهُ وينْصبُهُ فى الجر نصب الغُرْمُول فى الآخرْ
يريك وهو البسيط دائرةً تجمع بين الطويل والوافرْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن التوجيه فى علم العروض قول نصر الله بن الفقيه [1] المصرى [من الخفيف] :

و بقلبى من الفراق مَديدٌ ... و بَسيطٌ ووافرٌ وطويل
لم أكن عالماً بذاك إلى أنْ ... قَطَّع القلب بالفراق الخليل

ولا بن سارة فيه أيضاً [من السريع] :

و بى عروضىٌّ سَريع الجفَا ... وجْدِى به مثل جفَاه طَويلْ
قلت له قَطّعت قلبى أسًى ... فقال لى التقطيع دأب الخليل

وللسليمانى فيه أيضا [من مجزوء الكامل] :

لا تعذَلَنِّى فى العَرُو ... ضِ و إن رأيْتَ القَصْد جائرْ
دارَتْ علىَّ دوائرٌ ... فجهَدْت فى فكِّ الدَّوائر

ومنه قول الآخر [من الوافر] :

تقاطعَ صاحبَاىَ على هناةٍ ... جرَتْ بعدَ التَّصافِى والتصافى
وداما لا يضمهما مكانٌ ... كأنهما معاقبة الزحافِ

من التوجيه في صناعة الكتابة

ومن التوجيه فى صناعة الكتابة قول ابن الساعاتى [من الكامل] :

لله يومٌ فى سيوطَ وليلةٌ ... حلف الزمان بمثلها لا يغْلط [2]
بتنا وعمر الليل فى غُلَوائه ... وله بنور البدر فرعٌ أشمط
والطَّلُّ فى سلك الغصون كلؤلؤ ... رَطْبٍ يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفةٌ ... والرِّيح تكتب والغمام ينقِّطُ

---

(١) فى خزانة ابن حجة « ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى »

(٢) فى خزانة ابن حجة « لله يوم فى دمشق قطعته » وفيه « بمثله »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومنه قول ابن لنكك المصرى [من الطويل]:

قِفِ انظر إلى در السحاب كأنه نثارٌ وأحداقُ القرارات تلقطه
إذا كتبت أيدى الرياح على الثرى بنَوْرٍ فأيدى الغيم بالقطر تنقطه

وقول أبى زهير مهلهل بن نصر بن حمدان [من الكامل]:

أأخا الفوارس لو رأيتَ مواقفى والخيلُ من تحتِ الفوارس تنحطُ
لقرأتَ منها ما تخطُّ يدُ الوغى والبيضُ تشكلُ والأسنةُ تنقطُ

وقول الصاحب بن عباد يصف الوحل [من البسيط]:

إنى ركبتُ وكفُّ الأرض كاتبةٌ على ثيابى سطوراً ليس تنكتمُ
والأرضُ مِحبرةٌ والحبرُ من لثق والطرسُ ثوبى ويُمنى الأشهب القلم

وقول حازم فى مقصورته يصف ماء [من الرجز]:

إذا علاَ نشيشُهُ عود ما جزّ من النبتِ الجميم ودحا
ونفث الفضة ذوباً وغدا يخطُّ ما كان الزمانُ قد محا

وهو مأخوذ من قول أبى إسحاق بن خفاجة [من الكامل]:

وعشىّ أُنس أضجعتنى نسوةٌ فيه تُمهِّدُ مضجعى وتُدمِّثُ
خلعتْ علىّ به الأراكةُ ظلَّها والغُصْنُ يُصغى والحمامُ يُحدِّثُ
والشمسُ تجتحُ للغروب مريضةً والرَّعدُ يرقى والغمامةُ تنفثُ

ومثله قول ابن قاضى ميله [من الطويل]:

وجَوْنٍ مُرنٍّ الرَّعدِ يستنُّ ودقه ترَى بَرْقه كالحيّة الصِّلّ تطرفُ
كأنى إذا مالاحَ والرَّعدُ مُعْولٌ وجفنُ السحاب الجَوْن بالماء يذرفُ
سليمٌ وصوْتُ الرعد راقٍ وودقُهُ كنفثِ الرُّقى من سُوء ما أتكلّفُ(١)

(١) السليم : اللديغ ، وفى أمثالهم « السليم لا ينام ولا ينيم » وقد سموه بذلك تفاؤلا له بالسلامة ، كما سموا الصحراء مفازة اسم مكان من الفوز . وإنما هى مهلكة ، لأنهم تفاءلوا لسالكها بالفوز

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وما أحسن قول ابن عبدالظاهر [من الخفيف] :

مُفردٌ فى جمَالِه إن تبدّى خجلَتْ مِنهُ جُمْلَةُ الأقمارِ
كيفَ أرْجو الوَفاء مِنه وعاملتُ غريمًا مِنْ لحظِهِ ذا انكسار
ذُو حواشٍ تلُوحُ من قلم الرَّيحان فى خدّهِ فجَلّ البَارى
فيهِ وجدِى مُحَقَّقٌ وسلوّى وكلامُ العذُول مثْلُ الغبار
فلِسَانى فى وصفهِ قلم الشعـــــر ورقّى المكتوبُ بالطُّومار

وبديع قول ابن جابر، وذكر الأقلام السبعة [من البسيط] :

تَعليقُ رِدفك بالخَصْر الخَفيف لهُ ثُلثُ الجمال وقَدْ وَفَّتْهُ أجفانُ
خدٌّ عَليهِ رقاعُ الرّوض قد خلعت وفى حواشيهِ للصُّدْغين ريحَانُ
خطّ الشّبَاب بطومار العذَار بهِ سطراً ففَضاحهُ لِلنّاس فتّان
مُحققٌ نسخ صبرى فى هوَاه ومن توقيع مَدْمعىَ المنثور بُرهان
يا حُسن ما قلم الأشعار خطَّ على ذاك الجبين فلاَ يَسلوه إنسان
أقسَمْت بالمصْحَف السامى وأحرفه ما مرّ بالبال يوماً عنكَ سُلوَانُ
ولا غبارَ على حبٍّ فعِنـدَك لى حسابُ شوقٍ له فى القَلب دِيوان

ولمؤلفه رحمه الله تعالى من أبيات [من الرمل] :

وبطومَار الوَفا يَنسْخ ما وقع القَلْبُ به إذ يَهجُرُ
ويشمُّ القَلبُ رَيحانَ الرضَى ليسَ فيـهِ لغبار أثَرُ
فرجائى فِيهِ قَدْ حقَّقه من رقاع عدُّها لا يُحْصرُ

وله رحمه الله تعالى من أبيات أخرى [من مجزوء الرجز] :

يا صاحِبَ الانشاء ما سِوَاك عنه يخبر
عسى بِطومار الوفا توقيع سَعْدِى يُزْبَرُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأجتنى ريحانه دون غبار يُضجِرُ
ومن حواشي مجده أنسخ ما يكرّر
في محقّق الرّجا منكَ الرّقاع تُسطر

ولابن مليك فيه أيضاً [من الكامل] :

فالخدُّ بانَ الوردُ فيه محقّقاً والصُّدْغ فيه مُسلسلٌ ريحانُهُ

وما أبدع قوله بعده، وإن لم يكن مما نحن فيه :

والخالُ حينَ به تبدّى أسوَداً أيقنتُ أنّ شقيقَهُ نعمانُهُ

وقوله أيضاً [من السريع] :

ورْدىّ خدٍّ قدْ ذكا نَشْرُه عليه لمّا ضاع دارَ العِذارْ
أقسِم بالفضّاح من عَبْرتى ريحانُه ليس عليه غُبارْ

وما أبدع قوله بعده أيضاً :

فاترُ جفنٍ باردٌ ريقُه بينهما القلبُ من الوجد حارْ

وهذه الأبيات من قصيدة بديعة مطلعها :

ما كُنتُ أدرى قبل نبتِ العِذارْ أن يطلُع الريحانُ فى الجلنارْ

من التوجيه فى علم الرمل

ومن التوجيه فى علم الرمل قول البهاء زهير [من الطويل] :

تعلمتُ علمَ الرَّملِ لما هجرْتنى لعلِّى أرى شكلاً يدلُّ على الوصلِ
فقالوا طريقٌ قلتُ يارب لِلِّقا وقالوا اجتماعٌ قلتُ يارب للشّمل

وقول جمال الدين بن مطروح [من الطويل] :

حلا ريقُه والدُّرّ فيه مُنضّدٌ وَمَنْ ذا رأى فى العذب دُرًّا منضّدَا
رأيت بخدَّيه بياضاً وحُمرةً فقلتُ لى البُشرَى اجتماعٌ تولّدا

من التوجيه فى الهندسة

ومن التوجيه فى علم الهندسة قول ابن جابر أو العلوى الأديب المصرى فى مليح منهدس وأجاد [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يحيط بأشكال الملاحة وجْهُهُ كأن به إقليدساً يتحدّث(١)
فعارِضُهُ خطٌّ استواءٍ وخالهُ بهنقطةٌ والصُّدْغُ شكلٌ مُثلّث(٢)

وقول ابن النبيه فى صبي يشتغل بالهندسة [من الطويل] :

وبى هندسىّ الشّكلِ يَسْبيك لَحْظه وخالٌ وخدّ بالعــذار مطرّز
ومُذْ خط بيكار الجَمال عِذَاره كقَوْس علمنا أنما الخالُ مَرْكز

وقول ابن التلميذ أو أبى على المهندس المصرى [من الطويل] :

تَقَسَّم قلبى فى محبّةِ معْشَر بكلِّ فتى منهم هوًى مَنوطُ
كأن فؤادى مركزٌ وهُمُ له محيطٌ وأهوائى إليه خطوط

وظريفٌ قول بعضهم [من الكامل] :

لما انثنى وهوَ البَسيط تبيّنت لى منــه دائرةٌ كحَلْقَةِ خاتم
ورأيْت فى الشكل المدوَّر نقطةً فجللت مَرْكزَها بخطٍّ قائم

وقول ابن فلاس النحوى [من السريع] :

إن الرُّمَيليَّ فتى راويَهْ للطِّبِّ والفَلسفَة العاليهْ
حازَ المساحات فأضحَى بها يستَنْبط الماء بلا ساقيهْ
كأنما ينزل مَخْروطه على عمودٍ قائم الزّاويَهْ

وقول هشام بن أحمد الرقشى [من الكامل] :

قد بيّنَتْ فيه الطبيعة أنّها ببديع أعمَال المهَندِسِ باهرَه
عبثتْ بمبسمِهِ فخطتْ فوقهُ بالمسكِ قوساً من محيط الدائرَهْ

(١) فى خزانة ابن حجة « محيط بأشكال الملاحة وجهه »
(٢) فى خزانة ابن حجة « والشكل شكل مثلث »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من التوجيه فى علم النجوم

ومنه فى علم النجوم قولُ ابن جابر [من الكامل] :

يا حسنَ ليلتنا التى قد زارنى فيها فأنجز ما مضى من وَعْدِهِ
قَوَّمْتُ شمسَ جماله فوجدتها فى عقربِ الصُّدْغ الذى فى خدِّهِ

من التوجيه فى الموسيقى

ومنه فى علم الموسيقى قول البدر بن لؤلؤ الذهبى [من الكامل] :

وبمهجتى المتحملونَ عشيةً والركبُ بينَ تلازم وعناقِ
وَحُدَاتهمْ أخذتْ حجازاً بعدَما غَنَّتْ وَراء الركب فى العشاقِ

وَمن التوجيه النظيف ، قول ابن نباتة المصرى ، فى أسماء منتزهات دمشق [من الرجز] :

يا حبذا يومى بوادى جلَّقٍ وَنزهتى معَ الغزال الحالى
من أوّل الجبهة قدْ قبلتهُ مرتشفاً لآخر الخلخالِ

ومحاسن التوجيه كثيرة ، فلنقتصر على هذه النبذة ، والله أعلم .

* * *

شاهد الهزل يراد به الجد

١٥٤ — إذَا ما تميمىٌّ أتاكَ مفاخراً
فقلْ عدٍّ عنْ ذَا كيف أكْلُكَ للضبِّ

البيت لأبى نُوَاس من قصيدة من الطويل[1] ، يهجو تميما وأسداً ، ويفتخر بقحطان ، أولها :

ألاَ حىّ أطلاَلاً بسيحانَ فالعذبِ إلى مُرْعِ فالبئرِ بئرِ أبى رُغبِ[2]

(١) اقرأها فى الديوان (١٥٨)

(٢) فى الديوان « إلى برع » بالباء فى مكان الميم ، و « أبى زعب » بالزاى ، وسيحان — بفتح فسكون — نهر بالشام ، وآخر بالبصرة . والعذب — بفتح فسكون — شجر . وبرع — بضم ففتح — جبل بتهامة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تمشّى بها عفْرُ الظباء كأنها أخاريدُ من رُوم يُقَسَّمْنَ فى نَهْبِ (١)
عليها من السرحاءِ ظلٌّ كأنهُ هذا ليلُ ليلٍ غير منصرمِ النحْبِ (٢)
تلاعب أبكارَ الغمامِ وتنتمى إلى كلِ زحلوق وخالفة صعب (٣)
منازل كانت من حذامِ وفَرْتَنَا وتربيهما هندٍ فناهيكَ من تربِ (٤)

وبعده البيت ، و بعده :

تُفَاخِرِ أبناء الملوك سفاهةً وبولُكَ يَجْرِى فوق ساقك والكعبِ
إذا ابتدر الناس الفعال فخذ عصىً وَدعدعْ بمعزى يا ابن طالقة الذرْبِ (٥)

وهى طويلة .

والشاهد فيه : الهزل الذى يراد به الجد ، فان سؤال التميمى عن أكله الضب فى معنى الاستهزاء ، و إذا تأملته فى الحقيقة فهو جدّ ، لأن مما يكثرون من أكل الضب ويُعيّرون به .

وكان الحيصَ بيصَ الشاعرُ تميمياً ، فقال أبو القاسم بن الفضل ، أو الرئيس على بن الأعرابى يهجوه [من الخفيف] :

---

(١) العفر ـ بضم فسكون ـ جمع عفراء ، وهى التى لونها العفرة . والأخاريد : الأبكار ، أو اللاتى فى صوتهن لين ، وكأنه جمع خريدة على غير قياس

(٢) فى الأصل « عليها من السرحان » وأثبتنا ما فى الديوان . والسرحاء : واحدة السرح ، وهي الشجرة الطويل . والهذاليل : جمع هذلول ، وهو أول الليل أو بقيته . والنحب : الأجل

(٣) فى الأصول « إلى كل زحلوق زحالقة صعب » وقد أثبتنا ما فى الديوان . والزحلوق ـ بزنة عصفور ـ النشيط

(٤) فى الأصل « منازل كانت من جذام » وحذام ـ بالحاء المهملة ـ من أسماء نسائهم .

(٥) فى الأصل « يا ابن ضالعة الزرب » محرفا عما أثبتناه عن الديوان . ودعدع : فعل من قولهم فى زجر الغنم : دع ، دع ، أوداع داع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كَمْ تبارى وَكَمْ تُطَوِّلُ طرْطو ... رَكَ ما فيك شعرةٌ من تميمِ
فكلِ الضبَّ واقرضِ الحنظلَ الأخـ ... ـضرَ واشرب ماشئت بَوْلَ الظليمِ
ليس ذَا وَجْهَ منْ يُضيفِ ولاَ يَقْـ ... ـرى ولا يدفع الأذَى عنْ حريمِ

من أمثلة الهزل الذى يراد به الجد

ومن شواهده ما أنشده ابن المعتز لأبى العتاهية [من البسيط] :

أرقيكَ أرقيكَ باسم الله أرْقيكاَ ... منْ بُخْل نفسكَ علَّ الله يشفيكاَ
ما سِلْمُ كفكَ إلا مَنْ يناولها ... ولا عدوُّكَ إلا من يُرَجِّيكاَ

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس بقوله [من الطويل] :

وقدْ عَلمتْ سلمى وإن كانَ بَعْلُهَا ... بأنّ الفتى يهـذى وَليسَ بفعّالِ

قال ابن أبى الأصبع : ما رأيت أحسن من قوله ملتفتا « وإن كان بَعْلُهَا »

ومنه قول ابن جابر [من السريع] :

تزعمُ يا ظبيُ مساواتها ... ولستُ أبدى لكَ تفنيدَا
إن كانَ ماتزعمُ عارضْ لَنَا ... مقلتها واحْكِ لنا الجيدَا

وقول ابن دانيال [من الخفيف] :

قلْ لغصن الأراكِ ويحكَ تحكى ... قدَّ محبوبتى وَلم تَخْشَ منىِّ
أنا لولا غَفَلْتُ عنها فماستْ ... ما تعلمتَ أنتَ منها التثنِّى

وقول ابن نباتة المصرى [من الكامل] :

سلبتْ محاسنُكَ الغزالَ صفاتهِ ... حتّى تحيرَ كلُّ ظبى فيكاَ
لكَ جيدهُ ولحاظه ونفارهُ ... وغدا نظيرُ قُرونه لاَ بيكاَ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الخفيف] :

عارَضَ البدرُ وجنتيها فقلنا ... عدّ عن ذا وقل لنا عن محاقكْ
أوثقتْنِي بحبها ثمَّ قالتْ ... لىَ بالله كيفَ حالُ وثاقكْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولابن حجة الحموى فيه أيضا [من السريع] :

وصاحب تسمح لى نفسه بغدوة لكنْ إذا ما انتشى
يضحك سِنِّى للغدا عنده لكننى أقلع ضرسى العشا

وقريب من معناه قول الأديب الاسطرلابى [من الطويل] :

لنا صاحبٌ نهوى محل فنائهِ ولا يهتدى ضيفٌ محل فنائهِ
نزلتُ عليهِ مرةً فأضافنى ولكنْ إلى الأقصى أتى بغدائهِ

وقريب من معناه قول بعضهم [من الوافر] :

نزلتُ على أبى سعدٍ فحيَّا وهيأ عندهُ فُرُشَ المقيلِ
وقال علىَّ بالطباخ حتى يزيد من البوارد والبقولِ
فغدَّانى برائحـــــة الأمانى وعَشَّانِى بميعادٍ جميلِ

وقول القاضى كمال الدين بن النبيه [من الوافر] :

ألاَ ياربّ هب لى منك عمراً كليلةَ كل ضيفٍ بات عندهْ
فكم أعطى كدُهْنِ اللوز لفظاً وكم مخض الكلام بنير زُبْدَهْ
وسَقَّفَنِى سقوفَ الريحِ منه ولعقنِى لعوقَ الماءِ عِنْدَهْ

* * *

شاهد تجاهل العارف

١٥٥ — أيا شجرَ الخابور مالكَ مورقاً
كأنَّكَ لم تجزع على ابن طريف

البيت لليلى بنت طريف الشيبانى ، ترثى أخاها الوليد بن طَرِيفٍ ، من أبيات من الطويل[1] ، أولها :

---

(١) اقرأها فى الأغانى (١١ — ٨) وفى ابن خلكان (٣ — ١٠٤) مع بعض تغيير وبعض نقص فى الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بتلٌّ نباتى رَسْمُ قبرٍ كأنه على عَلَمٍ فوق الجبال منيفِ (١)
تَضَمَّنَ جوداً حاتمياً ونائلاً وَسَوْرَةَ مقدام وقلب حصيفِ

ورأيت فى تاريخ ابن خلكان هذا البيت على غير هذا الوضع ، وهو :

تضمن مجداً عاصمياً وَسوداً وهمة مقدام ورأى حصيف (٢)

و بعده البيت ، و بعده :

فتى لا يحبُّ الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قَنًا وسيوفِ
ولا الذخر إلا كل جرداء صلدم معاودة للكرّ بين صفوف
كأنك لم تشهدْ هناك ولم تَقُمْ مقاماً على الأعداء غير خفيف
ولم تستلم يوماً لوردٍ كريهةٍ من السرد فى خضراء ذات لفيف (٣)
ولم تسع يوم الحرب والحرب واقعٌ وَسُمْرُ القنا يَنهزْنها بأنوفِ (٤)
حليفِ الندَى ما عاش يرْضى بهِ الندَى
فانْ مات لمْ يَرْضَ الندَى بحليفِ
فقدْناكَ فُقدانَ الشباب وليتنا فديناك منْ فتياتنا بألوفِ
ومازال حتى أزهق الموت نفسه شَجًى لعدوّ أو نجا لضعيفِ (٥)
ألاَ يا لقوْمى للحمامِ وَللبلى وللأرضِ كَمْتٌ بعده برَجيفِ (٦)

---

(١) وقع فى الأصول « نثل نباثا » محرفا . ونباتى ـ بزنة سكارى ـ موضع بالبصرة . وفى ابن خلكان « بتل نهاكى »

(٢) الذى فى نسخة ابن خلكان « تضمن مجدا عد مليا وسوددا »

(٣) فى ابن خلكان « خضراء ذات رفيف »

(٤) فى ابن خلكان « والحرب لا قح » وفيه « ينكزنها بأنوف »

(٥) فى الأصل «أولى لضعيف» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى ابن خلكان

(٦) فى ابن خلكان « همت بعده برجوف » وفى الأغانى :

ألا يالقومى للنوائب والردى ودهر ملح بالكرام عنيف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وللبدر منْ بين الكواكب قد هوَى ... وللشمس لما أزمعتْ لكسوفِ (١)
وللّيثِ كلّ اللّيث إذْ يحملونهُ ... إلى حفرةٍ ملحودةٍ وسقيفِ
ألاَ قاتلَ اللهُ الرَّدَى حيثُ أضمرتْ ... فتىً كانَ للمعْرُوف غيرَ عيوفِ (٢)
فإن يكُ أرْدَاهُ يزيدُ بنُ مزْيَدٍ ... فرُبَّ زُحُوفٍ لفَّهَا بزُحُوفِ
عليهِ سلامُ اللهِ وَقْفاً فإننى ... أرَى الموتَ وَقاعاً بكلّ شريفِ

ترجمة الوليد ابن طريف

وكان الوليد بن طريف هذا رأسَ الخوارج ، وأشدهم بأساً وصولةً ، وأشجعهم . وكان من بالشماسية لا يأمن طرُوقهُ ، واشتدت شوكته ، وطالت أيامه ، فوجه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مزيد الشيبانى ، فجعل يخاتله ويما كره ، وكانت البرامكة منحرفة عن يزيد بن مزيد ، فأغرَوا به الرشيد ، وقالوا : إنه يتجافى عنه للرحم ، وإلا فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يواعده ، وينتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب مُغْضَب يقول فيه : لو وجهت أقل الخدم (٣) لقام بأكثر مما تقوم به أنت ، ولكنك مُداهن متعصب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أخرت مناجزة الوليد ليوجهنّ إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين ، فلقى الوليد عشية خميس فى شهر رمضان ، فيقال : إن يزيد جهد عطشاً حتى رمى بخاتمه فى فيه ، وجعل يلوكه ويقول : اللهم إنها شدة شديدة ، فسهلها ، وقال لأصحابه : فداكم أبى وأمى ! إنما هى الخوارج ، ولها حملة ، فاثبتوا لهم تحت التراس ، فاذا انقضت حملتهم فاحملوا ، فانهم إذا انهزموا لم يرجعوا ، وكان كما قال ، حملوا حملة فثبت يزيد ومن معه من عشيرته وأصحابه ،

(١) فى ابن خلكان « إذ هوى » وفيه «أزمعت بكسوف» وفى الأغانى « وللشمس همت بعده بكسوف »
(٢) فى ابن خلكان « ألا قاتل الله الحمام حيث أضمرت »
(٣) فى ابن خلكان « أحد الخدم » وكذا فى الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ثم حمل عليهم فانكشفوا ، واتبع يزيد الوليد بن طريف فلحقه بعد مسافة بعيدة ، فاحتز رأسه ، وكان الوليد خرج إليهم حين خرج ، وهو يرتجز ويقول [من الرجز] :

أنا الوليدُ بنُ طريف الشارِى قسورَة لا يُصْطَلَى بنارِى
* جَوْرُكُم أخرجنى من دَارِى *

فلما وقع فيهم السيف وأخذ رأس الوليد صحبتهم(١) أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع والجوشن ، فجعلت تحمل على الناس ، فعُرِفت ، فقال يزيد : دعوها ، ثم خرج إليها فضرب بالرمح قَطَاة فرسها ، ثم قال لها : اغْرُبِى ، غرّب الله عليك ، فقد فضحت العشيرَة ، فاستحيت وانصرفت ، وهى تقول الأبيات . وكان ذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة .

ولما انصرف يزيد بالظَّفَر حُجِب برأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصيفنّ واشتونّ على فرسى أو أدخل ، فارتفع الخبر بذلك ، فأذن له ، فدخل ، فلما رآه أمير المؤمنين ضحك وسرّ وأقبل يصيح : مرحباً بالأعرابى ، حتى دخل وأجلس ، وأكرم ، وعرف بلاؤه ونقاه صدره ، ومدحه الشعراء بذلك . وكان أحسنهم مدحاً مسلم بن الوليد ، فقال فيه قصيدته التى أولها [من البسيط] :

أجرَرْتُ حبلَ خليعٍ فى الصبا غزلِ
وقصرَتْ همُ العذال عَنْ عذَلِى
هاجَ البكاءَ على العين الطموح هوًى
مُفرّقٌ بينَ توديعٍ ومرتحلِ

---

(١) فى الأغانى « سبعتهم » أى جاءتهم مجاءة ، وهو خير مما هنا بدليل ما بعده .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كيفَ السلوُّ لقلْبٍ باتَ مختبلاً
يَهْدِي بصاحبِ قلبٍ غيرِ مُختَبِلِ

إلى أن يقول فيها :

يفترُّ عندَ افترارِ الحرْبِ مُبتسماً إذَا تغيرَ وجهُ الفارسِ البطَلِ
مُوفٍ على مُهجٍ فى يومِ ذِى دَهَجٍ كأنهُ أجَلٌ يسعى إلىَ أمَلِ
ينال بالرِّفقِ ما تعيا الرجالُ بهِ كالموْتِ مُستعجلاً يأتى على مَهلِ

إلى أن يقول :

والمارقُ ابنُ طريفٍ قد دَلفْتَ لهُ بعارضٍ المنايَا مُسبلٍ هطِلِ (١)
لو أنَّ غيْرَ شَريكىٍّ أطَافَ بهِ فازَ الوليدُ بقِدْحِ الناضلِ الخضِلِ
ما كانَ جمعهمُ لما دَلَفْتَ لهمْ إلا كمثلِ جرَادٍ رِيعَ مُنجفِلِ

ولليلى أخت الوليد بن طريف فيه مراث كثيرة منها قولها [من المتقارب] :

ذكرتُ الوليدَ وأيامَهُ إذ الأرضُ من شخصهِ بلقعُ
فأقبلتُ أطلبهُ فى السماء كَمَا يَبْتَغِي أنفهُ الأجْدَعُ
أضاعَكَ قومُكَ فليطلبُوا إعارَةَ مثلِ الذى ضيعُوا (٢)
لَوَ انَّ السيوفَ التى حَدَّها يصيبكَ تعْلمُ ما تصنعُ
نَبَتْ عنكَ أو جفلَتْ هيبةً وَخوفاً لصولكَ لا تقطعُ

والخابور : نهر بين رأس عين والفرات يصب إليه .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، وسماهُ السكاكى : سوق المعلوم مساق غيره لنكتة ، وهى هنا التوبيخ ، فانها تعلم أن الشجر لا يجزع على ابن طريف ،

---

(١) فى الأصل «قد زلفت له» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان والأغانى
(٢) فى الأغانى وابن خلكان « إعادة مثل الذى ضيعوا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لكنها تجاهلت واستعملت « كأن » الدالة على الشك ، والله أعلم .

* * *

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة في المدح

١٥٦ — ألمعُ بَرْقٍ سَرَى أمْ ضَوْءُ مصباحِ
أمِ ابتسامتُها بالمنظَرِ الضاحي

البيت للبحتري ، وهو من أول قصيدة (١) من البسيط ، يمدح بها الفتح ابن خاقان ، وبعده :

يا بؤسَ نفسٍ عليها جِدّ آسفةٍ وشجوَ قلبٍ إليها جدُّ مرتاحِ
يهتزُّ مثلَ اهتزاز الغصن أتعبهُ مرورُ غيثٍ منَ الوسمىّ سحَّاحِ
ويَرجعُ الليلُ مُبيَضاً إذا ابتسمَتْ عَنْ أبيض حَصِرِ السمطين لماح
وَجدت نفسكَ من نفسى بمنزلةٍ هى المصافاةُ بين الماء والراح
أثْنِي عليكَ بأنى لم أجدْ أحَداً يلحى عليكَ ،وماذا يزعم اللاحى
وليلةِ القصرِ والصهباء قاصرةٌ للهوِ بينَ أباريقٍ وأقداح
حييتُ خَدّيك بَلْ حييتُ من طَرَبٍ
وَرداً بوَردٍ ، وتُفّاحاً بتفّاحِ

وهى طويلة ، ومنها فى المخلص :

كم نظرةٍ فى جبال الشام لو نظرَتْ رَوَت غليلَ فؤادٍ منكِ ملتاحِ (٢)
والعيسُ تُرمى بأيديها على عجلٍ فى مَهمهٍ مثلِ ظَهرِ الترسِ رَحْرَاحِ
تُهْدَى إلى الفتح ، والنُّعمى بذاكَ لهُ مَدحاً يُقصِّرُ عنهُ كلُّ مَدّاحِ

(١) اقرأها فى الديوان (١ — ١١٣)
(٢) فى الديوان * كم نظرة لى حيال الشام لو وصلت * وهى أحسن مما هنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والضاحى : الظاهر .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف للمبالغة فى المدح ، فانه بالغ فى مدح ابتسامها ، بحيث لم يفرق بينه و بين لمع البرق وضوء المصباح كما هو ظاهر .

*
* *

من شواهد تجاهل العارف للمبالغة فى الذم

١٥٧ — * أقومٌ آلُ حصنٍ أم نساءُ *

هو من الوافر ، وصدره :

* وما أدرى وسوفَ إخالُ أدرى *

وقائله زهير بن أبى سُلْمَى ، من قصيدة (١) طويلة ، قالها فى هجاء بيت من كلب من بنى عليم ، وكان بلغه عنهم شىء ، وكان رجل من بنى عبد الله ابن غطفان أتى بنى عليم ، فأكرموه لما نزل بهم ، وأحسنوا جواره و واسوه . وكان رجلا مولعا بالقمار ، فنهوه عنه ، فأبى إلا المقامرة ، فقُمِرَ (٢) مرة فردوه عليه ، ثم قمر أخرى فردوه عليه ، ثم قمر الثالثة ، فلم يردوه عليه ، فترحَّلَ عنهم وشكا ما صنع به إلى زهير ، والعرب حينئذ يتقون الشعراء اتقاء شديداً ، فقال القصيدة ، وأولها :

عفا من آلِ فاطمةَ الجِوَاءُ ... فيمنٌ فالقوادمُ فالحساءُ

فذوهاشٍ فميثُ عريتناتٍ ... عفتها الريحُ بعدكَ والسماءُ (٣)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٥٦ دار الكتب)

(٢) قمر — بالبناء للمجهول — غلب فى المقامرة

(٣) فى الأصل « فبيت عريتنات » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان وذوهاش وعريتنات : أرضان ، ومَيث — بكسر الميم — جمع ميثاء ، وهى مسيل الماء مثل نصف الوادى أو ثلثه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فلما أنْ تَحَمَّلَ آلُ لَيلَى ... جرَتْ بيني وبينهمُ ظباءُ

جَرَتْ سُنُحًا فقلتُ لها أجيزي ... نوًى مشمولةٌ فمتى اللقاءُ (١)

كأنَّ أوابدَ الثيران فيها ... هجائنُ في مَغابنها الطلاءُ (٢)

لقدْ طالبتها وَلكلِّ شيءٍ ... إذا طالتْ لحاجتهُ انتهاءُ

وقد أغدُو على شَرْبٍ كرَامٍ ... نُشَاوَى واجدينَ لِما نشاءُ

لهمْ رَاحٌ وَرَاوُوقٌ وَمسكٌ ... تعلُّ بهِ جُلودُهمُ وماءُ

أمشِّي بينَ قتلَى قدْ أُصيبتْ ... دِماؤهمُ ولمْ تقطرْ دِماءُ (٣)

يجُرُّونَ البرُودَ وَقد تَمَشَّتْ ... حُميَّا الكأسِ فيهمْ والغَنَاءُ

وبعده البيت ، وبعده :

فإنْ تكنِ النساءُ مُخبآتٍ ... فحُقَّ لكلِّ محصنةٍ هِدَاءُ

وكان زهير يقول : ما خرجت قط في ليلةٍ ظلماء إلا خفتُ أن يصيبني الله عز وجل بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتهم .

والشاهد في البيت : تجاهل العارف للمبالغة في الذم ، وفيه دلالة على أن لفظ « القوم » لا يطلق إلا على الرجال خاصة .

---

(١) في الأصول * جرت سحا فقلت لها اخبريني * والسنح : جمع سنيح وهو ماولاك ميامنه من ظبي أو طائر أو غيرهما ، والعرب تتيامن به ، ولكن زهيرا تشاءم به . وأجيزي : انفذي

(٢) في الأصل « في مغانيها الطلاء » محرفا عما أثبتناه ، والمغابن : جمع مغبن ـ بزنة مجلس ـ وهي الابط وأصل الفخذ ، وكل ما خبىء من الانسان ، والطلاء : القطران

(٣) في الديوان « قد أصيبت نفوسهم »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد تجاهل العارف للتدله فى الحب

١٥٨ — باللهِ يا ظبياتِ القاعِ قلنَ لنا
لَيلايَ منكنَّ أمْ ليلى مِنَ البشَرِ

البيت من قصيدة من البسيط ، واختلف فى نسبته : فنسب للمجنون ، ولذى الرمة ، وللعَرجيّ ، وللحسين بن عبد الله الغزى ، ونسبه الباخرزى ، فى دمية القصر ، لبدوىّ اسمه : كامل الثقفى (١) ، والأكثرون على أنه للعرجى ، وأول قصيدة كامل الثقفى (١) :

إنسَانةُ الحىِّ أم أدماءة السمُرِ يا للنهى رقصها لحنٌ منَ الوتر
يا ماَ أميلح غزلاناً شدَنَّ لنَا من هؤُليَّاء بينَ الضال والسمُرِ (٢)

وقال ابن داود فى الزهرَة : قال بعض الأعراب :

يا سَرحةَ الحىِّ أينَ الرُّوحُوا كبدِى لهفاً تذوبُ و بيتِ الله من حسرِ
ما أنتِ عجماء عما قد سئلتِ فماَ بالُ المنازلِ لم تنطق ولَم تحرِ
يا قاتَلَ الله غاداتٍ قرَعْنَ لنا حبَّ القلوب بما استودعنَ منحوَرِ
عنت لنا وعيونٌ من براقعها مكنونةٌ مُقَلُ الغزلان والبقَرِ

و بعده * ياما أميلح . . . . . البيت * .

والقاع : أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام ، وتجمع على قيع وقيعة ، وأقواع ، وأقْوُع . والبشر : الإنسان ، ذكراً كان أو أنثى ، واحداً أو جمعا . وقد يثنى ، وقد يجمع .

والشاهد فى البيت : تجاهل العارف ، للتدله فى الحبّ ، وهو : التحير والدهش .

---

(١) وقع فى الأصول « كامل المنتقى » فى الموضعين ، وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الدمية

(٢) فى الدمية وشواهد النحاة « من هؤليا ئكن الضال والسمر »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومنه قول ذى الرمة [من الطويل] :

أياظبيةَ الوعساء بينَ جلاَجلٍ ... وبينَ النقا أأنت أم أُمُّ سالمِ

وما ألطف قول المتنبي [من الخفيف] :

أترَاها لكثرةِ العُشاقِ ... تحسبُ الدمعَ خِلْقَةً فى المآقى

وقول القاضى الفاضل ، يمدح الملك العادل ، أبا بكر بن أيوب ، رحمه الله تعالى ! [من البسيط] :

أهذهِ سيرٌ فى المجد أمْ سورُ ... وهذهِ أنجمٌ فى السعد أم غررُ ؟

وأنملٌ أم بحارٌ والسيوفُ لها ... موجٌ وإفرِندُها فى لجها دُرَرُ

وأنت فى الأرض أم فوق السماء وفى ... يمينكَ البحرُ أم فى وجهكَ القمرُ

وقوله فيه أيضاً وأجاد [من الوافر] :

أهذِى كفه أم غوثُ غيثٍ ... ولا بلغَ السحابَ وَلا كرامهْ

وَهذَا بشرُهُ أمْ لمعُ برْقٍ ... وَمنْ للبرْقِ فينَا بالإقَامهْ

وهذَا الجيشُ أمْ صَرْفُ الليالى ... ولاَ بلغَتْ حوَادثها زِحامَهْ

وَهَذَا الدهرُ أمْ عبدٌ لديهِ ... يُصرِّفُ عَنْ عزيمتهِ زمامهْ

وهذا نَصْلُ غمدٍ أم هِلالٌ ... إذا أمْسَى كَنُونٍ أم قُلاَمَهْ

وَهذَا التربُ أم خَدٌّ لثمناَ ... وآثار الشفاهِ عليهِ شَامَهْ

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

وإذاقلتُ أينَ دَارى وقالوا ... هِىَ هذِى أقولُ أينَ زَمانى

وقول مهيار الديلمى [من الطويل] :

سلاَ ظبيةَ الوادِى وما الظبيُ مثلها ... وإن كان مصقولَ التَّرَائِبِ أكحلا

أأنتَ أمَرْتَ البدْرَ أنْ يَصدَعَ الدُّجى ... وَعَلَّمْتَ غُصنَ البَانِ أنْ يتَمَيَّلاَ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول ابن نباتة السعدي [من الطويل] :

فوالله ما أدْرى أكانتْ مُدَامةً ... من الكرْمِ تُجنى أمْ من الشمسِ تُعصرُ

ومن البديع فى هذا الباب قول ابن هانىء الأندلسى فى المعز لدين الله بانى القاهرة [من الكامل] :

ابنى العوَالى السَّمهرِيَّةِ والموا ... ضِى المشرفيَّةِ والعديدِ الأكثرِ

منْ منكمُ الملكُ المطاعُ كأنهُ ... تحتَ السوابغِ تُبَّعٌ فى حِمْيرِ

يحكى أنه لما أنشدها تَرَجَّلَ العسكر كله ، ولم يبق راكب سوى المعز ، فلا يعلم بيت شعر كان جوابه نزول عسكر جرار غيره .

وما أجود قول التهامي يشكو السهر [من الكامل] :

قصُرَتْ جُفونى أم تباعدَ بينها ... أمْ مُقْلتى خُلقتْ بلا أشْفارِ ؟

وما أبدع قول الشيخ شرف الدين بن الفارض قدس الله سره [من الكامل] :

أومِيضُ برْقٍ بالأبيرقِ لاحا ... أم فى رُبا نجدٍ أرَى مِصباحا

أمْ تلكَ ليلى العامريَّةُ أسفرتْ ... ليلاً فصيرتِ المساء صباحا

وما أحسن قول الباخرزى [من الكامل] :

قالتْ وقدْ فتّشتُ عنها كلَّ منْ ... لاقيتُهُ منْ حاضرٍ أوْ بادِى

أنا فى فؤادِكَ فارْمِ لَحْظَكَ نحوهُ ... تَرَنى فقلتُ لها وأين فؤادِى

وفى معناه قول المولى الفاضل بن مليك يرثى ولده [من الخفيف] :

يا مكانَ الفؤادِ أينَ فؤادِى ... أتراهُ منهمْ على ميعادِ

وقول العميد أبي سهل محمد بن الحسن [من البسيط] :

يا دَهرَنا أيُّنا أشجى ببينهمُ ... أأنتَ أمْ أنا أمْ ريّا أمِ الدارُ

يا ليتَ شِعرِىَ ما ألوَى بِجدّتها ... هوجُ الرِّياحِ وصوْبُ الغيثِ مدْرارُ

أم صوْبُ دَمعى وأنفاسِى فهنّ لها ... بعدَ الأحبةِ أرْواحٌ وأمطارُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول ابن المنير الطرابلسى [من البسيط] :

منْ ركّبَ البدْرَ فى صدْرِ الرُّدينىِّ ... وموَّه السِّحر فى حدِّ اليمانىِّ
وأنزَل النَّيِّرَ الأعلى إلى فلكٍ ... مدارُه فى القَباء الخُسرُوَانىِّ
طرْفٌ رنا أمْ قُرابٌ سُلَّ صارمهُ ... وأغْيدٌ ماس أم أعطافُ خَطِّىِّ

وقول أبى نصر سعيد بن الشاه [من البسيط] :

أظاعِنٌ أم مقيمٌ أنتَ ياخَلَدِى ... فانى أوّلُ الغادِينَ بعدَ غدِ

وما أحسن ما قال بعده أيضاً :

غداً أودّعُ قوماً أوْدعوا كبدِى ... ناراً، وعهدِى بهمْ برداً على الكبدِ
أُبْدِى التجلُّدَ أحياناً فينهزُنى ... ريقٌ يجفُّ وخدٌ بالدُّموعِ ندِى
لاأنسَ يوْمَ تنازَعنا حديثَ نَوىً ... وقَوْلَها وهْىَ تبكى : خاننى جلدِى
فدمعُها بَرَدٌ فوْقَ العقيقِ جرَى ... وريقُها ضَرَبٌ قدْ شِيبَ بالبرَدِ
كُنَّا إلى الوَصلِ قدْ مِلْنا فنغَّصهُ ... هذا الرحيلُ الذِى مادارَ فى خَلدِى

وقول الوزير أبى سعد منصور بن الحسين الأبى [من المتقارب] :

أيا ربْعَ علوْةَ بِالمنحنَى ... أأنتَ بِها مغرَمٌ أمْ أنا
ويا طللَ الحىِّ مابالُنا ... لبستَ البلى ولبستُ الضنى

وما أحسن قوله بعدهما أيضاً :

أُناشدُك اللهَ فى قُرْبنا ... وأنّى ومنْ أينَ لى قرْبُنا
بشرْقىِّ سَلْمَى لنا منزِلٌ ... رفيعُ القواعدِ عالى البنا[1]
أتتنى فقالتْ لأترَابِها ... لنعمَ الفتى إنْ ثَوَى عِندنا
فقلت لها أين مَغْناكمُ ... ونحنُ بُحزْوَى فقالتْ هنا
ولكنّ منْ دُوننا باسلاً ... يغارُ علينا إذَا زُرْتَنَا

(١) سلمى : أحد جبلى طيء ، والثانى أجأ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فشاورْ إذا جئتَ جُنحَ الظلامِ فإما علينا وإما لنا
فلما امتطيْتُ إليها الدُّجَى دُفِعْتُ إلى تِرْبِها مَوْهِنَا
فقامتْ تَجُرُّ فُضولَ الرِّداءِ وتَسْفِرُ للوَصلِ ما بيننا
تَبِعْتُ إلى خِدْرِهَا تِرْبَها فصدَّت وقدَ رابها أمرُنا
وقالتْ أترْضَى بغير الرضى بِكوْنكَ يا ضيْفنا ضيْفنا

ومن المعجب هنا قول بعضهم [من الوافر]:

أقولُ له علاَمَ تميلُ مُجْباً على ضَعفي وقدُّكَ مستقيمُ
فقالَ تقولُ عنى فيَّ ميلٌ فقلْتُ له كذَا نقلَ النّسيمُ

ومن ظريف ما سمع فيه قول الصورى [من مجزوء الرمل] :

بالذِى ألْهَمَ تعذِيـــبى ثناياكَ العذَابا
والذِى صيَّر حظِّى منكَ هَجراً واجْتنابا
والذِى ألبسَ خدَّيْـــكَ منَ الوَرْد نِقابا
ما الذِى قالتْهُ عيْنا كَ لقَلبِى فأجابا

ولأحمد بن حمد يس [من الخفيف] :

أبروقٌ تلألأتْ أم ثغورُ وليالٍ دَجتْ لنا أمْ شعورُ
وغصونٌ تأوّدتْ أمْ قُدُودٌ حاملاتٌ رمانَهُنَّ الصُّدُورُ

ولابن شمس الخلافة [من الطويل] :

أشعرُكَ أم ليلٌ وَوجهُكَ أم قَمَرْ ونَشْرُكَ أمْ مسكٌ وثغرُكَ أم دُرَرْ
وخدُّكَ أم وردٌ وريقُكَ أم طلًى وجِسْمُكَ أم ماءٌ وقلبُكَ أم حَجَرْ
شككْنا على عِلمٍ وَمنْ غلبَ الهوى على قلبهِ غطّى على السمعِ والبصرِ

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فيه [من البسيط] :

ألؤلؤٌ نظمُ هذا الثَّغْرِ أم حَبَبٌ وقَرْقَفٌ طعمُ ذاكَ الرِّيقِ أم ضَرَبُ
وما أراهُ برَوْضِ الخدِّ وَرْدُ رُبًا أم جنّةٌ بدَمِ العُشاق تختضبُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وفى لَحاظِكَ سحرٌ يُستطالُ بهِ على القلوبِ أم المسنُونةُ القُضُبُ

ومن مجونه فيه قول بعضهم [من الطويل] :

ولم أدْرِ إذْ رَقَّ النسيمُ وعَيْشُنَا وصوْتُ مغنِّينا وصَهْباءُ قَرْقَفُ
أعيْشِى أم صوتُ المغنى أم الصِّبَا أم الكاسُ أم دِينى أرَقُّ وأضعفُ

وهو من قول الآخر [من الخفيف] :

اِسقنى خمْرةً كرَقّة دينى أوْ كعقلى ولا تقُلْ كحالى
خِيفةً منْ توهُّم الناسِ أنى قلتُ هذا فى مَعْرِضٍ لسؤالِ

ولطيف قول الشيخ صلاح الدين الصفدى [من الطويل] :

أقولُ لهمْ قدْ رَقَّ عيشِىَ والصِّبَا وعقلى وكاساتى وصوتُ الذى غَنّى
فقالَ الذى أهوَى: وخصرى نسيتهُ، فقلت له : واللهِ قدْ جئْتَ فى المعْنى

ترجمة العرجى

والعرجى [(١)] هو عبد الله بن [عمر بن [(٢)]] عمرو بن عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس .

وإنما لقب بالعرجى لأنه كان يسكن عَرْجَ الطائف ، وقيل : بل سمى بذلك لماء كان له ومال كان عليه بالعرج .

وكان من شعراء قريش ، وممن شهر بالغزل منهم ، ونحا نحو عمر بن أبى ربيعة فى ذلك ، وتشبه به ، وأجاد ، وكان مشغوفا باللهو والصيد حريصاً عليهما قليل المبالاة بأحد [(٣)] فيهما ، ولم تكن له نباهة فى أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه ، وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بن مروان بأرض الروم

---

(١) للعرجى ترجمة فى الأغانى (١-١٥٣) وفى مهذب الأغانى (٧-٢٩) وفى بعض نسخ الأغانى « هو عبد الله بن عمرو بن عمرو بن عثمان »

(٢) الزيادة عن الأغانى

(٣) فى الأغانى مكان هذه الجملة « قليل المحاشاة لأحد منهما »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكان له معه بلاء حسن ونفقة كثيرة ، وباع أموالا عظيمة وأطعم[1] منها فى سبيل الله تعالى حتى نفد كل ذلك ، وكان قد اتخذ غلامين فاذا جاء الليل نصب قدوره وقام الغلامان يوقدان ، فاذا نام أحدهما قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يصبحا يقول : لعل طارقا يطرق .

وحدث مصعب قال : كانت حَبَشِيَّةٌ من مولّدات مكة المشرفة ظريفة صارت إلى المدينة المنورة ، فلما بلغها موت عمر بن أبى ربيعة اشتد جزعها وجعلت تقول: مَنْ لمكة وشعابها وأباطحها ونَزَهها ووصف نسائها وحسنهن وجمالهن ؟ فقيل لها: خَفِّضِى عليك فقد نشأ فتًى من ولد عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يأخذ مأخذه ويسلك مسلكه ، فقالت : أنشدونى من شعره شيئا ، فأنشدوها ، فقالت : الحمد لله الذى لم يُضَيِّع حرَمه ، ومسحت عينيها .

وقال سلمة بن إبراهيم بن هشام : كنت عند أيوب بن مسلمة ومعنا أشعب ، فذكرنا قول العرجى [من الخفيف] :

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلكَ أينا ... أينَ تَصديقُ ما عهدتِ إلينا
فلقدْ خِفتُ منكِ أنْ تَصرِمى الحبـ ... ـلَ وأن تجمعى معَ الصُّرْمِ بَيْنَا
ما تقولينَ فى فَتًى هامَ إذْ ها ... مَ بمنْ لا يبالِ جهْلاً ومينا[2]
فاجعلى بيننا وبينكِ عَدْلاً ... لا تحيفى ولا يَحيفُ علينا
واعلمى أنَّ فى القضاءِ شُهوداً ... ويميناً فأحضِرى شاهدينا
خُلتى لوْ قدرتُ منكِ على ما ... قلت لى فى الخلاءِ حينَ التقينا
ما تحرَّجتُ منْ دَمى علمَ اللهُ ولو كنتُ قدْ شهدْتُ حُنينا

(١) فى الأغانى « وأطعم ثمنها فى سبيل الله » .
(٢) كذا ، والذى فى الأغانى ومهذبه « بمن لا ينال جهدا وحينا » ، وهو ارق مما هنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال : فقال أيوب لأشعب : ما تظن أنها وعدته ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظناً وعدته أن تأتيه فى شِعْبٍ من شعاب العَرْج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصلاة ، فعرض لها عارض شُغْلٍ فقطعها عن موعده ، قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كسير وعوير ، وكلٌّ غيرُ خير : فِنْدٌ أبو زيد مولى عائشة بنت سعد ، ووزر العذق [١] مولى الأنصار ، قال : فمن الحكم العدل ؟ قال : حصين بن غُرَيْر [٢] الحميرى ، قال : فما حكم به ؟ قال : أدَّتْ إليه حقه فسقطت المؤنة عنه ، قال : يا أشعب ، لقد أحكمت صناعتك ، قال : سل علامة عن علمه .

وحدث محمد بن مخارق قال : واعد العرجى ذات هوى له إلى شعب من شعاب عَرْج الطائف إذا نزل رجالها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف ، فجاءت على أتان لها معها جارية لها ، وجاء هو على حمار له ومعه غلام له ، فواقع هو المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونزا الحمار على الأتان ، فقال العرجى : هذا يوم قد غاب عُدَّاله .

وحدث الزهرى [٣] وغيره أن العرجى خرج إلى جنبات الطائف [٤] يوما متنزها ، فمر ببطن النقيع [٥] فنظر إلى أم الأوقص — وهو محمد بن عبد الرحمن المخزومى القاضى — وكان يتعرض لها ، فاذا رآها زمت نفسها [٦] وتسترت منه ، وهى امرأة من بنى تميم ، فبصر بها فى نسوة جالسة وهن يتحدثن ، فعرفها وأحب أن يتأملها من قرب ، فعدل عنها ، ولقى أعرابيا من بنى نصر على بكر له ومعه

---

(١) فى الأغانى « وزور الفرق » ، وفى بعض نسخه « وزر الفرق »

(٢) فى الأغانى « حصين بن عرير » بالمهملة ، ولكنه ذكر فيه فى الأخبار الآتية بالمعجمة كما هنا

(٣) فى الأغانى « الزبيرى وغيره » وهو الصواب

(٤) فى الأصل « جنبان الطائف » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٥) فى الأغانى « ببطن البقيع » .

(٦) فى الأغانى « رمت بنفسها » وأحسبه محرفا عما هنا .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَطْبَانِ من لبن ، فدفع إليه دابته وثيابه وأخذ قَعُوده ولبنه ولبس ثيابه، ثم أقبل فمر على النسوة، فصحن به : يا أعرابى ، أمعك لبن ؟ قال : نعم ، فمال إليهن ، وجعل يتأمل أم الأوقص ، وتواثب من معها إلى اللبن ، وجعل العرجى يلحظها وينظر أحيانا إلى الأرض كأنه يطلب شيئا ، وهن يشربن اللبن ، فقالت امرأة منهن : أى شىء تطلب يا أعرابى فى الأرض ؟ أضاع منك شىء ؟ قال : نعم ، قلبى ، فلما سمعت التميمية كلامه نظرت إليه ، وكان أزرق ، فعرفته فقالت: العرجى ورب الكعبة ، ووثبت وستَرَها نساؤها ، وقلن له : انصرف عنا لا حاجة بنا إلى لبنك ، فمضى منصرفا ، وقال فى ذلك [من الوافر] :

أقولُ لصاحبىَّ ومثلُ مابى ... شكاهُ المرءِ ذُو الوجد الأليمِ
إلى الأخوين مثلهما إذا ما ... تـــأوَّبهُ مؤرِّقـةُ الهمومِ
لحينى والبلاء لقيتُ ظُهْراً ... بأعلى النقعِ أُخْتَ بنى تميم
فلما أنْ رأتْ عيناىَ منها ... أسيلَ الخدِّ فى خلق عظيم(١)
وعَيْنَىْ جؤذرٍ خشفٍ وثغراً ... كأوْن الأقحوَان وجيدَ رِيمِ(٢)
حنا أتْرابها دُونى عليها ... حُنُوَّ العائداتِ على السقيم

وحدث مصعب بن عبدالله عن أبيه ، قال : أتانى أبوالسائب المخزومى ليلة بعد ما رقد الناس(٣) فأشرفت عليه ، فقال : سهرت وذكرت أخًا لى أستمتع به فلم أجد سواك ، فلو مضينا إلى العقيق وتناشدنا وتحدثنا ، فمضينا فأنشدته فى بعض ذلك بيتين للعرجى ، وهما [من الكامل] :

بَاتا بأنْعَمِ . لَيلةٍ حتى بدا ... صُبْحٌ تلوّح كالأغرّ الأشقرَ

(١) فى الأغانى « في خلق عميم »
(٢) فى الأغانى « وعينى جؤذر خرق » ويقال : خرق الظبي فهو خرق ـ كفرح فهو فرح ـ إذا دهش من فزع
(٣) في الأغاني « بعدما رقد السامر »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فتلازَما عندَ الفراقِ صبابةً أخذَ الغريمُ بفَضْلِ ثوبِ المُعْسِرِ

فقال : أعـده علي ، فأعدته ، فقال : أحسن والله ، امرأته طالق إن نطق بحرف غيره حتى يرجع إلى بيته ، قال : فلقينا عبدالله بن حسن [بن حسن][1] ، فلما صرنا إليه وقف بنا وهو منصرف من ماله يريد المدينة المنورة ، فسلم ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال له :

فتلازَما عِندَ الفراقِ صبابةً أخذَ الغَريمُ بِفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفت إلي وقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت : منذ الليلة ، فقال : إنا لله ، وأي كهل أصيبت به قريش ؟ ثم مضينا فلقيه محمد بن عمران التيمي[2] قاضي المدينة يريد مالا على بغلة له ومعه غلامه على عنقه مخلاة فيها قيد البغلة ، فسلم عليه ثم قال له : كيف أنت يا أبا السائب؟ فقال : * فتلازما عند الفراق صبابة * وذكر البيت ، فالتفت إلي وقال : متى أنكرت صاحبك ؟ فقلت كما قلت آنفاً ، فلما أراد المضي قلت : أفتدعه هكذا ؟ والله لا آمن أن يتهور في بعض آبار العقيق ، قال : صدقت . ياغلام قيده بقيد البغلة ، فوضعه في رجليه ، وهو ينشد البيت ويشير بيده إليه ، يرى أنه يفهم عنه قصته ، ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : احمله على بغلتي وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قبحك الله ماجناً ! فضحت شيخاً من شيوخ قريش وغررتني .

وكان العرجي يشبب بجيداء ـ وهي أم محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي ـ ليفضح ابنها لمحبة كانت بينهما ، فكان محمد بن هشام يقول لأمه: أنت غضضت مني لأنك أمي ، وأهلكتني وقتلتني ، فتقول له : ويحك! وكيف ذلك ؟ فيقول : لو كانت أمي من قريش ما ولي الخلافة غيري .

---

(١) الزيادة عن الأغاني .

(٢) في الأصل « التميمي » محرفا عما أثبتناه وهو موافق لما في الأغاني

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكان العرجى فى خلال ذلك يهجو محمد بن هشام ، فلم يزل مضطغنا عليه متطلباً سبيلا إليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيده وضربه وأقامه للناس على البُلُسِ ثم حبسه وأقسم أن لا يخرج من السجن ما دام له سلطان ، فمكث فى حبسه نحواً من تسع سنين حتى مات فيه .

وروى أن السبب فى حبس محمد بن هشام العرجىَّ أنه لاَحَى مولًى لأمية فأمضه[1] العرجى ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له ، فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مواليه وعبيده ، فهجم عليه فى منزله فأخذه فأوثقه كتافا ، ثم أمر عبيده أن ينكحوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار ، فاستَعْدَت إمرأة المولى عليه محمد بن هشام ، فحبسه . 12

وقيل : إن العرجى كان قد وكل بحُرَمه مولًى له يقوم مقامه بأمورهن ، فبلغه أنه يختلف إليهن[2] ، فلم يزل يرصده حتى وجده يحدث بعضهن ، فقتله وأحرقه بالنار ، فاستعدت عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزومى ، وكان والياً على مكة المشرفة فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، فضربه ، وأقامه على البُلُسِ ، وسجنه .

وروى أن أشعب كان حاضرا العرجى وهو يشتم مولاه هذا ، وأنه طال شتمه إياه ، فلما أكثر رَدَّ المولى عليه ، فاختلط العرجى[3] من ذلك وقال لأشعب : اشهد على ماسمعت ، فقال أشعب : وعلى م أشهد وقد شتمته ألفاً وشتمك واحدة؟ والله لو أن أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب ما زاد على هذا شيئاً

ولما أخذ العرجى أخذ معه الحصين بن غرير الحميرى ، وكان صديقا له ، وخليطاً فجلدا وصب الزيت على رؤوسهما ، وأقيما على البُلُسِ بمكة ، فجعل العرجى ينشد [من الوافر] :

---

(١) أمضه : آلمه وأوجعه

(٢) فى الأغانى « يخالف إليهن »

(٣) اختلط : أراد أنه غضب غضباً شديداً ، حتى كأنما فقد عقله

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

سَينصرُنا الخليفَةُ بَعْدَ رَبِّي وَيَغضبُ حينَ يُخبَرُ عن مَسَاقي
عَلَيّ عباءَةٌ بِلْقَاء ليست مع البَلوَى تغيِّبُ نصفَ سَاقي
وتَغْضَبُ لي بأجمعِها قُصَيٌّ قطينُ البيت والدُّمْثِ الرقاقِ

ثم يصيح : ياغُرير أجياد يا غرير أجياد ، يعنى به الحصين بن غرير المجلود معه ، فيقول له : ألا تدعنا ، ألا ترى ما نحن فيه من البلاء ؟

ومر رجل على العرجى وهو واقف على البُلُسِ هو ورفيقه ، والناس مجتمعون ينظرون إليهما ، وكان الرجل صديقاً للعرجى ، وكان فأفاء ، فوقف عليه وأراد أن يتوجع لما ناله ويدعو له ، فلجلج لما كان فى لسانه كما يفعل الفأفاء ، فقال ابن غرير : لا فرجت من فيك أبدا ، فقال له الرجل : فمكانك إذا لا برحت منه أبدا .

ومر به صبيان يلتقطون النوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت ابن غرير إلى العرجى وقال له : ما أعرف فى الدنيا شيخين أشأم منى ومنك ، إن هؤلاء الصبيان لأهليهم عليهم فى كل يوم على كل واحد منهم مُدُّ نَوًى ، فقد تركوا لقطهم للنوى ووقفوا ينظرون إلى وإليك ، وينصرفون بغير شىء فيضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم .

وكانت وفاة العرجى سنة (١)

ولما ولى الوليد بن يزيد الخلافة كان مضطغنا على محمد بن هشام المخزومى لأشياء كانت تبلغه عنه فى حياة هشام ، فقبض عليه ، وعلى أخيه إبراهيم بن هشام ، وأشخصا إليه إلى الشام ، ثم دعا لهما بالسياط ، فقال له محمد : أسألك

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا ما نصه : « هكذا فى الأصول التى بأيدينا ولم نقف له على تاريخ وفاة بعد مراجعة بعض المظان » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بالقرابة، قال: وأى قرابة بينى و بينك، وهل أنت إلا من أشجع، قال: فأسألك بصهر عبد الملك، قال: لم تحفظه، قال: يا أمير المؤمنين قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب قرشى بالسياط إلا فى حدّ، قال: فى حدّ أضربك وَقَوَدٍ، أنت أول من سن ذلك على العرجى، وهو ابن عمى وابن أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه، فما رَعَيْتَ حق جده ولا نسبه بهشام ولا ذكرت حينئذ هذا الخبر، وأنا ولى ثأره، اضرب ياغلام، فضربهما ضرباً مبرحا وأثقلا بالحديد ووجه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة، وأمره باستصفائهما [1] وتعذيبهما حتى يتلفا، وكتب إليه: احبسهما مع ابن النصرانية، يعنى خالدا القسرى، ونفسك نفسك إن عاش أحد منهم، فعذبهم عذاباً شديداً، وأخذ منهم مالا عظيما، حتى لم يبق فيهم موضع للضرب، وكان محمد بن هشام مطروحاً فاذا أرادوا أن يقيموه أخذوا بلحيته وجذبوه منها، ولما اشتدت عليهما الحال تحامل إبراهيم لينظر وجه أخيه محمد فوقع عليه فماتا جميعاً، ومات خالد القَسْرىُّ معهما فى يوم واحد، وقال الوليد بن يزيد لما حملهما إلى يوسف بن عمر هذه الأبيات [من المنسرح]:

قد راحَ نحوَ العراق مَشْخَلَبَهْ ... قُصارهُ السِّجْنُ بعدهُ الخَشَبَهْ

يركبُها صاغراً بلا قَتَبٍ ... ولا خطامٍ وحولهُ جَلَبَهْ

فقل لدعجاء إن مَرَرْتَ بها ... لن يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طلبه

قد جعلَ اللهُ بعد غَلْبَتِكم ... لنا عليكم بأمره الغلبَهْ

لستِ لهاشمٍ ولا إلى أسدٍ ... ولا إلى نوفَلٍ ولا الحَجَبَهْ

لكنما أشجعٌ أبوك سَلِ الـ ... ـكلبى لا ما تُزَوِّقُ الكذبهْ

---

(١) فى الأصل « باستصفائهما » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى ويؤيده قوله فيما بعد « وأخذ منهم مالا عظيما » وهو معنى الاستصفاء

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وحدث إسحاق قال : غنيت الرشيد يوماً فى عُرْضِ الغناء *أضاعونى وأى فتى أضاعوا * فقال لى : ما كان سبب هذا الشعر حتى قاله العرجى؟ فأخبرته بخبره من أوله إلى أن مات ، فرأيته يتغيظ كلما مر منه شىء ، فأتبعته بحديث مقتل ابنى هشام ، فجعل وجهه يُسْفِر وغيظه يَسْكن ، فلما انقضى الحديث قال لى: يا إسحاق لولا ما حدثتنى به من فعل الوليد لما تركتُ أحداً من أماثل بنى مخزوم إلا قتلته بالعرجى ، وسيأتى خبر هذا الشعر فى التضمين، إن شاء الله تعالى .

* * *

شاهد القول بالموجب أسلوب الحكيم

١٥٩ — قُلْتُ ثَقَّلْتُ إذ أتَيْتُ مِرَاراً قال ثَقَّلْتَ كاهلى بالأيادى

البيت من الخفيف، وبعده :

قلتُ طَوَّلت قال لا بل تَطَوَّلـــــت وأبرَمتُ قال حَبل ودادى

والبيتان منسوبان لابن حجاج ، ولم أرهما فى ديوانه، ونسبهما سبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان لمحمد بن إبراهيم الأسدى .

والكاهل : الحارك ، أو مُقدَّم أعلى الظهر مما يلى العنق ، وهو الثلث الأعلى وفيه ست فقر ، أو هو ما بين الكتفين وموصل العنق فى الصلب ، والأيادى : جمع يد، وهى النعمة .

وفى معنى البيتين قول ابن الخازن [من الوافر] :

لئن سَمَّيت إبراماً وثقلاً زيارات بهنَّ رفعتَ قَدْرى

فما أبرَمْتَ إلا حَبْلَ ودى وما أثقلت إلا ظَهْرَ شكرى

وقول ابن البغدادى [من الطويل] :

حَجَبتَ إليه والعُقول يحبنى عليه فكان العَذْلُ رنةَ حادى

فأجريت لكن مُقْلتى سِنَةَ الكَرَى وطُنْتُ ولكن هولُ برداءى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فيهما : القول بالموجب ، ويسمى أسلوب الحكيم ، وهو على ضربين : أحدهما أن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبتَ له حكم فتثبت تلك الصفة لغير ذلك الشىء من غير تعرض لثبوته له أو نفيه عنه ، والثانى : حمل لفظ وقع فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ، وهذا هو القسم المستعمل بين الناس ونظمه الشعراء ، ومما يستشهد به عليه قول الأرجانى [من الرمل] :

غالَطَتْنى إذ كسَت جسمى ضنىً ... كسوةً أعْرَتْ من اللحم العِظاما
ثم قالت أنت عِندى فى الهوَى ... مثل عينى ، صَدَقَتْ لكن سقَاما

وقد أخذه ابن نقادة أخذاً قبيحاً فقال [من الرمل] :

غالطتنى حين حاكى خَصْرُها ... جسمىَ المَرْضَ وَجْداً وغَراما
ثم قالت أنتَ عندى ناظرِى ... ولَعَمْرى صَدَقَتْ لكن سقاما

وقد أخذه آخر أيضاً فقال [من الوافر] :

شكَوْت صبابتى يوماً إليها ... وما قاسَيتُ من ألم الغرامِ
فقالت أنت عندى مثْلُ عينى ... لقد صَدَقت ولكن فى السَّقَامِ

وقد وقع لمؤلفه رحمه الله هذا المعنى فى عروض قصير فقال [من الرمل]:

غالطتنى حينَ قالَتْ ... والجَوَى يُبْدِى العِظَاما
أنْتَ عندى مثلُ عينى ... صَدَقَتْ لكن سَقَاما

ووقع له فى هذا النوع أيضاً وهى واقعة حال فقال [من مخلع البسيط]:

طلبت خصماً فلاذ منِّى ... بظالم سِفْلَةٍ معاب
وقال ذا فى حِمَى كلَيْبٍ ... يَصْدُق لكن من الكلابِ

وما أصدق قول ابن حجلة [من الكامل] :

رؤساؤنا مَنْ جاءهم بقَصِيدَةٍ ... كانَتْ جوائزُهُمْ عليها شكْرَهُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و إذا طَلَبت وظيفةً من حاكمٍ فابشر فقد ولاكَ لكن ظَهْرَهُ

وقوله أيضاً [من الوافر] :

شكَوْتُ إلى الحبيبة سوء حظى وما ألقاهُ من ألم البعادِ
فقالت أنت حظك مثل عينى فقلْتُ نعم ولكن فى السوادِ

ولأبى عامر الجرجانى فيه [من المتقارب] :

عَذِيرىَ من شاطرٍ أغضَبُوهُ فجرَّدَ لى مرْهفاً فاتكاَ
وقال أنا لك يا ابن الحسين وهَلْ لى رجاءٌ سِوَى ذلكاَ

ومثله قول صدر الدين بن الوكيل [من الطويل] :

وبى مَنْ قَسا قلباً ولان معَاطِفاً إذا قلت أدنانى يُضَاعِفُ تبعيدى
أقِرَّ برقّ إذ أقولُ أنالهُ وكم قالها يوماً ولكن لِتهديدى

وللسراج الوراق أيضاً [من الكامل] :

قالوا وقد ضاعَتْ جميعُ مَصَالحى لهمُومِ دهرى ليْتَ لاحُمِّلتُها
قد كانَ عندكَ يافلانُ صَرِيمَة فأجبْتُهم بعتُ الحمارَ و بعتُها

وله أيضا رحمه الله [من مجزوء الكامل] :

مُتَمَارِضٌ جَعَل التغا شى من خَبَائثهِ سبَبْ
و يقولُ ما أنا طَيِّبٌ صَدَقَ اللعين وما كَذبْ

وله أيضا [من السريع] :

وسائلٍ يَسألُ مِنِّى وقَدْ أنْشَدْتُ شعراً يشبهُ الشعرى
يقول إن كنت لدى مَعْشَرٍ قد عبدوا البيضاء والصَّفْرَا
ما حَصَلَتْ دائرَةٌ بينهم فاتت نعم بطّيخَةً خَضْرَا

وله أيضا [من المجتث] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لقنته العذر عن ترْ ك حاجتى لو تصوّرْ
فقلتُ أنسيتها والنِّسيانُ أمرٌ مُقدَّرْ
فقال لستُ بناس فقلتُ مولاى أخبرْ

وله أيضا [من البسيط] :

وقائلٍ قال لى لما رأى قَلَقى لطول وعدٍ وآمالٍ تمنّينا
عَواقبُ الصبر فيما قال أكثرهم محمودةٌ قلت أخشى أن تخرّينا

وله أيضا [من الكامل] :

قالت جَمَعْتَ لفاقةٍ كسلاً فانهض وقم وادأب لهمِّ العائلهْ
فأجبتُ هل تدرى لهم سَبَباً قالت ولا وتداً وهذى الفاصلهْ

ولابن سناء الملك رحمه الله [من السريع] :

لهفى على عُشّاقِكِ الطُّرْشِ العُمْىِ فى عشقِكِ لا العُمْشِ
عاشقك القش ولا غرو أن تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا ما لا يرى قلت على الفرش

ولشمس الدين محمد التلمسانى [من مخلع البسيط] :

اسمُ حبيبى وما يعانى قد شغَلاَ خاطرى ولُبِّى
قالوا علىٌّ فقلت قدراً قالوا كوافى فقلت قلبى

وما أحسن قول بعضهم [من الخفيف] :

قُلتُ للأهْيفِ الَّذِى فَضحَ الغُصْنَ كلامُ الوُشاةِ ما يَنبَغى لك
قالَ قَوْلُ الوُشاةِ عِندِىَ ريحٌ قلت أخشَى يا غُصن أن يَستَميلك

ولبعضهم فى معناه وإن لم يكن من هذا الباب [من الوافر] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تُثَنِّى عِطْفَهُ خَطَرَاتُ دَلٍّ إذا لم تَثْنِهِ نَشَوَاتُ رَاحِ
يَمِيلُ مَعَ الوُشَاةِ وأىُّ غُصْنٍ رَطِيبٍ لا يَمِيلُ مَعَ الرِّيَاحِ

وقد ألم به ابن سناء الملك فقال [من البسيط] :

يا عَاطِلَ الجِيدِ إلا مِنْ مَحَاسِنِهِ عَطَّلْتُ فِيكَ الحَشَى إلا مِنَ الحَزَنِ
فى سِلْكِ جِسمِىَ دُرُّ الدَّمْعِ مُنْتَظِمٌ فَهَلْ لِجِيدِكَ فى عِقْدٍ بِلاَ ثَمَنِ
لاتَخْشَ منى فإنى كالنَّسِيمِ ضَنًى وَمَا النَّسِيمُ بِمَخْشِيٍّ على الغُصُنِ

وقولُ ابن نباتة هنا غايةٌ ، وهو [من الكامل] :

ومُدَلِّهٍ فى الحُبِّ لَمَّا أنْ رأت أثَرَ السقَامِ بِعَظْمَىَ المُنْهَاضِ
قالَتْ تغيَّرْنا فقُلْتُ لَهَا نَعَمْ أنا بالسَّقَامِ وأنْتَ بالأعْرَاضِ

ولعله من قول السراج الورّاق [من مخلع البسيط] :

قالَ صديقى ولَمْ يَعُدْنى وعارضُ السُّقمِ فِىَّ أثَّرْ
لَقَدْ تغيرْتَ يا صديقى ويَعْلَمِ اللهُ مَنْ تغيرْ

وما أبدع قول ابن نباتة أيضا [من الطويل] :

أتاركَةٌ بالحُزْنِ قلبى مُقيداً ودَمْعِى على الخَدَّيْنِ وهو طَلِيقُ
يقولونَ قَدْ أخلَقْتَ جفْنَكَ بالبُكى نَعَمْ إنَّ جفْنى بالبكاءِ خَلِيقُ
دعُوا الدَّمْعَ لِلجَفْنِ القَرِيحِ مؤاخياً فانى فَقَدْتُ الخدَّ وهْوَ شقِيقُ

وقوله أيضاً [من السريع] :

مُقَبِّلُ الوَجهِ أدارَ الطِّلاَ وقالَ لى فى شُرْبِهَا عاتِبِى
عَنْ أحْمَرِ المشْرُوبِ ماتنتهى قلتُ ولا عَنْ أخضَرِ الشاربِ(١)

(١) فى الأصل « فقلت ولا عن أخضر الشارب » ولا يستقيم وزف البيت إلا مع حذف الفاء من « فقلت » كما أثبتناه .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولابن الصائغ أيضا [من السريع] :

عارضنى العُذّالُ فى عارضٍ قالوا بلُطفٍ بَعْدَ ما أطنبُوا
ما آنَ بالعَارض أنْ تَنْتهى قُلْتُ ولا بالشَّيْبِ لا تتعبُوا

وللشهاب محمود [من المتقارب] :

رأتنى وقَدْ نالَ منى النحُولُ وفاضَتْ دُمُوعى على الخَدّ فيضا
فَقَالت بعَينىّ هــذَا السّقَامُ فقُلْتُ صدَقْتِ و بالخَصْر أيضا

ولمحاسن الشواء ، وهو من أحسن ما وقع فى هذا النوع [من الطويل] :

ولما أتانى العَاذِلونَ عَدِمتُهُمْ وما فِيهِمُ إلا لِلَحْمِىَ قارضُ
وقَدْ بُهِتُوا لمّا رأونِىَ شاحِباً وقالوا به عَيْنٌ فقلتُ وعارضُ

ومن هنا أخذ ابن النقيب قوله [من الطويل] :

ومابى سِوَى عينٍ نَظَرتُ لحُسْنها وذاكَ لجهلى بالعُيُون وغرّتى
وقالوا بهِ فى الحُبِّ عينٌ ونَظْرَةٌ نعمْ صدَقُوا عينُ الحَبيب ونظرتى

وأصله من قول الأول [من الطويل] :

وجاؤا إليهِ بالتّعَاويذِ والرُّقَى وصَبُّوا عليهِ الماءَ مِنْ ألم النكس
وقالوا بهِ مِن أعيُنِ الجنِّ نَظْرَةٌ ولو صدقُوا قالوا بهِ نظرَةُ الانس

ولابن الدويدة المعرى من أبيات يخاطب بها من أودع قاضيا مالا فادعى ضياعه فقال [من الكامل] :

إن قالَ قَدْ ضاعَتْ فيصدُقُ أنها ضاعَتْ ولكنْ منكَ يَعنى لوْ تعى
أو قالَ قد وقَعَتْ فيصدُقُ أنها وقَعَتْ ولكنْ مِنهُ أحسَنَ موقع

ومثله قول على بن فضالة ، أو ابن الرومى [من الوافر] :

وإخوَانٍ حسِبتُهُمُ دُرُوعا فكانُوها ولَكنْ للأعادِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وخلتُهُمُ سِهاما صائبـات فـكانُوها ولـكنْ فى فؤَادِى
وقالوا قَدْ صَفَتْ منّا قلوبٌ لَقَدْ صدقوا ولكِنْ مِنْ ودَادِى
وقالوا قَدْ سَعينَا كل سَعْيٍ لقَدْ صدَقُوا ولكنْ فى فَسادِى

وما ألطف قول السراج الوراق [من الوافر] :

شكى رَمَداً فقُلْتُ عساه كلّتْ لوَاحِـظُهُ مِنَ الفتَـكات فِينَا
وقالوا سَيْفُ مُقلتِهِ تَصَدّى فَقُلْتُ نعَمْ لقَتْلِ العاشِقينَا

وللصلاح الصفدى فى القول بالموجب [من الـكامل] :

وَلقَدْ أتَيْتُ لصاحبى وَسألتُهُ فى قَرْضِ دينَار لأمرٍ كانا
فأجابنى واللهِ دارى ما حوَتْ عيناً فقُلْتُ لهُ ولا إنسـانا

وله أيضا رحمه الله [من السريع] :

وصـاحب لمّا أتاهُ الغِنى تاهَ ونَفْسُ المرء طمّاحهْ
وَقيلَ هلْ أبصَرْت منهُ يداً تشكُرُها قُلتُ ولا راحهْ

وللنور الاسعردى أيضا [من المتقارب] :

سَألتُ الوَزيرَ أتَهْوى النِّساءَ أم المُرْدُ جارُوا على مُهجتِكْ
فقَالَ وأبدَى الخَلاَعاتِ لى كذا وكذَا قُلتُ منْ زَوجتِكْ

وله عندما عمى فى آخر عمره [من الوافر] :

سألتُ اللهَ يَختمُ لى بخيرٍ فعَجّلَهُ ولـكنْ فى عُيُونى

وعلى ذكر عماه فما أعذب قوله [من السريع] :

يا سائِلى لمـا رأى حالتى والطّرْفُ منى لَيْسَ بالمبْصِرِ
لستُ أُحاشِيكَ ولـكنّنى سَمَحْتُ بالعينَيْنِ للأعوَرِ

وهو يشبه قول الجمال بن نباتة [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يقُولونَ مَنْ وطْءِ النِّساءِ خفِ العَمى فقُلْتُ دعُوا قَصْدِى فما فيهِ مِنْ شين
إذا كان شفْرُ العين دون مَحَلِّها فعندِى أنا الأشفَارُ خيرٌ مِنَ العين

وقال الصلاح الصفدى [من السريع] :

صدَّقَ خِلِّى نسَماتِ الصَّبا فيما رَوَت عنكُمْ وما شَكَّا
وقالَ لا أخبرَ مِنْها بما جاءت بهِ قُلتُ ولا أزكَى

وله أيضا رحمه الله [من الوافر] :

بَدَا فى الخَدِّ عارضُهُ فأضحى عليهِ مُعنِّفى باللَّوْم يُغْرى
وحاوَلَ أن يَرَى منى سُلُوًّا وقالَ لقدْ تَعذَّرَ قُلتُ صبرى

وله أيضاً [من السريع] :

تقول صحبى إذ أتى منكم مشرف بالغَتُ فى شكره
هل يلتقى أكرم من طيبه قلت ولا أطيب من نَشْرِه

وَللنور الاسعردى مماجنا للزين الاسعردى [من الخفيف]:

قلتُ يوماً للزَّيْنِ هَلْ تُثْبِتُ البعثَ وتنفى إنكارَهُمْ لِلْحشْر
قالَ أثْبت فقُلْتُ ذقنك فى استى قال أنفى فقلت فى وسطِ جُحْرى

وهو مأخوذ من قول الآخر [من السريع] :

جاء فلان الدين فى وجْهِهِ أنفٌ لهُ كادَ يُوَارِيهِ
قلت له : ماذا الفضاء قال لى ذَا مَنْخِرِى ، قلت: أنا فيه

ومثله قول الوداعى [من السريع] :

وذى دَلالٍ أحْوَرٍ أغيدٍ أصبحَ فى عقدِ الهَوَى شَرْطى
طافَ على القَوْم بكاساتِهِ وقالَ سَاقى قُلْتُ فى وَسطى

وحذاق البديع أخلوا هذا النوع من لفظة لكن ، وخصوابها نوع الاستدراك ليحصل الفرق بينهما .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولنذكر طرفا من ترجمة من نُسب البيت إليه

ترجمة ابن حجاج

أما ابن الحجاج فهو(١) أبو عبد الله الحسن بن أحمد البغدادى

قال الثعالبى فى حقه : هو من سحرة الشعراء(٢) وعجائب العصر، وفرد الزمان فى فنه الذى شهر به ، ولم يُسْبَق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه فى نمطه ، ولم ير كاقتداره على ما يريد من المعانى التى تقع فى طَرْزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبة المعانى ، وانتظامها فى سلك الملاحة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مَشُوبة بلغات المحدثين والمولدين(٣) وأهل الشطارة ، لكنه على علاته يتفكه الفضلاء بثمار شعره ، ويستلمح الكبراء ببنات فكره ، ويستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفثه وقذعه(٤) ومنهم من يغلو فى الميل إلى مايضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء [والوزراء] (٥) والرؤساء فلم يخل قصيدة فيهم عن سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام موفور الحظ من الاكرام والانعام ، مُجَاب إلى مقترحه من الصِّلات الجسام ، والأعمال المجدية التى ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طولَ عمره يعيش فى أكنافهم عيشة راضيةً ، ويستثمر نعمة صافية ضافية(٦)

فمن نظمه قوله يصف نفسه [من الخفيف] :

---

(١) اقرأ هذه الترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٣ـ٢٥ ـ ٨٧مصر)

(٢) فى اليتيمة « سحرة الشعر » وهو أنسب بطريقة الثعالبى المبنية على السجع .

(٣) فى اليتيمة مكان هذه الكلمة « مشوبة بلغات الخلديين والمكديين »

(٤) فى الأصل «وفدغه» وقد أثبتنا لفظ اليتيمة إذ كان هو المنقول عنه

(٥) الزيادة عن اليتيمة .

(٦) وقع فى الأصل « نعمة طافية صافية » وأثبتنا لفظ اليتيمة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حَدَثُ السِّنِّ لم يزَلْ يَتَلَهَّى علمُهُ بالمشـايخ العُلَمَاءِ
خاطرٌ يصفَعُ الفرَزْدَقَ بالشِّعْرِ ونَحْوٌ ينيكُ أُمَّ الكسائى

وقوله [من الوافر] :

تَرَانى ساكناً حانوتَ عطرٍ فإن أنشدتُ ثار لكَ الكنيف

وقوله [من مجزوء الكامل] :

شعرى الذى أُصْبَحْتُ فيهِ فضيحةً بَينَ الملاَ
لا يستَجيبُ لخاطرى إلا إذا دخل الخَلاَ

ومن ملحه أنه دعا يوماً مغنية ، وكانت قبيحة المنظر ، فلما دارت الكؤوس تساكرت عليه وتناومت وهوجالس فقال [من مجزوء الرمل] :

خطَتِ البظراء لما عاينتْ مفتاحَ دبرى[1]
ورَجتْ منى خيراً قُلتُ لا تَرْجين خيرى
اقعُدِى عنى وهذا فاعلِيهِ معَ غيرى
أنتِ فى دعوَةِ أُذنى لستِ فى دعوةِ أيْرى

وحضر يوماً مع صديق له يكنى أبا الحسين فى دار رجل بخيل فالتمس أبو الحسين العشاء بعد الغداء فقال [من مخلع البسيط] :

يا سيدى يا أبا الحُسين أنتَ رَفيعٌ بنقطتين
يا كَلْبَ الضَّرْسِ لَنْ يُدَاوى ضرْسُكَ إلا بكلبتين[2]

---

(١) فى اليتيمة « حطت البظراء »
(٢) فى اليتيمة « ما يداوى »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ويحك قُلْ لى جنتَ حتى تلتمِسَ الخبز مرّتين
فى دارِ مَنْ خبزُهُ عليهِ ألفُ رقيب بألفِ عين

وحضر فى دعوة رجل آخر فأخر الطعام إلى المساء فقال [من مجزوء الكامل] :

ياصاحبَ البَيْت الذى ضيفانُهُ ماتوا جميعاً(١)
حصَّلْتَنَا حتى نمُو ت بدائنا عطَشاً وَجُوعا
مالى أرى فلكَ الرغيف لديكَ مشترفاً رفيعا
كالبَدْر لا نَرْجُو إلى وقتِ المَساء له طُلوعا

وصار صاحب الدعوة يجىء و يذهب فى داره فقال [من السريع] :

يا ذاهباً فى دَاره جائياً لغير ما معنى ولا فائِدَهْ
قد جُنَّ أضيافك من جُوعهم فاقرأ عليْهم سُورةَ المَائِدَهْ

وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية قد كان وليها ، فكتب إليه [من الوافر] :

أيامن وجهُهُ قمرٌ منيرٌ يُضىءُ لنا وَراحتُهُ سحابُ
إذا حَضَرَا لحساب أعدت ذكرى وتنسانى إذا حَضَرَ الشَّرَاب
أجبنى بالقبـــانى والمَثَانى ووجْهِكَ إنهُ نِعْمَ الجوَابُ
وكِلْنِى فى الحِسابِ إلى إلهٍ يسامِحُنى إذا وُضِعَ الحِسابُ

وكان له صديق له ابن يكنى أباجعفر ، وكان مشتهراً بالقحاب ، فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج فكتب إليه [من السريع] :

إياكَ والعِفّةَ إياكا إياكَ أنْ تفسد مَعناكا
أنتَ بخيرٍ يا أبا جَعْفَر مادُمتَ صُلبَ الأيرنيَّا كا

(١) فى اليتيمة « أضيافه ماتوا جميعا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فنِكْ ولوْ أُمَّكَ واصفَعْ ولو أباكَ إن لامكَ فى ذا كا

وكان الرئيس أبوالفضل والوزير أبو الفرج قد دخلا الديوان لعقوبة أصحاب الوزير المهلبى عقب موته ، وأمرا بأن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من الباب ، وكان المهلبى قد فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحُجِب وخاف من النفط فانصرف وقال [من مخلع البسيط] :

الصفْعُ بالنَّفط فى الثياب مالم يكن قَطُّ فى حسابى(١)
ليْسَ يقُومُ الوُصول عِندى مَقَام خيطين مِنْ ثيابى(٢)
يا ربِّ مَنْ كان سَنَّ هذَا فزده ضِعْفًا منَ العَذَاب

وكان ابن شيرزاد(٣) قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن الحجاج يقول [من مخلع البسيط] :

يامَنْ إلى نَجْدِهِ انقطَاعى ومَنْ به أخصبَتْ رباعى
قد زاد خوفى عليكَ جدا وعظمَ الأمْرُ فى ارتياعى
فى كلّ يَوْم سبع جديدٌ ينفُرُ مِنْ ذكرِهِ استماعى
تَغْدُو إليْهِ بلاَ احتشامٍ ولا انقباضٍ ولا امتناع
وليْسَ قتْلُ السباع مِما يُدْرك بالْخَتْلِ والخداع
إنَّ صِراعَ السباعِ عندِى حاشاكَ ضَرْبٌ مِنَ الصُّرَاعِ(٤)
اعدلْ إلى الكأسِ والنَّدَامَى والأكلِ والشربِ والسماعِ

---

(١) فى الأصل « الصفع بالنفط فى الحجاب » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة ، وهو المتجه ، بدليل عجز البيت الثانى .
(٢) فى الأصل « مقام خطين » وأثبتنا ما فى اليتيمة .
(٣) فى اليتيمة « ابن شيراز » .
(٤) فى الأصل « ضرب من الصراع » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأمرَدٍ جامعٍ لشرطِ الـــعناقِ والبـوسِ والجمـاعِ
بلَ أجِـعْ لى السباعَ واطْرَحْ خَصْمِيَ فى بركة السِّباعِ

وقلده لوزير ناحيةً ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتابُ الصَّرف يوم الأحد ، فكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

يَا مَنْ إذا نظرَ الهلاَ لُ إلى محاسنهِ سجدْ
و إذَا رَأتهُ الشمسُ كَا دَتْ أن تموتَ منَ الحسدْ
يَوْمَ الخميس بعثتنى وصرَفتنى يومَ الأحَدْ
فالنـاسُ قدْ غَنَّـوْا علىّ كما رَجعْتُ إلى البـلدْ
ما قَامَ عمـرٌو فى الولاَ يةِ سَاعـةً حـتى قعدْ

ومن شعره فى بواب أعور حجبه عن رئيس [من السريع] :

سمعْتَ فيمنْ ماتَ أومن بقى بمقبـل بَوّابُهُ أعـوَرُ
وَاللوزَةُ المُرّة يا سيدى يفسدُ فى الطعمِ بها السكرُ

ومنه أيضاً [من البسيط] :

إنى ابتليتُ بأقوامٍ مَوَاعـدُهمْ تزيدُ فوقَ الذى ألقاه منْ محَنِ
ومَنْ يَذُقْ لسعةَ الأفعى و إن سلمتْ منها حَشاشتهُ يفزَعْ منَ الرَّسنِ (١)

وقال [من السريع] :

فقرٌ وذلٌ وخمولٌ معاً أحسنتَ ياجامعَ سفيانِ (٢)

---

(١) فى هذا المعنى تقول العامة من أهل مصر « الذى تلدغه الحية يخاف من الحبل »

(٢) جامع سفيان : يضرب مثلا للشيء الجامع لكل شيء ، ومثله سفينة نوح ، وقبل البيت الذي رواه المؤلف قوله :

والله قولوا لي ولا تغضبوا لست من الدهر بغضبان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكتب إلى أبي أحمد بن ثوابة ، وقد شرب دواء مسهلا [من الخفيف] :

يَا أَبَا أَحْمَدٍ بِنَفْسِيَ أَفْدِيـــكَ وَأَهْلِي مِنْ سَائِرِ الأَسْوَاءِ
كَيْفَ كَانَ انْحِطَاطُ جِسْمِكَ فِي طَا عَةِ شُرْبِ الدَّوَاءِ يَوْمَ الدَّوَاءِ
كَيْفَ أَمْسَى مَسَالُ مُبْعَرِكِ النَّدْ لِ خَضِيباً بِالْمِرَّةِ الصَّفْرَاءِ (١)
يَا أَبَا أَحْمَدٍ وَنُصْحُكَ عِنْدِي وَاجِبٌ لِلأَخَاءِ فَاحْفَظْ إِخَائِي (٢)
رُبَّ رِيحٍ يَوْمَ الدَّوَاءِ دَبُورٍ شَوَّشَتْ فِي عَصَاعِصِ الأَغْنِيَاءِ
قَدَّرُوهَا فَسَا وَقَدْ كَمَنَ الجِـــسُ لَهُمْ فِي مَهَبِّ ذَاكَ الفُسَاءِ
فَإِذَا الفَرْشُ فِي خَلِيجِ سُلَاحٍ ذَائِبٍ فِي قَوَامِ جِسْمِ المَاءِ
فَاتَّقِ اللهَ أَنْ تُغَرِّكَ رِيحٌ عَصَفَتْ فِي جَوَانِبِ الأَحْشَاءِ
لَا تُنَفِّسْ خِنَاقَ سِرْمِكَ عَنْهَا أَوْ تُخَلِّي سَبِيلَهُ فِي الخَلَاءِ
وَالغَدَاءَ الغَدَاءَ فَاحْذَرْ بِأَنْ تَفْـــسُو فَوْقَ الفِرَاشِ بَعْدَ الغَدَاءِ
احْتَرِسْ إِنَّهَا نَصِيحَةُ كَهْلٍ حَنَّكَتْهُ تَجَارِبُ الآرَاءِ
غَيْرَ أَنِّي أَصْبَحْتُ أُضْيَعَ فِي القَوْ مِ مِنَ البَدْرِ فِي لَيَالِي الشِّتَاءِ

13

وقال يعاتب أبا الفضل أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن على قبوله دعوى من ادَّعَى عنده أنه هجاه ، وأبو الفضل يومئذ بشيراز ، وابن الحجاج ببغداد ، من السريع] :

يَا سَامِعَ الزُّورِ وَبُهْتَانِهِ وَدَافِعَ الحَقِّ وَبُرْهَانِهِ
عَجِبْتُ مِنْ رَأْيِكَ فِي الَّذِي أَنْكَرَنِي مِنْ بَعْدِ عِرْفَانِهِ

(١) فى اليتيمة « سبال مبعرك » وفيه « فى المرة الصفراء »
(٢) فى اليتيمة « واجب فى الاخاء »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فكيف تخشى ذمّ من مدحه ... فيك يرى أوّل ديوانه
وَمَنْ له في شعره مذهبٌ ... ذكرك منه نوْرُ بستانه
تمضي ليَاليه وأيامه ... وسرُّه فيك كاعلانه
ولستُ بالساكن في منزلٍ ... ينبو ولوْ يوْماً بسكانه
ولا الذي يرهبُ في الحق منْ ... سلطان ذي عز لسلطانه
قلْ للذي جهزَ في السعي بي ... تجارةً عادَتْ بخسرانه
يا ذا الذي لابدّ من صفعه ... ألفاً ومنْ تعْريك آذانه
لا تغترزْ أنكَ من فارسٍ ... في معدن الملك وأوطانه
لوْ حدّثتْ كسرى بذا نفسُهُ ... صفعته في جوف إيوانه(١)

وقال يهجو بخيلا [من المتقارب] :

وذي همةٍ في حضيض الكنيف ... وقرنين في فلك المشتري
دَخلتُ عليه انتصافَ النهار ... على غفلةٍ حينَ لم يشعر
وَبيْنَ يَدَيه رغيفانِ معْ ... سكرجةٍ كان فيها مرى
فلما قعَدْتُ فساَ فسوةً ... فلم تَخْطُ عصفتها منخرى
وأقبلَ يضَرْطُ في إثْرِها ... فقلتُ أقومُ ، وإلاّ خِرِي

وقريب منه قول الآخر [من المتقارب] :

تغيرَ إذ جئتهُ للسلامِ ... وأرْعِدَ لما رَآني دخلتُ
فقلتُ له لا يرعكَ الدُّخولُ ... فاجثتُ والله حتى أكلتُ

وقال في صديق عاتبه على هفوة فاستدركها بشرّ منها [من مجزوء الخفيف] :

لي صديقٌ جنىَ عليّ مراراً ... فأكثرا

(١) في الأصل « في جوف ديوانه » محرفا عما أثبتناه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ثمّ لما عتبتهُ غسلَ البولَ بالخمرا

وقال فى إنسان مات بالقولنج [من مجزوء الرجز] :

يا أيها الثاوى الذى أفلحَ لو كانَ حَرَا
لمثل ذَا اليومِ يُقالُ من خَرَى فقد برَا

ومن مجونه الحسن أيضا قوله [من السريع] :

قالتْ وقد قلت اعبثى لى بهِ يوماً وقد قامت وقد ناماَ
لو كانَ إسرافيلُ فى رَاحتى ينفخُ فى أيركَ ما قاماَ

ومثله قوله أيضاً فى المجون [من البسيط] :

تقولُ لى وَهْىَ غضبى من تدللها وقد دعتنى لشىء رُبما كانا
إن لم تنكنى نيكَ المرء زوجتهُ فلا تلمنى إذا أصبحتَ قَرنانا
كأنّ أيركَ شمعٌ فى رَخاوتهِ فكلما عرَكتهُ رَاحتى لانا

وقد تبعه السراج الوراق ، فقال [من مجزوء الكامل] :

طوَتِ الزيارةَ إذ رَأتْ عصرَ المشيب طوَى الزيارهْ
ثمّ انثنتْ لما انثنَى بعدَ الصلابة كالحجارهْ
وَبقيتُ أهرَبُ وَهىَ تسـ ـألُ جارَةً من بعد جارهْ
وتقولُ يا ستى استرَحـ ـنا لاَ سراجَ وَلاَ منارَهْ

وقال أيضا [من المتقارب] :

إذَا يئسَ المرءُ من أيرهِ رَأت عِرْسُهُ اليأس من خيرهِ
ومن كان فى سنهِ طاعناً فقد عدمَ الطعنَ فى غيرهِ

وَقال أيضا [من المجتث] :

ياقومِ عالجتُ أيرى بالحشوِ لما تكعكْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولمْ يصحّ ودادِى منْ غادَةٍ مُذْ تَوَعَّكْ

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

قامَ ، فلما دَنَوْتُ منها نامَ وما مثلُ ذاكَ خجلهْ
وكلّ كفى لفرطِ جَذْبِى لهُ وَما للجبانِ حملهْ
وَأصبعى لاَ تزالُ جنباً لهُ ولاَ هِمَّة لسفلهْ
فزَحزَحتْ وانثنَتْ وقالتْ قومُوا انظُرُوا عاشقاً بوصلهْ
فقلتُ هذَا لفرط حُبي قالت دع الترّهاتِ باللهْ
قلتُ أُقيمُ الدليلَ قالتْ لو قامَ ما احتجتَ الأدلّهْ

وقال الشهاب ابن جلنك [من الوافر] :

وعلقٍ منْ بنى الأتراكِ ألمى لهُ عينانِ وُكِّلَتَا بهتكِى
ظَفِرْتُ بهِ عَلَى رَغْمِ اللَّيالى فَلَمْ يَدْخُلْوا كَتْرَفى التشكّى
يَقولُ عميرةُ ادفنى عليهِ وَلاَ تجزعْ وهانَ علىّ صكى
فلم أدفعْ عليهِ فظَلّ أيرِى يُقبلُ باب مفسَاهُ وَيبكى

وقال آخر [من السريع] :

وَرُبَّ علقٍ قالَ لى مرّةً يريدُ توبيخى علَى ظنهِ
أيركَ هذامات قلتُ انحنى كرَامةُ الميت فى دفنهِ

وعكس ذلك ملغزاً فيه [من السريع] :

وصاحبٍ مازلتُ دهْرِىلهُ كلّ مليحٍ أتمناهُ
يعجبنى الشىء فأختارُهُ لهُ بجهدٍ علمَ اللهُ
إن ماتَ لاَ يمكننى دَفنهُ . وإنْ يعشْ يوماً دَفَنَّاهُ

وقال الصلاح الصفدى مضمناً [من الخفيف] :

لىَ أيرٌ ينامُ لؤماً وشؤماً إن أنالتُ من حبيبٍ وصالاَ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و إذا ماغدَوتُ فى البيت فرداً طلب الطعن وحدهُ والنزالا

وللسراج الوراق مضمنا أيضا [من الكامل] :

عهدى بأيرى وهو فيه تيقظٌ كم قام منتصباً إذا نبهتهُ

والآن كالطفل الصغير بمهدهِ يزدادُ نوماً كلما حركتهُ

وقال غيره أيضا [من الطويل] :

تعقفَ فوقَ الخصيتين كأنهُ رشاءٌ على رأس الركيَّةِ ملتفُّ

كفرْخٍ لهُ يومانِ يرفعُ رأسهُ إلى أبويه ثمّ يسقطهُ الضعفُ

ولنرجع إلى شعر ابن الحجاج ، ومنه وهو من هذه المادة [من الكامل] :

أسفى عليهِ ممدَّداً فوْقَ الحصى شبهُ العليل فديتهُ من نائمِ

طمعُ الغوانى فى انتظارِ قيامهِ طمعُ الرَّوافض فى انتظار القائمِ

وقال وهو فى غاية الحكمة [من السريع] :

لما رأتهُ قائما صفقتْ كذلكَ الناسُ معَ القائمِ

وقال من قصيدة ، وقد راوده بعض الوزراء على الخروج للقتال ، [من المنسرح] :

أهوَى انحدارى والحزمُ يكرههُ وتاركُ الحزم يركَبُ الغَرَرَا

لأننى عاقلٌ ويعجبنى لزُومُ بيتى وأكرهُ السفرَا

الخَيْشُ نصفَ النهار يعجبنى والماء فى الكوز بارداً خصرَا (١)

والشربُ فى روشنى أقولُ بهِ كما أرَى الشمس منهُ والقمرَا (٢)

(١) فى اليتيمة « والخيش وسط النهار » وهو تحريف عما هنا ، وفيه فى عجز البيت* والماء بالثلج باردا خصرا *

(٢) فى اليتيمة « كما أرى الماء منه والقمرا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولا أقودُ الخيلَ المتاقَ ، بلَ أسوقُ وسطَ الأزقة البقرا
من كلّ جاموسةٍ يقبلها رأسٌ بقرنيهِ يفلقُ الحجرا (١)
قدْ نفخ الشحمُ بطنها فغدا كأنهُ بطنُ ناقةٍ عُشَرا (٢)
أحسنُ فى الحربِ من صفوفكمُ عندى قعودى أصفُّ الطُّرَرا (٣)
هيهاتَ أن أحضر القتال وأنْ ترى بعينيك فيه لى أثرا
بل الذي لا يزال يعجبنى الـــدّبيبُ فى الليل خائفا حذرا
آتى إلى تلك وهى نائمةٌ وذا إلى ذاك بعد ما سكرا
وضجةُ النيك كلما ضربتْ واحدةٌ تحت واحدٍ تخرا
وقولُ بعض المميزين وقدْ شمّ فسانا بأنفهِ سحرا (٤)
فى جسمِ هذا فطوره وأرى أنّ خرا ذاك بعد ما اختمرا .
الدّفُّ يوم الصبوحِ يعجبنى والبوقُ والنّايُ كلما زمرا (٥)
وحربتى كلما رميتُ بها مقتلَ سُرْمٍ خضبتها بخرا (٦)
هذا اعتقادى وهكذا أبدا أرى لنفسى فأنتَ كيفَ ترى

---

(١) فى اليتيمة « من كل جاموسة لعنبلها » والعنبل ـ بضم العين والباء ـ البظر

(٢) فى اليتيمة « قد نفخ الشحم جوفها فغدا »

(٣) فى اليتيمة « غدا قعودى أصفف الطررا »

(٤) فى الأصل « خش فسانا » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة

(٥) روى هذا البيت فى اليتيمة هكذا :

الدف يوم الصبوح دبدبتى . وبوقى النـاى كلما زمرا

(٦) روى هذا البيت فى اليتيمة هكذا :

وخربتى كلما رميت بها مقتـل ذقن خضبتها بخرا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن شعره أيضا قوله [من السريع] :

قد وقع الصلحُ على غلتى ... فاقتسموهُ كارةً كارَهْ
لا يدبرُ البقالُ إلا إذا ... تصافح السِّنَّوْرُ والفأرهْ

وهذا مثل للعوامّ يقولون : فى مصالحة السنور والفار خراب بيت العطار ،

وقال من أخرى [من السريع] :

فُدِيتَ بى يا سيدى وَحْدِى ... وعشت ألفى سنةٍ بعدى
قد رحل النرجس فاشرب على ... محاسن المنثور وَالورد
من لى بها عندك مشمولةً ... قد أصبحَتْ معدومةً عندى
يمزجها لى رشأ أغيدٌ ... بريقهِ أحلىَ من الشهدِ
نهاية الحرّ مجسُّ آستهِ ... وَريقهُ فى غاية البردِ
جنىَ من البستان لى وَرْدَةً ... أحسن من إنجازهِ وَعدى
فقال والوردة فى كفهِ ... مع قدحٍ أذكى من الندِّ
اشْرَبْ هنيئاً لكَ يا عاشقى ... ريقى من كفى على خدّى

وقال أيضا [من الوافر] :

فتاةٌ ما عرفنا قطّ منها ... بحمد الله إلا كلّ خير
فما تهوى سوى آيار شهراً ... وليس إمامها غير الزبير

وقال من أخرى [من مخلع البسيط] :

صبيةٌ بَظْرُها بجنبى ... يبيت مثل الصبى المخضَّبْ
مفعول باب استها بأير الفـــاعل فوق الفراش يُنْصَبْ
وسُرْمُها أمس كان غرّاً ... لم يتفقهْ ولا تأدّبْ
فاليوْم قد صار منذ قاسى ... أيورَ أهل الزنى وَجرَّبْ
إذا رأى الأير من بعيدٍ ... بوّق فى وجهه وَدَبْدَبْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وديوان شعره كبير جدا ، وفيما أوردناه منه مقنع ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء السابع والعشرين من جمادى الأخيرة عام إحدى وتسعين وثلاثمائة ، بالنيل، وهو نهر وبلد معروف بأرض العراق مخرجه من الفرات وعليه قرى كثيرة حفره الحجاج ابن يوسف وسماه باسم نيل مصر ، ثم حمل ابن الحجاج إلى بغداد ودفن عند مشهد موسى بن جعفر الصادق ، وأوصى بأن يدفن عند رجليه وأن يكتب على قبره (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) وكان من كبار الشيعة المغالين فى حب أهل البيت .

قال أبو الفضل بن الخازن رأيت أبا عبدالله بن حجاج فى المنام بعد موته فسألته عن حاله فأنشدنى [من مشطور الرجز] :

أفْسَدَ حُسْنَ مذهبى فى الشعرِ سوء المذهَبِ
وحملِىَ الجِدَّ على ظَهْرِ حصانِ اللَّعِبِ
لم يرْضَ مولاىَ على سبِّى لأصحابِ النبِي
وقال لى ويْلَكَ يا أحمــق لِمْ لَمْ تَتُبِ
مِنْ سبِّ قومٍ مَنْ رجا ولاءهم لم يَخِبِ
رُمْتَ الرِّضا جهلاً بما أصــلاكَ نارَ اللهبِ

قال هبة الله بن الدباس : أنشدنا ابن الخازن هذه الأبيات بمحضر جماعة من أهل الأدب ، فقالوا : والله إنها لنَفَس ابن حجاج ، وكتبوها عنه .

ولما مات رثاه الشريف الرضى الموسوى بقصيدة منها [من المتقارب] :

نَعَوْهُ على حُسْنِ ظنى به فلله ماذا نَعَى النَّــاعيــانِ
رضيعُ ولاء له شُعْبَةٌ من القلبِ مثلُ رضيعِ اللبانِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وما كنتُ أحْسَبُ أن الزمانَ يَفُلُّ مضاربَ ذاك اللسانِ[1]
بكيتُكَ للشُّرَّدِ السائرا تِ تعنق ألفاظها بالمعانى
ليَبْكِ الزمانُ طويلاً عليكَ فقد كنتَ خِفَّةَ روحِ الزمانِ

ترجمة محمد ابن ابراهيم الأسدى

وأما محمد بن إبراهيم الأسدى فقد ذكره العماد الكاتب فقال: هو من أهل مكة، لقى أبا الحسن التهامى فى صباه، ومولده بمكة المشرفة، ومنشأه بالحجاز وتوجه إلى العراق، وخدم الوزير أبا القاسم المغربى، ثم بلغ خراسان وعُمِّر إلى أن بلغ حد المائة، ولقى القرن بعد القرن والفئة بعد الفئة، وتوفى بغزنة سنة خمسمائة، ومن شعره [من الطويل]:

كفى حَزَناً أنى خَدَمتكَ بُرْهَةً وأنفقتُ فى مَدْحِيكَ شَرْخَ شبابى
فلم يُرِ لى شكرٌ بغير شكايةٍ ولم يُرَ لى مدحٌ بغير عِتَابِ

***

١٦٠ — إن يَقْتُلُوكَ فَقَدْ ثَلَلْتَ عُرُوشَهُمْ بِعُتَيْبَةَ بْنِ الحارثِ بنِ شِهَابِ

شاهد الاطراد

البيت من الكامل، وهو لربيعة من بنى نصر بن قُعَين يرثى ذؤاباً ابنه، ويقال: قائله داود بن ربيعة الأسدى، وبعد البيت:

بأَحَبِّهِمْ فقداً إلى أعدائِهِ وأشَدِّهِم فقداً على الأصْحَاب

والثَّلُّ: الهدم، يقال: ثل الله عروشهم، أى هدم ملكهم، ويقال للقوم إذا ذهب عزهم وتضعضع جاههم: قد ثُلَّ عرشهم، والمعنى: إن تبجحوا بقتلك وصاروا يفخرون به فقد أثرت فى عزهم وهدمت أساس مجدهم بقتلك رئيسهم عتيبة بن الحارث، وكان من خبر قتله ما حكاه أبو عبيدة.

---

(١) فى الأصل « يفل مضارب ذاك اللسان » محرفا عما أثبتناه.

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فيه : الاطراد ، وهو أن يأتى الشاعر باسم الممدوح أو غيره وأسماء آبائه على ترتيب الولادة من غير تكلف ، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام « الكريم ابن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم »

ومن شواهده الشعرية قول دريد بن الصِّمَّة يرثى أخاه عبد الله [من الطويل] :

من أمثلة الاطراد

قتلنا بعبد الله خيرَ لداتِهِ ذؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب

يروى أن سبرة بن عياض الجُشَمى أنشد عبد الملك بن مروان قصيدة دريد التى منها هذا البيت ، فلما وصل إليه قال : كاد يبلغ به آدم ، ولما وصل إلى قوله منها :

ولولا سَوَادُ الليل أدركَ رَهْطُنَا بذى الرمث والأرطَى عياضَ بن ناشب

قال عبد الملك : ليت الليل أمهله ساعة ، أو قال : وددت أنه كان بقى عليه فُوَاق من النهار

ومنه قول الأعشى [من الطويل] :

أقَيْسُ بن مسعود بن قيس بن خالدٍ وأنت امرؤٌ ترْجو بقاءَكَ وائلُ

وقول الحارث بن دوس الايادى [من الرمل] :

وشبابٍ حَسَنٍ أوجُهُهم من إياد بن نزار بن مَعَدّ

وقول أبى تمام الطائى [من السريع] :

مناسِبٌ تحسَبُ من سَرْدها منتازلاً للقمر الطالعِ

كالدّلو والحوت وأشْراطِهِ والبطن والنجم إلى النّالعِ

نوح بن عمرو بن حوى بن عمرو بن حوى بن الفتى المانِعِ

فأتى بستة وقابلها بستة لولا أنه نغص بذكر الفتى فى سادس جد ، ولم يرد فتى السن ، وإنما أراد الفتوة ، ولكنه موهم . والتالع : الدبران ، كأنه تلع جيده : أى مده ، وقوله أيضا وهو ظاهر التكلف الذى يأباه الاطراد [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد سمكهم لا يفهم

وقال الآخر [من الخفيف] :

من يكُنْ رَامَ حاجَةً بَعُدَتْ عنـــهُ وأعْيَتْ عليـه كلّ العيـاءِ

فَلها أحمـد المرَجّى بن يحيى بـــن معـاذِ بن مسلم بن رجاءِ

وقال ابن دريد وجمع ثمانية أسماء فى بيت واحد [من الطويل]

فنِعْمَ أخو الجلى ومستنبطُ النَّدَا وملجأ محزونٍ ومَفْزَعُ لاهِثِ

عياذ بن عمرو بن الحُلَيْس بن عامر بن زيد بن مذكور بن سعد بن حارثِ

وقول بعضهم فى تهنئة الصاحب بن عباد [من الكامل] :

تهْنى ابنَ عبادِ بن عباس بن عبـــد الله نُعْمَى بالكرامَةِ تَرْدفُ

وقول الأديب يعقوب بن أحمد النيسابورى فى السيد أبى القاسم على بن موسى الموسوى [من الطويل]:

يقولون لى هل للمكارم والعُلاَ قِوَامٌ ففيه لو علمت دَوامُهَا

فقلت لهم والصدق خُلْقٌ أَلِفْتُهُ علىُّ بن موسى الموسَوِىُّ قوامُهَا

وقوله فيه أيضاً [من المتقارب] :

يقولُ صديقى ألا دُلَّنى على برْمَكِ الجودِ أو حاتمِ

فقلت وأقْسمت : ربُّ العلا على بن موسى أبو القاسمِ

وقول الباخرزى من قصيدة يمدح بها أبا الحسن محمد بن الحسين بن طلحة [من المتقارب] :

أبا الحسَنِ السيد الأريحىَّ محمد بن الحسين بن طلحهْ

وقول أمية فى القاضى منصور بن محمد الأزدى [من الكامل] :

قالت تُفَتِّشُ عن أولى المجدِ مَنْ فى الأنامِ لطالبِ الرِّفْدِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فأجبْتُ قاضينا وسيّدَنا مَنْصور بن محمد الأزدى

وقول الأديب أبى الحكم مالك بن المرحل يمدح الفقيه الفاضل أبا عبد الله ابن يربوع [من البسيط] :

صحبتُ فى عمرنا ناساً أولى حَسَبٍ حازوا الثناء بموْروثٍ ومَطْبوع (١)

فلم أجد فاضلا فيما صحبت سوى محمد بن أبى العيش بن يربوعِ

وقول ابن باتلين من أبيات [من الكامل] :

لاموا على ظمئى إليك فما دَرَوْا فى ماء خدّكَ ما حلاوةُ مَوردِى

طوراً أحيى بالأقاحِ وتارةً فى الخدّ بالرَّيحان والوردِ النَّدِى

وجهٌ كما سَفَرَ الصباحُ وحوله حسنى بقايا جِنحِ ليلٍ أسوَدِ

وكأنما خَافَ العيونَ فألبستْ وجناتهُ زرداً مخافةَ معتدِى

أنّى يخاف من استجار محبةً بمحمد بن على بن محمد

وقول السراج الوراق فى ولد هذا الممدوح، وهو أكمل مما قبله [من الكامل]:

فله الجمالُ غدا بغير منازعٍ ولىَ الجوَى فيه بغير قَسيمِ

وكذا العلاَ لمحمد بن محمد بن على بن محمد بن سليمِ

وقول ابن أبى الأصبع [من البسيط] :

أجلُّ مَلكٍ إلى العَلْيَاء مَنسُوب محمد بن أبى بكر بن أيوب

ولمؤلفه فيمن ألف الكتاب باسمه الكريم [من مجزوء الرجز] :

فاق جميعَ الأقرَانْ وساد كلَّ الأعيانْ

ولم يفتهُ فضلٌ بل زادفوق الاحسان

(١) فى الأصل « صحبت فى عمرى » ولا يستقيم به وزن البيت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أبو البقا يحيى بـــن شا كر بن الجيعان (١)

ومنه ما كتبه مجد الدين بن الظهير الحنفي على إجازة [من مجزوء الرجز]

أجازَ ما قد سألوا بشَرْطِ أهل السَّنَدِ
محمد بن أحمد بـــن عمرو بن أحمد

ولأبي جعفر الأندلسي في مثله أيضاً [من الرجز] :

أذنت أن يَرْوُوا جميعَ ما به حدَّثني كلُّ إمامٍ سالكِ
يقول ذا متبعاً لشَرْطِهِ أحمد بن يوسف بن مالك

ومن البديع فيه قول ابن معايا الشاعر يمدح الخليفة بالأندلس إدريس بن حمود من أبيات [من الرمل] :

وكأن الشمسَ لما أشْرَقَتْ فانثنت عنها عيونُ الناظرين
وجه إدريس بن يحيى بن على بن حمود أمير المؤمنين

وكان وهو في حالة الانشاد وراء الحجاب على عادة خلفائهم في ذلك ، فلما بلغ إلى قوله :

انظرونا نقتبس من نوركم إنهُ من نورِ رَبّ العالمين

أمر برفع الحجاب حتى نظر إليه .

ومن المجون فيه قول ابن مهدى الكسروى في ضرطة وهب بن سليمان [من مجزوء الرمل] :

إن وهب بن سليما ن بن وهب بن سعيد
حمل الضَّرْطَةَ للرَّيِّ - على ظهْرِ البريدِ
في مهماتِ أمورٍ منهُ بالركض الشديد

(١) في الأصل « أبو البقاء بن يحيى بن شا كر » ولا يستقيم معه وزن البيت .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

استهُ تَنطقُ يومَ الجحفـــل بالأمرِ الرشيدِ
لم يُجِدْ في القول فاحتا ج إلى دُبْرٍ مُجيدِ

وضرطة وهب هذا ذاع أمرها، وشاع ذكرها، وأكثر شعراء عصره من النظم فيها بما الاعراض عن ذكره أليق، والاضراب عن نشره أنسب. ذكر على ابن يحيى قال: ما رأيت أظرف من سليمان بن وهب، ولا أحسن أدبا، خرجنا نتلقاه عند قدومه من الجبل مع موسى بن بغاء فقال: هات الآن حدثني يا أبا الحسن بعجائبكم، وما أظنك تحدثني بأعجب من خبر ضرطة وهب بحضرة القاضي، وما سير من خبرها، وما قيل فيها، ومن العجائب أنها بشهادة القاضي فليس يزيلها الانكار، وجعل يضحك، وسليمان بن وهب هذا تنقلت به الأحوال إلى أن استوزره المهتدي، ثم قبض عليه الموفق أخو المعتمد، وعلى ابنه عبيد الله بعد أن استكتبهما، فنكبهما، ومات سليمان في محبسه، ورثاه الشعراء بمراث كثيرة، والله أعلم.

* * *

١٦١ — ما ماتَ مِنْ كَرَمِ الزمانِ فإنهُ يحيا لدى يحيى بن عبد اللهِ

شاهد الجناس المستوفى

البيت لأبي تمام من قصيدة من الكامل [1] يمدح بها أبا الغريب يحيى بن عبد الله أولها:

إحدَى بني عمرو بْنِ عبد مَنَاهِ بين الكَثِيبِ الفَرْدِ فالأمْواهِ
ألقى النَّصِيفَ فأنت خاذلةُ الهوى أُمنيةُ الخالي وهوُ اللاهي [2]

(١) اقرأها في ديوان أبي تمام (٣٤١ بيروت) وانظر نقدا لصدر المطلع وعجز البيت السادس في الموازنة للآمدي (٢٤ بتحقيقنا)
(٢) في الديوان «فأنت خاذلة المها»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رَيَّا يعارضُ خَصْرُها أَرْدافَهَا وتطيبُ نكهتُهَا بلا استنكاهِ (١)
عَرَضَتْ لنا يومَ اللوَى فى خُرَّدٍ كالسِّرْبِ حُوٍّ لِثِّىٍّ ولُعْسِ شفاهِ (٢)
بيضٌ يلوحُ الحسن فى وجناتها والملحُ بين نظائرٍ أشباهِ (٣)
لم تجتمع أمثالها فى موطنٍ لولا صفاتٌ فى كتاب الباهِ (٤)
ومفَنِّدٍ لوَّامة نَهْنَهْتُهُ عن مُغْلِظٍ لعدُوِّهِ نَجَّاهِ (٥)
ومؤنب لى كى أفيق وإننى لأصم عن ياه وعن يهياه (٦)
دعنى أقم أَوَدَ الشباب بوصلها إن السَّفاه بها لغير سَفاهِ (٧)
فاذا انقضت أيام تشييع الصبا أظهرت توبة خاشعٍ أواهِ
ومعاودٍ للبيد لا يهفُو به هافٍ ولا يزهاه فيها زاه
مُهْدٍ لألطَافِ الثّنَاء إلى فتىً كالبدرِ لا صَلَفٍ ولا تيّاهِ
لأبى الغريب غرائباً من مدحتى فى غير تعقيدٍ ولا استكراه (٨)

---

(١) فى الديوان « ريا يجاذب خصرها أردافها » وفيه «على استنكاه»
(٢) فى الديوان « عرضت لنا يوم الحمي »
(٣) فى الديوان « بيض يجول الحسن »
(٤) فى الأصل « لولا صفات فى الكتاب الناهي » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان ، وفى الموازنة (ص ٢٤ بتحقيقنا)
(٥) فى الأصل « عن ملفظ » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الديوان . والمفند : المخطئ . ونهنهته : زجرته أو كففته ، والنجاه : الذى يستقبل الناس بما يكرهون ، وهو من صفات المفند
(٦) فى الديوان « ومؤيه بى كى أفيق » والمؤيه : المنادى .
(٧) فى الأصل « إن الشفاه بها لغير شفاه » وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان .
(٨) فى الديوان « لأبى الغريب غرائبا من مدحه »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و بعده البيت ، و بعده :

كالسيف ليس بزُمَّلٍ شِهْدارَةٍ يوماً ولا بغَضُبَةٍ جَبَّاهِ (١)

وهى طويلة ، والزمل — بضم الزاى وتشديد الميم — الجبان الضعيف ، والشهدارة — بالكسر — الفاحش والئمام المفسد بين الناس والقصير والغليظ .

والشاهد فيه : الجناس المستوفى، وهو: أن يكون اللفظان المتفقان من نوعين كاسم وفعل .

ومن الشواهد الشعرية عليه قول محمد بن عبد الله بن كناسة الأسدى الكوفى وهو ابن أخت إبراهيم بن أدهم رحمهما الله [من الطويل] :

وسميتهُ يحيي ليحيا فلم يكن إلى رَدِّ أمر الله فيه سبيل
تفاءلت لو يغني التفاؤل باسمه وما خلت فألا قبل ذاك يفيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى [من البسيط] :

للسودِ فى السود آثار تركنَ بها وقعامنَ البيض يثنى أعين البيضِ

وقول أبى الفتح البستى فى السلطان عين الدولة [من الوافر] :

بسيف الدولةِ اتسقتْ أمورٌ رَأينَاها مبـدَّدةَ النظامِ
سَمَا وحَمَى بنى سامٍ وحامٍ فَليسَ كمثلهِ سامٍ وحامِ

وقوله أيضا [من السريع] :

قلت لطَرْف الطبع لما ونَى ولم يطع أمرى ولا زَجرى
مالكَ لا تجرى وأنت الذى تجرى مدى العلياء إذ تجرى
فقالَ لى دَعنى ولا تؤذنى إلى متى أجرى بلا أجرِ

(١) فى الأصل « ولا معضوبة جباه » وقد أثبتنا ما فى الديوان . والعضبة : كثير العضب ، والجباه : الذى يلقى الناس بما يكرهون .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول على بن أحمد الحليمى البديهى الملقب بنقيب الشعراء من أبيات وهى [من البسيط] :

فعاطِنى قهوةً صهباء صافيةً ... بها تطايرَ عنْ قلبى الجوَى شفقا

منْ كفِّ ساقٍ إذا ماجاءنا فسَقَى ... دَعا إلى حبِّهِ أهوَاء مَنْ فَسَقَا

وقول الغزى أيضاً [من البسيط] :

لمْ نلقَ غيرَكَ إنساناً نلوذُ بهِ ... فلا برحْتَ لعينِ الدَّهر إنْسانا

وقول الصفى الحلى فى مطلع قصيدة امتدح بهـا الملك الناصر حسنا وهو [من الكامل] :

أسْبَلْنَ منْ فوْقِ النُّهودِ ذوائِبَا ... فتركْنَ حبَّات القُلوبِ ذوائِبا

ومثله قول الامام أبى الحسن نصر المرغينانى [من الطويل] :

ذوائبُ سودٌ كالعناقيدِ أسبلتْ ... فمنْ أجلها منّا النُّفوسُ ذوائبُ

وقول ابن نباتة فى مطلع قصيدة امتدح بها الملك الأفضل صاحب حمـاة [من الكامل] :

مابتُّ فيكِ بدمعِ عينى أشرَقُ ... إلاّ وأنتِ منَ الغزَالةِ أشرَقُ

ولمؤلفه رحمه الله تعالى فى مطلع قصيدة مهنئا بالشفاء لمن ألف هذا الكتاب باسمه الكريم [من الكامل] :

بدْرُ الهنا بشفاء ذَاتكَ أشرَقا ... وأغصَّ مَنْ يَجْفُو عُلاكَ وأشرَقا

وما ألطف قول بعضهم [من المجتث] :

القلْبُ منِّىَ صَبٌّ ... والدَّمعُ منِّىَ صَبُّ

وقد أخذه ابن نباتة وحصر المعنيين فى ركن واحد فقال [من الكامل] :

دَمعى عليكَ مُجانسٌ قلبى ... فانظرْ على الحالينِ فى الصَّبِّ

(١٤ — معاهد)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومثله قول مجير الدولة بن عبد الظاهر ملنزاني كوز [من مجزوء الوافر] :

وذِي أُذُنٍ بِلا سمْعٍ لهُ قلْبٌ بِـلا قلْبِ
إذَا استوْلَى على صبٍّ فقلْ ما شئْتَ فى الصَّبِّ

وما أحسن قول ابن شرف [من مجزوء الرجز] :

يا ثاوِياً فى معشرٍ قد اضطلى بنارِهمْ
إنْ تبْكِ منْ شِرارهمْ على يدَىْ شِرارهمْ
أو تُرْمَ منْ أحجارهمْ وأنت فى أحجارهمْ
فمـا بقيتَ جارَهمْ فنى هواهُمْ جارِهمْ
وأرْضهمْ فى أرْضهمْ ودارِهمْ فى دارِهمْ

وقول ابن فضالة المجاشعي القيرواني ، وقيل : ابن شرف [من السريع] :

إنْ تُلقكَ الغُرْبةُ فى معشرٍ قدْ أجمعوا فيكَ على بغضهمْ
فدارِهمْ ما دُمتَ فى دارِهمْ وأرْضِهِمْ مادُمتَ فى أرْضهمْ

* * *

شاهد جناس التركيب

١٦٢ — إذَا مَلكٌ لمْ يكُنْ ذَاهِبهْ فدَعْهُ فدَوْلتهُ ذَاهِبهْ

البيت لأبى الفتح البستى، من المتقارب .

والشاهد فيه: جناس التركيب، وهو : المتفق لفظاً وخطا .

وما أحسن قول الشاعر فيه [من مجزوء الرمل] :

عضَّنَا الدهرُ بِنابهْ ليْتَ ما حلَّ بِنابهْ

وقول شمسويه المصرى فى غلام يبيع الفراني [من الخفيف]

قلتُ للقلبِ مادَهاك أُجِبنى قال لى بائعُ الفرَانِى فرَانِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ناظـراهُ فيما جنىَ ناظراهُ أو دَعانى أُمِتْ بما أودَعانى

وقول أبى الحسن المرغينانى [من مجزوء الرمل] :

صَارَ مَتْنى مثلَ قَوْسٍ نزعتْ مُذْ صارمتنى

وقول الحاكم أبى حفص عمر المطوعى [من الوافر] :

ألاَ يَا سـيداً خُلقَتْ يداهُ لثروَةِ مُعـدمٍ أوْ يُثرِعَانى

مَضى العسرُ الذى قاسيْت فاعدلْ إلىَ يُسرَيْنِ نحوَكَ يُسرعَانِ

وقول بعض المغاربة ، وأجاد [من الخفيف] :

لَبسَ البرْنسَ المليحُ فباهى وَدَرَى أننى مُحبٌّ فَتَاهَا

لوْ رأتهُ زليخةٌ حينَ وافىَ لتمنتهُ أنْ يكونَ فتَاها

ومثله قول بعضهم [من الخفيف] :

رَبِّ سَهِّلْ على فتَاتى فتَاتى لترَى هلْ سَلاَ فتَاها فتَاهَا

علمتهُ جفونهَا آىَ سحْرٍ ماتلاهَى عنْ حبهَا مُذْ تَلاَهَا

وقول الباخرزى أيضا [من السريع] :

قدْ مُلئَتْ زَوْزَنُ من سادةٍ لهمْ نُفوسٌ بالعلى عَارِفَاتْ

ما أغتدى إلا وَمن عندهمْ عارفةٌ عندىَ أو عَارِفَتْ

قدْ بقىَ الفخرُ بهمْ والندَى والبأسُ والبخْلُ مع العارفَاتْ

ومثله قول أبى بكر اليوسقى [من السريع] :

وَرَدتُ مالـينَ فألفيتُهَا رُمانَةً حَبَاتهـا المـكرُمات

أصبحْ من ظرفِ سـجاياهمُ عَاشَ الوفاءُ المحضُ والمـكرُمَاتْ

وقول أبى الفضل الميكالى [من البسيط] :

تفرق الناسُ فى أرْزَاقهمْ فِرَقاً فلاَ بسٌ مِنْ ثراءِ المالِ أوْ عَارِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كذا المعائشُ فى الدّنيا وَسا كنها مقسومـة بينَ أدماثٍ وأوْعارِ
مَنْ ظنَّ باللهِ جوْراً فى قضيتهِ افترَّ عنْ مأثمٍ فى الدين أوعَارِ

وقوله يهجو [من المتقارب] :

لئنْ أنْتَ ناصبتَ بدرَ الدُّجىَ ونازعتَ شمسَ الضحى أوْجهَا
لمـا كنتَ أفضـلَ فى حالةٍ منَ الـكلبِ عندِى ولاَ أوْجهَا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الوهاب [من الرمل] :

حَارَ فى سُقْمِى مِنْ بعدِهِمُ كلُّ منْ فى الحى دَاوَى أو رَقَى
بعدَهم لا ظلَّ وَادى المنحنىَ وَكذَا بانُ الحمىَ لاَ أورَقَا

وقول الشمس الخجندى إمام المسجد الشريف النبوى [من الـكامل] :

حَسبى جوَارُ محمدٍ وكفى بهِ دَفعاً لمـا ألقاهُ منْ أوصابِى
لمْ أخشَ ضَيماً فى حماهُ ولا أذًى أنَّى وجبرَائيلُ قد أوْصابِى

وقول الصلاح الصفدى فيه [من المجتث] :

يَا منْ إذَا ما أتاهُ أهلُ المودّة أولمْ
أنَا محبُّـكَ حَقًّا إن كنتَ فى القومِ أولمْ

ترجمة أبى الفتح البستى

والبستى(١) هو : أبو الفتح على بن محمد ، الـكاتب .

قال الثعالبي ، رحمه الله تعـالى ! فى حقه : هو صاحب الطريقة الأنيقة ، فى التجنيس الأنيس ، البديع التأسيس ، وكان يسميه المتشابه ، ويأتى فيـه بكل ظريفة ولطيفة . وقد كان يبلغنى شعره العجيب الصنعة ، البديع الصبغة .

من كل معنىً يكادُ الميتُ يعشقهُ حُسناً وَيعبدهُ القرطاسُ والقلمُ

(١) اقرأ هذه الترجمة فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤ ـ ٢٨٤ مصر) ولأبى الفتح البستى ترجمة قصيرة فى ابن خلـكان (٢ـ٥٢)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مما أراه فأرويه ، وألحظه فأحفظه ، وأسأل الله تعالى بقاه ، حتى أرزق لقاه ، وأتمنى قربه كما تتمنى الجنة ، وإن لم تتقدم لها الرؤية ، حتى وافقت الأمنية حكم القدر ، وطلع على نيسابور طلوع القمر ، فزاد العين على الأثر ، والاختبار على الخبَر ، ورأيته يغترف فى الأدب من البحر ، وكأنما يوحى إليه فى النظم والنثر ، مع ضربه فى سائر العلوم بالسهم العائر ، وأخذه منها بالحظ الوافر ، وجمعته وإياى لحمة الأدب ، التى هى أقوى من قرابة النسب ، فما زلت فى قدماته الثلاث بنيسابور بين سرور وأنس مقيم ، ومن حسن معاشرته وطيب مذاكرته ومحاضرته فى جنة ونعيم ، أجتنى ثمر الغرائب من فوائده ، وأنظم العقود من فرائده ، ولم تكن تغنى كتبه فى غيبته ، ولا أكاد أخلو من آثار وده ، وكرم عهده .

ومن خبره : أنه كان فى عنفوان أمره كاتبا لبايتوز ، صاحب بست ، فلما فتحها الأمير ناصر الدولة أبو منصور سبكتكين ، وأسفرت الواقعة بينه وبين بايتوز عن استمرار الكشفة به ، أعيت أبا الفتح صحبته فتخلف ودل الأمير عليه فاستحضره ومناه ، واعتمده لما كان قبل معتمداً له ، إذ كان محتاجاً إلى مثله فى آلته وكفايته ومعرفته ، وهدايته وحنكته ودرايته .

قال : فحدثنى أبو النصر العتبى قال : حدثنى أبو الفتح قال : لما استخدمنى الأمير سبكتكين ، وأحلنى محل الثقة الأمين ، عنده فى مهمات شانه ، وأسرار ديوانه . وكان بايتوز بعد حيا ، وحسادى يلوون ألسنتهم بالقدح فىّ والجرح لموضع الثقة بى لَيًّا ، أشفقت لقرب العهد بالاختبار من أن يعلق بقلبه شىء من تلك الأقوال ، ويقرطس غرض القبول بعض تلك النبال ، فحضرته ذات يوم وقلت : إن همة مثلى من أرباب هذه الصناعة لا ترتقى إلى أكثر مما رآنى الأمير أهلا له من اختصاصه واستخلاصه ، وتقريبه واختياره لمهمات أموره وأسراره ، غير أن حداثة عهدى بخدمة مَنْ كنت به موسوما ، واهتمام الأمير

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بنقض ما بقي من شأنه، يقتضيان أن أسأله الاعتزال فى بعض أطراف مملكته ؛ ريثما يستقر هذا الأمر فى نصابه ، فيكون ما أليه من هذه الصناعة ، أسلم من التهمة ، وأقرب إلى السداد ، وأبعد من كيد الحساد ، فارتاح لما سمعه ، وأوقعه من الاحماد موقعه ، فأشار علىّ بناحية الرخج ، وحكمنى فى أرضها أتبوأ منها حيث أشاء ، إلى أن يأتينى الاستدعاء ، فتوجهت نحوها فارغ البال ، رافه العيش والحال ، سليم اللسان والقلم ، بعيد القدم من مخاضات التهم . وكنت أدلجت ذات ليلة - وذلك فى فصل الربيع - أؤم منزلا أمامى ، فلما أصبحت نزلت فصليت وسبحت ودعوت وقمت للركوب ، ففتح ضياء الشروق طرفى علىَ قرية ذات يمنة محفوفة بالخضر ، معمومة بالنور والزهر ، وأمامها أرض كأنها بطون الحيات فى صفاء ماء الحياة ، وقد فغمنى من نسيم هوائها عَرْفُ المسك السحيق ، بالعنبر الفتيق ، فاستطبت المكان ، وتصورت منه الجنان ، وفزعت إلى كتاب أدب كنت أستصحبه لأخذ الفال على المقام والارتحال ، فكشف أول سطر من الصفحة عن بيت شعر ، وهو [من مجزوء الكامل] :

وإذا انتهيتَ إلى السلا مة فى مداكَ فلا تجاوزْ

فقلت : والله هذا هو الوحى الناطق ، والفأل الصادق ، وتقدمت بعطف ضِبْنِى إليها ، وعشت ستة أشهر بها فى أنعم عيش وأرخاه ، وأهنأ شرب وأمراه ، إلى أن أتانى كتاب الأمير فى استدعائى إلى حضرته بتبجيل وتأهيل ، وترتيب وترحيب ، فنهضت إليها ، وحظيت بما حظيت منها إلى يومى هذا .

قال : فكان اختباره ذلك أحد ما استدل به الأمير على عقله وجودة رأيه ، وتدبيره ورزانته ، ودرج به إلى محله ومكانته ، وصار من بعده ينظم بأقلام منثور الآثار عن حسابه ، وينسج بعباراته وشى فتوحه ومقاماته . وهلم جرا إلى زمن السلطان المعظم يمين الدولة ، وأمين الملة محمود بن سبكتكينَ ، فقد كتب له عدة فتوح ، قال فى أحد كتبه « كتبت وقد هبت ريح النصرة من مهبها ،

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والأرض مشرقة بنور ربها - إلخ » واستمر إلى أن زحزحهُ القضاء عن خدمته ، ونبذه إلى ديار الترك عن غير قصده وإرادته ، فانتقل بها إلى جوار ربه عز وجل فى سنة أربعمائة من الهجرة النبوية .

ولنذكر من مليح نثره ونظمه ما رق له وراق ، وحلا فى الأذواق .

فمن فصوله القصار ، وأمثاله التى انتشر فضلها وسار : من أصلح فاسده أرغم حاسده ، من أطاع غضبه أضاع أربَه . عادات السادات سادات العادات . من سعادة جدك وقوفك عند حدك . أفحش الاضاعة الاذاعة . الرشوة رشاء الحاجة . اشتغل عن لذاتك بعمارة ذاتك . إذا بقى ماقاتك فلا تأس على مافاتك . ربما كانت الفطنة فتنة ، والمحنة منحة . من حصن أطرافه حسن أوصافه . أحصن من الجنة لزوم السنة . الرد الهائل خير من الوعد الحائل . طلوع العقوق أفول الحقوق . الحدة والندامة فرسا رهان ، والجود والشجاعة شريكا عِنان . والتوانى والخيبة رضيعا لبان . الفكر رائد العقل . نعْمَ الشفيع إلى عدوك عقله . مسلك الحزن حَزْن . الخلاف غلاف الشر . المراء يهدم المروءة . رضى المرء عن نفسه دليل تخلفه ونقصه . عسى تحظى فى ثمدك برغدك . ربما أغنت المداراة عن المباراة . لا ضمان على الزمان . من لزم السلم سلم . ليكن قرينك من يزينك إفراط السخاوة رخاوة . ربما كانت العطية خطية . لا يعدم السرعة ذو السرعة لكل حادث حديث . البشر نور الأصحاب . ما كل خاطر بعاطر . ما لخرق الرقيع مرقع . إن يكن لنامطمع فى دَرْك درِّك ، فأعفنا من شَرَك شرك . الغيث لايخلو من العيث .

ومن شعره فى الغزل وغيره [من البسيط] :

يايوسفَ الحسنِ ليلى بعدَ فرقتكمْ ... يحكى سنِى يوسفٍ طولاً وتعذيبا

والشأنُ فى أننى أرمى لأجلكمُ ... بمثلِ ما قد رَمى إخوانُكَ الذيبا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومنه [من الكامل] :

قالتْ وقد رَاودتها عن قبلةٍ ... تشفى بها قلباً كئيباً مغرَمَا
قَدّمْ يداً من قبل أن تدنى يَداً ... ومبرّةً من قبلِ أن تُدنى فَمَا
إنّ الغرَامَ غَرامةٌ فمتى تكنْ ... بي مُغْرماً فلتحملن لى مَغْرَمَا

وَمنه [من الكامل] :

أرأيتَ ماقد قال لى بدر الدُّجى ... لما رَأى طرفى يُديمُ سُهودَا
حتّى مَ ترمقنى بطرفٍ ساهرٍ ... أقْصِرْ فلستُ حبيبكَ المفقودَا

ومنه [من الخفيف] :

رُبَّ يومٍ للأنس فيهِ فراغٌ ... ولكأسِ السرورِ فيهِ مساغُ
بيْننا للبخور غيمٌ ، وللما ... وَرْدِ طش ، وَللغوالى رداغُ

ومنه [من الكامل] :

يومٌ له فضلٌ على الأيامِ ... مزَجَ السحابُ ضياءهُ بظلامِ
فالبرْقُ يخفقُ مثلَ قلبٍ هائمٍ ... وَالغيمُ يبكى مثلَ طرفٍ هامِى
وكأنَّ وجْهَ الأرضِ خَدٌّ متيمٍ ... وُصلتْ دموعُ سحابِهِ بسجَامِ
فاطلب ليومك أربعاً هُنَّ المنى ... وبهنَّ تصفو لذّةُ الأيامِ
وجهَ الحبيبِ ومَنظراً مُستشرفا ... ومُغَنِّيًا غرداً وكأسَ مُدامِ

ومنه فى وصف الكتب والخط وَالبلاغة [من الوافر] :

كتابك سيدى جَلَّى همومى ... وجَلّ به اغتباطى وابتهاجِي
كتابٌ فى سرائره سرُورٌ ... مُناجيه من الأحزَان ناجِي
فَكَمْ معنى لطيفٍ درجَ لفظٍ ... هُنَاكَ تزاوجَا أىَّ ازدواجِ (١)

(١) فى اليتيمة * فكم معنى لطيف ضمن لفظ *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كراحٍ في زجاجٍ بل كروحٍ سرى في جسمِ معتدلِ المزاجِ

ومنه أيضا [من الطويل] :

بنفسيَ من أهدى إليَّ كتابهُ فأهدى لي الدُّنيا مع الدين في درجِ
كتابٌ معَانيهِ خلالَ سطورهِ لآلىء في دَرْجٍ كواكبُ في بُرْجِ

ومنه [من البسيط] :

لما أتاني كتابٌ منك مبتسمٌ عن كل برٍّ وفضلٍ غير محدودِ
حكتْ معانيهِ في أثناء أسطرهِ آثارَكَ البيضَ في أحوالي السودِ

ومنه [من البسيط] :

ما إنْ سمعت بنوّارٍ لهُ ثمرٌ في الوقت يمتعُ سمعَ المرء والبصرا
حتى أتاني كتابٌ منكَ مبتسمٌ عن كل لفظٍ ومعنى يشبهُ الدررا
فكانَ لفظك من لآلائهِ زهراً وكانَ معناهُ في أثنائه ثمرا
تسابقا فأصاباَ القصدَ في طَلَقٍ لله منْ ثمرٍ قد سابقَ الزهرا

ومنه [من الوافر] :

إذا أحببتَ أن تحظى بسحرٍ فلا تختَرْ على لفظي وشعري
فأحسنُ من نظام الدرّ نظمي وأنقى من نثارِ الوردِ نثري

ومنه في الفقهيات [من الطويل] :

عليكَ بمطبوخِ النبيذ فانهُ حلالٌ إذا لم يخطف العقلَ والفهما
ودَعْ قولَ من قد قالَ إنَّ قليلهُ يُعينُ على الاسكار فاستويا حكما[1]
فليسَ لما دون النصاب قضية النصاب وإن كان النصابُ به تمّا

(١) في اليتيمة « معين على الاسكار »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومنه فى معناه [من البسيط] :

معاشرَ الناس أصغوا قد نصحتُ لكمْ ... فى الراحِ حكمٌ مليحٌ غيرُ ممقوتِ

قليلها مُستباحٌ والكثيرُ عمىً ... كغرفةٍ فردةٍ من نهرِ طالوتِ (١)

ومنه فى الطبيات والفلسفيات [من الخفيف] :

لا يغرَّنك أننى ألينُ اللمس فعزمى إذا انتضيتُ حُسامُ (٢)

أنا كالوَرْدِ فيهِ راحةُ قومٍ ... ثمَّ فيهِ لآخرينَ زكامُ

ومنه [من المتقارب] :

خَفِ اللهَ واطلبْ هُدَى دينهِ ... وبعدَهما فاطلب الفلسفَهْ

لئلاَّ يغرَّكَ قومٌ رَضوا ... منَ الدين بالزور والسفسفَهْ

ودعْ عنكَ قوماً يعيبونها ... ففلسفة المرء كلُّ السفَهْ

ومنه فى النجوميات [من البسيط] :

قد غضَّ من أملى أنِّى أرَى عملى ... أقوى من المشترى فى أول الحَمَلِ

وأننى راحلٌ عما أحاولهُ ... كأننى أستدرُّ الحظ من زُحَلِ

ومنه [من البسيط] :

إذَا غدا ملكٌ باللهو مشتغلاً ... فاحكم على ملكه بالويلِ والحربِ

أما ترى الشمس فى الميزان هابطةً ... لما غدا برج نجم اللهو والطربِ

ومنه [من البسيط] :

لا تعجبنَّ لدهرٍ ظلَّ فى صَبَبٍ ... أشرافهُ وعلاُ فى أوْجهِ السَّفِلُ

---

(١) فى اليتيمة « والكثير حمى » وهو الصواب ؛ والحمى : الذى حماه الله ومنع من أن تقربه . وفى الحديث « ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه »

(٢) فى الأصل « ألين المس » وقد أثبتنا ما فى اليتيمة ؛ وفى اليتيمة « فغر بى إذا انتضيت حسام »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وانظرْ لأحكامِهِ أنى تقادُ بها ... فالمشترى السّعد عالٍ فوقهُ زُحلُ(١)

ومنه [من الوافر]:

سلِ اللهَ الغنى تسألْ جوَادا ... أمِنتَ على خزائنِهِ النَّفادَا(٢)

وإنْ أدْناكَ سلطانٌ لفضْلٍ ... فلاَ تغفلْ ترَقُّبَكَ البعادَا

فقدْ تُدنى الملوكُ لَدَى رِضاها ... وتُبعدُ حِينَ تحتقدُ احتقادَا

كما المرِّيخُ فى التَّثْليثِ يُعطى ... وفى التربيع يَسلبُ ما أفادا

ومنه [من الرمل]:

شرفُ الوَعْدِ بوعدٍ مِثلِهِ ... مثلٌ ما فيهِ زَيغٌ وزَلَلْ(٣)

ودليلُ الصدْقِ فِيما قُلتهُ ... شرَفُ المرّيخِ فى بيتِ زُحلْ

ومنه فى الإخوانيات [من المتقارب]:

لِقاؤُكَ يُدْنى مُنَى المُرْتجى ... ويفتحُ بابَ الهوَى المرْتَجِ

فأسْرِعْ إلينا ولا تُبطِّئْنْ ... فإنا صِيامٌ إلى أنْ تجى

ومنه [من الكامل]:

عِندى فدْيتكَ سادةٌ أحرَارُ ... وقلوبُهمْ شوقاً إليكَ حِرارُ

وشرَابُنَا شُرْبُ العلومِ ورَوْضُنَا ... نُزهُ الحديثِ ونَقْلنا الأشعارُ

فامْنُنْ علينا بالبدَارِ فانما ... أعمارُ أوْقاتِ السُّرُور قِصارُ

ومنه [من الخفيف]:

لا تظُنّنْ بى وبرُّكَ حىٌّ ... أنّ شُكرِى كشكرِ غيرى مَوَاتُ

---

(١) فى اليتيمة « أنى تقاربها »

(٢) فى اليتيمة * سل الله العظيم تسل جوادا *

(٣) فى اليتيمة « الوعد » فى الموضعين ، بعين مهملة .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أنا أرْضٌ وراحتاكَ سماءٌ والأيادِي وبْلٌ وشكرِي نَبَاتُ

ومنه [من البسيط]:

منْ شاء عيشاً رخِيًّا يستفيدُ بهِ فى دِينهِ ثمّ فى دُنياه إقبالاَ
فلينظُرنّ إلى منْ فوقَهُ أدباً ولينظرنّ إلى منْ دُونه مالاَ

ومنه [من الطويل]:

أفِدْ طبعكَ المكْدودَ بالجدّ راحةً قليلاً وعلّلْهُ بشيءٍ من المزْحِ
ولكنْ إذا أعطيته ذاكَ فليكنْ بمقدارِ مايعطى الطعامُ منَ المِلحِ

ومنه [من المتقارب]:

إذَا ما اصطفيتَ امرأً فليكنْ شريفَ النِّجارِ زَكِيَّ الحسبْ
فنذلُ الرِّجالِ كنذْلِ النَّباتِ فلاَ لِلْمارِ ولا لِلحطبْ

ومنه [من الطويل]:

عفاء على هذَا الزَّمانِ فإنهُ زَمانُ عقوقٍ لا زَمانُ حُقُوقِ
فكلُّ رفيقٍ فيهِ غيرُ موافقٍ وكلُّ صديقٍ فيهِ غيرُ صدُوقِ

ومنه [من البسيط]:

كأنّنى فرَسُ الشطْرنجِ ليسَ لهُ فى ظلّ رابطهِ ماءٌ ولا عَلَفُ

ومنه قوله فى المشاورة [من الوافر]:

خصائصُ منْ تشاوِرهُ ثلاثٌ فخذْ منها جَميعاً بالوَثيقهْ
ودادٌ خالصٌ ووُفورُ عقْلٍ ومعرفة بحالكَ فى الحقيقهْ
فمنْ حصلتْ لهُ هذِى المعانِى فتابعْ رأيهُ والْزمْ طريقهْ

وقوله أيضاً [من الكامل]:

إنْ كنتَ تطلبُ رُتبةَ الأحرَارِ فاعمدْ لِحلْمٍ راجحٍ ووَقارِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وحذارِ من سفهٍ يَشِينُكَ وصفهُ إنَّ السَّفاهَ بذِى المروءةِ زارى
إنَّ السَّفيهَ إذا تصدَّى لامرِىءٍ متحلمٍ ونهاه بالأضرار
فالماء يُطفى وهوَ لَيْنٌ مسُّهُ عذْبٌ مذاقتُهُ لَهيبَ النّار

ومنه [من الوافر] :

وما استوْفى شُرُوطَ الحزْم إلاّ فتى فى خُلقهِ سهْلٌ وحَزْنُ

ومثله قول ابن شمس الخلافة [من الطويل] :

فليسَ كمالُ المرْءِ بالخيرِ وحدَهُ إذَا لم يكنْ فى المرْءِ شىءٌ من الشَّرِّ

ومحاسن أبى الفتح البستى كثيرة ، رحمه الله تعالى ! وفيما أوردناه كفاية .

* * *

شاهد الجناس المفروق

١٦٣ — كُلُّكمْ قدْ أخذَ الجا مَ ولاَ جامَ لنَا
ما الّذِى ضرَّ مُدِيرَ الـ ـجامِ لوْ جاملَنَا

البيتان من مجزوء الرمل ، وهما لأبى الفتح البستى أيضاً .

والشاهد فيهما: الجناس المفروق، وهو : المتفق لفظا لا خطا ، كقول المعتمد ابن عباد يحكى قول جارية له فى محنته [من مجزوء الرجز] :

قالتْ لقدْ هِنَّا هُنَا مَوْلاىَ أينَ جاهنَا
قلتُ لها إلهنا صيَّرنا إلى هُنا

وقول المطوعى [من الوافر] :

أميرٌ كلُّهُ كرمٌ سعِدْنَا بأخذِ المجدِ عنهُ واقْتباسِهْ
يُحاكِى النِّيلَ حينَ يَرُومُ نَيْلاً ويحكى باسلاً فى وقتِ باسِهِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لاتعرضنّ على الرُّواةِ قصيدةً مالم تبالغْ قبلُ فى تهذيبها
فمتى عرضْتَ الشِّعْرَ غيرَ مهذبٍ عدُّوهُ مِنكَ وساوساً تهذى بها

وقول ابن أسد الفارقى [من الطويل] :

غدَوْنا بأموَالٍ ورُحنا بِخيبةٍ أماتتْ لنا أفهامَنا والقرائحا
فلاَ تلقَ منَّا غادِياً نحوَ حاجةٍ لتسألهُ عن حالهِ والقَ رائحا

وقول أبي الفتح البستى (١) [من البسيط] :

إنْ سلَّ أقْلاَمهُ يوماً ليُعْملها أنساكَ كلَّ كمىٍّ هزَّ عامِلهُ
وإنْ أقرَّ على رَقٍّ أناملهُ أقرَّ بالرِّقِّ كتَّابُ الأنام لهُ

وقوله أيضاً (٢) [من مجزوء الوافر] :

إلى حتفى سعى قدَمى أرَى قدَمى أراقَ دَمى (٣)
فكم أنقدُ من ندَمٍ وليسَ بنافعٍ ندَمى

وقوله (٤) [من الكامل] :

كم من أخٍ قدْ هدَّمتْ أخلاَقهُ فى آخرٍ ما قدْ بنى فى الأوَّلِ
نسىَ الوَفاء ولستُ أنسى عهدَما شاهدْتُ منهُ فى الزَّمانِ الأطوَلِ
يرْمى سهاماً إنْ أسرَّ المقتُ لى بالكيدِ لا يقصدْنَ غيرَ المقتلِ

وقوله (٥) [من الهزج] :

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤-٢٩١) كما هنا ، وفى تاريخ ابن خلكان (٢-٥٢) وفيه فى أولهما « إن هز أقلامه »
(٢) البيتان فى اليتيمة (٤-٣٠٤)
(٣) فى اليتيمة « مشى قدمى »
(٤) الأبيات فى يتيمة الدهر (٤ - ٣٠١)
(٥) الأبيات فى يتيمة الدهر (٤ - ٣٠٣)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

جُعلنا أجنبيَّين بلا جُرْمٍ ولا تبلِ
وأقصينا وما خُنّا ومازُغْنا عن العدْلِ
فقلْ لى ياأخا السُّودَ دِوَ الهمَّةِ والفضلِ
إلى كم نحنُ فى ضيقٍ وفى عزلٍ وفى أزْلِ
أما تَنْشَطُ أنْ تُملى على الكُتّاب أنْتَ لى

وقوله (١) [من مجزوء الخفيف] :

لايسوءُأنْكَ إنْ برّا نِيَ دَهرٌ فَلَمْ يَرِشْ
أنتَ عِشْ سالمًا فانَّـــكَ إنْ عِشتَ أنتعشْ

وقول العميد بن سهل [من الطويل] :

عجبْتُ منَ الأفْلاَم لم تندَ خُضْرةً وباشرْنَ منهُ كفَّهُ والأناملا
لو انَّ الوَرَى كانوا كلاَماً وأحرُفًا لـكانَ نعمْ منها وكانَ الأنامُ لاَ

وقول أبى بشر المأمونى بن على الخوارزمى مهنئاً بعض أصحابه بزفاف [من المنسرح] :

بدْرُدُجى أصحبوهُ شمسَ ضحى بارَكَ ربُّ السماء فيها لَهْ
ضمَّتهما هالةُ الوِصال معا منْ ذا رَأى النيِّرَيْنِ فى هالَهْ

وقول أبى بكر اليوسفى يصف أقلاماً، وهى [من الكامل] :

قصباتُ فضلٍ قدْ جرَتْ قصباتُها مجْرَى موافى كبْوةٍ وعِثارِ
يكتُبْنَ فى القرْطاسِ أخبارَ النُّهى بِلُعابِ منقارٍ لهـا منْ قارِ

وقول صدر الدين الخجندى [من السريع] :

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر للثعالبى (٤ - ٢٩٩) .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أنفق حبوراً واسترقَّ العلاَ ولا تخفْ خشيةَ إملاَقِ
الناسُ أكفاءٌ إذَا قوبِلوا إن فاقَ شخصٌ فبالانفاقِ

وما ألطف قول ابن نباتة [من الكامل] :

قمراً نراهُ أمْ مليحاً أمرَدا وَلحاظهُ بينَ الجوانحِ أمْ ردَى

وسبقه إلى ذلك الأمير أبو الفضل الميكالى فقال [من الرجز] :

يا منْ دَهاه شعرُهُ وكانْ غضّاً أمرَدا
سيَّان فاجا أمرَدا فى الخدِّ شَعْرٌ أمْ ردَى

ولأبى الفضل فى هذا أيضا قوله [من مخلع البسيط] :

لنا صديقٌ تجيدُ لقاً راحَتُنَا فى أذَى قفاهُ
ماذاقَ من كسبهِ ولكنْ أذَى قفاهُ أذَاق فاهُ

وله أيضا [من مجزوء الرجز] :

لنا صديقٌ إنْ رأى مُهفْهفـاً لا طَفـهُ
وإنْ يكنْ فى دَهرنا ذُو أبنةٍ لاطَ فَهُو

وله أيضا [من الطويل] :

لقدْ راعنى بدْرُ الدُّجى بصدودِهِ ووكَّل أجفانِى برَعْيِ كوَاكِبِهْ
فياجزَعى مهلاً عساه يعودُ لى ويا كبدِى صبراً على ما كوَاكَ بِهْ

وللشهاب محمود فيه [من الوافر] :

ولم أرمثلَ نشرِ الرَّوْض لما تلا قَيْنا وبنتَ العـامرىِّ
جرَى دمعى وأوْمض بَرْقُ فيها فقالَ الرَّوْضُ فى ذَاالعامرِيِّ

ولابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

قدْ سبى قلبى غزالٌ فاتنٌ سلْ بهِ كيفَ اعتدىَ فى سلبهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أنا لا أعتبهُ فيما جرَى صَفَحَ اللهُ لهُ عَنْ ذَنْبِهِ

وقوله أيضاً [من الرمل] :

أيها العـاذلُ فى حبِّ لها خَلِّ نفسى فى هوَاها تحترقْ
ما الذى ضرَّكَ منِّى بعدَ مَا صارَ قلبى من هواها تحتَ رقْ

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف [من مخلع البسيط] :

أسرعْ وسرْ طالبَ المعالى بـكلِّ وادٍ وكلِّ مَهْمَـهْ
وإنْ لَحَى عاذلٌ جهولٌ فقلْ لهُ : يا عَذولُ مَهْ مَهْ

وقوله رحمه الله تعالى [من مجزوء الرجز] :

إنَّ الذى منزلهُ من سُحْبِ عينى أمرَعَا
لم أدرِ منْ بَعدِىَ هلْ ضيّعَ عهدى أمْ رَعَى

وقول قاضى القضاة بهاء الدين السبكى [من الكامل] :

كنْ كيفْ شئتَ ، عن الهوَى لا أنتَهِى
حتَّى تعودَ لى الحياةُ وأنتَ هِى

ومثله قول أبى نصر القشيرى [من مجزوء الكامل] :

تقبيلُ خدِّكَ أشتهى أملٌ إليـهِ أنتهى
إن نلتُ ذلكَ لم أبَلْ بالرُّوح منِّى أن تهِى
وعلى الحقيقة أنتَ هِى

١٦٤ — بيتا عوّاصِ عوّاصِ (٢)

شاهد الجناس المطرف

(٢) هو صدر بيت من الطويل ، وتمامه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

* تصولُ بأسيافٍ قواضٍ قواضبِ *

وقائله أبو تمام ، من قصيدة[١] يمدح بها أبا دلف العجلى ، أولها :

عَلى مثلها من أربُعٍ وملاعبِ
أُهينت مصوناتُ الدموعِ السوا كبِ[٢]

وهى طويلة ، وما أحسن قوله فى مخلصها :

إذا العيسُ قد لاقت أبادلفٍ نقدْ تقطَّعَ ما بينى و بين النوائبِ[٣]
هنالك تلقَ الجودَ فى حيث قُطِّعَتْ تمائمُهُ والمجد وافى الذوائبِ[٤]
تكادُ عطاياهُ تجنُّ جنونها إذا لم يُعوِّذْهَا بنغمة طالبِ[٥]

وهذا البيت مما انتقد به على أبى تمام حتى قال بعضهم :[٦] وما باله ينسبها إلى الجنون و يلتمس لها العوذ والرقى ؟ هلافك إسارها وعجل خلاصها ولم ينتظر بها نغمة الطالب ففعل كما قال أبو الطيب المتنبى [من الكامل] :

وعطاء مالٍ لو عَدَاهُ طالبٌ أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا

وقد تداول الناس هذا المعنى ، فقال مسلم [من الطويل] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (٤٠)

(٢) فى الديوان « أذيلت مصونات الدموع » والمعنى واحد ، وانظر هذا المطلع فى الموازنة (٤١٦ بتحقيقنا)

(٣) فى الديوان « إذا العيس لاقت بى » وهى أظرف

(٤) فى الديوان « هنالك تلقى المجد » وفيه « والجود مرخي الذوائب »

(٥) فى الأصل « بنعمة طالب » بعين مهملة ، وهو تحريف لايتفق مع ماوجه إلى البيت من النقد ، والذى أثبتناه موافق لما فى الديوان ، ومافى الوساطة (٧٤ طبع مطبعة الحلبى)

(٦) هذا الكلام بنصه فى « الوساطة بين أبى الطيب المتنبى وخصومه » إلى آخر الشواهد التى ذكرها على تداول الشعراء هذا المعنى .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أخٌ لىَ يعطينى إذا ما سألتهُ وإن لم أُعَرِّضْ بالسؤال ابتدانيا

وقال أبو العتاهية [من المتقارب] :

وإنا إذاما تركنا السؤالَ فمعروفهُ أبداً يبتدينا(١)

وإن نحنُ لم نبغ معروفهُ فمعروفهُ أبداً يبتغينا

وقال أبو تمام الطائى [من الطويل] :

فأضحتْ عطاياهُ نوازعَ شُرَّدا تسائلُ فى الآفاق عن كلِّ سائلِ

وقال أيضا [من الكامل] :

ورأيتنى فسألت نفسكَ سَيْبَهَا لى ثم جُدْتَ وما انتظرتَ سؤالى

وقد زاد أبو الطيب عليهم بقوله المتقدم :

* أنفقتهُ فى أن تلاقى طالبا *

ولنرجع إلى شعر أبى تمام — ومن محاسن قصيدته هذه قولُه :

يرى أقبح الأشياء أوْبَةَ آملٍ كستهُ يدُ المأمول حُلَّةَ خائبِ

وأحسن من نَوْرٍ يفتّحهُ الندَى بياضُ العطايا فى سواد المطالبِ

وهذا البيت من أحسن الشواهد على المقابلة، وهو مأخوذ من قول الأخطل [من الطويل] :

رأينا بياضاً فى سواد كأنهُ بياض العطايا فى سواد المطالبِ

ويحكى أن أبا تمام لما أنشد أبا دلف قوله :

* على مثلها من أرْبُعٍ وملاعبِ *

قال : من أراد يُبَكِّتُه : لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

---

(١) عجز هذا البيت فى الوساطة « فلم نبغ نائله يبتدينا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

التوليد نوع من البديع

وهذا نوع من البديع يسمى التوليد ، فان هذا القائل وَلَّدَ من الكلامين كلاما يناقض غرض أبي تمام من وجهين : أحدهما : خروج الكلام عن النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء ، والثانى خروج الكلام من أن يكون بيتا من الشعر إلى أن صار قطعة من النثر .

ومن لطيف التوليد قول بعض العجم ، وهو توليد المتكلم مايريد من لفظ نفسه [من الوافر] :

كأنَّ عِذَارهُ فى الخدّ لامٌ ومبسمهُ الشهى العذب صادُ
وطرّةُ شَعْره ليلٌ بَهيمٌ فلا عجب إذا سُرِقَ الرُّقادُ

فانه ولد من تشبيه العذار باللام ، وتشبيه الفم بالصاد ، لفظة لص ؛ وولد من معناها ، ومعنى تشبيه الطرة بالليل ، ذكر سرقة النوم ؛ وهذا من أغرب توليد سمع .

رجع إلى الكلام على البيت : عواص : جمع عاصية ، من عصاه : ضربه بالسيف ، أو العصا ، وعواصم : من عصمه حفظه وحماه ، وقَوَاض : من قضى عليه حكم ، وقواضب : من قضبه قطعه .

والشاهد فيه : الجناس الناقص المطرف

من شواهد الجناس المطرف

ومن الشواهد عليه قول البحترى [من الطويل] :

فانْ صَدَفَتْ عنا فَرُبَّةَ أنفسٍ صَوَادٍ إلى تلك الوجوه الصوادفِ

وما أنشده الشيخ عبد القاهر ، وهو [من الطويل] :

وكم سَبَقَتْ منهُ إلىَّ عوارفٌ ثنأى على تلك العوارف وارفُ
وكم غررٍ مِنْ برِّهِ ولطائف فشكرى على تلك اللطائف طائفُ

وقول الآخر [من الطويل] :

عَذِيرِىَ مِنْ دهرٍ مُوارٍ موارب لهُ حسناتٌ كلهنَّ ذنوبُ

وقول البهاء زهير (١) [من مجزوء الكامل] :

(١) تنسب هذه الأبيات لأبي حفص سلطان العاشقين ابن الفارض ، ولكنها بشعر البهاء زهير أشبه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أشْكو وأشْكرُ فعلهُ فاعجبْ لشاكٍ منهُ شاكِرْ

ومنها :

طَرْفى وطَرْفُ النجم فيكَ كلاهما ساه وساهرْ
يَهْنيكَ بَدْرُكَ حاضرٌ ياليت بدرى كان حاضرْ
حتى يَبينَ لناظرى مَنْ منهُما زاهٍ وَزاهرْ

وقول المعتمد بن عباد ، وقد كتب به إلى صاحب له يدعوه إلى مجلس أُنس ، وهو [من الخفيف] :

أيها الصاحب الذى قارنت عيـ ـنى ونفسى منهُ السنا والسناء
نحنُ فى المجلس الذى يهبُ الرَّا حة والمسمع الغِنَى وَالغناء
نتعاطى التى تُنَسِّى من اللذَّةِ والرِّقةِ الهَوى وَالهواء
فأتهِ تلقَ راحَةً ومُحَيًّا قَدْ أعدّا لكَ الحيا والحياء

وقول ابن جابر الأندلسى [من الطويل] :

منازلُ قلبى ليسَ فيهنَّ نازلُ سواكَ ، ولى شوقٌ للقياك دائمُ
فيا راكبَ الوَجْنَاءِ هلْ أنتَ عالمٌ فِدَاؤكَ نفسى كيف تلك المعالمُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من السريع] :

أرى أُناساً مَنْ أراد الرِّضى منهمْ رجا ما ليسَ بالممكنِ
سيانِ أنْ يُعْطُوا وأنْ يمنعوا قدْ ضاعَ منهمْ كرمُ المحسنِ

وما أحسنَ قول ابن شرف المارديني من قصيدة [من الوافر] :

هلالٌ فى بُروجِ السعدِ سارٍ غزالٌ فى مُرُوج العزِّ سارحْ

* * *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد الجناس المذيل

١٦٥ — إنَّ البكاءَ هُوَ الشفَا
* منَ الجوَى بينَ الجوَانِحْ

البيت من مجزوء الكامل المرفل ، وقائلته الخنساء من قصيدة[١] ترثي بها أخاها صخراً ، أولها :

يا عينُ جودِي بالدُّمُو
عِ المستهلاَّتِ السوَافحْ
فَيْضاً كما فاضتْ غُرُو
بُ المُتْرَعَاتِ منَ النوَاضحْ[٢]

و بعده البيت ، وَ بعده :

وابكي لصَخرٍ إذ ثوَى
بينَ الضريحةِ والصفائحْ[٣]
أمسىَ لدَى جَدَثٍ تُذيـ
ـعُ بتربِهِ هُوجُ النوافحْ[٤]
والسيدُ الجَحْجَاحُ وابْـ
ـنُ السادةِ الشمِّ الجحاجحْ

والشاهد فيه : الجناس المذيل ، وهو : ما كان بأكثر من حرف .

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه [من الطويل] :

وكُنا متىَ يغزو النبيّ قبيلةً
نَصِلْ جانبيهِ بالقنَا والقنَابِلِ

---

(١) اقرأها فى أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء (٢٥ بيروت)

(٢) فى أنيس الجلساء :

فيضا كما فاض الغـرو
ب المترعات من النواضح

(٣) وفيـه « فابكي لصخر » والضريحة والضريح : الشق فى وسط القبر ، والصفائح : الحجارة العراض .

(٤) فى أصل هذا الكتاب « رمسا لدى جدث » وهى رواية فى البيت ، وقد تخيرنا رواية الديوان . والرمس والجدث كلاهما القبر ، وتذيع بتربه : تذهب به وتنسفه ، والهوج : جمع هوجاء ، وأصلها الناقة التى تركب رأسها ، وقد استعارتها للريح ، والنوافح : أرا الباردة .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول النابغة أيضاً [من الطويل] :

لها نارُ جنّ بعدَ إنسٍ تحوّلوا ... وزال بهم صَرْفُ النوى والنوائبِ

وقول الآخر فى رثاء [من الطويل] :

فيالكَ مِنْ حَزْم وعـزمٍ طوَاهما ... جديدُ الردَى تحت الصفا والصفائحِ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الكامل] :

بين الجَوَانح لو علمتَ منَ الجَوَى ... نارٌ عليها سكبُ دَمعى يصنعُ

فدَعِ المدَامعَ فى مدَى جَرَيانها ... فالدّمعُ بعدَ فراقهمْ لا يمنعْ

تتمة — قد ذكر المصنف رحمه الله تعالى بقية أقسام الجناس ، ولم يذكر لها شواهد شعرية ، فلنذكر منها شيئا تتميما للفائدة .

من شواهد الجناس المشتق

فمن شواهد الجناس المشتق قول أبى تمام [من الطويل] :

وأنجدتُمُ من بعدَ إتهام داركمْ ... فيا دَمع أنجدنى على ما كنى نجدِ

وقول محمد بن وهيب [من الطويل] :

قَسمتَ صُرُوفَ الدّهرِ بأساً ونائلاً ... فمَالُكَ مَوْتور وسَيفكَ وَاترُ (١)

وقول الصاحب بن عباد [من المتقارب] :

وقائلةٍ لِمْ عرَتكَ الهمومُ ... وأمرُكَ ممتَثَلٌ فى الأممْ

فقلتُ ذَرِينى على غُصّتى ... فإنّ الهمُومَ بقَدْرِ الهِمَمْ

ولابن جابر الأندلسى فيه [من الخفيف] :

قدْ نعمنا بِسفحِ نعمانَ لكنْ ... عقّنى البعدُ والعقوقُ قبيحُ

قلْ لأهلِ الخيامِ أما فؤادِى ... فجريحٌ لكنّ حبى صحيحُ

---

(١) موتور : أراد به أنه هالك فى الجود ، وواتر : أراد به أنه ماض فى رقاب الأعداء

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولبعضهم وهو بالجناس المطلق أشبه [من المتقارب] :

إذا أعْطشتْكَ أكفُّ اللِّئامِ كفتْكَ القناعةُ شِبْعاً وريّا
فكنْ رَجُلاً رِجْلُهُ فى الثرَى وهامةُ همَّتِه فى الثرَيّا

وما أحسن قول كشاجم فى خادم أسود مشهور بالظلم [من السريع] :

يا مُشبهاً فى لوْنهِ فعلهُ لم تُخْطِ ما أوْجبت القسمهْ
فِعلُكَ منْ لوْنكَ مُستخرجٌ والظلمُ مُشتقٌّ منَ الظلمهْ

ولطيف قول بعضهم أيضاً [من الطويل] :

على بابكَ المعمورِ لا زالَ عالياً مَطِيَّاتُ آمالِ البريةِ واقفهْ
فجودُكَ موجودٌ وطَوْلُكَ طائلٌ وعُرْفكَ معروفٌ وكفُّكَ واكفهْ

وما أحسن قول بعض المتأخرين فى هذا النوع أيضاً [من البسيط] :

عانيتُ طيفَ الذِى أهوَى وقلتُ لهُ
كيفَ اهتدَيتَ وجنحُ الليلِ مسدولُ
فقالَ آنستُ ناراً مِنْ جوانحكمْ يُضىء مِنها لدَى السَّارِين قنديل
فقلتُ نارُ الجوَى معنى وليسَ لها نور يُضىء فما ذَا القوْلُ مَقبولُ
فقالَ نِسبتُنا فى الأمرِ واحِدةٌ أنا الخيالُ ونارُ الشوقْ تخييلُ

وقد نبه على الاشتقاق فى قوله « نسبتنا فى الأمر واحدة »

من شواهد الجناس المطلق

ومن الجناس المطلق، ويفرق بينه وبين المشتق بأن معنى المشتق يرجع إلى أصل واحد ، والمطلق كل ركن منه يباين الآخر ، قولُ الشاعر [من الكامل] :

عربٌ تَرَاهمْ أعجمينَ عنِ القِرَى متنزِّلينَ عنِ الضيوف النُّزَّلِ
فأقمتُ بينَ الأزْدِ غيرَ مزوَّدٍ ورحلتُ عن خَوْلانَ غيرَ مُخَوَّلِ

وقول الآخر أيضاً [من البسيط] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بجانبِ الكَرْخِ من بغدادَ عَنْ لنا ظبيٌ ينفّرُهُ عنْ وصلنا نفرُ
ظفيرتاه على قتلي تظافرتا يا منْ رأى شاعراً أودى به الشعرُ (١)

وقال أبو فراس الحمداني [من البسيط] :

فما السُّلافُ آزدهتني بلْ سوالفهُ ولا الشمولُ دهتني بلْ شمائلهُ

ومثله قول البهاء زهير

يا منْ لعبت به شمولٌ ما ألطفَ هذهِ الشمائل

وللبحتري فيه أيضاً [من الخفيف] :

وإذا ما رياحُ جودكَ هبّتْ صارَ قولُ الوُشاةِ فيها هباءَ

وظريف قول ابن العفيف [من الوافر] :

أراكَ فيمتلي قلبي سروراً وأخشى أنْ تشطَّ بكَ الدِّيارُ
فجرْ واهجرْ وصدَّ ولا تصلني رضيتُ بأنْ تجورَ وأنتَ جارُ

ولشيخ شيوخ حماة [من المتقارب] :

تولَّى شبابي فولَّى الغرامُ ولازمَ شيبي لزومَ الغريمِ
ولوْ لم يصدْني بازيُّهُ لما صارمتني مهاةُ الصَّريم

ومن شواهد الجناس المحرف قول أبي تمام [من الكامل] :

من شواهد الجناس المحرف

هنَّ الحمامُ فإن كسرتَ عيافةً منْ حائهنَّ فإنهنَّ حِمامُ

وقول أبي العلا المعرى [من الطويل] :

---

(١) كتب مصحح نسخة بولاق على هامش النسخة هنا مانصه « قوله ظفيرتاه ، كذا فى النسخ ، والشاهد فيه ، والمعروف بالضاد » قلت : والمغاربة ينطقون الضاد ظاء ، فلعله جاء به على منطقهم .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لغيرى زكاة من جمال فان تكن زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

وقول الحريرى [من السريع] :

لله من ألبسنى فروة أضحت من الرعدة لى جنة
ألبسنيها واقيا مهجتى وقى شر الانس والجنة
سيكتسى اليوم ثنائى وفى غد سيكسى سندس الجنة

وقول الآخر [من مجزوء الكامل] :

قلب وقلب فى يديك معذب ومنعم
ظمآن يطلب قطرة تشفى صداه وينعم

وبديع قول سلطان بلنسية أبى عبد الملك بن مروان بن عبد الله بن عبد العزيز وهو يعالج سكرات الموت وقد أشرف على الفوت [من الوافر] :

إله الخلق هب لى منك عفواً تحط به وتغفر من ذنوبى
وسعت الخلق إجمالاً ولطفاً فهل لى فى نوالك من ذنوب

وما أبدع قول ابن الفارض [من الكامل] :

هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ لم يلف غير منعم بشقاء

وقول شيخ شيوخ حماة [من الوافر] :

لعينى كل يوم فيك عبرة تصيرنى لأهل العشق عبرة

وقول ابن النقيب [من الخفيف] :

لا أجازى حبيب قلبى بظلمه أنا أحنى عليه من قلب أمه
جوره مثل عدله عند من يهـ ـواه مثلى وظلمه ظلمه

وقول البهاء زهير [من المتقارب] :

زهى ورد خديك لكنه بغير النواظر لم يقطف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقدْ زَعموا أنهُ مُضعف وما عَلموا أنهُ مُضْعِفي

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

حلَّ عقدَ الصبرِ مِنِّى عقدُها إذْ سبَتْ قَلبى بما فى قُلْبِهَا

تحسبُ الدُّرَّ على لبَّتِهـا أنجماً قـدْ حُلىَ البدْرُ بها

من شواهد الجناس المضارع

ومن شواهد الجناس المضارع ـ وهو : ما أبدل من أحد ركنيه حرف من مخرجه أو قريب منه ـ قولُ الشريف الرضى [من البسيط] :

لا يذكرُ الرملَ إلاَّ حنَّ مغتربٌ لهُ إلى الرَّملِ أوْطارٌ وأوْطانُ

وقول ابن نباتة [من الكامل] :

رقَّ النسيمُ كرِقَّتى منْ بعدكمْ فكأننا منْ حبكمْ نتغايرُ

ووعدْتُ بالسلوَان واشٍ عابكمْ فكأننا فى كذْبنا نتخايرُ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

سلبَ القلبَ غزالٌ قدُّهُ قدْ حَكى البَانَ لنا والسَّلَمَا

نونُ صُدْغيهِ إذَا أبصرَهُ كاتبٌ ألْقى إليهِ القَلَمَا

وقوله أيضاً [من الكامل] :

أمرَ الشبابُ قضيبَ معطفها فَهفا فَنالتْ منْ دَمى أملا

أسرَ الهوَى مُهَجَ الأنامِ لها إذْ هزَّ منْ أعطافِها أسَلاَ

من شواهد الجناس اللاحق

ومن شواهد الجناس اللاحق ـ وهو عكس المضارع ـ قولُ البحترى فى مطلع قصيدة [من الخفيف] :

هلْ لما فاتَ منْ تَلاَفٍ تلافِى أمْ لِشاكٍ منَ الصبابةِ شافِى

يقول فيها ، وهو من المستشهد به على هذا النوع

عجبَ الناسُ لاعتزَالى وفى الأطْـرافِ تُلْفَى منازلُ الأشرَافِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقعودي عن التقلب والأر ... ض لمثلى رحيبة الأكناف
لستُ عن ثروة بلغتُ مداها ... غيرَ أنى امرؤ كفانى كفافى

وقول أبى هلال العسكرى [من الوافر] :

أراعى تحتَ حاشيةِ الدياجى ... شقائقَ وجنةٍ سُقيتْ مُداما
وإنْ ذُكرتْ لواحظُ مقلتيهِ ... حسبتُ قلوبنا مطرتْ سِهاما
وإن مالت بِعِطفيهِ شمُول ... سقانا من شمائلهِ سَقاما

وقول الآخر [من الطويل] :

نظرتُ الكثيبَ الأجرعَ الفردَ مرّةً
فردَّ إلىَّ الطَّرْفَ يَدْمَى ويدْمعُ

وقول ابن جابر [من المديد] :

بادِر الحسنَ الذى منحتْ ... فاسترقْ من خدِّها نظرَا
قهرَ الأغصانَ معطفُها ... حينَ وافى حاملاً قَمَرَا

الجناس اللفظى

ومن شواهد الجناس اللفظى — وهو : ما تماثل ركناه وتجانسا خطا ، وخالف أحدهما الآخر فى حرف فيه مناسبة لفظية ، كما يكتب بالضاد والظاء ، ويلحق به ما يكتب بالتاء والهاء ، أو بالنون والتنوين ، وهذا نوع قليل جداً — قال الأرجانى [من الوافر] :

وبيضُ الهندِ من وجدٍ هوازٍ ... باحْدَى البيض من عُلْيا هوازِنْ

وقال ابن العفيف [من الرجز] :

أحسنُ خلقِ اللهِ وجهاً وفَمَا ... إنْ لم يكنْ أحقَّ بالحسنِ فَمَنْ

الجناس المقلوب

ومن شواهد الجناس المقلوب — ويسمى جناس العكس ، وهو : الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ، ويخالف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أحدهما الآخر فى الترتيب — قولُ العباس بن الأحنف [من الوافر] :

حُسامكَ فيهِ للأحبابِ فتحٌ ورمحكَ فيهِ للأعداء حتفُ

وقول القاضى أبى بكر البستى [من الطويل] :

حكانِى بَهارُ الرَّوْض لما ألِفتهُ وكلُّ مشوقٍ للبهارِ مُصاحبُ

فقلتُ لهُ ما بالُ لوْنكَ شاحباً فقالَ لأنى حينَ أقلبُ راهبُ

وزاد على هذا المعنى ابن عبد الله الغواص (١) [من الرمل] :

مَنْ عذيرِى مِنْ عذُولى فى قمَرْ قامرَ القلبَ هواهُ فقمرْ

قمـــرٌ لم يُبقِ منى حبُّهُ وهواهُ غيرَ مقلوبِ قمرْ (٢)

ومثله قول قمر الدولة بن دواس [من مجزوء الرمل] :

أجملى يا جُمْلُ إنى رجلٌ ما فيهِ قَلْبُهْ

أو يكنْ ذَاكِ فإنى قمرٌ ما فيهِ قلبهْ (٢)

وقول بعضهم [من المتقارب] :

وتحتَ البراقعِ مَقلوبُها تدِب على صحْنِ خدٍّ ندِى (٣)

تُسالِم مَنْ وطئتْ خدَّهُ وتسلُبُ قلبَ الشجى الأبعدِ

وقول الآخر [من الطويل] :

فقالتْ تُرى ماذَا الذِى أنتَ قانعٌ بهِ منْ هوَ انا قلتُ مقلوبُ قانعِ (٤)

---

(١) البيتان فى يتيمة الدهر (٤ / ٤٤٢ بتحقيقنا) منسوبين له أيضاً .

(٢) مقلوب قمر هو « رمق » والرمق: بقية الحياة ، يعنى أن حبه وهواه لم يبقيا منه غير ذلك .

(٣) مقلوب البراقع هو « عقارب »

(٤) مقلوب قانع هو « عناق »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول ابن العفيف مع زيادة التورية [من السريع] :

أسكرني باللحظ والمقلة الـ ـكحلاء والوَجنة والكاس
ساقٍ يُريني قلبهُ قسوةً وكلُّ ساقٍ قلبهُ قاسِ

ومثله قول الصلاح الصفدي [من الخفيف] :

قلبَ الدَّنُّ منْ أحبَّ فأضحتْ نفحةُ النَّدّ من محيَّاهُ تُهْدَى
قال لي اعجبْ فقلتُ ماذا عجيبٌ كلُّ دنٍّ قلبتهُ صارَ نَدَّا

وقول أبي نصر أحمد بن الحسين الباخرزي [من السريع] :

مَنْ عاذري منْ عاذلٍ قال لي ويْحكَ كم تعشقُ يا مُغْرَمُ
وآلم القلبَ ولا غرْو إذْ كلُّ ملومٍ قلبهُ مولمُ

وقول النيلي [من مخلع البسيط] :

إذا رأيتَ الوَداع فاصبرْ ولا يهنْكَ البعادُ
وانتظرِ العوْدَ عنْ قريبٍ فإن قلبَ الوَداع عادُ

وما أحسن قول الوداعي في مليح ينتف [من الطويل] :

تعشقتُ ظبياً ناعسَ الطرفِ ناعماً إلى أنْ تبدَّى الشعرُ والعشقُ ألوانُ
وقالوا أفِقْ منْ حبِّهِ فهوَ ناتفٌ فقلتُ عكستمْ إنما هوَ فَتَّانُ

وما أبدع قول ابن نباتة في الأمير بهرام [من مجزوء الخفيف] :

قيلَ كلُّ القلوبِ منْ رَهب الحبُّ تضطربْ
قلتُ هذا تخرُّصٌ قلبُ بَهرام ما رَهبْ

ومن الغايات فيه قول عبد الله بن رواحة يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل : إنه أمدح بيت قالته العرب ، وهو [من البسيط) :

تحملهُ الناقةُ الأدْماء معتجراً بالبرد كالبدر جلَّى نورهُ الظلما

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقال ابن أبى الأصبع : رأيت فى بعض الكتب : أن هذا البيت ، أحد بيتين مجرورين لكعب بن زهير ، وهما :

تحملهُ الناقة الأدماء معتجراً بالبُرْدِ كالبدر جلى ليلةَ الظلمِ

وفى عطافيهِ أوْ أثناء بُرْدتهِ مايعلمُ اللهُ من دينٍ ومنْ كرَمِ

أقول : وَرأيت فى حماسة أبى تمام ، نسبة البيت الذى ذكره ابن أبى الأصبع ، لأبى دهبل الجمحى ، فى الأزرق المخزومى ، يرثيه فى أبيات أخر .

وما ألطف قول القائل [من الطويل] :

وألفيتهمْ يستعرضونَ حوَائجاً إليهم ولوكانتْ عليهمْ جوَائحا

ومثله قول الآخر [من الخفيف] :

إن بين الضلوع مِنّىَ ناراً تتلظَّى فكيف لى أن أطيقا

فبحق عليكَ يا منْ سقانى أرَحيقاً سقيتنى أمْ حريقاً

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

قلتُ لما لاحَ لى منهـــا شعاعٌ وبريقٌ

أشقيقٌ أمْ عقيقٌ أمْ حريقٌ أم رَحيقُ

وقول الآخر ، وهو من الغايات هنا [من الرمل] :

لبقٌ أقبل فيهِ هَيَفٌ كلُّ ما أملك إن غَنَّى هِبَهْ

وأحسن ما فى هذا النوع : أن يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافيته ، كقول الشاعر [من مجزوء الكامل] :

رقتْ شمائلُ قاتلى فلذاك رُوحى لا تقرُّ

ردَّ الحبيبُ جوابهُ فكأنهُ فى اللفظ دُر

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رضَّتْ فؤادى غادةٌ ما كنتُ أحْسبُها تَضُرّْ
ردَّتْ رَسولى خائباً فمدامعى أبداً تَدِرّْ

وما ألطف قول ابن جابر الأندلسى [من الرمل] :

بين نَعْمَانَ وسَلْعٍ ملأ ليسَ منهم لمحبٍّ ألمُ
كلُّهم منهمْ ببَدْرٍ حلَّ فى فَلَكِ العلياء فاعْرف مَنْ هُمُ

وقوله [من السريع] :

قد بانَ عُذْرى فى مليحٍ لهُ لحظُ رشاً يلْحَظُ عن ذُعْرِ
إنى على الهجْرِ مطيعٌ لهُ ممتثلٌ فى السِّرِّ والجهْرِ

وقوله [من الرمل] :

أبداً أبْسُطُ خدِّى أدباً لَكُمُ يا أهلَ ذاكَ العلَمِ
أمَلِى أنِّى أرى رَبْعَكم فبهِ يذهَبُ عَنِّى ألمى

من شواهد الجناس الملفق

ومن شواهد الجناس الملفق ، وهو : أن يكون كل من الركنين مركباً من كلمتين ، قولُ المطوعى [من الطويل] :

وكم لجباهِ الرَّاغبينَ إليه منْ مجالِ سُجُودٍ فى مَجَالِسِ جودِ

ومثله قول الصلاح الصفدى [من الطويل] :

وساقٍ غدا يَسْعَى بكأس وطَرْفُهُ يجَرِّدُ أسْيافاً لغيرِ كِفاحِ
إذا جَرَحَ العُشَّاقَ قالوا أقمتَ فى مَدَارجِ راحٍ أم مَدَارِ جِرَاحِ

ولطيف قول القاضى أبى على عبد الباقى بن أبى حصين ، وقد ولى قضاء المعرة وهو ابن عشرين سنة ، وأقام فى الحكم خمس سنين ، وهو [من الوافر] :

ولِيتُ الحكمَ خمساً وَهْىَ خمسٌ لعَمْرى والصبا فى العُنْفُوَانِ
فلم تَضَعِ الأعادى قَدْرَ شانى ولا قالوا فلان قَدْ رَشانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وما أعذب قول ابن عنين هنا [من الخفيف] :

خبروها بأنهُ ما تَصَدَّى لسلوٍ عنها ولوْ ماتَ صَدّا

جناس الاشارة

ومن أنواع التجنيس جناس الاشارة ، وهو : أن لا يظهر التجنيس باللفظ بل بالاشارة ، كقول الشاعر [من الرمل] :

حُلِقَتْ لحيةُ موسى باسمِهِ وبهرونَ إذا ما قُلِبَا[1]

ومثله قول الأديب نصر بن أحمد الخبزأرزى [من الطويل] :

لقد عمرت فى وجه سَحْبَانَ لحيةٌ وما عمرت إلا وفى العقلِ تخريبُ

فَلَيْتَ اسم موسى فَوْقها متمكنٌ وإن غاب موسى فاسم هارونَ مقلوبُ

ومثله قول أبى روح الهروى [من الهزج] :

حقيقٌ لك أن تَطْعَـــمَ عَفْصًا وهو معكوسُ[2]

وأن يلبس جنباكَ الذى مقلوبه طوسُ[3]

متى يحسن التجنيس

ثم التجنيس إنما يستحسن إذا كان سهلا لا أثر للكلفة عليه ، وأما إن خرج عن هذا الحد فانه معيب عند أهل النقد ، ويذهب بهجة الشعر وحسنه ، وهذا وقع فى أكثر شعر المتأخرين ، وقد حكى صاحب الحديقة أن ابن حمديس أخبره أن عبد الله بن مالك القرطبى عمل قصيدة يقول فيها [من الكامل] :

حَيَّيْتَ إذ حييت حادى عيسِهِمْ فكأن عيسى من حُدَاةِ العيسِ

فقال فيه بعض الشعراء [من الكامل] :

ثَقَّلْتَ بالتجنيس خِفَّةَ روحِهَا ما كان أغناها عن التجنيسِ

---

(١) مقلوب هرون هو « نوره » وهو مسحوق يزيل الشعر

(٢) مقلوب عفص هو « صفع » وهو الضرب على القفا .

(٣) الذى مقلوبه طوس هو « سوط » وهو ما يضرب به

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولحبكَ التجنيسَ جئْتَ ببدعةٍ فجعلتَ عيسى من حُدَاةِ العيسِ

* * *

شاهد رد العجز على الصدر

١٦٥ — سريعٌ إلى ابن العمِّ يَلْطِمُ وجْهَهُ وليسَ إلى دَاعِي النَّدَى بسَرِيعِ

البيت من الطويل ، و بعده :

حريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدينِهِ وليس لما فى بيْتِهِ بمُضِيعِ

وقائلهما الأقيشر الشاعر ، وكان شريباً للخمر ، متهتكا به ، لا يدخل فى يده شىء إلا أنفقه فيه ، وكان له ابن عم موسر ، فكان يسأله فيعطيه ، حتى كثر ذلك ، فمنعه وقال له : إلى كم أعطيك مالى وأنت تنفقه فى شرب الخمر ؟ والله لا أعطيك شيئاً أبدا ، فتركه حتى اجتمع قومه فى ناديهم ، وهو فيهم ، ثم جاء فوقف عليهم ، فشكاه إليهم وذمه ، فوثب إليه ابن عمه فلطمه ، فقالهما .

والشاهد فيه: رد العجز على الصدر، وسماه المتأخرون التصدير، وهو: أن يكون أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما فى آخر البيت واللفظ الآخر فى صدر المصراع الأول ، أو حشوه ، أو آخره ، أو صدر المصراع الثانى .

ومن شواهده قول بعضهم [من الطويل] :

تمنَّتْ سُلَيْمَى أن أموتَ صَبابَةً وأهْوَنُ شَيْءٍ عندنا ما تمنتِ

ومثله قول الآخر [من الكامل] :

سُكْرَانِ سكرُ هوًى وسكرُ مُدَامَةٍ أنى يُفِيقُ فتًى به سُكْرَانِ

وقول أبى نواس [من مجزوء الكامل] :

وحياةِ رأسِكَ لا أعو دُ لمثلها وحياةِ راسِكْ

وقول ابن جابر [من مخلع البسيط] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

جمال هذا الغزال سحر ... يا حبذا ذاك الجمال
هلال خديه لم يغيب ... عني وإن غيب الهلال
غزال إنس يصيد أسدا ... فاعجب لما يصنع الغزال
دلاله دل كل شوق ... عليه إذ زانه الدلال
كماله لا يخاف نقصا ... دام له الحسن والكمال
نباله قد رمت فؤادي ... لا أخطأت تلكم النبال
حلال وصلي له حرام ... وحكم قتلي له حلال
زلال ذاك اللمى حياتي ... وأين لي ذلك الزلال
قتاله لا يطاق لكن ... بعجبني ذاك القتال

وقول أبي جعفر الغرناطي [من الطويل] :

منازل ليلى إن خلت فلطالما ... بها عمرت في القلب مني منازل
وسائل شوقي كل يوم تزورها ... وما ضيعت عند الكرام الوسائل

وقول أبي الفتح البستي [من البسيط] :

سحبان من غير مال باقل حصر ... وباقل من ثراء المال سحبان

ترجمة الأقيشر

والأقيشر [1] اسمه المغيرة بن عبد الله ، ينتهي نسبه لمضر بن نزار ، ويكنى أبا معرض ، وعمر طويلا ، ولقب بالاقيشر لحمرة وجهه ، وكان يغضب من هذا اللقب . اجتاز يوما على مجلس لبني عبس فناداه أحدهم ياأقيشر ، فزجره الأشياخ ثم عاد الأقيشر ومعه رجل وقال له : قف معي ، فاذا أنشدت بيتا قل : ولم ذاك ؟ ثم أتى مجلس القوم وقد عرف الشاب ، فأقبل عليه وقال [من الوافر] :

---

(١) للأقيشر ترجمة في الأغاني (١٠-٨٤ - ٩٧ بلاق)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أتَدْعونى الأقيْشِرَ ذاكَ إسمى وأدعوك ابنَ مُطْفِئة السراجِ

فقال له الرجل : ولم ذاك ؟ فقال :

تُناجى خِدْنها فى الليـلِ سِراً وربُّ الناس يعلم ما تُنـاجى

وقال محمد بن سلام : كان الأقيشر كوفياً خليعا ماجنا مدمنا للخمر، وهو الذى يقول لنفسه [من المتقارب] :

فان أبا مُعْرِضٍ إذ حسـا من الرَّاح كاساً على المنبرِ

خطيبٌ لبيبٌ أبو معرض إذا لِيمَ فى الخمر لم يَصْبرِ

أحلَّ الحرامَ أبو معرض فصارَ خليعاً على المكبرِ

يحب اللثام ويلْحى الكرام و إن أقْصروا عنه لم يُقْصرِ (١)

وكان الأقيشر عنينا لا يأتى النساء ، وكان يصف ضد ذلك من نفسه، فجلس يوما رجل من قيس فأنشده الأقيشر [من الكامل] :

ولقد أروحُ بمُشرفٍ ذى مَيْعَةٍ عَسِرِ المكَرَّةِ ماؤهُ يتَفَصَّدُ (٢)

مرحٌ يطيرُ من المرَاح لعـابهُ ويكادُ جلدُ إهابه يَتَقَدَّدُ

ثم قال للرجل: أتبصر الشعر ؟ قال: نعم ، قال : فما وصفت؟ قال: فرسا ، قال : أفنكنت أو رأيته ركبته؟ فقال: إى والله، وأثنى عطفه، فكشف الأقيشر عن أيره وقال:

---

(١) فى الأغانى « يجل اللثام »

(٢) فى الأصل « ذى منعة » بالنون . وأراه تحريفا عما أثبته ، والميعة : النشاط ، وفى الأغانى « بمشرف ذى شعرة » وفى ديوان الحماسة (٤ ـ ٣٥٥ بتحقيقنا) بيتان مثل هذين إلا فى القافية ، وقد روى التبريزى فى شرحه (٤ـ٣٥٦ بتحقيقنا) ثلاثة أبيات منها هذان البيتان مع بعض تغيير ونسبها للأقيشر .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

هذا وصفت ، فقم فاركبه ، فوثب الرجل عن مجلسه وهو يقول : قبحك الله من جليس ! .

وشرب الأقيشر يوما فى بيت فيه خياط مقعد ورجل أعمى ، وعندهم مخنث يغنيهم ، فطرب الأقيشر فسقاهم من شرابه ، فلما انتشوا قام الأعمى يسعى فى حوائجهم ، وقفز الخياط المقعد يرقص على ظلعه ويجهد فى ذلك جهده ، فقال الأقيشر [من الطويل] :

ومُقْعَدِ قوم قد مَشَى من شرابنا وأعمى سقيناه ثلاثا فأبصَرَا
شراباً كريح العنبر الورد ريحهُ وسحوق هنديٍّ من المسك أذفرا

وحدث رجل من بنى أسد قال : سمعت عمة الأقيشر تقول له يوماً : اتق الله فقم فصل ، فقال : لا أصلى ، فأكثرت عليه ، فقال : قد أيرمتنى فاختارى خصلة من خصلتين : إما أن أصلى ولا أتطهر ، وإما أن أتطهر ولا أصلى ، قالت : قبحك الله ! فان لم يكن غير هذا فصل بلا وضوء ، فقام فصلى بغير وضوء

وقال أبو أيوب المدائنى : حدثت أنه شرب يوماً فى بيت خمار بالحيرة فجاءه شرطى من شرط الأمير ليدخل عليه ، فأغلق الباب ، فناداه الشرطى : اسقنى نبيذا وأنت آمن ، فقال : والله أنت ما آمنك ، ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضع له أنبوباً من قصب فى الثقب وصب فيه نبيذا من داخل ، والشرطى يشرب من خارج حتى سكر فقال الأقيشر [من الرمل] :

سأل الشُّرْطِيُّ أن نَسْقِيهُ فسقيناهُ بأنبوب القصبْ(١)
إنما نشربُ من أموالنا فاسأل الشرطى ما هذا الغضبْ

وعن الهيثم بن عدى قال: كان قيس بن محمد بن الأشعث ضرير البصر ، وكان

(١) فى الأغانى «فسلوا الشرطى».

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يتنسك فأتاه الأقيشر، فسأله، فأمر قهرمانه فأعطاه ثلاثمائة درهم، فقال: لا أريدها جملة ولكن مُر القهرمان أن يعطيني كل يوم ثلاثة دراهم حتى تنفد، فأمره بذلك، فكان يأخذها فيجعل درهما لطعامه، ودرهما لشرابه، ودرهما لدابة تحمله إلى بيوت الخمارين، فلما نفدت الدراهم أتاه الثانية فسأله، فأعطاه، وفعل بها مثل ذلك، ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعل بها مثل ذلك، ثم أتاه الرابعة فسأله فقال له قيس: لا أبالك كأنك قد جعلت هذا خراجا علينا، فانصرف وهو يقول [من الطويل]:

ألم تَرَ قيسَ الأكمَهَ ابنَ محمدٍ ... يقُولُ ولا تلقَاهُ للخير يفعَلُ
رأيتُكَ أعمى العينِ والقلبِ مُمسكا ... وماخيرُ أعمى القلبِ والعينِ يَبْخلُ(١)
فلوْ صمّ تمت لَعنةُ اللهِ كلُّها ... عليهِ وما فيهِ من الشَّرِّ أفضلُ

فقال قيس: لو نجا أحدٌ من الأقيشر لنجوت منه

واختصم قوم بالكوفة فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم فقالوا: نجعل بيننا أول من يطلع علينا، فطلع الأقيشر عليهم وهو سكران، فقال بعضهم لبعض: انظروا مَنْ حَكَمنا، فقالوا: يا أبا مُعرض قد حكمناك، قال: فماذا؟ فأخبروه، فمكث ساعة ثم أنشأ يقول [من الوافر]:

إذا صليْت خمساً كلَّ يومٍ ... فإن الله يَغفرُ لى فُسوقى
ولم أُشرِك بربِّ الناس شيئاً ... فقد أمسكتُ بالحَبلِ الوثيقِ
وهذا الحَقُّ ليس به خفاءٌ ... فَدَعنى من بُنيَّات الطريقِ

وقال ابن الكلبي: كان الأقيشر يأتى الحيرة ليشرب الخمر، فلما دخل شهر رمضان منعه ابن عمله يقال له أسيد من الخروج إليها والشرب فيها، فلقيه صاحب له وقد شحب لونه وهُزِل فقال له: مالى أراك متغير اللون يا أبا معرض؟ فقال [من الكامل]:

---

(١) فى الأصل «ينحل» محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى، ولقوله «ممسكا».

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إما تراني قد هَلَكْتُ فإنما رمضانُ أهلكني ودِينُ أُسيدِ
هذا يُصَرِّدُني فلستُ بشاربٍ وأخٌ يُؤرِّقُني مع التَّصريدِ

قال : وشرب الأقيشر من حانوت خمارٍ حتى أنفد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غلقت فلم يبق عليه شيء ، وجلس فى تبن فى جانب البيت إلى حلقه مستدفئاً به ، فمر عليه رجل ينشد ضالة فقال : اللهم اردُد عليه واحفظ علينا ، فقال له الخمار : سَخِنَتْ عينك ! أى شيء يحفظ عليك ربك ؟ فقال : هذا التبن لا آمن أن تأخذه فأموت من البرد ، فضحك الخمار وردّ عليه ثيابه ، وقال له : اذهب فاطلب ماتشرب به ، ولا تجئنى بثيابك فإنى لا أسترهنها أبدا بعد هذا

وحكى عنه أنه أتى يوماً من الأيام بيت الخمار الذى كان يأتيه فلم يجده ، وانتظره ، فدخلت امرأة عبادية فقال لها : مافعل فلان ؟ قالت : مضى لحاجته وأنا امرأته ، وقيل : إن الخمار كان اسمه حنينا وإن المرأة قالت له : أنا أم حنين فما تريد ؟ قال : نبيذا ، قالت : بكم ؟ قال : بدرهمين ، فقالت له : هلم درهميك وانتظرنى ، قال : لا ، بل أكون معك ، قالت : أنت وذاك ، فمضت وتبعها فدخلت داراً لها بابان فخرجت من أحدهما ، وجلس هو ينتظر ، فلما طال جلوسه خرج بعض أهل الدار فقال : مايجلسك[1] ؟ فأخبره القصة ، فقال : تلك امرأة محتالة من العباديين يقال لها أم حنين ، فعلم أنه خدع فقال [من الخفيف] :

لاتغُرَّنَّ ذاتُ خُفٍّ سِوانا بَعْدَ أختِ العبادِ أُم حُنينِ[2]
وعَدَتنا بِدِرهمين شِواءً وطِلاءً مُعجلا غيرَ دين[3]

(١) فى الأغانى « ما يجلسك » .
(٢) فى الأغانى * لم يغرر بذات خف سوانا *
(٣) فى الأغانى :
وعدتنا بدرهمين نبيذا أو طلاء معجلا غير دين

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ثم ألوت بالدرهمين جميعاً ... يالقومي لضيعة الدرهمين
عاهدت زوجها وقد قال إني ... سوف أغدو لحاجتي ولديني
فدعت كالحصان أبيض جلداً ... وافر الأير مرسل الخصيتين
قال ما أجر ذا هديت فقالت ... سوف أعطيك أجره مرتين
فابدأ الآن بالسفاح فلما ... سافحته أرضته بالأجرتين(١)
تلها للجبين ثم امتطاها ... عارم الأير أفحج الحالبين
بينما ذاك منهما وهي تحوي ... ظهره بالبنان والمعصمين
جاءها زوجها وقد شيم فيها ... ذو انتصاب موثق الأخدعين
فتأسى وقال ويلاً طويلاً ... لحنين من عار أم حنين(٢)

قال: فجاء حنين الحمار فقال: يا هذا ما أردت إلا هجائي وهجاء أمي! قال: أخذت مني درهمين ولم تعطني شرابا، فقال: لا، والله لا تعرفك أمي ولا أخذت منك شيئاً قط، فانظر إلى أمي فان كانت صاحبتك غرمت لك الدرهمين، قال: لا والله لا أعرف غير أم حنين وما أهجو إلا أم حنين وابنها، فان كانت أمك فأياها أعني، وإن كانت أم حنين أخرى فاياها أعني، قال: فاذاً لا يفرق الناس بينهما، فقال: ما علي؟ أترى أن درهمي يضيعان علي؟ فقال: هلم إذا أغرمهما لك، لا بارك الله لك فيهما!.

وحكي أنه تزوج بابنة عم له يقال لها الرباب على أربعة آلاف درهم، فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً، فأتى ابن رأس البغل وهو دهقان الصين، وكان مجوسيا فسأله فأعطاه الصداق كاملا فقال [من المتقارب]:

---

(١) في الأغاني * ... أرضته بالأخريين * ولعله محرف عما هنا.
(٢) في الأغاني * ... وقال ويل طويل * بالرفع، وهو وجه حسن في العربية.

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كفانى المجوسىُّ مَهرَ الرّبابِ فداه المجوسىٌّ خالٌ وعمْ
شَهدتْ عليكَ بطيبِ الأرُومِ وأنكَ بحرٌ جوَادٌ خِضَمّْ(١)
وَأنكَ سَيِّدُ أهْلِ الجحيمِ إذَا ما تَردَّيْتَ فيمنْ ظَلم
تجَاورِ هامَانَ فى قعرِهَا وَفرْعَوْنَ والمكتنى بالحَكَمْ(٢)

فقال المجوسىّ : ويحكَ ! سألتَ قومَكَ فلمْ يعطوك شيئا ، وجئتنى : فأعطيتك فجزيتنى هذا القول ، وَلم أفلت من شرك ، فقال : أو ما ترضى أن جعلتك مع الملوك وفوق أبى جهل ؟ ثم جاء إلى عكرمة بن ربعى التميمى فسأله ، فلم يعطه شيئاً ، فقال [من المتقارب] :

سَألتُ رَبيعةَ مَنْ شَرُّهَا أبًا ثمّ أمًّا ، فقالوا لِمَهْ
فقلتُ لأعلمَ مَنْ شركمْ وأجعلَ للسبِّ فيكمْ سِمَهْ(٣)
فقالوا لعكرمةَ المخزياتُ وماذا يرَى الناسُ فى عكرمهْ
فإنْ يكُ عبداً زكَا مالهُ فما غيرُ ذَا فيهِ منْ مكرُمَهْ

ومن شعر الأقيشر قوله [من السريع] :

يَا أيها السائلُ عما مضىَ منْ علمِ هذا الزمنِ الذَّاهبِ
إن كنتَ تبغى العلمَ أو أهلهُ أوْ شاهداً يخبرُ عن غائبِ
فاختبرِ الأرضَ بأسمائِهَا واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

وكان الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق ، ومدح أخيه زكرياء ،

---

(١) روى هذا البيت فى الأغانى هكذا :
شهدت بأنك رطب المشاش وأن أباك الجواد الخضم
(٢) فى الأغانى * تجاور قارون *
(٣) فى الأغانى * وأجعل بالسب فيه سمه *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونى[1] منه ، فجمعوا بعراً وقصباً ، بظهر الكوفة ، وجعلوه فى وسط إرَةٍ ، وأقبل الأقيشر ، وهو سكران من الحيرة ، على بغلٍ أبى المضاء رَجل مُكارٍ ، فأنزلوه عن البغل ، فغاروا وأخذوا الأقيشر ، فشدُّوه رباطاً ، ثم وضعوه فى تلك الارة ، وألهبوا النار فى ذلك القصب والبعر وجعلت الريح تَسفع وجهه وجسمه بتلك النار ، فأصبح ميتاً ، ولم يُدْرَ مَنْ قتله ، وكان ذلك فى حدود الثمانين من الهجرة المشَرّفة .

*
* *

من شواهد ردالعجز على الصدر

١٦٦ — تَمَتَّعْ منْ شَمِيمِ عَرَارِ نجدٍ
فَمَا بَعْدَ العشيةِ منْ عَرَارِ

البيت للصمة القشيرى ، من أبيات من الوافر ، وهى :

أقولُ لِصاحبي وَالعيسُ تَهْوِى بِنا بينَ المنيفةِ ، فالضمارِ

وبعده البيت ، وبعده :

ألاَ يا حبذا نفحاتُ نجدٍ وَرَيَّا رَوْضِهِ بعدَ القِطَارِ
وأهلكَ إذ يَحُلّ الحىُّ نجداً وأنتَ على زمانكَ غيرُ زارِ
شهورٌ ينقضينَ وَما شَعَرْنا بأنصافٍ لهنَّ ولا سرَارِ
فأما ليلهنَّ فخيرُ ليلٍ وأقصَرُ ما يكونُ منَ النهارِ

وقيل : الأبيات لجعدة بن معاوية بن حزم العقيلى .

ومن ظريف ما يحكى هنا أن على بن عيسى الرّبعى النحوى — وكان يرمى

---

(١) هكذا فى الأصل ، وقد حذف نون الرفع لما اجتمعت هى ونون الوقاية ، والأصل « تريحوننى » وذلك أحد ثلاثة أوجه فى مثل ذلك ؛ وهو أضعفها ، وثانيها بقاؤهما بحالهما ، وثالثها أن تدغم إحداهما فى الأخرى .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بالجنون ـ مرّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق ، فحمل الربعى سَرَاويله ، وجلس على أنف السكران ، وجعل يضرط و يشمه ، ويقول :

تمتعْ مِنْ شميمِ عَرَارِ نجدٍ فما بعدَ العشيةِ مِنْ عَرَارِ

وعلى ذكره فانه كان مبتلى بالكلاب : سأل يوماً أولاد الأكابر ، الذين كانوا يحضرون عنده أن يمضوا معه إلى كلواذا ، فظنوا ذلك لحاجة عرضت له ، فركبوا خيولا ، وخرجوا ، وجعل هو يمشى بين أيديهم ، فسألوه الركوب ، فأبى عليهم ، فلما صار بخرابها أوقفهم على تل ، وأخذ كساء وعصا ، وما زال يعدو إلى كلب هناك ، والكلب يثب عليه تارة ، و يهرب منه أخرى ، حتى أعياه ، فعاونوه عليه ، حتى أمسكوه له ، فأخذَ يعضُّ على الكلب بأسنانه عضاً شديدا والكلب يستغيث ويزعق ، فما تركه حتى استشفى ، وقال : هذا عضنى منذ أيام ، وأردت أن أخالف قول الأول [من السريع] :

شاتمنى كلْبُ بنى مسمعٍ فصنتُ عنهُ النفسَ والعرْضَا
ولَمْ أجبهُ لاحتقارى لهُ ومن يعضُّ الكلبَ إن عضّا ؟

وهذان البيتان ، أنشدهما أبو عمرو بن العلاء ، عن ثعلب فى المبرد ، ومنه أخذ الناجم [من الوافر] :

عذيرِى منْ أخى سفهٍ رَمانى بما فيهِ فقلتُ لهُ سلاما
أبى لى أنْ أجيبكَ أنّ قَدْرِى أبى لى أن أنازعكَ الكلاما

ومن عجيب ما يحكى فى التطير أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب لما خرج من القاهرة إلى جهة البلاد الشامية ، أقام ظاهر البلد لتجتمع العساكر وعنده الأعيان من [رجال] الدولة والعلماء والأدباء ، فأخذ كل واحد يقول شيئا فى الوداع والفراق ، وكانَ فى الحاضرين معلم أولاده ، فأخرج رأسه منْ بين الحاضرين ، وأشار إلى السلطان منشداً :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تمتعْ منْ شميم عَرارِ نجدٍ فما بعدَ العشيةِ منْ عَرارِ

فانقبض السلطان والناس ، وتطيروا من ذلك ، وكان الأمر على ما قال ، فانه لم يعد إلى مصر بعدها ، واشتغل بالبلاد الشرقية ، وفتوح القدس والسواحل ، إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وهذه الواقعة لا يستغرب مثلها من معلم أطفال ، فان لهم نوادر يعجز جحا عن حدها ، ويقصر هَبَنَّقَةُ عن شأوها .

من نوادر معلمي الصبيان

فمن ذلك ماحكاه بعضهم ، قال : عَبَرْتُ على معلم ، وهو يملي على غلام بين يديه (فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير) فقلت له : يا هذا : إن الله لم يقل إلا (فريق في الجنة وفريق في السعير) ، فقال : أنت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي ، وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني ، فقلت له : معرفتك بالقراء أعجب إلي من معرفتك بالقرآن ، وانصرفت .

وقال آخر : مررت بخربة ، وإذا معلم واقف على أربع ينبح نبيح الكلاب فجعلت أنظر إليه ، وإذا صبي قد رفع ستراً وخرج ، فقبض المعلم عليه ، فقلت للمعلم : عرفني خبرك ، قال : نعم هذا صبي أؤدّبه وهو يبغض التأديب ويفر منه فيدخل إلى داخل ، فلا يخرج ، فاذا طلبته بكى ويؤذيهم ، وله كلب يلعب به ، فأنبح له فيظن أنه كلبه فيخرج إليّ ، فآخذه .

وقال آخر لبعض المعلمين : مالي لا أرى لك عصاً ، قال : لا أحتاج إليها . إنما أقول : من لم يرفع صوته بالهجاء فأمه زانية ، فيرفعون أصواتهم ، وهذا أبلغ من العصا وأسلم .

وآذى معلماً رائحة الفساء ، فصاح بالصبيان : ويلكم تخرجون الريح . فجحدوا جميعا ، فصاح واحد منهم : يا معلم فعله أخي ، فقال المعلم : أتراني لا أعلم أنها فسوته ، ولكن أعلل نفسي بالأباطيل .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقال صبي للصبيان : هل لكم فى أن نغلب اليوم معلمنا ؟ قالوا : نعم ، قال : تعالوا حتى نشهد عليه أنه مريض ، فجاء واحد وقال : أراك ضعيفا ، وأظنك ستُحَمّ . فلو أتيت المنزل فاسترحت وقمت أنا مقامك ، فقال : يا فلان ، زعم فلان أنى عليل ، فقال : صدق والله ، وهل يخفى هذا على جميع الصبيان؟ إن سألتهم أخبروك ، فسألهم فشهدوا ، فقال : انصرفوا اليوم وتعالوا غداً .

وضرب معلم صبيا ، فقيل له : ما ذنبه ؟ قال : أنا أضربه قبل أن يذنب ، لئلا يذنب .

وقال بعضهم : رأيت صبيا تعلّق بآخر ، وأحضره بين يدى معلم ، وقال : يا أستاذى : هذا عضّ أذنى ، فقال : والله ما عضضتها ، وإنما هو عضّ أذن نفسه ، فقال المعلم : يا ابن الخبيثة ، هو صار جملا حتى يعضّ أذن نفسه .

وقال الجاحظ : رأيتُ معلما يبكى ، فقلتُ لهُ : ما يبكيك ؟ قالَ : سَرَقَ الصبيان خبزى .

وقرأ صَبِيٌّ على معلم : (هُمُ الذينَ يقولُونَ لاَ تنفقوا إلاَّ منْ عند رسولِ الله) فقال المعلم : من عند أبيك القُرْنَان أولى ، فانه كَثير المال يا ابن الفاعلة ، أتلزم النبى صلى الله عليه وسلم نفقة لاتجبُ عليهِ ؟ أعجبك كَثرة مالهِ ؟ .

وقال معلم لصبي : ما هِجَاء حِمَار ؟ فقال : حاء راء ميم كاف . فقال المعلم : يا ابن الفاعلة : أقول لك هجاء حِمَار وتقول هِجاء حرأمك .

ونوادرهم كَثيرة فلاحاجة إلى الاطالة بها .

وما أحسن قول بعض المعلمين ببلخ ـ وقد جلس حديثَ عهدٍ بتعليم الصبيان ـ [من مجزوء الكامل] :

ما طَارَ بينَ الخافقينِ أقلُّ عقْلاً منْ معلِّمْ
ولقدَ دَخلنا فى الصنَا عةِ منْ قَريبٍ بزَبٍّ سلِمْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عود إلى بيت الشاهد

ولنرجع إلى الكلام على البيت المستشهد به على النوع وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسي فقال [من الوافر]:

لقد كرّ العذارُ بوجنتيهِ ... كما كرّ الظلامُ على النهارِ
فغابتْ شمسُ وجنتهِ وجاءتْ ... على مهلٍ عشيّاتُ العرارِ
فقلتُ لناظري لما رآها ... وقد خلطَ السوادُ بالاحمرارِ
تمتعْ من شميمِ عرارِ نجدٍ ... فما بعدَ العشيةِ من عرارِ

والشميم: مصدر كالشم. والعرار — بفتح العين — بهار البر. واحدته بهاء. وهو ورد ناعمٌ أصفر، طيب الرائحة.

والشاهد في البيت: مجيء اللفظ الآخر في حشو المصراع الأول، ومنه قول جرير [من الطويل]:

سقى الرملَ جونٌ مستهلٌّ غمامةٍ ... وما ذاكَ إلا حبّ من حلّ بالرملِ

وقول زهير [من الوافر]:

كذلكَ خيمُهُمْ ولكلّ قومٍ ... إذا مستهمُ الضرّاءُ خيمُ

وقول أبي تمام [من الوافر]:

ولمْ يحفظْ مُضاعَ المجدِ شيءٌ ... منَ الأشياءِ كالمالِ المضاعِ

وقول الخليع الشامي(١) [من الكامل]:

خُذْ ياغلامُ عنانَ طَرْفكَ فاثنهِ ... عنيٌّ فقدْ ملكَ الشمولُ عناني

وقول أبي الفتح البستي [من السريع]:

أشفقْ على الدرهمِ والعينِ ... تسلمْ من الغيبةِ والدّينِ
فقوّةُ العينِ بانسانِها ... وقوّةُ الانسانِ بالعينِ

(١) كذا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول أبي جعفر البحاث، وقد حلم بخيال حبيبٍ له ، فنبهه ذلك الحبيب [من البسيط] :

يامن ينبهني عن رَقدَةٍ جمعَتْ ... بَيني وَ بينَ خيالٍ منهُ مأنوسِ
دعني فانكَ محْروسٌ ومرتقبٌ ... وَخلِّني وخيالاً غيرَ محْروسِ

وَقول الغزى [من الوافر] :

فلوْ سمحَ الزمانُ بها لضنَّتْ ... وَلوْ سمحَتْ لَضَنَّ بها الزمانُ

ولابن جابر فيه [من الخفيف] :

بينَ تلكَ الخيامِ أكرَمُ قومٍ ... ضُربتْ للندَى عليهمْ خيامُ
قدْ أقاموا بينَ العقيقِ وسلعٍ ... فحياةُ النفوسِ حيثُ أقاموا

وله أيضا [من الخفيف] :

خجلتْ عندَ ما نظرتُ إليها ... وانثنتْ وهى بين تيهٍ ومَنْعِ
إنما وَرْدُ خدّها زرْعُ طرفى ... حينَ يرنو فكيف أحرمُ زَرعى

والصمّة [1] هو : ابن عبدالله بن الطفيل بن قُرَّة بن هبيرة القشيرى ، شاعر إسلامى ، بَدوى ، مُقلّ من شعراء الدولة الأموية ، ولجده قرة بن هبيرة صحبة مع النبي صلى الله عليهِ وسلم . وهُو : أحد وفود العَرب عليهِ . وكان الصّمة يهوى ابنة عم له [دِنيةً] ، يقال لها : العامرية[2]، أوثر عليه فى تزويجها غيره ، لأن

ترجمة الصمة القشيرى

(١) تجد للصمة القشيرى ترجمة فى الأغانى (٥ ـ ٣١ بلاق) .

(٢) فى الأصل « ابنة عم له يقال لها ذئبة » وهو من عجائب التحريف وقد أثبتنا ما فى الأغانى ، والذى يظهر أن كلمة « دنية » التى زدناها عن الأغانى ، ومعناها القرابة القريبة، يعنى أن أباها أخو أبيه لا ابن عمه ، قد انحرفت عن موضعها . فظنها الناسخ اسم ابنة العم وحرفها .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عمه لؤم فى السماح بالمهر ، وكان قد اشتط فيه ، ولؤم أبوه فى إكماله ، فأنف الصمة من فعلهما وخرج إلى طبرستان فأقام بها إلى أن مات .

وحكى ابن دأب أن الصمة هوى امرأة من بنى عمه يقال لها : العامرية بنت عطيف ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه بها ، وخطبها عامر بن بشر الجعفرى ، فزوجه إياها ، فلما بنى بها زوجها وجد بها وجداً شديدا ، فزوجه أهله امرأة منهم يقال لها : جبرة ، فأقام معها يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وقال [من الطويل] :

لعمرى لئن كنتم على النأى والقلى ... بكم مثل ما بى إنكم لصديقُ
إذا زفرات الحب صعدن فى الحشى ... رُددْنَ ولم ينهجْ لهن طريقُ

وقال أيضا [من الطويل] :

إذا ما أتتنا الريحُ من نحو أرضكم ... أتتنا بريّا كم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا ... وريح الخزامى باكرتها جنوبها

قال : وخرج الصمة فى غزو إلى الديلم ، فمات بطبرستان .

وحكى عن رجل من أهل طبرستان ، قال : بينا أنا أمشى فى ضيعة لى ، فيها ألوان من الفاكهة والزعفران ، إذا بانسان مطروح عليه أثواب خُلْقان ، فدنوت منه ، فاذا هو يتحرك ، ويتكلم ، فأصغيت اليه ، فاذا هو يقول بصوت خفىّ ، [من الطويل] :

تعز بصبرٍ لا وربك لا ترى ... سنام الحمى أخرى الليالى الغوابرِ
كأنّ فؤادى من تذكره الحمى ... وأهل الحمى يهفو به ريش طائرِ

فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه ، فسألت عنه ، فقيل لى : هذا الصمة بن عبد الله القشيرى .

* * *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٧ — وَمَنْ كانَ بالبِيضِ الكَواعِبِ مُغْرَماً
فما زلتَ بالبيضِ القواضبِ مُغرَما

البيت لأبي تمام، من قصيدةٍ (١) من الطويل، يمدح بها محمد بن يوسف الطائي، أولها:

عَسَى وطنٌ يَدْنو بهمْ ولعلما ... وأنْ تعتبَ الأيام فيهمْ فربما
لهمْ منزل قد كان بالبيض كالدّمى ... فصيحَ المعاني ثم أصبحَ أعجما
وَرَدَّ عُيونَ الناظرينَ مهانةً ... وقد كان مما يرجعُ الطرفَ مكرما
تَبدّلَ غاشيهِ بريمٍ مُسلمٍ ... تَرَدّى رداءَ الحسنِ طِفلاً مسلما
ومنْ وَشْيِ خزٍ لمْ ينمنم فِرنده ... معالم يذكرْن الكتاب المنمنما (٢)
وبالحلى إنْ قامتْ ترنم فوقها ... حمامٌ إذا لاقى حَماما ترنّما
وبالخدلةِ الساقِ المخدّمةِ الشوى ... قلائص يتلونَ القسى المخدّما (٣) 17
لقدْ أصبحَ الثغران سَدّين بعدما ... رأوْا سَرَعانَ الذُّلّ فَدّاً وتوأما
وكنتَ لناشيهمْ أباً ولكهلهمْ ... أخاً ولذى التقويس والكبرة أبْنما

وبعده البيت، وبعده:

ومنْ تيمتْ سمرُ الحسانِ وأدمها ... فما زلتَ بالسمر العوالى متيما (٤)

وهى طويلة بديعة.

والكواعِبُ: جمع كاعب، وهى: الناهدة الثدى. والبيض القواضب: السيوف القواطع.

(١) انظرها فى الديوان (٢٩٤)
(٢) فى الديوان «ومن وشى خد»
(٣) فى الديوان *قلائص يتبعن القسى المخدما* وفيه بين هذا البيت والذى بعده ستة أبيات
(٤) فى الديوان * وما تيمت سمر الغوانى وأدمها *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فى البيت : مجىء اللفظ الآخر فى آخر المصراع الأول . ومنه قول أبى الأسود الدؤلى [من الطويل] :

وما كلُّ ذى لبٍّ بمؤتيكَ نُصْحَهُ وما كلُّ مُؤتٍ نصحهُ بلبيبِ

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وجُوهٌ لوانّ الأرض فيها كواكبٌ تَوَقَّدُ للسارى لكانتْ كواكبا

وقول ابن الرومىّ [من الكامل] :

رَيْحَانُهمْ ذهبٌ على دُرَرٍ وشَرَابُهمْ دُرَرٌ على ذهبِ

وقول ابن جابر [من الخفيف] :

لكَ نفسى إذا بَدَتْ لكَ نجدٌ فلقدْ سرَّنى الزّمانُ بنجدِ

فلتلكَ الخيامِ عندىَ عهدٌ وأبى اللهُ أن أُضيّعَ عهدِى

وما أبدع قول البديع الهَمَذانى فى معنى بيت أبى تمام المستشهد به هنا، وهو من شواهد البيت قبله [من مجزوء الكامل] :

وَهوَاى للبيضِ الصّبا حِ هَوَاكَ للبيضِ الصّفَاحِ

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٨ — وإنْ لم يكن إلاّ مُعرّجُ ساعةٍ قليلاً فإنى نافعٌ لى قليلُهَا

البيت لذى الرمة، من قصيدة من الطويل، قالها فى صاحبته مية ، أولها :

خليلىّ عُدّا حاجتى منْ هوا كما ومَنْ ذَا يُواتى النفسَ إلا خَليلُهَا

ألمّا على الدار التى لوْ وجدتمـا بها أهلَها ما كان وَحْشاً مَقيلُهَا

و بعده البيت ، و بعده :

لقدْ أشرِبَتْ قلبى لمىّ مودّة تَقَضّى الليالى وَهْوَ باقٍ وسيلُهَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مُهَفْهَفَةُ الكشحين رُؤْدٌ شَبَابُهَا مُبَتَّلَةٌ خَوْدٌ نَبِيلٌ حُجولُهَا
وَقَدْ تَيَّمَتْ قلبي فليسَ بنازعٍ وَقَدْ شَفَّهُ هِجرانها وَمطولُهَا

روى عن سليمان بن عباس ، قال : أخبرنى أبى ، قال : مررت فى أرض بنى عقيل، فرأيت جارية بيضاء ، تَدَافَعُ فى مشيها تدافع الفرس المختال ، تنظر عن عينين نجلاوين بأهداب كقوادم النسور، لم أر أكمل جمالا منها ، فوقفتُ لأكلمها ، فقالَت لى عجوز بفناء منزلها : مالك ولهذا الغزال النجدى ، الذى لاحظ لك فيه سوى قول القائل [من الطويل] :

ومالكَ منها غيرُ أنك نائكٌ بعينيكَ عينيها وأيركَ خائبُ

فقالت لها الفتاة : دعيه ياأماه يكن كما قال ذو الرمة :

وإن لم يكنْ إلا معرّجُ ساعةٍ قليلا فانى نافعٌ لى قليلها

ومنه قول يزيد بن الطثْرية [من الطويل] :

أليسَ قليلاً نظْرَةٌ إنْ نظَرْتها إليكِ، ولكنْ ليس منكِ قليلُ

وقول أبى إسحاق الموصلى [من الخفيف] :

إنَّ ماقلَّ منكَ يكثرُ عندى وكثيرٌ ممن تحبُّ قليلُ

وقول الخوارزمى [من مخلع البسيط] :

إذا ملكتم فلا تَتيهُوا وإن حكمتم فلا تجورُوا
تعطَّفوا وارحموا محبًّا قليلكم عنده كثيرُ

وقول المتنبى [من الوافر] :

وجُودُك بالمقامِ وَلوْ قليلاً فمَا فيمَا تجودُ بهِ قليلُ

وقول أبى نصر أحمد الميكالى [من الوافر] :

قَليلٌ منكَ يكفينى ولكنْ قليلكَ لا يقالُ لهُ قليلُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد ألمَّ بهذا المعنى شرف السادة : محمد بن عبيد الله الحسينى البلخى بقوله من قصيدة طويلة [من الكامل] :

ولربما سمحَ البَكِيُّ بدَرِّهِ وَشفىَ الغليل تعللٌ بقليلِ

والتعريج : الاقامة على الشيء وحَبْس المطى على المنزل .

والمعنى : إن لم يكن إلمامكما ـ أى نزولكما القليل بالدار ـ إلا تعريج ساعة فان قليلها ينفعنى ويشفى غليل وجدى .

والشاهد فيه : مجيء اللفظ الآخر فى صدر المصراع الثانى ، وما أحسن قول ابن جابر [من الخفيف] :

صَفحوا عَنْ محبهمْ وأقالوا مِنْ عِثارِ النوى ومَنُّوا بوصلِ

لستُ أستوجبُ الوصالَ وَلكنْ أهلُ تلكَ الدّيارِ أكرَمُ أهْلِ

ترجمة ذى الرمة

وذو الرمة(١) هو : أبو الحارث غَيْلَان بن عُقْبة ، ينتهى نسبه لنزار ، الشاعر المشهور ، أحد فحول الشعراء .

يقال : إنه كان ينشد شعره فى سوق الابل ، فجاء الفرزدق فوقف عليه ، فقال له ذو الرمة : كيف ترى ماتسمع يا أبا فراس ؟ قال : ماأحسن ماتقول ! قال : فما لى لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قَصَّر بك عن غايتهم بكاؤك فى الدِّمَن ، ووصفك الأبعار والعَطَن .

قال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بذى الرمة ؟ والرجز برؤبة بن العجاج ،

---

(١) لذى الرمة ترجمة فى الأغانى (١٦ ـ ١١٠ بلاق) وتزيين الأسواق (١ ـ ٩٣) وخزانة الأدب للبغدادى (١ ـ ٥٠) وابن خلكان (٢ ـ ١٣٧) والشعر والشعراء لابن قتيبة (٣٣٣) .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقيل له : إن رُؤْبَة حيٌّ ، فقال : نعم ، ولكنه ذهب شعره كما ذهب مطعمهُ وملبسهُ ومنكحهُ . فقيل له : فهؤلاء الآخرون . فقال : مرقعونَ مهدَّمون ، إنما هم كَلٌّ على غيرهم

وذو الرمَّة : أحد عشاق العرب المشهُورين بذلك ، وصاحبتهُ ميّة ابنة مقاتل (١) ابن طَلَبَة بن قيس بن عاصم المنقرى . وقيس بن عاصم : هو الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم ، فأكرمه وقال له : أنت سيد أهل الوبر . وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها فى شعره ، وإياها عَنَى أبو تمام الطائى فى قصيدته البائية بقوله [من البسيط] :

مَا رَبْعُ ميةَ مَعموراً يُطيفُ بِهِ غيلانُ أبْهَى رُبًا من رَبْعها الخرِبِ

وقال ابن قتيبة : قال أبو ضرار الغنوى (٢) : رأيت ميّة وإذا معها بَنُون لها ، فقلت : صفها لى ، فقال : مسنونة الوجه ، طويلة الخدِّ ، شماء الأنف ، عليها وسمُ جمال . قلت : أكانت تنشدك شَيئا مما قال فيها ذو الرمة ؟ قال : نعم .

ومكثت مية زماناً تسمع شعرَ ذى الرمة ولا تراه . فجعلت لله عليها أن تنحرَ بدنةً إذا رأته ، فلما رأته رأت رجُلا دميما أسود ، وكانت من أهل الجمال ، فقالت : واسوءتاه ! وا بؤساه ! فقال ذو الرمة [من الطويل] :

على وَجْهِ مَيٍّ مسحة مِنْ ملاحةٍ وتحتَ الثياب العار لو كان باديَا (٣)
ألمْ ترَ أنّ الماء يخبثُ طعْمُهُ وإن كان لون الماء أبيضَ صافيَا

(١) هكذا سمى ابن خلكان أباها ، وقال ابن قتيبة « مية بنت فلان ابن طلبة »

(٢) هكذا فى ابن خلكان عن ابن قتيبة . وهو إحدى نسخ الشعر والشعراء ، وفى أخرى « ابن سوار الغنوى » ومثله فى الأغانى .

(٣) فى الشعراء « وتحت الثياب الشين »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فيا ضَيْعَةَ الشعرِ الذى لَجَّ فانقضى بمىٍّ فلم أملك ضلالَ فؤاديا (١)

ومن شعره السائر فيها [من الطويل] :

إذا هَبَّتِ الأرواحُ من نحو جانبٍ به أهْلُ مىٍّ هاجَ قلبى هُبُوبُها

هوًى تذرف العينانِ منهُ ، و إنما هوَى كلِّ نفس أين حَلَّ حبيبُها

وكان ذو الرمة يُشَبِّب بخرقاء أيضاً ، وهى من بنى البكاء بن عامر بن صعصعة . وسبب تشبيبه بها أنه مر فى سفر ببعض البوادى فاذا خرقاء خارجة من خباء ، فنظر إليها فوقعت فى قلبه ، فخرق إداوته ودنا منها يستطعم كلامها ، فقال : إنى رجل على ظهر سفر وقد تخرقت إداوتى فأصلحيها لى ، فقالت : والله ما أحسن العمل و إنى لخرقاء — والخرقاء: التى لا تعمل شيئا لكرامتها على أهلها — فشبب بها ذو الرمة ، وسماها خرقاء ، و إياها عنى بقوله [من الطويل] :

وما شَنَّتا خرقاء واهية الكُلَى سقَى بهما ساقٍ فلم يتبَلَّلاَ

بأضْيَعَ من عينَيْكَ للدمع كلما تذكَّرْتَ ربْعا أو توهمت منزِلا

وقال المفضل الضبي : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى : هل لك فى أن أريك خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ فقلت : إن فعلت فقد بررتنى ، فتوجهنا جميعا نريدها ، فعدل بنا عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا أبيات شعَر ، فاستفتح بيتا ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسَّانة بها فوه (٢) . والحُسَّانة أشد حسنا من الحسناء ، فسلمت وجلست ، فتحدثنا ساعة ثم قالت : هل حججت قط ؟ قلت : غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى مَنْسَكٌ من

---

(١) فى الشعراء « ولم أملك ضلال فؤاديا »

(٢) فى الأصل « بها قوة » وقد أثبتنا ما فى الشعراء لأنه أصل هذه الترجمة وعنه أخذ المؤلف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذي الرمة حيث يقول [من الوافر] :

تمامُ الحجِّ أن تقف المطَايا على خَرْقَاء واضعةَ اللثامِ

وكان ذو الرمة كثير المدح لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ! وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيْدَح ، وكان هذا الاسم علماً عليها، بقوله [من الوافر] :

رأيْتُ الناس يَنْتَجِعُونَ غيثاً فقلت لصَيْدَح انتجعي بلالا(١)

و بقوله [من الطويل] :

إذا ابْنَ أبي موسى بلالاً بلغتِهِ فقامَ بفأس بين عَيْنَيْكِ جازرُ (٢)

وقد أخذه من قول الشماخ في عَرَابة الأوسي يخاطب ناقته [من الوافر] :

إذا بَلَّغْتِنِي وحملتِ رحلي عَرَابَةَ فاشْرَقي بدمِ الوتينِ

وجاء بعدهما أبو نواس فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله في الأمين محمد بن الرشيد [من الكامل] :

و إذا المطيُّ بنا بَلَغْنَ محمداً فظُهُورهُنَّ على الرجالِ حَرَامُ

والأصل في هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة — وقد كانت نَجَتْ على ناقة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم — فلما وصلت إليه قالت له : يارسول الله ، إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بئس ما جزيتيها(٣).

---

(١) يروى * سمعت الناس ينتجعون غيثا * ويحكون النصب والرفع في كلمة « الناس » على روايتهم

(٢) يروى * فقام بفأس بين وصليك جازر *

(٣) كذا ، وتخرج على أن زيادة الياء لاشباع كسرة التاء ، ولها نظائر.

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومعنى الأبيات الثلاثة أنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيتنى ، وأغنيتنى ، إلا أن الشماخ وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضاً عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود ، لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى الممدوح.

وقد نظم أبو نواس هذا المعنى أيضا عائبا على الشماخ قوله [من الوافر] :

أقولُ لناقتى إذ بَلَّغَتْنِى لقد أصْبَحْتِ منى باليمينِ
فلم أجعلك للغِرْبان نُحلاً ولا قُلْتُ اشْرَقِى بدَمِ الوتينِ

وكان لذى الرمة إخوة : هشام ، وأوفى ، ومسعود ، فماتَ أوفى ثم مات ذو الرمة بعده ، فقال مسعود يرثيهما ، هكذا قال ابن قتيبة ، وقال فى الحماسة فى المراثى خلاف ذلك ، والأبيات التى قالها مسعود هى [من الطويل] :

تَعَزيت عن أوْفى بَغَيْلاَنَ بعدَهُ عزاءً وجَفْنُ العين ملآنُ مُتْرَعُ
ولم يُنْسنى أوفى المصيبات بعدهُ ولكن رأيت القَرْحَ بالقرح أوجعُ

فى جملة أبيات قالها .

وأخبار ذى الرمة كثيرة والاختصار أولى .

والرمة — بالضم — قطعة من حبل ، وتكسر ، ولقب بذلك لقوله فى الوتد [من الرجز] :

* أشْعَث باقى رُمَّةِ التقليدِ *

ولما حضرته الوفاة قال : أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد [من البسيط] :

يا قابضَ الروح عن نفسى إذا احْتُضِرَتْ وغافِرَ الذنبِ زحزحنى عن النارِ

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى ! .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٦٩ — دعانى من ملامِكما سفاها فَدَاعى الشوقِ قَبْلَكما دعانى

البيت للأرَّجَانى، من قصيدة(١) من الوافر، يمدح بها الوزير سعد الملك أولها:

إذا لم تقدرا أن أن تُسْعِدَانى على شَجَنِي فَسِيرَا واتركانى

و بعده البيت، و بعده:

وأينَ من المَلامِ لَقَىٰ هُمُومٍ يبيتُ ونِضْوُهُ مُلْقَى الجِرَانِ

أميلُ عن السُّلُوِّ وفيه برء وأعلَقُ بالغرام وقد بَلانى(٢)

وأعجبُ من حنينى فى التنائى وأعجب من صُدُودك فى التَّدَانى(٣)

ألا لله ما صَنَعَتْ بعقلى عقائلُ ذلك الحىِّ اليمانى

نواعم يَنْتَقِبن على شَقِيقٍ يرفُّ ويبتسمن بأقحُوَانِ

دنَوْنَ عشيةَ التوديع منى ولى عينانِ بالدم تجريانِ

فلم يَسْحَنَّ إكراماً جفونى ولكن رمْنَ تخضيبَ البنانِ

وهى طويلة.

والسفاه والسفه والسفاهة: خفة الحلم، وتثلث سينه، وقيل: هو نقيضه، أو الجهل.

والشاهد فيه: وقوع أحد اللفظين المتجانسين فى آخر البيت والآخر فى صدر المصراع الأول، وهما دعانى الأولى بمعنى اتركانى ودعانى الثانية من الدعاء، ولمؤلفه فيه [من الخفيف]:

ناظراهُ إذا تنكَّرَ تيهاً فى الذى أورث الحشى ناظراهُ

* * *

(١) اقرأها فى الديوان (٤٠٣)
(٢) فى الديوان « وقد برانى ».
(٣) فى الديوان « وتعجب من حنينى »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٠ - وإذا البَلَابِلُ أفْصَحَتْ بلغَاتِها فانْفِ البلابل باحْتِسَاءِ بلابِلِ

البيت للثعالبي ، من الكامل ، والبلابل الأولى : جمع بلبل ،وهو الطائر المعروف ، والثانية : جمع بلبال ، وهو البرحاء فى الصدر ، والثالثة : جمع بلبلة ، وهى قناة الكوز التى يصب منها الماء ، والاحتساء : الشرب .

والشاهد فيه : مجىء المتجانس الآخر فى حشو المصراع الأول .

ترجمة أبى منصور الثعالبي

والثعالبي [١] هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابورى ، والثعالبي : نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها ، قيل له ذلك لأنه كان فراء

قال ابن بسام فى حقه : كان فى وقته راعي تَلَعَات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين فى زمانه ، والمصنفين بحكم قرانه [٢] ، سار ذكره سير المثل وضربت إليه آباط الابل ، وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب ، طلوع النجم فى الغياهب . وتآليفه أشهر مواضع ، وأبهر مطالع ، وأكثر [راو لها وجامع [٣]] من أن يستوفيها حد أو وصف ، أو يوفى حقوقها نظم أو رصف .

وقال فى حقه الباخَرْزِىُّ صاحب دمية القصر : هو جاحظ نيسابور ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان ، وكنت وأنا فرخ أزغب ، فى الاستضاءة بنوره أرغب ، وكان هو والدى [بنيسابور [٤]] لصيقى دار ، وقرينى جوار [٥] فكم حملتُ كتباً تدور بينهما فى الاخوانيات ،

(١) للثعالبي ترجمة فى ابن خلكان (١-٥٢١) .
(٢) فى الأصل « بحكم أقرانه » وأثبتنا ما فى ابن خلكان نقلا عن ابن بسام
(٣) الزيادة عن ابن خلكان نقلا عن ابن بسام .
(٤) زيادة عن دمية القصر
(٥) فى الدمية « وقريبي جوار »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقصائد يتقارضان بها فى المجاوبات ، وما زال بى رؤوفا وعلى حانياً ، حتى ظننته أبا ثانيا ، رحمة الله عليه كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج تياره ! ! (١) .

ومن شعره ما كتبه إلى الأمير أبى الفضل الميكالى يعاتبه [من السريع] :

يا سَيِّداً بالمكرماتِ ارتَدَى ... وانتَعَل العِيُّوقَ والفَرْقَدَا
مالكَ لا تجرى على مُقْتَضَى ... مودةٍ طال عليها المَدَى
إن غبتُ لم أطلُبْ وهذا سليمانُ بن داودَ نبىُّ الهدَى
تفقَّدَ الطيرَ على شُغْلِهِ ... فقال: مالى لا أرى الهُدْهُدَا

ومنه [من السريع] :

وسائلٍ عن دمْعِيَ السَّائلِ ... وحال لوْنى الكاسِفِ الحائلِ
قلت له والأرضُ فى ناظرى ... أوسَعُ منها كفة الحابلِ
بليتُ والله بمملوكة ... فى مُقلتيها مَلَكا بابلِ
فإن لحانى عاذلى فى الهوَى ... يوماً فما العاذلُ بالعادلِ

ومنه [من الكامل] :

لا كانَ فى عينى مَجَالٌ للسِّنَهْ ... وجعلْتُ عِرْضى عِرْضةً للألسنَهْ
إن ذُقْتُ طَعمَ العيش بعْدَكَ ساعةً ... ورأيت يومَ البين إلاَّ كالسَّنَهْ

ومنه [من الخفيف] :

---

(١) فى الدمية بعد هذا الكلام وقبل ذكر المختار من شعره ، ما نصه : « ووقعت إلى بعد وفاته مجلدة من أشعاره وفيها ثمار بيانه ، وعليها آثار بنانه فالتقطت منها ما يصلح لكتابى هذا من أوساط عقودها ، وأناسى عيونها ، فمن ذلك ما كتب به إلى الأمير أبى الفضل الميكالى - إلخ .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

هذه ليلةٌ لها بهجةُ الطا ووس حُسناً واللونُ لونُ الغُداف
رقد الدَّهْرُ فانتبهنا وسارقـ ـناهُ حظّاً من السرور الوافى
بمُدامٍ صافٍ وخلٍ مُصافٍ وحبيبٍ وافٍ وسعدٍ موافى

ومنه [من السريع] :

طالعُ سعدى غيرُ منحُوس فأسقنى يا طاردَ البُوسِ(١)
كأساً كعين الديك فى روضةٍ كأنها حلّةُ طاوسِ

ومنه [من السريع] :

وَيوم سعْدٍ حسَنِ البشْرِ عَذْبِ السجايا طيب النَّشْرِ
لم تَقْذَ عينى بأذاهُ ولم يطر فؤادى بيَدِ الذُّعْرِ
ولم يرعنى لا ولا ساءنى كعادة الأيامِ فى الشَّرِّ
شبهتهُ منتزعا من يد الأحداثِ ذاتَ الشرّ والضُّرّ
باللبن السائغِ ذاك الذى من بين فَرْثٍ ودمٍ يجرى

وكتب إلى أبى نصر سهل بن مَرْزُبَان وقد لسعته عقرب على قدمه ، فلما وجد وقتلت زال الوجع ، وحصل الشفاء المرتجع [من الكامل] :

يا عمدة الأمراء والوُزراء يا عُدَّة الأدباء والشُّعراء
يا غرَّةَ الزمن البهيم وناظرَ الكرم الصّميم وواحدَ الفضلاء
أرأيت همة عقرب دبَّتْ إلى قدمٍ بها تخطو إلى العلْياء
لما ارتقتْ للسعْ أعظمَ مرتقى أخنت عليها رتبهُ العظماءِ(٢)

(١) فى الدمية « طالع يومى » وفيها « فسقنى ياطارد البوس »
(٢) فى الدمية « لما ارتقت باللسع »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إن ذقت ضرّاء العقارب فاستعن بعقارب الأصداغ في السّراء (١)

يا طيب لسعة عقرب دریاقها ريق الحبيب بقهوة عذراء (٢)

وقال الثعالبي : قال لى سهل بن مَرْزُبَان: إن من الشعراء من شلشل، ومنهم من سلسل ، ومنهم من قلقل، ومنهم من بلبل ، فقال الثعالبى: إنى أخاف أن أكون رابع الشعراء ، أراد قول الشاعر [من الرجز] :

الشعَرَاء فاعْلَمَنَّ أربعهْ فشاعرٌ يجرى ولا يُجْرَى مَعَهْ

وشاعرٌ من حقّهِ أن ترْفعَهْ وشاعرٌ من حقه أن تَسْمَعَهْ

* وشاعرٌ من حقهِ أن تصفعهْ *

وأراد بقوله « منهم من شلشل » قول الأعشى [من البسيط] :

وقد أروحُ إلى الحانات يتبعنى شاوٍ مشَلٌّ شلولٌ شلشلٌ شَوَلُ

وأراد بقوله « منهم من سلسل » قول مسلم بن الوليد [من الكامل] :

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

وأراد بقوله « منهم من قلقل » قول المتنبى [من الطويل] :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشى قلاقل هم كلهن قلاقل

قال الثعالبى : ثم إنى قلت بعد ذلك بحين [من الكامل] :

فاذا البلابل أفصحت بلغاتها فانفِ البلابلَ باحتساء بلابل (٣)

---

(١) فى الدمية « إن ذقت ضراء العقارب فابقين » وأحسبه محرفا عما هنا

(٢) فى الدمية « ترياقها »

(٣) البلابل الأول : جمع بلبل وهو طائر غرد ، والبلابل الثانى جمع بلبال وأراد أذهب عنك الهواجس والخواطر ، والبلابل الثالث جمع بلبلة وهى فى الأصل قناة الكوز التى يصب منها الماء وأراد منها الخمر من باب إطلاق اسم المحل على الحال .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وللثعالبيّ ، يصفُ فرساً ، أهداه له ممدوحه [من الكامل] :

يا وَاهبَ الطِّرْفِ الجوادِ كأنما قدْ أنعلوهُ بالرّياحِ الأربعِ
كالجاحمِ المشبوب أو كالهاطل الـ ـمصبوبِ أو كالباشق المتسرّعِ (١)
لاشيءَ أسرعَ منهُ إلاخاطري في شكرِ نائلكَ اللطيفِ الموقعِ
ولوَ انني أنصفتُ في إكرَامهِ لجلالِ مُهديه الكريم الألمعي (٢)
أقضمتهُ حبّ الفُؤاد لحبه وجعلتُ مربطهُ سوادَ الأدْمُعِ (٣)
وخلعتُ ثمّ قطعْتُ غيرَ مُضيقٍ بُرْدَ الشباب لجله والبرْقعِ

وله [من المجتث] :

سقياً لدهر سُرُورِي والعيشِ بين السرَارِي
إذ طير سعدى جَوَارٍ مع امتلاك الجوارِي
وغيْمُ لهوى مَطِيرٌ وَزَنْدُ أُنسيَ وَارِي
أيام عيشي كعودي وقدْ ملكتُ اختياري (٤)
أجرى بغير عذارٍ أجنى بغير اعتذار

وله في الشكوى [من الوافر] :

---

(١) في الدمية « أو كالباسق المتفرع » وما هنا أجود ، وقد سقط البيت من الوفيات .

(٢) في الدمية « الكريم الأورع » وفي ابن خلكان مثل ما هنا .

(٣) في الدمية « سواد المدمع » وهذا البيت متأخر في الدمية عما ذكر هنا بعده ، وفي ابن خلكان مثل ما هنا لفظا وترتيبا .

(٤) في الدمية « أيام عيشي كعودي » وهو تحريف صوابه ماهنا ، لأن عود الشباب أسود ، وأراد أن عيشه مستقيم له على ما يحب .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ثلاثٌ قدْ رُميت بهنّ أضحتْ لنار القلب منى كالأثافى(١)
دُيونٌ أنْقَضَتْ ظهرى وَجورٌ من الأيام شَابَ لهُ غُدافى
وفقدانُ الكَفَاف وَأىُّ عَيشٍ لمنْ يمنى بفقدان الكفافِ

وللثعالبى تآليف كثيرة ، منها : فقه اللغة ، [وسحر البلاغة] (٢) وسر البراعة ، ومن غاب عنه المطرب ، ومؤنس الوحيد ، وأجلها وأحسنها « يتيمة الدهر ، فى محاسن أهل العصر » ، وفيها يقول ابن قلاقس :

أبيات أشعار اليتيمهْ أبكار أفكار قديمهْ
ماتوا وَعاشتْ بعدهمْ فلذاك سميتِ اليتيمهْ

وشعره مدون ، وكانت ولادته : سنة خمسين وثلثمائة . ووفاته : سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! !

* * *

١٧١ فمشغوفٌ بآيات المثانِى ومفتونٌ برنات المثانى

هو من الوافر ، وقائله : أبو عبد الله [وأبو] محمد القاسم الحريرى (٣) ، من أبيات ، أولها :

بها ما شئت من دِينٍ ودُنْيَا وجِيرَانٍ تَنَافَوْا فى المعانى(٤)

---

(١) فى الدمية « ثلاث قد منيت بهن »

(٢) الزيادة عن ابن خلكان ، والجملتان اسم لكتاب واحد ، وهو معروف مطبوع فى دمشق .

(٣) اقرأها فى أثناء المقامة الثامنة والأربعين من مقاماته (ص٣٨٩ بلاق سنة ١٢٧٢ هـ)

(٤) تنافوا : اختلفوا ، وبين فى بيت الشاهد والذى بعده وجوه اختلافهم ، وأنهم ضروب فى البراعة والفضل .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و بعده البيت ، و بعده :

وَمضطلعٌ بتلخيص المعانى ومطلعٌ إلى تخليص عانى
وكم من قارىء فيها وقارٍ أضرَّا بالجفون و بالجفان(١)
وكم من مُعْـلِمٍ للعلم فيها وَناد للندى حـلو المجانى
وَمَغْنًى ما تزال تُغَنُّ فيهِ أغاريدُ الغوانى والأغانى(٢)
فَصِلْ إن شئت فيها من يصلّى و إما شئت فادنُ من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها أوالكاسات منطلق العنان

والمثانى الأول : القرآن أو ما ثُنِّى منه مرة بعد مرة أو الحمد لله أو من البقرة إلى براءة أو كل سورة دون الطوال ودون المائتين وفوق المفصل ، والمثانى الثانية من أوتار العود التى بعد الأول واحدها مثنى .

والشاهد فيه : مجىء المتجانس الآخر فى آخر المصراع الأول، ومثله قول ابن جابر [من الكامل] :

زرت الديار عن الأحبة سائلاً ورجعت ذا أسف ودمع سائل
ونزلتُ فى ظل الأراكة قائلاً وَالرّبعُ أخرسُ عن جواب القائل

ترجمة الحريرى والحريرى (٣) هو أبو عبد الله [وأبو (٤)] محمد القاسم بن على بن محمد بن عثمان

(١) القارىء : اسم فاعل من القراءة ، والقـارى : اسم فاعل من قرى الضيف . والجفون : جمع جفن العين وهو راجع إلى القارىء ، والجفان : جمع جفنة وهى القصعة التى يقدم فيها الطعام للضيف وهذا راجع إلى القارى .

(٢) تغن : تسمع ، وأصله من الغنة وهي صوت من الخيشوم .

(٣) للحريرى ترجمة فى ابن خلـكان (٢-١٦٥ النيل) وفى معجم الأدباء لياقوت الرومى (١٦-٢٦١-٢٩٣) وفى مطلع مقاماته المطبوعة ببولاق (عام ١٢٧٢ من الهجرة) .

(٤) زيادة لا بد منها ، وقد كناه ابن خلـكان وياقوت بأبى محمد، وسيذكر المؤلف ولديه وليس فيهما من اسمه محمد .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

البصرى الحَرَامِيّ ، صاحب المقامات . كان أحد أئمة عصره ، ورُزق الحظْوة التامة فى عمل المقامات . وفضلُها أكثر من أن يحصر ، وأشهر من أن يذكر . ومن عرفها حق معرفتها ، استدل بها على فضل هذا الرجل ، وغزارة مادته ، وكثرة اطلاعه . وكانَ سبب وضعها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله ، قال : كان أبى جالسا بمسجد بنى حَرَام ، فدخل شيخ ذو طِمرَيْنِ ، عليه أهبة السفر رثّ الحال ، فصيح الكلام ، حسن العبارة ، فسأله الحاضرون : من أين الشيخ؟ فقال : من سَروج ، فاستخبروه عن كنيته ، فقال : أبو زيد ، فعمل أبى المقامةَ المعروفة « بالحرامية » ، وهى الثامنة والأربعون ، وعزاها إلى أبى زيد المذكور واشتهرت ، فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنو شروان بن خالد بن محمد القاشانى ، وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبته ، وأشار على والدى أن يضمّ إليها غيرها ، فأتمها خمسين مقامة . وقد وجدت نسخ كثيرة من المقامات بخط مصنفها ، وفيها بخطه أيضا أنه صنفها للوزير جلال الدين بن عميد الدولة أبى على الحسن بن أبى العز على بن صدقة ، وزير المسترشد أيضا . قال ابن خلكان : ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى ، لكونه بخط المصنف وأما تسميته الراوى لها بالحارث بن همام فانما عنى به نفسه ، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « كلكمْ حَارث ، وكلكم همام » . فالحارث : الكاسب والهمام : الكثير الاهتمام . وقد بَسطت الكلام على مايتعلق بذلك فى شرحى على المقامات . 18

ويقال : إن الحزيرى كان عملها أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاها ، فلم يصدقه فى ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هى لرجل مغربى من أهل البلاغة مات بالبصرة ، ووقعت أوراقه إليه ، فادعاها ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته ، فقال :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أنا رجل منشىء ، فاقترح عليه إنشاء رسالة فى واقعة عينها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ، ومكث زماناً كثيراً ، فلم يفتح الله سبحانه وتعالى عليه بشىء من ذلك ، فقام خجلا . وكان فى جملة من أنكر دعواه أبو القاسم على بن أفلح ، الشاعر المشهور ، فلما لم يعمل الرسالة المقترحة عليه أنشد فيه بيتين ، وقيل : هما لابن جكينا البغدادى ، وهما [من المنسرح] :

شيخٌ لنا من ربيعةِ الفرسِ ينتفُ عُثنونهُ مِنَ الهوَسِ
أنطقهُ اللهُ بالمشانِ كما رَمَاهُ وَسْطَ الديوانِ بالخرَسِ

وكان الحريرى يزعم أنه من رَبيعة الفرس . وكانَ مُولَعا بنَتْف لحيتهِ عندَ الفكرة . وكان يسكن فى مشان البصرة . وهو بفتح الميم [1] وفتح الشين المعجمة وبعدها ألف ونون : بلدة فوق البصْرَة ، كثيرة النخيل ، موصوفة بشدة الوخم وكان أصله منها ، ويقال : إنه كان له بهائمانية عشَر ألف نخلة ، وإنه كان من ذوى اليسار ، ولما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات وَسيرهن ، واعْتذرَ منْ عيهِ وحَصَرهِ بالديوان بمَا لحقه من المهابة .

ويقال : إنه كان قذراً فى نفْسه وشكله ولبْسه ، قَصيرا دميما بَخيلا ، مولعاً بنتف لحيته ، فنهاه أمير البصرة وتوعدهُ على ذلك ، وكان كثير المجالسة له ، فبقى كالملقيد ، لا يتجاسر أن يعبث بلحيته ، فتكلم فى بعض الأيام بكلام أعْجَبَ الأمير ، فقال له : سلنى شَيئا حتى أعطيك ، فقال : تقطعنى لحيتى . قال قد فعلت .

---

(١) وقع فى أصل هذا الكتاب « بضم الميم » لكن الذى فى وفيات الأعيان لابن خلكان أنه بفتح الميم ، ولم أجد الضم منصوصا عليه فى غير أصول هذا الكتاب ، والأغلب أنه تحريف . وقد أثبتنا ما فى ابن خلكان ، إذ كانت هذه الترجمة منقولة عنه .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وجاءَه شخص غريب يزوره و يأخـذ عنه شيئا ، فلما رآه استزْرى شكله ، ففهم ذلك عنه ، فلما التمس منه أن يملى عليه قال له : اكتب [من البسيط] :

ما أنْتَ أولُ سارٍ غرّهُ قمرٌ وَرائد أعجبتهُ خُضْرةُ الدِّمَنِ
فاختر لنفسكَ غيرى، إننى رَجلٌ مثْلُ المعيدىِّ فاسْمَعْ بى ولا ترنى(١)

فخجلَ الرجل وانصرف عنه .

وقالَ القاضى جابر بن هبة الله : قرأت المقامات علىَ الحريرى ، فى سنة أربع عشرة وخمسمائة ، فقرأت قوله [من الرجز] :

يا أهلَ ذا المغنى وُقيتُمْ شراً ولا لقيتمْ ما بَقيتمْ ضُرّاً
قدْ دفع الليْلُ الذى اكفهرّا إلى ذَرَاكمْ شعثاً مغبرّاً

فقرأته سغباً معتراً ، وكنت أظنه كذلك ، ففكر ، ثم قال : لقد أجدْتَ فى التصحيف ، وإنه لأجود ، فرُبّ شعث مغبر غير محتاج . والسغب المعتر موضع الحاجة ، ولو لا أنى قد كتبت خطى إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت علىّ لغيرته كما قلت .

وللحريرى تآليف حسان . منها : درة الغواص فى أوهام الخواص . ومنها ملحة الاعراب فى النحو وشَرْحهَا أيضا . وله ديوان رسائل ، وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات . فمن ذلك قوله [من البسيط] :

قالَ العواذلُ ما هذا الغرَامُ به أمَا ترى الشعر فى خدّيه قد نبتا
فقلتُ : والله لو أنّ المفنّدَ لى تأملَ الرشدَ فى عينيه ما ثبتا
ومنْ أقامَ بأرض وهى مجدبةٌ فكيف يَرحل عنها والربيع أتى

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

كم ظباء بحاجرٍ فتَنَتْ بالمحاجرِ

(١) فى المطبوعتين «مثل المعيدى تسمع بى ولا ترنى» ولا يستقيم عليه الوزن، وهو غير مستقيم عربية إذ ليس في الكلام مايقتضى جزم «تسمع» و «ترى»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ونفوسٍ نفائسٍ حـذرتْ بالمحاذرِ
وشجونٍ تظافرَتْ عند كَشف الظفائرِ (١)
وَثنٍ لخاطـرٍ هاجَ وجداً بخاطرِي
وعِـذارٍ لأجلهِ عاذلي عادَ عاذرِي

وله أيضا [من البسيط] :

لاَ تخطونَّ إلى خطء ولاء خطا
مِنْ بعد مَا الشّيبُ فى فوْديك قد وَخَطَا
وأىّ عُذرٍ لمنْ شابتْ ذَوَائبهُ
إذَا سعى فى ميادينِ الصبَا وَخطَا

ومن ألغازه [من الخفيف] :

مِيمُ موسى منْ نونِ نصْرٍ ففتشْ أيهَا ذَا الأميرُ ماذَا عنَيتُ

معنى ميم أصابه الموم ، وهو البرسام ، ويقال : هو أثر الجدرى ، والنون : السَّمكة ، يعنى أكل سمكة نصْر فأصابه الموم . ومنها [من الخفيف] :

بَاء بكر بلام ليْلىَ فَمَا ينـــفكُ منها إلاّ بعين وهَاءِ

البكر : الجمل ، وباء أقرّ به . واللام : الزرع ، فلازمته ليْلىَ فما ينفك منها مما تلطمه فى وجهه إلا بعين واهية من اللطم .

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً ذكرت منها طرفاً فى شَرْحى علَى المقامات .

---

(١) هكذا ورد فى الأصل ، وقد كتب مصحح مطبوعة بلاق بهامش النسخة ما نصه « قوله الظفائر ، المعروف فيه لغة الضاد » اهـ . أقول : ولو أنه قيل :

وشجون تضافرت عند كشف الضفائر

بالضاد فى « تضافرت » وفى « الضفائر » — لتم ما وضع البيت من أجله ، ولسلم من الاعتراض .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكانت ولادته سنة ست وأربعين وأربعمائة . وتوفى فى سنة عشر — وقيل: خمس عشرة — وخمسمائة بالبصرة فى سكة بنى حَرَام . نسبة إلى طائفة من العرب، سكنوا فى هذه السكة . وخلف ولدين ، هما : نجم الملك عبد الله ، وقاضى قضاة البصرة: ضياء الاسلام عبيد الله، رحمهم الله تعالى .

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٢ — أَمَلَّتُهُمْ ثمَّ تأملتهمْ فَلَاحَ لى أنْ ليسَ فيهمْ فلاَحْ

البيت للأرّجانىّ ، من السريع، من قصيدة يمدح بها شمس الملك[1] بن نظام الملك ، أولها :

صوتَ حمام الأيكِ عندَ الصباحْ جدَّدتَ تَذكارىَ عهدَ الصباحْ[2]
عَلمتنا الشجوَ فيا منْ رَأى عُجْماً يعلمنَ رِجالا فِصاحْ
ألحانُ ذَاتِ الطوْقِ فى غصنِهاَ مُذْ كرتنى أيامَ ذَات الوشاحْ
لاَ أشكرُ الطائر إنْ شاقنى عَلىَ نوًى منْ سَكنى وَانتزاحْ
وَإنمَا أشكرُ لَوْ أنّهُ أعَارَنى أيضاً إليهِ جناَحْ[3]

إلى أن يقول فى مديحها :

يَا كعبةَ للجودِ مأهولةً إذاغدَا الوفدُ إليها وَرَاحْ
يفديك قومٌ حاولوا ضلةً تناولَ المجدِ بأيدٍ شحاحْ
معاَشرٌ أموَالهمْ فى حمىً وعرضُهُم من لؤمهم مُستباحْ

والقصيدة طويلة .

وفلاح الثانية: الفوز ، والنجاة ، والبقاء فى الخير .

---

(١) أقرها فى الديوان (ص ٨٠) واسم شمس الملك عثمان بن نظام الملك حسن بن على

(٢) فى الديوان « جدد تذكارى »

(٣) فى الأصول « وأنما أشكوه لو أنه » وأثبتنا ما فى الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فيـه : مجيء المتجانس الآخر ، فى صدر المصراع الثانى ، ومثله قول الأمير أبى الفضل الميكالى [من الخفيف] :

إنّ لى فى الهوَى لساناً كَتوماً وفؤاداً يخفى حريقَ هوَاهُ
غـيرَ أنى أخافُ دَمعى عليهِ سترَاهُ يبدى الذى سترَاهُ

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٣ — ضرَائبٌ أبْدَعْتَهَا فى السماحْ
فلسنا نرَى لكَ فيها ضَريباً

البيت نسبه للبحترى غالبُ شراح التلخيص ؛ وليس الأمر كذلك ، وإنمـا هو للسرى الرفاء ، وقد سَرق معناه من بيت البحترى ، فلذا سبق الوهم إلى نسبته إليه ، و بيت البحترى لفظه [من المتقارب] :

بَلَوْنا ضرَائبَ مَنْ قد نرَى فما إن رَأينا لفتح ضريبَا

وهو من قصيدة (١) من المتقارب يمدح بها الفتح بن خاقان ، أولها :

لوَتْ بالسـلام بناناً خضيباً ولحظاً يشوقُ الفؤادَ الطرُوبَا
وَزَارَتْ على عجلٍ فاكتسى لزوْرَتها أبرَقُ الحزْنِ طيبَا (٢)
فـكانَ العبـيرُ بهَـا وَاشياً وجَرْسُ الحـلىِّ عليها رَقيبَا

وهى طويلة .

و بيت السرى الرفاء من قَصيدة يمدح بها أبا الفوارس سلامة بن فهد . أولها :

تعنفنى إن أطلتُ النحيبَا وأسبلتُ للعين دمعاً سكوبَا
وَأوْفى المحبين فى نحبـهِ محبٌّ بكى يومَ بينٍ حبيبَا

(١) اقرأها فى الديوان (١ — ٥١)
(٢) فى الأصل « أبرق الجيد » وما أثبتناه عن الديوان .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

دَعَا دَمعـهُ ودعتْ دَمعها فبَلَّلَ منها ومنـهُ الجيوبَا
غداة رمتهُ بسهم الجفونِ ومدّتْ إليهِ بناناً خضيبَا
وعهّدى بها لا تديمَ الصدودَ ولا تتَجَنَّى علىّ الذنوبَا
ليـالىَ لا وصـلُنا خلسةٌ نراقب للخوف فيها الرَّقيبَا
ولا برق لذاتنـا خُـلَّبٌ إذا ما دعونا لوصلٍ خَلوبَا
وكم لى وللبـين من مَوْقفٍ يميت بلحظ العيون القلوبَا
إذا ما انتَضَى اللَّحظ أسيافَهُ تدرعتُ للصبرِ بُرْداً قشيبَا

ومنها فى المديح :

فكم لك من سُؤددٍ كالعبيرِ أصابَ من المدح ريحاً جنوبَا
ورأىٍ يكَشفُ ليلَ الخطُوبِ ضياء إذا الخطْبُ أعيا اللبيبَا
ومُشتمـلٍ بنِجَاد الحسـامِ يحل شبَا الحرب بأساً مُهيبَا
مـلأتَ جوانبَهُ رهبةً فأطرق والقلب يُبدى وجيبَا
كسَوْت المكارم ثوب الشباب وقد كن أُلبسْنَ فينا المشيبَا

و بعده البيت ، و بعده :

تخلَّصْتنى من يَدِ النـائباتِ وأحللتنى منكَ ربعاً خصيبَا
وملَّكتَ مدحى كما ملـكت بنو هاشم بُرْدها والقَضيبَا
وإنى لوارِدُ بحر القريضِ إذا ورد المـادحونَ القَليبا
ولستُ كمن يسترد المديح إذا ما كساه الكريمُ المشيبَا
يحلِّى بمدحتهِ غـيرَهُ فيمسى محلى و يُضحى سليبَا

وقد استعمل السرى معنى البيت المستشهد به ، فقال يمدح ابن فهد أيضاً [من الوافر]:

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

سَمَتْ بأبي الفوارسِ في المعالى ضَرَائبُ مَائَلٌ فيها ضريبُ

والضرائب : جمع ضريبة ، وهى الطبيعة التى ضُرب الرجل وطبع عليها ، والضريب : المِثْيل .

والشاهد فيه : مجيء الملحق بالمتجانس الآخر فى صدر المصراع الأول .

ومثله قول عبد الرحيم بن محمد بن يوسف السنهورى الخطيب [من الكامل] :

تُبْدِى ضُرُوب محاسنٍ لسنانرَى بين الوَرى يوماً لهن ضَرِيبا

ومنه قول بعضهم [من السريع] :

ثلْبُكَ أهْلَ الفضل قد دلنى أنك مَنْقُوصٌ ومثلوبُ

ترجمة السرى الرفاء

والسرى[1] هو [ابن][2] أحمد الكندى المعروف بالرفاء ، قال الثعالبى فى حقه : السرى ، وما أدراك ما السرى ، سرى كاسمه ، صاحب سر الشعر ، الجامع بين نظم عقود الدر والنفث فى عقد السحر ، ولله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ، وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق فى كعبة الظرف[3] ، وكتبت من ذلك محاسن وملحا ، وبدائع وطرفا ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح .

---

(١) انظر ترجمه السرى الرفاء فى وفيات الأعيان لابن خلكان (١-٣٥٨ النيل) وفى معجم الأدباء لياقوت (١١-١٨٢ - ١٨٩ مصر) ثم انظر ترجمة مطولة له فى يتيمة الدهر (٢-١٠٣ مصر) .

(٢) زيادة لا بد منها ، ففى يتيمة الدهر « السرى بن أحمد الكندى » وفى معجم الأدباء لياقوت « السرى بن أحمد بن السرى أبو الحسن الكندى المعروف بالسرى الرفاء » وفى الوفيات « أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء الموصلى الشاعر المشهور » .

(٣) فى اليتيمة « ويعلق فى كعبة الفكر » وهو أنسب بسجع الثعالبى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بلغنى أنه أسلم صبياً فى الرفائين بالموصل ، فكان يرفو و يطرز إلى أن قضى با كورة الشباب وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه وذكر أن صديقاً كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل فى [سوق] (١) البزازين يطرز فكتب إليه يقول [من السريع] :

يكفيك من جملة أخبارى ... يُسْرى من الحُبِّ وإعْسَارى
فى سوقةٍ أفضلهم مرتَدٍ ... نقصاً ففضلى بينهم عارى
وكانت الأبرةُ فيما مَضَى ... صائنةً وجهى وأشعارى
فأصْبَحَ الرزق بها ضيقاً ... كأنه من ثُقْبها جارى

قال : ولم يزل السرى فى ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب ، واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، و بعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بنى حمدان ورؤساء الشام والعراق ولما توفى سيف الدولة ورد السرى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى وغيره من الصدور فارتفق بهم ، وارتزق منهم ، وسار شعره فى الآفاق ، ونظم حاشيتى الشام والعراق ومن ملحه قوله من قصيدة(٢) [من الطويل] :

عليلة أنفاس الرِّياحِ كأنما ... يعل بماء الورد نرْجِسُهَا الندِى
يشُقُّ جيوبَ الوردِ فى شجَراتها ... نسيمٌ متى ينظر إلى الماء يبرد
و يادِيرها الشرقى لازال رائحٌ ... يحل عقود المزن فيك و يغتدى

وقال [من الكامل] :

تلك المكارمُ لا أرى متأخراً ... أولى بها منهُ ولا متقدّما
عفواً أظَلَّ ذوى الجرائم ظلُّهُ ... حتى لقد حَسَدَ المطيعُ المجرما

---

(١) زيادة عن اليتيمة

(٢) وقع ثالث هذه الأبيات فى اليتيمة أولها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وهو من قول أبي تمام :

وتكفَّلَ الأيتامَ عن آبائهم حتى وددنا أننا أيتامُ

وقال من قصيدة أيضاً [من الوافر] :

لياليَنا بأحناء الغميمِ سُقيتِ ذَهاب مُذْهبة الهموم(١)
مضَتْ بك رأفة الأيام فينا وغفلةُ ذلك الزَّمن الحليمِ
وكنا منك في جنات عيشٍ وَفَتْ حُسْناً بجنات النعيمِ
رياضُ محاسنٍ وسنا شموسٍ وظلُّ دساكرٍ رجنى كرومِ
وأجْفَانٌ إذا لحظت جسوماً خلَعْنَ سقَامهن على الجسومِ

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حُسْنَ الرُّسُوم وما تَمَشَّى إليها الدَّهْرُ في صور البِعَادِ
وإذ طَيْرُ الحوادث في رُباها سواكنُ وهي غَنَّاء المرادِ
مذاكي حَلْبةٍ وشَروب دَجْنٍ وسامر فتيةٍ وقدورُ صادِ
وأعين ربْرَبٍ كحلت بسحرٍ وأجسادٌ تَضَمَّخُ بالجسادِ

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز [الجرجاني](٢) حيث قال [من الوافر] :

وأجفانٍ تروى كلَّ شيء سوَى قلبٍ إلى الأحباب صادِ
بذاك جُزيتُ إذ فارقت قوماً لبست لبينهم ثوبَيْ حِدادِ

---

(١) في اليتيمة «لياليَنا بأحياء الغميم» وأحسبه محرفاً عما هنا وفيها «سقيت ذهاب مذهبة الغيوم»

(٢) زيادة عن اليتيمة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مَعَادِنُ حكمةٍ وغيوثُ جَدْبٍ وأنجُمُ حيرةٍ وصُدُور نادِ

وقال السرى الرفاء [من البسيط] :

وفِتيةٍ زهرُ الآداب بينهمُ أبهى وأنضرُ من زهر الرياحين

مَشَوْا إلى الرّاح مشى الرخ وانصرفوا والراحُ تمشى بهم مشى الفرازين (١)

وقال فى معناه أيضاً [من السريع] :

راحُوا عن الرّاحِ وقد أبدلوا مشىَ الفرازين بمشى الرُّخاخ (١)

وقال فى قلب معناه ، ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يُبْدِى لعَيْنِكَ كلما عاينتهُ قِرْنين جالا مُقْدِماً ومُخاتلا

فكأن ذا صاح يسيرُ مقوماً وكأن ذا نَشْوَان يخطرُ مائلا

ومحاسنه كثيرة ، وقد ضمنت هذا المؤلف منها ما فيه مستمتع ، إن شاء الله تعالى ! ومن شعره [من الطويل] :

رأيتُكَ تبنى للصَّدِيق نوافذاً عدوُّكَ من أوصابها الدهرَ آمِنُ

وتكْشِفُ أسرار الأخلاء مازحاً ويارُبَّ مزحٍ عاد وهو ضَغَائِنُ

سأحْفَظُ ما بينى و بينَكَ صائناً عُهُودَكَ، إن الحرَّ للعهد صائِنُ

فألقاكَ بالبشْرِ الجميل مُدَاهناً ولى منك خل ما علمتُ مُدَاهِنُ

أنَمُّ بما استودعتهُ من زجاجةٍ ترى الشىء فيها ظاهراً وهو باطِنُ

(١) الرخ : قطعة من قطع الشطرنج تسير فى اعتدال من الجوانب الأربعة لا تقف عند حد ، والمراد بمشيتها هنا الاعتدال ، والفرازين : جمع فرز ، وهى الوزير فى لعبة الشطرنج ، وتسير فى كل اتجاه من غير حد ، والمراد هنا المشى على غير اعتدال .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٤ — إذا المرء لم يَخْزُنْ عَلَيْهِ لِسَانَهُ فلَيْسَ على شيء سِوَاهُ بخَزَّانِ

البيت لامرىء القيس، من قصيدة من الطويل[1] أولها:

قفانَبْكِ من ذكرى حبيبٍ وعِرفان ورسْمٍ عفَتْ آياتُه منـذ أزمانِ
أتَتْ حجَجٌ بعدى عليها فأصْبَحَتْ كخط زَبُورٍ فى مَصَاحِفِ رُهْبَانِ[2]
ذكَرْت بها الحيَّ الجميع فَهَيَّجَتْ عقابيلَ سُقْمٍ من ضميرٍ وأشْجَانِ
فَسَحَّتْ دموعى فى الرداءِ كأنَّها كلى من شَعيبٍ ذات سَحٍّ وتَهْتَانِ[3]

وبعده البيت، وبعده:

فاما تَرَيْنِى فى رحـالةِ جابِرٍ على حَرَجٍ كالقُرِّ تَخْفِقُ أكفانى
فيارُبَّ مكْرُوبٍ كَرَرتُ وراءهُ وعانٍ فَكَكتُ القيدَ عنه ففَدَّانى[4]
وفتيانِ صِدْقٍ قد بعثْتُ بسُحْرَةٍ فقاموا جميعاً بين عاثٍ ونَشْوَانِ[5]
وخَرْقٍ بعيدٍ قد قطعْتُ نياطَهُ على ذات لوثٍ سهوةالمشى مذعانِ

ومعنى البيت: إذا لم يخزن المرء لسانه على نفسه ولم يحفظه مما يعود ضرره إليه فلا يخزنه على غيره ولا يحفظه مما لا ضرر له فيه.

والشاهد فيه: مجىء الملحق الآخر فى حشو المصراع الأول.

---

(١) اقرأها فى الديوان (١٨٤ مصر) وفى شعراء النصرانية (٦٦ بيروت)

(٢) فى شعراء النصرانية: «أتت حجج بعدى عليه» والضمير للرسم، وفى الديوان مثل ما هنا، ومن رواه «عليها» فانما أعاد الضمير على الآيات

(٣) فى الأصل* فسحت دموعى فى الردى فكأنها* وما أثبتناه موافق لما فى الديوان وشعراء النصرانية

(٤) فى شعراء النصرانية «فـكـكت الـكبل» وفى الديوان «فـكـكت الغل» ومعنى الجميع واحد.

(٥) يروى «عاث وسكران»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٨٥ — لو اختَصَرْتُمْ مِنَ الاحْسَانِ زرتكُمُ
والعَذْبُ يهجَرُ للافرَاطِ فى الخصَرِ

البيت لأبى العلاء المعرى ، من قصيدة(١) من البسيط ، يمدح بها أبا الرضاء المصيصى أولها:

يا ساهِرَ البرقِ أيقظ راقِدَ السَّمُرِ ... لعل بالجزع أعوانًا على السهرِ(٢)
وإن بَخِلتَ على الأحياء كلهم ... فاسقِ المواطِرَ حيًّا من بنى مَطَرِ(٣)
ويا أسيرة حجْلَيها أرى سفهًا ... حمل الحلىِّ لمن أعيا عن النَّظَرِ
ماسِرْتُ إلا وطيفٌ منك يَصْحَبُنى ... سُرًى أمامى وتأويباً على أثرى
لو حطَّ رحلىَ فوق النجم رافعُهُ ... ألفيت ثَمَّ خيالاً منك منتظرى(٤)
يوَدّ أن ظلامَ الليـل دامَ لهُ ... وزيدَ فيه سَوَادُ القلب والبَصَرِ(٥)

وبعده البيت ، وبعده :

---

(١) اقرأها فى سقط الزند (التنوير ١/٣٠ بولاق) و (ص١١٤ من القسم الأول من طبعة دار الكتب المصرية) .

(٢) فى الأصل « أيقظ ساهر السمر » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط والسمر : ضرب من الشجر يعظم ويطول ، والجزع : منعطف الوادى ، والمعنى أن صاحبه نام فى ظل السمر وترك مساعدته لقلة رعايته فطلب إلى البرق أن يكثر من دويه ليوقظه

(٣) فى السقط « وإن بخلت عن الأحياء » وفى الأصل « فاسق المواطن » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط وهو الجارى على طريقة أبى العلاء من جناس الاشتقاق .

(٤) فى الأصل « لوحط قدرى » وأثبتنا ما فى السقط .

(٥) قال التبريزى : إنما يود الخيـال أن يدوم له الظلام ويزاد فيه سواد القلب والبصر ليكون سببا لئلا يفارقه .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أبَعْدَ حَوْلٍ تناجى الشوقَ ناجيةٌ ... هلاَّ ونحنُ على عَشْرٍ من العُشَرِ (١)

كم بات حولك من ريمٍ وجؤذرةٍ ... يستَجْدِيانك حُسْنَ الدَّلِّ والحور (٢)

فما وهبت الذى يَعْرِفن من خِلَقٍ ... لـكن سمحت بما ينكرنَ من دُرَرِ

وما تركت بذات الضَّال عاطلةً ... من الظباء وَلا عارٍ من البَقَرِ

قَلَّدتِ كلَّ مَهَاة عقْدَ غانيةٍ ... وفزتِ بالشكر فى الآرام والعُفُرِ

وربَّ ساحبِ وَشْيٍ من جآذرها ... وكان يرفل فى ثوبٍ منَ الوَبر

حَسَّنْتِ نظم كلامٍ توصفين به ... ومنزلا بكِ معموراً من الخَفَرِ

فالحسن يظهر فى شيئين رونقهُ ... بيتٍ من الشِّعْر أو بيت من الشَّعَرِ

وهى طويلة ، ومنها :

ماجَتْ نُمير فهاجتْ منكَ ذا لبَدٍ ... واللَّيثُ أفتكُ أفعالا من النّمرِ

همُّوا فأمُّوا فلما شارفُوا وقَفُوا ... كوَقفة العَير بينَ الوِردِ والصَّدَرِ

وأضعفَ الرعبُ أيديهم فطعنُهمُ ... بالسمْهَرِيّة دُونَ الوخْز بالإِبَرِ

تُلقِى الغوَانى حفيظ الدرّ من جزَعٍ ... فيها وتُلقى الرِّجالُ السَّردَ من خوَرِ (٣)

فكم دِلاصٍ على البطحاء ساقِطَةٍ ... وكم جُمَان مَعَ الحصباءِ مُنتثرِ

الخصر ـ محركة ـ البرد، والمعنى أن بعدى عنكم إنما هو لـكثرة إنعامكم على

---

(١) فى الأصل « أبعد جى تناجى الشوق » وهو محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى السقط .

(٢) فى السقط « من ريم وجازية » والجازية : البقرة الوحشية .

(٣) فى السقط « من جزع عنها » وحفيظ الدر : الذى يحتفظ به منه ويصان وينفس ، والسرد : الدروع ، والخور ـ بفتح الخاء والواو ـ الضعف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فيه : مجيء أحد الملحقين فى آخر البيت والآخر فى حشو المصراع الأول .

ومعنى البيت مأخوذ من قول البحترى السابق فى ترجمته ، وهو هذا [من الكامل] :

أخجلتنى بندى يديك فسودت ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتنى بالوصل حتى إننى متخوف أن لا يكون لقاء

وفى معناه قول دعبل الخزاعى [من الكامل] :

أصلحتنى بالبر بل أفسدتنى وتركتنى أتسخط الاحسانا

وقول عبدالجليل بن وهبون المرسى [من البسيط] :

قل للرشيد وقد هبت عوارفه أسرفت يا ديمة المعروف فاقتصدى
أشكو إليك الندى من حيث أشكره لو فاض فيضاً على البحرين لم يزد

وهو معنى مطروق تداوله الشعراء وأكثروا من استعماله ، فمنهم من يستوفيه ومنهم من يقتصر فيه

وقد ضمن السراج الوراق عجز بيت أبى العلاء المعرى هذا فقال [من البسيط] :

لكم أيادٍ عذابٌ لى موارِدُها والوفدُ منهنّ بين الورْدِ والصدر
والبردُ يمنعنى منها على ظمئى والعذْبُ يهجرُ للافراطِ فى الخصرِ

ورأيت فى بعض كتب الأدب أن ابن عمار اجتاز على أكرم أهل زمانه ، وأعلم وقته وأوانه ، الوزير أبى محمد بن القاسم الفهرى ، فما عرّج عليه ، فعتب عليه بسبب ذلك ، فكتب إليه [من البسيط] :

لم يثْنِ عنك عِنانى سلْوة خطرت على فؤادى ولا سمعى ولا بصرى
وقصْرُك البيْتُ لو أنى قضيْتُ به حجّى ، وكفُّك منه موضعُ الحجرِ
لكنْ عدتنى عنكم خجْلة سلفتْ كفانىَ القوْلُ فيها قول معتذرِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لو اختصرتم من الاحسان زُرْتكم والعَذْبُ يُهْجَرُ للافراطِ فى الخصر

* * *

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٦ — فَدَعِ الوَعِيدَ فَمَا وَعِيدُكَ ضائرى أطَنِينُ أجْنِحَةِ الذُّبابِ يَضيرُ

البيت من الكامل ، ولا أعرف قائله ، ونسبه صاحب الدر الفريد لعبدالله ابن محمد بن عيينة المهلبى ، قال : وكان على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه دعا عبدالله هذا إلى نصرته حين ظهرت المبيِّضَةُ فلم يجبه ، فتوعده على ، فقال عبد الله:

أعلىٌّ إنكَ جاهِلٌ مغرُورُ لا ظُلْمَةٌ لكَ لا ولاكَ نورُ

أبَعْثَ توعِدُنى أنِ استبطأتنى إنِّى بحَرْبِك ماحييتَ جديرُ

وبعده البيت ، وبعده :

وإذا ارتحَلْتَ فإنَّ نصرى للأولى أبوَاهُمُ المَهْدِىُّ والمنصورُ

بُنيتْ عَليهِ لحُومُنَا ودماؤنا وعلَيْهِ قُدِّرَ سَعيُنا المشكورُ

والضير : الضرر

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى آخر المصراع الأول

وفى معنى البيت قول أبى فراس الحمدانى [من الطويل]:

ورُبَّ كلام مرَّ فوقَ مَسامعى كما طَنَّ فى لوح الهجير ذُبابُ

ولبعض الأعراب [من الكامل] :

أوَ كلما طَنَّ الذُّبابُ زَجَرْتُهُ إن الذُّبابَ إذَنْ علىَّ كريمُ

ولبعضهم أيضا [من الطويل] :

فما كل كلبٍ نابحٍ يستفزُّنى ولا كلما ظَنَّ الذُّبابُ أُراعُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد رد العجز على الصدر أيضا

١٧٧ — وقَدْ كانَتِ البِيضُ القَواضِبُ فِي الوَغَى بَوَاتِرَ فَهِيَ الآنَ مِن بَعْدِهِ بُتْرُ

البيت لأبى تمام من قصيدة(١) من الطويل يرثى بها محمد بن حميد ، وتقدم ذكر مطلعها فى شواهد التدبيج(٢) ومنها قبل البيت(٣)

فَتًى سلبَتْهُ الخيلُ وهو جمالُها وبزته نارُ الحرْب وهْوَ لَهَا جَمْر

قضى طاهرَ الأثوابِ لم تَبْقَ بقعةٌ غداة ثوى إلا اشتَهَتْ أنها قبر(٤)

والبواتر : السيوف القواطع، والبتر : جمع أبتر ، وهو المقطوع

والمعنى : لم يبق بعده من يستعملها استعماله

والشاهد فيه : مجىء الملحق الآخر فى صدر المصراع الثانى ، والله أعلم

* * *

شاهد التسجيع

١٧٨ — تَجَلَّى بِهِ رُشْدِى، وأثْرَتْ بِهِ يدِى وفاضَ بِهِ ثَمْدِى، وأوْرَى بِهِ زَنْدِى

البيت لأبى تمام أيضاً من قصيدة من الطويل (٥) يمدح بها نصر بن منصور ابن بسام الكاتب، وأولها :

أأطلالَ هندٍ طالَمَا اعتضْتِ من هندِ أقايضتِ حُورالعين بالعُور والرُّمد(٦)

(١) انظرها فى الديوان (٣٦٨ بيروت) وفيه أن القصيدة فى رثاء بنى حميد : محمد وقحطبة وأبى نصر .

(٢) ارجع إلى (ج ٢ ص ١٧٨ من هذا الكتاب)

(٣) البيتان ليسا متصلين فى الديوان، والذى فيه أولها و بعده بيت الشاهد ثم بعد ثمانية أبيات ثانى هذين البيتين .

(٤) فى الديوان « مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة »

(٥) انظرها فى الديوان (١١٤ بيروت)

(٦) فى الديوان « ساء ما اعتضت من هند» وهو الصواب وفيه «بالعور والربد »وانظر هذا المطلع فى الموازنة (٤٢٥ بتحقيقنا)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إذا شِئْنَ بالألوَان كُنَّ عِصابةً ... منَ الهِندِ والآذان كُنّ من الصُّعْدِ(١)
أعجْنَا عَليكَ العيسَ بَعدَ مَعاجها ... عَلى البيضِ أتراباً على النُّؤى والوتْدِ(٢)
فلاَ دمعَ أو يقْفُو على إثْره دمٌ ... ولا وجدَ مالم تَعْيَ عن صفَة الوجد(٣)

ومنها فى وصف الممدوح :

فتى جُوده طَبعٌ ولَيْسَ بِحافلٍ ... أفى الجور كان الجُودمنهُ أو القَصْدِ(٤)
إذا طَرَقتْهُ الحَادثات بِنـكبةٍ ... تَخَضْنَ سقَاءً منهُ ليس بذِى زُبد(٥)
ونبهْنَ مِثلَ السَّيف لو لم تَسلّه ... يَدان لسلَّتْه ظُباه من الغِمْدِ
سأحمَدُ نَصراً ماحييتُ و إنَّنِي ... لأعلم أن قَدْ جلّ نصْرٌ عن الحمد(٦)

و بعده البيت ، و بعده :

فانْ يَكُ أربى عَفْوُ شكرى على ندَى ... أُناسٍ فقَدْ أربى نَداهُ على جَهْدِى

والرشد: الهداية، والثروة : كثرة العدد من الناس والمال، والثمد ـ بسكون الميم وتحرك ـ الماء القليل لامادة له، أو مايبقى فى الجلد ، أو مايظهر فى الشتاء و يذهب فى الصيف ، والرواية فى ديوانه بلفظ « بحرى » بدل ثمدى(٧) ومعنى « أورى به زندى » صارذا وَرْيٍ ، وهو عبارة عن الظفر بالمطلوب .

---

(١) فى الأصل « والآذان كن من العقـد » وما أثبتناه عن الديوان . والصعْد ـ بضم فسكون ـ موضع بسمر قند

(٢) فى الديوان « لعجنا » بلام الجواب ، وفيه « من النؤى والود » بفتح الواو وتشديد الدال ، وهى لغة فى الوتد قلبت فيها التاء دالا ثم أدغمت .

(٣) فى الديوان « فلا دمع ما لم يجر فى إثره دم »

(٤) فى الديوان « فليس بحافل » وهى أدق معنى .

(٥) فى الديوان « إذا مخضته الحادثات »

(٦) انظر نقد هذا البيت فى الموازنة (١٨٣ بتحقيقنا)

(٧) فى نسخ الديوان التى بين يدى كما فى البيت المستشهد به « وفاض به ثمدى » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فيه: مجيء السجع فى النظم

ومن الشواهد عليه قول أبى الطيب المتنبي [من البسيط]:

فنَحْنُ فى جذَلٍ، والرُّوم فى وَجَلٍ، والبرُّ فى شغُلٍ، والبحرُ فى خَجَل

* * *

١٧٩ — تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ، باللهِ مُنْتَقِمٍ، للهِ مُرْتَقِبٍ، فى اللهِ مُرْتَغِبِ

شاهد التشطير

البيت لأبى تمام أيضاً، من قصيدة من البسيط(١) يمدح بها المعتصم بالله حين فتح عمورية، أولها:

السَّيفُ أصدَقُ أنباءً من الكتُبِ ... فى حدِّه الحدّ بين الجِدّ واللَّعِبِ

بيضُ الصفائح لا سودُ الصحائف فى ... متونهن جلاءُ الشك والرِّيبِ

والعِلْمُ فى شُهُبِ الأرماح لامعةً ... بين الخميسين لا فى السبعة الشُّهُبِ(٢)

أين الرِّوَايةُ أو أين النجومُ وما ... صاغوه من زُخْرُفٍ فيها ومن كذبِ(٣)

تخرُّصاً وأحاديثاً مُلفَّقةً ... ليست بِنبعٍ إذ عُدَّت ولا غَرَبِ

عجائباً زَعموا الأيام مُجْفِلَةً ... عنهنَّ فى صفرِ الأصفار أو رجبِ

وخوَّفوا الناس من دهياءَ داهيةٍ ... إذا بدا الكَوْكبُ الغربى ذو الذنبِ

وصيَّرُوا الأبرُجَ العُليا مُرتبةً ... ما كان مُنقلباً أو غير مُنقلبِ

يقضُونَ بالأمرِ عَنْهَا وَهْىَ غافلةٌ ... ما دار فى فَلَكٍ منها وفى قُطُبِ

لو بَيَّنت قط أمراً قبل موقعِهِ ... لم يَخْفَ ماحلٌ بالأوثان والصُّلُبِ

---

(١) انظرها في الديوان (٧ بيروت).

(٢) فى الأصل «والعلم فى شهب الأرماح» وها أثبتناه عن الديوان.

(٣) فى الديوان «بل أين النجوم».

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فَتْحُ الفُتوح تعالى أن يُحيطَ بهِ نَظْمٌ من الشِّعْرِ أو نثرٌ من الخطبِ
فتح تفَتَّحُ أبوابُ السَّماء له وتبرز الأرض فى أثوابها القُشُبِ

وهى طويلة بديعة ، وأشار بمطلعها إلى كذب المنجمين ، فانهم كانوا أجمعوا على أنها لا تفتح فى تلك الغزاة ، فيسر الله تعالى ذلك وأكذبهم .

والمرتغب فى الله : الراغب فيما يقربه من رضوانه ، والمرتقب : المنتظر للثواب الخائف للعقاب .

والشاهد فيه : التشطير ، وهو : جعل كل من شطرى البيت سجعة مخالفة لأختها ، وهو ظاهر فيه .

ومنه قول مسلم بن الوليد فى قصيدته السابقة فى تجاهل العارف [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَجٍ ، فى يوْمِ ذِى رهجٍ ، كأنهُ أجلٌ ، يسعى إلى أملِ

وقول ذى الرمة [من البسيط] :

كحلاء فى برَجٍ ، صفراء فى نعج كأنها فضةٌ قَدْ مَسَّهَا ذَهَبُ

وقول كشاجم(١) [من الوافر] :

هلالٌ فى إضاءته حياءٌ شهابٌ فى سماحته اتِّقادُ

وقول ديك الجن [من الكامل] :

حرّ الإهابِ وسيمه ، برُّ الأيا بِ كريمه ، محْضُ النِّصابِ صميمهُ

وقول الصفى الحلى [من البسيط] :

بكلِّ مُنتصرٍ ، لِلفتح مُنتظرٍ ، وكلِّ مُعتزمٍ ، بالحقِّ مُلتزمِ(٢)

---

(١) لعله قد سقط قرين لهذا البيت ، فانه لا يظهر فيه التشطير بالهيئة التى تراها فى كل ماذكر من الشواهد ، وإن كان فى قوله « هلال فى إضاءته ، شهاب فى سماحته » سجع على هيئة أخرى

(٢) فى الأصل « وكل مغترم » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى خزانة الحموى (٢١٥ بلاق)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول ابن جابر [من البسيط] :

يا أهلَ طيبةَ فى مغناكمُ قمرٌ ... يهدِى إلى كلِّ محمودٍ منَ الطرُقِ
كالغيثِ فى كرمٍ ، والليثِ فى حرمٍ ، ... والبدرِ فى أفقٍ ، والزهرِ فى خُلقِ

***

شاهد المائة

١٨٠ — مَها الوَحشِ إلاَّ أنّ هاتا أوَانسٌ
قنا الخطِّ إلاَّ أنَّ تلكَ ذَوابِلُ

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل (١) يمدح بها الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أولها :

متى أنتَ عنْ ذُهليةِ الحىِّ ذَاهلُ ... وقلبكَ منها مدَّةَ الدَّهر آهِلُ
تُطِلُّ الطلولُ الدَّمعَ فى كلِّ موْقفٍ ... وتمثـلُ بالصبرِ الدِّيارُ المـواثلُ
دوارسُ لم يجْفُ الرَّبيعُ رُبوعها ... ولا مرَّ فى أغفالِها وَهْوَ غافلُ
فقدْ سحبتْ فيها السحائبُ ذَيلها ... وقدْ أخملتْ بالنوْر منها الخمائلُ
تعفينَ منْ زادِ العُفاةِ إذا انتحى ... على الحىِّ صَرْفُ الأزمةِ المتحاملُ
لهمْ سلفٌ سُمرُ العوالى وسامرٌ ... وفيهمْ جَمالٌ لا يغيضُ وجامِلُ
ليالىَ أضْلَلْتَ العزاء وخَذَّلت ... بِعقلك آرامُ الظبـاء الخواذِلُ (٢)
منَ الهيفِ لوْ أنَّ الخلاخِلَ صُيرَتْ ... لها وُشُحاً جالتْ عليها الخلاخِلُ (٢)

و بعده البيت ، و بعده :

---

(١) انظرها فى الديوان (٢٥٥ بيروت)
(٢) فى الديوان : « وخزلت * بعقلك أرآم الخدور العقائل »
(٣) فى الموازنة (١٣٠ بتحقيقنا) نقد طويل لهذا البيت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

هَوًى كانَ خلساً، إنّ من أحسن الهوَى هوًى جُلْتُ فى أفنائه وَهْوَ خامل[1]

وهى طويلة .

ومها الوحش ـ بفتح الميم ـ بقره ، والخط هنا بفتح الخاء المعجمة وتكسر: مرفأ للسفن بالبحرين ، و إليه تنسب الرماح الخطية لأنها تباع به لالأنه منبتها .

والشاهد فيه : المماثلة ، وهى : أن يكون ما فى أحد الفقرتين أوشطرى البيت مثل ما يقابله من الآخر فى الوزن دون التقفية ، وقد تأتى ألفاظ المماثلة من غير قصد كقول امرىء القيس السابق فى التشبيه [من المتقارب] :

كأنّ المدامَ وصوْبَ الغمام وريح الخزامى ونشرَ العطر

ومن شواهد المماثلة على أصل الباب فى التزام الوزن دون التقفية قول الشاعر [من المتقارب] :

صفوح كريمٌ رَصينٌ إذا رأيتَ العُقولِ بدا طيشُها

نداه سحوحٌ على أنفسٍ بهِ اخضرَّ لما سقى عيشُها

والبيت الأول أردت، ومن أمثلة المماثلة قول البحترى [من الطويل] :

فاحجمَ لما لم يجدْ فيكَ مطمعا وأقدَمَ لما لم يجدْ عنكَ مهرَبا

وقول ابن هانىء الأندلسى [من الكامل] :

فإذا عفا لم يُلفَ غير مُملكٍ و إذا سطا لم يلق غيرَ مُعفِّر

وقول أحمد بن المغلس [من الخفيف]:

إنْ يواجهْ فطوْدُ حلمٍ ركينٌ أوْ يُفاوضْ فبحرُ علمٍ غزيرُ

أو يَجُدْ واهباً فغيث مطيرٌ أوْ يصلْ واثباً فليث هصورُ

وقول العثمانى أيضاً [من الكامل]:

---

(١) فى الديوان « هوى حلت فى أفيائه وهو خامل »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

سلسلْ خُطوطكَ ماغدا مُتسلسلاً شاطى الحمامِ الزُّرْق بالأغصانِ
واسجعْ بِشعركَ ماغدا مُتصلصلاً شادِى الحمامِ الوُرْق بالألحانِ

وقول الباخرزى من قصيدة نظامية [من الكامل] :

وافرحْ فما يلقى لسدِّكَ هادِمٌ وامرحْ فما يلقى لحدِّك ثالمُ
فإذا سخوْتَ فإنَّ سَيْبَكَ عارضٌ وإذا سطوْتَ فإن سيفكَ عارمُ
فلذاكَ تخشى منْ قناكَ مطاعنٌ ولذاكَ تُغشى منْ قِراكَ مطاعمُ

وقول الوزير محمد بن على بن حسول فى شكاية الأيام [من المجتث] :

أأسلمتْنِي وذنبي للشيبِ فيهِ افترَاقِي
منَ الظِّباء العوَاطى إلى الضباعِ العوَاقِي

وقول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

جاءتْ تجرّ فروعاً خلْفَ ذِى هيفٍ وبلَّغتْ صبَّها منْ لثمها الأملا
فأرسلتْ غسَقاً وأطلعتْ قمرا وألثمتْ بَرَداً وأرْشفَتْ عسلاَ

وقوله أيضاً [من البسيط] :

تبسَّمتْ فتباكى الدُّرُّ منْ وجلٍ وأقبلتْ فتولَّى الغصنُ ذا عجبِ
تفترّعنْ حَبَبٍ يبدُو على ذَهَبٍ يُهديكَ مِنْ شَنَبٍ ضرْباً من الضَّرَبِ

* * *

١٨١ — مودّتهُ تدومُ لكلِّ هوْلٍ وهلْ كلُّ مودّتهُ تدومُ

شاهد القلب

البيت للأرجانى، من قصيدة من الوافر[1]، يمدح بها نجم الدين أبا عبد الله الفضل بن محمد بن الفضل بن محمود، أولها :

لأىٌّ وميض بارقةٍ أشيمُ ومَرْعَى الفضل فى زَمنى هَشيمُ

(١) اقرأها فى الديوان (ص ٣٧٠ بيروت)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أسِيتُ وخدُّ ليل الشِّعر منى بكفِّ الصبح من شيبي لطيم[1]
وضمَّ إلىّ أفكارى جناحى فلى فى عُشّ مُطرَحى جُثُوم[2]
فعذْراً إنْ تغيرَ عهدُ شِعرى وقدْ يُغضى على الزللِ الحليمُ
وما قصرْتُ عنْ شأوٍ ولكنْ سقيمٌ كلُّ ما نظم السقيمُ

إلى أن قال :

أحِبُّ المرْء ظاهرُهُ جميلٌ لصاحبهِ وباطنهُ سليمُ
يؤوّل دعوَتى ويجيبُ طوْعاً إذا ما عنَّ لى شرَفٌ مرُومُ
وفى الفتيانِ كل ربيطِ جأشٍ يرَى حرْبَ الزمانِ ولا يَخِيم

وبعده البيت .

والشاهد فيه : القلب ، ويسمى المقلوب ، والمستوى ، وسماه الحريرى بما لا يستحيل بالانعكاس ، وهو : أن يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده ، وغايته: أن يكون رقيق الألفاظ، سهل التركيب، منسجما فى حالتى النظم والنثر .

وقد انعقد الاجماع على أن أبلغ الشواهد عليه هذا البيت لما حوى من رقة الألفاظ وانسجام المعانى .

قال أبو جعفر الأندلسى : وأسهل منه قول بعض المتأخرين [من الخفيف]:

نالَ سرَّ العلا بما قدْ حواهُ أوْحدٌ قامَ بالعلا رسلانُ

وفيه نظر لايخفى .

ومن الشواهد المقبولة عليه قول الشاعر أيضاً [من الرمل] :

عُجْ تنم قُرْبكَ دعْدٌ آمناً إنما دَعْدٌ كبرْقٍ مُنتجعْ

وقول بعضهم أيضاً [من المتقارب] :

---

(١) أسيت : حزنت ، ووقع فى الأصول « أشب » محرفا ، وأثبتنا ما فى الديوان

(٢) هذا البيت لا يوجد فى الديوان المطبوع فى بيروت .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أراهُنَّ نادمْنهُ ليلَ لهوٍ وهلْ ليلهُنَّ مُدَانٍ نهارَا

وقول الحريرى من أبيات المقامات [من مجزوء الرجز] :

أُسْ أرْملاً إذا عَرَا وارْعَ إذا المرء أسا
أسنِدْ أخا نباهةٍ أبن إخاء دنسا
أسل جناب غاشمٍ مشاغب إن جلسا
أسر إذا هب مرا وارم به إذا رسا
أسكن تقو فعسى يُسعِفُ وقت نكسا

ومن القلب(١) قول سيف الدين المشد [من مجزوء الكامل] :

ليل أضاء هلالهُ أنى يُضىء بِكوكب

وقول الآخر [من المتقارب] :

أرَانا الإلهُ هلالاً أنارَا

وقول الصيرفى المغربى [من مجزوء الخفيف] :

قلقَتْ فيكَ هذهِ هذهِ كيْفَ تقلقُ
قرفت يمن ميسة هى من مى تفرق
فترَى لَحْنَ مُقتفٍ فتْقَ منْ حلَّ يرْتُقُ

وقول الصفى الحلى أيضاً [من المجتث] :

يَلذُّ ذُلى بِنِضْوٍ لَوْ ضَنَّ بى لذَّ ذُلى

(١) القلب فى هذا البيت فى كل كلمة منه على حدتها : فليل ، وأضاء ، وهلاله ، وأنى ، ويضىء ، وبكوكب ، كل كلمة من هذه الكلمة تنقلب كطردها .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يلمُّ شملى لِحُسْنٍ إن سحَّ لى لمَّ شملى

وقول الحسن(١) النظيرى النحوى الملقب بذى اللسانين [من الوافر] :

لسيِّدنا الامامِ أبى المطَهَّرْ فضائلُ أربعٌ كالزَّهرِ تُزْهِرْ
ضياء فائض ، رأى عيار ، عطاء ساطع ، رهطٌ مُطَهَّرْ

وقول ابن خروف(٢) النحوى [من الرمل] :

واشربوا كلَّ صباحٍ لبناً واشربوا كلَّ أصيلٍ عسلاَ
واعكسوا ذاكَ إلى أعدائكمْ من قسىِّ النبعِ أوْ رُقْشِ الفلا

وقول بعض المغاربة [من السريع] :

قدْ أقبل الشهرُ وإقبالُهُ يأتى بما أُجرى ترْتيبه
فوجه البر فقلوبه يجزيك عن برك مقلوبه

وقول سيف الدين بن المشد ملغزا فى هاروت [من الرجز] :

ما اسمٌ إذا صحفْتهُ فهو نبىٌّ مرْسلُ
وهو إذا عكستهُ كتابهُ المنزَّلُ

ومن القلب نوع آخر يقال له قلب الكلمات كقول الشاعر [من الكامل] :

عدَلوا فما ظلمتْ لهمْ دُولٌ سعدُوا فما زالتْ لهمْ نِعَمُ
بذلوا فما شحَّتْ لهمْ شيمٌ رفعوا فما زلَّتْ لهمْ قَدَمُ

---

(١) القلب فى ثانى هذين البيتين فى كل واحد من الأربعة ، فضياء فائض وحده ينعكس كطرده ، ورأى عيار وحده ينعكس كطرده ، وهكذا عطاء ساطع ، ورهط مطهر

(٢) العكس فى هذين البيتين فى كلمة «لبن» وكلمة «عسل» فمقلوب الأول «نبل» ومقلوب الثانى «لسع» ومن هنا تفهم معنى ثانى البيتين

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فهو دعاء لهم ومدح ، فاذا انقلبت كلماته صار دعاء عليهم وهجواً بأن يقال :

نعم لهم زالت فما سعدوا دول لهم ظلمت فما عدلوا

قدم لهم زلت فما رفعوا شيم لهم شحت فما بذلوا

* * *

شاهد التشريع

١٨٢ — يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيةَ إنها شركُ الرَّدى وقرارةُ الأكدار

البيت للحريرى من الكامل ، وبعده :

دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غداً تبًّالها من دار

وإذا أظلَّ سَحابُها لم ينتفع منهُ صدى كجهامه الغرّار

غاراتها ما تنقضى وأسيرُها لا يفتدَى بجلائل الأخطار

كم مُزْدَهٍ بغرُورها حتى بدا متمردا متجاوز المِقْدار

قلبت له ظَهر المجن وأولَغَتْ فيه المُدَى ونزت لأخذ الثار

فاربأ بعمرك أن يمر مُضيعاً فيها سُدًى من غير ما استظهار

واقطعْ علائق حُبِّها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار

وارقب إذا ما سالمت من كيدها حَرْبَ العدا وتوثّبَ الغدار

واعلم بأن خطوبها تَفْجالو طال المدى ودنَتْ سرى الأقدار

والدنية : الخسيسة ، وشرك الردى : حبالة الهلاك ، وقرارة الأكدار : مقر الهموم والأوصاب المكدرة للعيش

والشاهد فيه : التشريع ، وسماه ابن أبى الأصبع « التوأم » وهو : بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما ، فهذا البيت وما بعده إذا أنشد على هيئته كان من ثانى الكامل ، وإذا أسقطت الجزءين الأخيرين منه كان من ثامنه فتبقى صورته

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يا خاطب الدُّنيا الدنية إنها شرك الرَّدى

ومن الواقع من كلام العرب فى هذا النوع قول بعضهم [من الكامل] :

وإذا الرِّياح معَ العشى تناوَحتْ هوجِ الرئال نكَبْنهُنَّ شمالاَ
ألفَيتنـا نَقرى العبيطَ لضَيْفِنَا قبلَ القتال ونَقتُلُ الأبطالا

فهذان البيتان إذا أنشدا تامين كانا من الضرب التام المقطوع من الكامل، وإذا اقتصرت على الرئال والقتال كانا من الضرب المجزوّ المرفل منه ، ولا شك أن هذا النوع لا يتأتى إلا بتكلف زائد وتعسف ، فانه راجع إلى الصناعة لا إلى البلاغة والبراعة، وأوسع البحور فى هذا النوع الرجز ، فانه قد استعمل تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا ومن أمثلته قول الأرجانى [من الرجز] :

صبٌّ مقيمٌ سائرٌ فؤَادُهُ طوعُ الهَوَى مَع الخليط المنجـدِ
غائبُ قلبٍ حاضرٌ وِدادُهُ لمن نأى فى عهـدِهم والمعْهَدِ
لهُ جَوًى مخامرٌ يعتـادهُ إذا اشتـكى طيفَ الـكرى فى العوّد
لصبرِهِ مكابرٌ إيقادُهُ حشوُ الهوَى بعـدَ الحسان الخرّدِ
وَدَمعُهُ مُكَاثرٌ اشتداده خوْفَ النوَى يقولُ للهَـمِّ ابعـدِ

وقول الحريرى أيضاً [من الـكامل] :

جُودِي علىَ المتحسرِ الصبِّ الجـوى وتعطفى بوصاله وَتَرَحَّمِي
ذا المبتلى المتفكر القلب الشجى ثما كتفى عنْ خاله لاتظلمِي

وقول ابن جابر الأندلسى [من الرجز] :

يرْنُو بطرَفٍ فاترٍ مَهـمارَنا فهـو المنَى لا أنتهى عن حبه
يهفو كغصن ناضرٍ حلو الجنى يشفى الضنى لاصبر لى عن قرْبه
لو كان يوما زائرى زال العنا يحـلو لنـاَ فى الحبِّ أن نسمى به

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أنزلته فِي ناظرِي لما دنَا قدْ سرَّنا إذ لم يَحُلْ عن صَبِّهِ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

منْ لى بآنسة تنا مُ لحاظها من غير نوم بلْ تَنِيهُ وتفتنُ
قالت ألستَ تخاف حيـن تزورنى سطوات قومى كم تبوحُ وتعلنُ
فأجبتها فى نيل وصْـلك لم أكنْ لأخَافَ لومى فهو عندى هَيِّنُ

وقول أبى جعفر الغرناطى [من الكامل] :

يا رَاحلا يبغى زيارة طيبـةٍ نلت المُنَى بزيارة الأخيـار
حىّ العقيق إذا وصلـت وَصِفْ لنا وادى منى يا طَيِّبَ الأخبار
وإذا وقفت لدى المعرّ ف داعياً زال العنَا وظفرت بالأوطَارِ

وقول الرشيد النابلسى [من الرجز] :

لم الحشى معذب مُوَجَّعُ على المدَى صبُّ الفؤاد مُغرمُ
بنـاره مُلتهبُ مُـلذَّعُ ماَ خمـدَا أوَارُهُ والضَّرَمُ
حُكِّم فيـه أشنبُ مُمنَّـعُ من الفـدَا فهوَ الأسيرُ المسلمُ
مبتعـدٌ مجتنبُ مُـودِّعُ تعـمـدَا وهوالغريب الأَمَمُ
زَمانـهُ تعتبُ وَوَلَـعُ قدْ أكمدا من عزَّ فهو يحكمُ
ما الحبُّ إلا لَهَبٌ وَمَدْمعُ تجَـددا وَلوْعـةٌ وَسَقَمُ
يا هلْ إليـه سبب مُمـتعُ يـولى يَداً مَنْ لُبُّهُ مُخترَمُ
ما أنا إلا أشْعبُ أو أطمَعُ فيما عـدَا فمـا إليـه سُلَّمُ

وقول ابن نقادة [من الرجز] :

جَمْرُ غرامى واقدُ يحكى لظى شراره فى القلب لَيْسَ ينطفى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ودمع عيني شاهد على الهوى مِدْرَارُهُ والوجْدُ مالا يختفي
والنوم عني شاردُ لا يُرْتَجَى مـزارُه فيالَضبٍ مُدْنَفِ
هل في الهوى مساعد لما عَنىَ إعْذَارُه في حب ظبي أهيفِ
مائلُ قدٍّ مائدُ إذا انثنى خَطَّارُهُ كالغُصنِ المهفهفِ
فلحظهُ لي صائد إذ ينتضى بَتَّارُهُ هل في الجنون مشرفي
قلبي عليه وَاجد لما نأى مـزَاره بين الأسى والأسفِ
أرغب وَهْوَ زاهد وَهو المنى أختاره من لي به فأشتفي
أسْهَرُ وهو راقد لما جفا نِفَارُهُ عرَّضني للتلف
وَجْدِي عليه زائد مِنَ الجوى إسعاره بين الدموع الذُّرَّف

وقول صلاح الدين الفواص ، ويقال : إن هذه القصيدة تقرأ على ثلثمائة وستين وجهاً [من البسيط] :

داء ثَوَى بفؤادٍ شَفَّهُ سـقم لمحتى من دواعي الهم والكمدِ
يا أضلُعي لهب تذكو شرارتُه من الضنى في محل الروح والجسد
يوم النوى طال في قلبي به ألم وحرقتي و بلائي فيه بالرصد
توجعي من جَوَى شبَّتْ حرارتُه مع العنا قدرتي لي فيه ذو الحسدِ
أصل الهوى مُلْبِسي وجداً به عدم لمهجتي من رشا بالحسن منفردِ
تتبعي وَجْهَ من تزهو نضارته لما جنى مورثي وَجْدًا إلى الأبَدِ

وهذا القدر من هذا النوع كاف .

*
* *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد لزوم مايلزم

سأشكرُ عمْراً إن تراخَتْ منيتي أيادِيَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلَّتِ

١٨٣ - فتًى غيرَ محْجُوبِ الغِنى عَنْ صديقه ولا مظْهِرِ الشكْوَى إذا النعْلُ زلَّت

رَأى خلَّتي من حيث يَخْفَى مكانُها فكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حتى تجلَّت

الأبيات [١] من الطويل، وقائلها عبدالله بن الزَّبير الأسدى فى عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنهما، وكان سببها ماحكاه أبو غسانة قال: بلغنى أن أول من أخذ نسيئةً فى الاسلام عمرو بن عثمان بن عفان، أتى عبدُالله بن الزَّبير الأسدى فرأى عمرو تحت ثيابه ثوبا رثًّا، فدعا وكيله وقال له: اقترض مالا، فقال: هيهات ما يعطينا التجار شيئاً، قال: فأربحهم ماشاءوا، فاقترض له ثمانية آلاف درهم باثنى عشر ألفاً، فوجَّهَ بها إليه مع تخت ثيابٍ، فقال عبدالله بن الزَّبير الأبيات.

ويحكى أن رسول سيف الدولة بن حمدان ورد على أبى الطيب المتنبى برقعة فيها البيت الأخير من هذه الأبيات وسأله إجازته، فأثبت فى الرقعة تحته [من الطويل]:

لَنَا مَلِكٌ ما يطعَمُ النَّوْمَ همُّهُ مَمَاتٌ لِحَيٍّ أو حياةٌ لِميِّتِ

ويكبر أن تقْذَى بشىء جفُونُهُ إذا ما رأتهُ خَلَّةٌ بكَ قرَّتِ

جزَى اللهُ عنِّى سيفَ دولة هاشمٍ فانَّ نَدَاهُ الغَمْرَ سَيْفِى ودَوْلَتِى

ومعنى «لم تمنن» لم تقطع ولم تخلط بمنة، وإن عظمت، وقوله «إذا النعل زلت» كناية عن نزول الشر وامتحان المرء، يقال: زلت القدم، وزلت النعل به، والخلة - بالفتح - الحاجة والفقر والخَصَاصة، وفى المثل «الخَلَّةُ تدعو إلى السَّلَّةِ» أى السرقة، والقذى: ما يقع فى الشراب

---

(١) اقرأ ثلاثتها فى مهذب الأغانى (٥-٢٢٦) وفى ديوان الحماسة (٤-١٤٣) وأولها وثانيها فى دلائل الاعجاز (١١٤) ووقع فى الأصول فى ثانى هذه الأبيات «فتى غير محجور الغنى» وأثبتنا ما فى الأمهات التى عندنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والشاهد فيها : لزوم مالا يلزم ، وهو هنا مجيء اللام المفتوحة المشددة قبل حرف الروى، وهو التاء ، وذاك ليس بلازم فى مذهب السجع لتحققه بدونه ، وفيها نوعان من لزوم مالا يلزم : أحدهما التزام الحرف ، والثانى فتحه ، وقد يكون الأول بدون الثانى ، و بالعكس

ومن شواهده قول امرىء القيس [من الطويل] :

فمثلكِ حُبلى قد طَرَقْتُ ومُرْضع فألهيتُها عَنْ ذى تمائم مُحْوِلِ
إذا ما بكى مِنْ خلفِها انحرفتله بِشِق وتحتى شِقُّها لم يُحَوَّلِ (١)

وما يقع من هذا الباب لمتقدم فهو غير مقصود منه ، وأما المتأخرون فقصدوا عمله ، وأكثروا منه ، حتى إن أبا العلاء المعرى عمل من ذلك ديواناً كاملا منفرداً عن ديوان شعره المعروف بسقط الزند ، ومنه قوله [من الطويل] :

لكَ الحَمْدُ أمواهُ البلادِ بأسرها عِذابٌ وخُصَّتْ بالمُلوحةِ زَمزمُ
هُوَ الحَظُّ عَيْرُ الوَحشِ يَستافُ أنفُهُ خُزامى وأنفُ العَوْدِ بالعُود يُخْزَمُ

ومن هذا المعنى قول أبى تمام الطائى [من المنسرح] :

والحظ يُعطاه غيرُ طالبِهِ ويُحرِزُ الدُّرَّ غيرُ مُجتلِبِهْ
تلْكَ بناتُ المخاض راتِعةٌ والعَوْدُ فى كُورِهِ وفى قَتَبِهْ

وقول الآخر [من المتقارب] :

أيا دَهرُ ويحَكَ ماذا الغَلَطْ لئيمٌ علاَ وكريمٌ هَبَطْ
حِمارٌ يُسيَّب فى رَوْضةٍ وطِرْفٌ بِلاَ علفٍ يُرْتَبَطْ

وقول الآخر [من الخفيف] :

رُبَّ عَيْرٍ يَرْعَى ويُعْلف فى المِصر وليثٍ يجُوعُ فى صَحْرَاءِ
وحشيش يَرْوى على ضِفَّة النهر ونَبْعٍ يظْما على غير ماءِ

وقول الهيثم النخعى [من البسيط] :

(١) الذى فى ديوان امرىء القيس وشروح المعلقات « انصرفت له »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قدْ يُرْزقُ الأحمقُ المأفونُ فى دعةٍ ... ويُحرمُ الأحوَذىّ الأريحبُ الباعِ
كذا السوام تصيبُ الأرض ممرعة ... وَالأسدُ مَرْتَعُهَا فى غيرِ إمراعِ

ولطيفٌ قولُ الشيْخ بدر الدين بن الصاحب [من مجزوء الكامل] :

رزقُ الضعيف بعجزِهِ ... فاقَ القوىَّ الأغلبَا
فالنسرُ يأكلُ جيفةً ... والنَّحلُ يأكلُ طيبَا

رجع إلى شعر أبى العلاء المعرّى ، فى لزوم مالا يلزم .

من شواهد لزوم ما لا يلزم

ومنه قوله [من الكامل] :

أنا صائمٌ طولَ الحياة ، وإنما ... فِطرى الممات فعندَ ذاكَ أعيِّدُ
لوْنانِ منْ صُبحٍ وليلٍ شَيَّبَا ... رأسى وأضعفنى الزمانُ الأيِّدُ
قالوُا فلانٌ جيدٌ لصديقِهِ ... لاتكذِبُوا ما فى البريةِ جيدُ
فأميرُنَا نالَ الإمارةَ بالخنَا ... وفقيهُنَا بصلاتِهِ مُتصيِّدُ
كنْ كيفَ شئتَ مُهجَّناً أوخالصاً ... فاذا رُزقتَ غِنًى فأنتَ السيدُ
واصْمتْ فما كثرَ الكلامُ من امرىءٍ ... إلاَّ وقالوُا : إنهُ مُستزيدُ

وقوله [من السريع] :

كلْ واشرب الناس على خِبْرَةٍ ... فَهُمْ يمرُّونَ وَلا يَعْذُبُونْ
وَلا تُصَدِّقْهُمْ إذا حدَّثوا ... فانّى أعهدُهُمْ يَكذبونْ
فإن أرَوْكَ الودّ عنْ حاجةٍ ... ففى حبالٍ لَهُمُ يجذبونْ

ومن مليح ما جاء فيه قول أبى نواس [من الكامل] :

أما وَزند أبى علىّ إنهُ ... زندإذا استَوْرَيت سَهَّلَ قَدْحكَا
إنّى ليأبى الصنعَ عالى همتى ... منْ غيركم ويعافُ إلا مدْحكَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولأبي الطاهر محمد بن يوسف التميمي السرقسطي فيه وهو مصنف المقامات اللزومية ، وهي خمسون مقامة بناها على لزوم مالا يلزم [من المنسرح] :

يا هائماً بالدلال والخفرِ ... ألصقتَ خدَّ العزيز بالعفرِ
إياك ذنب الهوى وزلتَهُ ... فليس ذنبُ الهوى بمغتفرِ
ماعزَّ في الحبِّ مَنْ يُساجلهُ ... لو كان ذا معشرٍ وذا نفرِ
ومنْ غدا والأُجَيْنُ شافعهُ ... أخاق به أنْ يفوز بالظفرِ

وله أيضا فيه [من مخلع البسيط] :

كلُّ حبيبٍ لهُ دلالُ ... وربما شابهُ ملالُ
وأنت أنتَ الحبيبُ لكنْ ... منْ دون إسعافك الهلالُ

ولأبي الفضل الميكالي فيه مع التعمية باسم [من الوافر] :

غزالٌ ينثني ويريك غصناً ... ويرنو تارة ويريكَ ربما
كريمٌ كلهُ ظَرْفٌ ولكنْ ... إذا سميتهُ فاقلبْ كريما

وله أيضا فيه [من المتقارب] :

تعز عن الحرص تعززبهِ ... ففي الطمع الذلُّ والمنقصهْ
ولا تُنْزِلَنْ أبداً حاجةً ... بمن كابدَ البؤسَ والمخمصهْ
ولو نالَ نجم الدُّجى ثروة ... وأوطأ شمس الضحى أخمصهْ

ولابن جابر الأندلسي فيه [من الطويل] :

ولما وقفنا كي نودعَ منْ نأى ... ولم يبق إلا أن تُحَثَّ الركائبُ
بكينا وحَقَّ للمحبِّ إذا بكى ... عشية سارت عن حماهُ الحبائبُ

ولأبي جعفر الغرناطي فيه [من البسيط] :

ناولتهُ وَرْدةً فاحمرَّ من خجلٍ ... وقالَ وجهيَ يغنيني عن الزَّهَرِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

الخد وَرْدٌ، وعيني نرجس، وعلى خَدِّي عِذَار كريحانٍ على نَهَرِ

ومما يلحق بهذا النوع: ما يختبر به الأدباء أفكارهم، ويشحذون به قرائحهم، من التزام حروف جميعها مهملة، أو جميعها معجمة، أو لا تنطبق معها الشفتان، إلى غير ذلك من التفننات، كقول الخطيري الوراق وجميع الحروف مهملة [من الطويل]:

صدودُ سعادٍ أحدرَ الدمعَ مُرْسلا وأسأر حَرًّا لم أحاولهُ أوّلا
مُحلَّلة صدًّا أراهُ محرماً محرمة وَصلا أراهُ محالاَ
أواصل لا أسْلو هواها ملالةً وكم آملٍ للوصل هامَ وماسلاَ
لهَا طولُ صدّ للمسهد مؤلم وَوصلٌ له طعمٌ أراهُ معسّلاَ

وقول أحمد بن الورد [من الكامل]:

علم العدو ملالة اللوّام ودوام صدك وهو صدُّ حمام
لولاك ما حَدَرَ السهادُ دموعَهُ ولما أطار كراهُ حرَّ أوام
ردَّ السلام وما عداك مسلما وأراك أهل هواه سر كلام
كم حاسد لك أو مصدّ وداده ومعلل أهداهُ طولَ ملامِ

وقول ابن سلام [من المنسرح]:

وصالُ دعْدٍ أراه حالَ وما أحال عهداً لها مَدَى العُمُر
وطالما راحَ وَرْدُها حَرَماً مُصارماً للورودِ والصدر

وأبيات الحريري العاطلة حلية هذا النوع، وهي [من السريع]:

أعده لحسادكَ حدَّ السلاح وأورد الآمالَ ورد السماحْ
وَصارمِ اللّهْوَ وصل المها وأعمل الكُومَ وشُمّرَ الرِّماحْ
واسع لإدراك محلٍّ سَمَا عماده، لا لادِّراع المراحْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والله ما السودد حَسْوُ الطلا ولا مراد الحمد ورد وراحْ
واهاً لحرّ صدره واسعٌ وهمه ما سرَّ أهل الصلاحْ
مَوْرده حلو لسؤاله وماله ما سألوه مطاحْ
ما أسمع الآمل ردًّا ولا ما طله والمطل لؤم صُرَاحْ
ولا أطاع اللهو لما دعا ولا كسا راحاً لَهُ كأسَ راحْ
سوّده إصلاحه سرَّه وَرَدْعُهُ أهواءه والطماحْ
وحَصَّل المدحَ له علمه ما مُهِرَ العور مُهورَ الصحاحْ

وقول الخطيري ، وحروفه لا تنطبق فيها الشفتان [من مجزوء الرجز] :

ها أنا ذا عارى الجلدْ أسهرنى الذى رَقَدْ
آهٍ لعينٍ نظرتْ إلى غزال ذى غَيَدْ
أرْيتنى يا ناظرى صَيْدَ الغزال للأسدْ
إنَّ الضنى لهجره يا عاذلى هَدَّ الجسدْ
حشا حشاى إذ نأى نار الغَضا حين شَرَدْ
يا غادراً غادَرَنى على لظى نارٍ تَقِدْ
هلاَّ اصطنعت ناحلاً لا يشتكى إلى أحدْ

وقوله وفى كل كلمة همزة [من الخفيف] :

بأبى أغيداً أذاب فؤادى إذ تناءى وأظهر الاعراضا
رَشَأٌ يألفُ الجفاء فان أقْبـــل أبْدَى لآمِلِيهِ انقباضا

وقول الحريرى ، وحروفه معجمة كلها [من الخفيف] :

فَتَنَتْنِي فجنتنى تَجنىً بتجنٍ يفتنُّ غبَّ تجنِّى
شغفتنى بجفن ظبيٍ غضيض غنج يقتضى تَغَيُّضَ جفنى

وقوله ، وهو كلمة مهملة ، وكلمة معجمة [من مخلع البسيط] .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

اسمحْ فبثُّ السَّماح زَيْنُ وَلاَ تُخِبْ آملاً تَضَيَّفْ
وَلا تُجِزْ رَدَّ ذى سؤالٍ فَنَّنَ أمْ فى السؤالِ خفَّفْ(١)
وَلا تظنَّ الدُّهورَ تُبقِى مالَ ضَنِينٍ وَلوْ تقشفْ
وَاحلمْ فَجفْنُ الكرامِ يُغْضى وصدرُهمْ فى العطاء نَفْنَفْ(٢)
وَلا تخنْ عهدَ ذى وِدادٍ ثَبْتٍ وَلاَ تبغِ ماتزيفْ

وقول بعضهم ، وليس فيه حرف متصل بغيره [من الخفيف] :

زَارَ دَاوُدَ دارَ أرْوَى ، وأرْوَى ذاتُ دَلّ إذَا رَأتْ دَاوُدَا

ومثله قول أبى الفضل الأوانى [من المنسرح] :

وَادِدْ أوداءَ وارعَ ذَا وَرَعٍ وَدارِ دَارا إنْ زاغ أوْ دَارَا
وَزُرْ وَدُودًا وأدنِ ذا أدبٍ وَذَرْذَراه إنْ زَارَ أوْ زَارَا

ومنه قول بعضهم ، وهو يجمع حروف المعجم كلها [من البسيط] :

صِفْ خَلْقَ خَوْدٍ كمثلِ الشمسِ إذْ بَزَغتْ
يَحظَى الضجيعُ بها نجلاء معطارَا

وقول أبى جعفر اليزيدى [من الكامل] :

وَلقدْ شَجتنى طَفْلَةٌ بَرَزَتْ ضُحًى
كالشمس خَمْراء العظامِ بذِى الغَضَا

وأحسن منه قول ابن حمديس الصقلى [من البسيط] :

مُزَرْفَنُ الصُّدْغ يسطو لحظهُ عَبثًا
بالخلقِ جذلان إنْ أشكُ الهوَى ضحكَا

وهذا الباب واسع ، والاختصار به أليق .

(١) فنن : أى نوع وخلط حتى ثقل
(٢) النفنف : ما اتسع من الأرض شبه بهصدرهم فى سعته

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وعبد الله [١] بن الزبير - بفتح الزاى وكسر الباء الموحدة - وهو ابن الأشيم ابن الأعشى بن بجرة بن قيس بن منقذ . ينتهى نسبه إلى أسد بن خزيمة ، وهو شاعر كوفى المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان من شيعة بنى أمية ، وذوى الهوى فيهم ، والعصبية لهم ، والنصرة على عدوهم ، فلما غلب مُصْعَب ابن الزُّبَير رضى الله عنهما على الكوفة أتى به أسيراً فمنَّ عليه ووَصَله ، فمدحه وأكثر ، وانقطع إليه ، فلم يزل معه حتى قتل مصعب بن الزُّبَير رضى الله عنه . ثم عمى عبد الله بن الزُّبير بعد ذلك ، ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان عبد الله هذا يكنى أبا كثير ، وهو أحد الهَجَّاءين للناس المرهوب شرهم .

وكان ناس من بنى علقمة بن قيس قتلوا رجلا من بنى الأشيم ، من رهط عبد الله بن الزُّبير دِنْيَةً ، فخرج عبد الرحمن ابن أم الحكم وافداً إلى معاوية رضى الله عنه ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بنى أسد ، فقال عبد الرحمن لابن الزبير : خذ من بنى عمك ديتين لقتيلك ، فأبى ابن الزبير - وكان عبد الرحمن يميل إلى أهل القاتل - فغضب عليه عبد الرحمن ، وردَّه عن الوفد من منزل يقال له : فياض ، فخالفه ابن الزبير الطريقَ إلى يزيد بن معاوية ، فعاذبه ، فأعاذه وقام ، وأمره بأن يهجو ابن أم الحكم ، وكان يزيد يبغضه وينتقصه ويعيبه ، فقال فيه ابن الزبير ، من قصيدة طويلة [من الطويل] :

وأنتم بنو حام بن نوح أرَى لكمْ شفاهاً كأذنابِ المشاجرِ وُرَّما [٢]

---

(١) لابن الزبير الأسدى ترجمة فى تاريخ دمشق لابن عساكر (المختصر ٧ - ٤٢٣) وفى الأغانى (١٣ - ٣٣) وفى مهذب الأغانى (٥ - ٢٢٠)

(٢) فى المطبوعتين * كأذان المساحر ورما * وأثبتنا ما فى الأغانى ومهذب الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فان قلتَ خالى من قُرَيْش فلم أجد من الناس شرًّا من أبيك وألأما

ولما بلغ عبدالرحمن بن أم الحكم أن عبدالله بن الزبير هجاه غضب عليه وهدم داره وأحرقها ، فأتى معاوية رضى الله عنه فشكا إليه ، وتظلم لديه منه ، وقال: قد أحرق لى دارا قد قامت على مائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادعيت ؟ فقال : هذا المنذر بن الجارود حاضر و يعلم ذلك ، فقال معاوية رضى الله عنه للمنذر : ماعندك فى هذا ؟ قال : إنى لم أأبه لنفقته على داره ومبلغها ، ولكنى لما دخلت الكوفة وأردت الخروج عنها أعطانى عشرين ألف درهم وسألنى أن أبتاع له بها ساجا من البصرة ففعلت ، فقال معاوية : إن دارا اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ، وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية على جلسائه ثم قال لهم : أى الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إنى لأعرف داره ، وماهى إلا خصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا(١) فنخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

وكان عبد الرحمن ابن أم الحكم لما ولى الكوفة أساء بها السيرة ، فقدم قادم من الكوفة إلى المدينة المنورة ، فسألته امرأة عبدالرحمن عنه ، فقال لها : تركته يسأل إلحافا ، و ينفق إسرافاً . وكان محمقاً ، ولاه معاوية خالُه عدةَ أعمال ، فذمه أهلها وتظلموا منه ، فعزله واطرحه ، وقال له : يابنىّ ، قد جهدت أن أُنَفِّقَكَ وأنت تزداد كسادا ، وقالت له أخته أم الحكم بنت صخر : يا أخى ، زَوِّجِ ابنى بعض بناتك فقال : ليس لهن بكفء ، فقالت له : قد زوجنى أبوسفيان أباه ، وأبوسفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ، فقال : يا أخية ، إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذ يشتهى الربيب ، وقد كثر الآن الربيب عندنا فلانزوج إلا الأكفاء

---

(١) فى الأصول «ويخادعونا فنخدع» بحذف نون الرفع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكان عبدالله بن الزبير قد مدح أسماء بن خارجة الفزارى بقصيدة طويلة منهـا [من الطويل] :

تراه إذا ما جئتَهُ متهللا كأنك تُعطيه الذى أنت نائلُهُ[1]

ولو لم يكن فى كفِّهِ غيرُ روحه لجاد بها فليتق الله سائلهْ

فأثابه ثوابا لم يَرْضه فغضب وقال يهجوه [من الطويل] :

بَدَتْ لكم هندٌ بتلذيع بَظْرها دكاكين من جص عليها المجالسُ

فوالله لولا رَهْزُ هندٍ ببظرها لعد أبوها فى اللئام العوابس[2]

فبلغ ذلك أسماء ، فركب إليه واعتذر من فعله بضيقة شكاها ، وأرضاه ، وجعل له على نفسه فى كل سنة وظيفة ، واقتطعه إلى جانبه ، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضله ، وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جِصًّا فى بناء إلا ذكرت بظر أمكم هند فخجلت

ولما ولى مصعب بن الزُّبير العراق دخل عليه عبدالله بن الزَّبير الأسدى ، فقال له : إيه يا ابن الزَّبير أأنت القائل[3] [من الطويل] :

---

(١) فى الأغانى * كأنك تعطيه الذى أنت سائله *

(٢) فى الأصول « لو لا رهن هند » وأثبتنا ما فى الأغانى .

(٣) ورد هذان البيتان فى الأغانى وفى مهذب الأغانى هكذا :

ففى رجب أو غرة الشهر بعده تزوركم حمر المنايا وسودها

ثمانون ألفا دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

وهما على هذا الوجه من قصيدة لعبدالله بن الزبير ، يقولها وقد أمر المختار الخارجى بهدم دار أسماء بن خارجة . لما كان له من سوء الأحدوثة عند الشيعة ، ولكن صاحب الأغاني يعود فيرويهما بعد ذلك على مثل ماجاء فى الأصول فى نفس الخبر الذى نقله المؤلف هنا عنه .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إلى رجب السبعين أو ذاك قبله تصبحكم حمر المنايا وسودها
ثمانون ألفاً نصر مروان دينهم كتائب فيها جبرئيل يقودها

فقال : أنا القائل لذلك ، فقال : إن الحقين ليأبى العذرة ، ولو قدرت على جحده لجحدته ، قال : فاصنع ما أنت صانع ، فقال : أما أنا فلا أصنع بك إلا خيراً ، أحسنَ إليك قوم فاجتبيتهم ووليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ورده إلى منزله مكرماً ، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره[1] ، فلما قتل مصعب اجتمع عبدالله بن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان فى مجلس ، فعرف ابن الزبير خبره ، وكان عبيدالله هو الذى قتل مصعباً ، فاستقبله ابن الزبير بوجهه وقال له [من الطويل] :

أبامطرٍ شَلّتْ يمينٌ تفرعت بسيفك رأسَ ابن الحَوَارى مُصعَب[2]

فقال له ابن ظبيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ فقال : لا نجاة ، هيهات ، سَبَق السيفُ العذَلَ ، وكان ابن ظبيان بعد قتله مصعبا لا ينتفع بنفسه فى نوم ولا يقظة ، كان يُهَوَّلُ عليه فى منامه فلا ينام ، حتى نَحِلَ جسمه ونهك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

وحدث خالد بن سعيد عن أبيه ، قال : كان عبد الله بن الزبير صديقا لعمرو ابن الزبير بن العوام ، فلما أقامه أخوه عبدالله ليقتص منه بالغ كل ذى حقد عليه فى ذلك وتدسس فيه من يتقرب إلى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادعى عليه

---

(١) فى الأصول : « ويشبب بذكره » ، وأثبتنا : ما فى الأغانى ، وهو الصواب .

(٢) فى الأغانى : « تفرعت » محرفا ، والمراد بقوله « تفرعت رأس ابن الحوارى » علت رأسه بالسيف . والحوارى : هو الزبير بن العوام ، رضى الله تعالى عنه ! وامه صفية بنت عبد المطلب ، عمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقال له : حوارى رسول الله .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شيئاً بينة ، ولا يطالبه بحجة ، وإنما يقبل قوله ثم يدخله إلى السجن ليقتص منه ، فكانو يضربونه والقيح ينضح من ظهره وأكتافه على الأرض والحيطان مما يمر به ، ثم أمر بأن ترسل عليه الجُعْلَانُ فكانت تدب عليه فتثقب لحمه وهو مقيد مغلول يستغيث فلا يغاث حتى مات على تلك الحالة ، فدخل الموكل به وهو يبكى على أخيه عبد الله بن الزبير وفى يده قدح لبن يريد أن يتسحر به ، فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبعده الله ! وشرب اللبن ، ثم قال : لا تغسلوه ولا تكفنوه وادفنوه فى مقابر المشركين ، فدفن ، فقال ابن الزبير يرثيه ويؤنب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخلاوندياً [من الطويل]:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن ... كبيرَ بنى العوّام إن قلت مَنْ تعنى (١)
ستعلم إن جالتْ بك الحربُ جَوْلة ... إذا فوّقَ الرامون أسهُم من تُغنى
فأصبحتِ الأرحام حين وليتها ... بكفيك أكراشاً تجرُّ على دِمْنِ (٢)
عقدتم لعمرٍو عُقدةً وغدرتمُ ... بأبيض كالمصباح فى ليلة الدَّجْنِ (٣)
وكبَّلْتَه حولاً يجودُ بنفسهِ ... تنوء به فى ساقِهِ حلَق اللبْنِ (٤)
فما قال عمرٌو إذ يجود بنفسهِ ... لضاربه حتى قضى نَحْبَهُ دعنى

---

(١) رواية الأغانى « إن قيل من تعنى »

(٢) دمن ـ بكسر الدال وسكون الميم ـ حقد ، واحدته دمنة ، ويقال : « فى قلب فلان دمنة » ، أى حقد ثابت ، ويقال « قد دمن قلب فلان على فلان » بوزان فرح .

(٣) الدجن — بفتح فسكون — إظلام الغيم ، ويقال : هذا يوم دجن ، والداجنة : السحابة ذات الدجن ، وتقول : دجنت السماء ، وأدجنت ، وأدجن المطر : أى دام أياماً .

(٤) فى المطبوعتين « حلق البين » وأثبتنا ما فى الأغانى وتهذيب الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فى أبيات أخر أعرضت عن ذكرها حفظا لمقام عبد الله بن الزبير وصحبته.

وحدث العبسى قال : لما قُتِل عبد الله بن الزُّبير صَلَب الحجاجُ جسمه وبعث برأسه إلى عبد الملك فجلس على سريره وأذن للناس ، فدخلوا عليه ، وقام عبد الله ابن الزَّبير فاستأذنه فى الكلام ، فقال له : تكلم ولا تقل إلا خيراً ، وتوخَّ الحق فيما تقوله ، فأنشأ يقول [من الطويل] :

مَشَى ابن الزبير القَهْقَرى فتقدمت ... أميةُ حتى أحرزوا القَصَبَاتِ

وجئت المعالى يا ابن مروان سابقاً ... أمام قريشٍ تبغض الغدرات(١)

فلا زلتَ سباقاً إلى كل غايةٍ ... من المجد نجاء من الغَمَرَاتِ

فقال له : أحسنت فسَلْ حاجتك ، فقال : أنت أعلى عينا بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ، فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الأبيات ، فقال له : لا ، ولكن أبياتك فى المحل فىَّ وفى الحجاج التى قلتها ، فأنشده [من الطويل] :

كأنى بعبد الله يركبُ رَدْعَه ... وفيه سنانٌ زاعبيٌّ مجرَّبُ(٢)

---

(١) ورد هذا البيت فى مهذب الأغانى هكذا :

وجئت المجلى يا ابن مروان سابقا ... أمام قريش تنفض العذرات

وظنى أن عجز البيت على ما هنا أحسن

(٢) يقال « رمح زاعبى » بالزاى ، وبعين مهملة — وهى منسوبة إلى رجل من الخزرج ، كان يعمل الأسنة . هكذا قال أبو العباس المبرد ، وقال غيره : الرماح الزاعبية ، هى : العسالة التى إذا هزت تدافعت كالسيل الزاعب يزعب بعضه بعضا : أى يدفعه . وياء النسبة — على هذا الوجه - إما أن تكون للنسبة إلى السيل الزاعب لمعنى التشبيه به ، وإما أن تكون للنسبة إلى الرمح الزاعب ، من نسبة الشىء إلى نفسه للتأكيد كالأحمرى .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد فرَّ عنه الملحدون وحلَّقَتْ ... به وبِمَنْ آساه عَنْقاء مُغْرِبُ (١)
تَوَلَّوْا فخلَّوه فشال بِشِلْوِهِ ... طويلٌ من الأجداع عارٍ مشذَّبُ
بكفَّيْ غلامٍ من ثقيفٍ نمت به ... قريش وذو المجد التليد مُعَقِّبُ

فقال له عبد الملك بن مروان : لا تقل غلام ، ولكن همام ، وكتب له الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى .

ودخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشر خلعها عليه ، وكان بشر قد بلغه عنه شيء يكرهه فجفاه ، فلما وصل إليه ووقف بين يديه وجعل يتأمل مَنْ حواليه من بني أمية ويجيل نظره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئاتهم ، فقال له بشر : نظرك يا ابن الزبير يدل على أن وراءه قولا ، فقال : نعم ، قال : قل ، فقال [من الوافر] :

كأنَّ بني أمية حول بشر ... نجومٌ وَسْطَها قمر مُنيرُ
هو الفرعُ المقدَّمُ من قريش ... إذا أخذَت مآخذها الأمورُ
لقد عمَّتْ نوافلهُ فأضحى ... غنياً من نوافله الفقيرُ
جبرت مَهيضَنا وعدَلت فينا ... فعاش البائسُ الكلُّ الكبيرُ (٢)
فأنْتَ الغيث قد علمت قريش ... لنا والوا كف الجَوْنُ المَطِيرُ (٣)

فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضي عنه .

---

(١) في الأغاني ومهذبه «به وبمن أسناه عنقاء مغرب»

(٢) في الأغاني ومهذبه *فعاش البائس الكل الفقير* وبقية القوافي مثل ما هنا، فتكون القافية متكررة في بيتين متجاورين ، وهذا عيب من عيوب القافية ولو أن العبارة كانت هكذا * فعاش البائس الكل الكسير *لكانت أفضل .

(٣) الجون — بفتح فسكون — الأسود ، والسحاب الأسود أملأ السحائب بالمطر .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وعن عبد الله بن عباس قال : أخبرنى بعضُ مشيخة بنى أسد أن ابن الزُّبير لما قَفَلَ[١] من قتال الأزارقة بعث بعثاً إلى الرى، قال: فكنت فيه، وخرج الحجاج إلى القنطرة - يعنى قنطرة الكوفة التى بزيارة[٢] - ليعرض الجيش، وجعل يسأل عن رجل رجل مَنْ هو، فمر به ابن الزُّبير فسأله من هو، فأخبره، فقال له : أنت الذى تقول [من الطويل] :

تخير فأما أن تزور ابن ضابىء عُمَيْراً وإما أن تزور المهلبا

فقال : بلى أنا الذى أقول [من الطويل] :

ألم تر أنى قد أخذت جعيلة وكنت كمن قاد الحبيب فأسمحا[٣]

فقال له الحجاج : ذلك خير لك ، فقال :

وأوقدت للأعداء يامى فاعلمى بكل سُرًى ناراً فلم أر مجمحا

فقال له الحجاج : قد كان بعض ذلك ، فقال :

ولا يعدم الداعى إلى الخير تابعاً ولا يعدم الداعى إلى الشر مجدحاً

فقال له الحجاج : إن ذلك كذلك ، فامض إلى بَعْثك ، فمضى إلى بعثه ، فمات بالرى .

(١) قفل : رجع .
(٢) زيارة : كذا ، ولم أعثر على تصويبه
(٣) فى الأغانى « كمن قاد الجنيب »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قد تم - بحمد الله تعالى وعَوْنه وحسن تيسيره - طبع الجزء الثالث من كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص » تصنيف السيد عبدالرحيم ابن عبد الرحمن بن أحمد العباسي ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع مفتتحاً بشرح شواهد « السرقات الشعرية » ، وهو آخر أجزاء الكتاب ، نسأل الذي بيده مقاليد الأمور أن يعين على إكماله ، وييسر أمر إتمامه ، إنه ولي ذلك ، ومنه العَوْن .

مكتبة
الدكتور مروان العطية

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مكتبة الدكتور مروان العطية

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مكتبة الدكتور مروان العطية

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

معاهد التنصيص

على شواهد التلخيص

تأليف

الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى
المتوفى فى عام ٩٦٣ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهارسه

محمد محيى الدين عبد الحميد
مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الرابع

عالم الكتب - بيروت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تمتاز هذه الطبعة بدقة الضبط ، وبإضافة الشروح والتعليقات

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها

مصطفى محمد

جميع حق الطبع محفوظ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم

مكتبة الدكتور مروان العطية

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد سرقة الشعر المذمومة

١٨٤ – إذا أنتَ لمْ تُنْصِفْ أخاكَ وجدْتَهُ
عَلىَ طَرَفِ الهِجْرَانِ إنْ كانَ يَعقِلُ
وَيرْكَبُ حَدَّ السَّيفِ منْ أنْ تَضِيمَهُ
إذا لمْ يكنْ عنْ شَفْرَةِ السَّيفِ مَزْحَلُ

البيتان لمَعْن بن أوس المزنى ، من قصيدة من الطويل[1] ، قالها فى صديق يستعطفه ، وكان معن متزوجاً بأخته فطلقها ، فأقسم أن لا يكلمه ، وأولها :

لَعمرُكَ ما أدْرى وَإنِّى لأوْجَلُ ... على أينا تعْدو المنيةُ أوَّلُ
وَإنى أخُوك الدائم العهدِ لم أحُلْ ... إنْ آبزَاكَ خصمٌ أونَبَابك منزِلُ[2]
أحارِبُ منْ حاربْتَ منْ ذى عداوةٍ ... وأحبِسُ مالى إن غَرِمْتَ فأعقِلُ[3]
وَإن سُؤْتَنِى يوماً صفحتُ إلى غدٍ ... ليُعقِب يوماً منك آخَرُ مُقْبِلُ
كأنكَ تَشْفِى منك داءً مساءتى ... وَسُخطى ومافى رِيْبَتِى ما تَعَجَّلُ[4]
وَإنى على أشياء منك تَرِيبُنِى ... قديماً لذو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ
سَتقطعُ فى الدُّنيا إذا ماقَطَعْتَنِى ... يمينَكَ فانظرْ أىَّ كفٍّ تبدّلُ
وَفى الناسِ إنْ رَثَّتْ حبالُكَ وَاصلٌ ... وَفى الأرض عنْ دَارِ القِلَى مُتَحَوَّلُ

(١) اقرأها فى ديوان معن (٥٧) وفى ديوان الحماسة (٢/١٣٢ من شرح التبريزي بتحقيقنا)

(٢) فى الحماسة « لم أخن» فى مكان « لم احل » وذكر هذه الرواية فى الشرح ، وفى المطبوعتين «أباراك خصم» وأثبتنا ما فى الحماسة والديوان .

(٣) أعقل : يريد أنه يغرم الدية معه

(٤) فى الديوان « وما فى ريبتى ما تعجل » وكذلك هو فى الحماسة وذكر فى شرح الحماسة أنه يروى مثل ماهنا ، والريثة : ضد العجلة ، ومثله الريث.

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و بعده البيتان ، و بعدهما :

وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنتي وَبدّل سوءاً بالذى كنتُ أفعلُ
قَلَبْتُ لهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ فلم أدُمْ على ذاكَ إلا رَيْثما أتحـوّلُ
إذا انْصَرفَتْ نفسى عَن الشيءِ لم تـكدْ
إليْـهِ بوجْـهٍ آخرَ الدهـر تُقبلُ

وهذا البيت الأخير ، مثل قول حسان بن ثابت ، رضى الله عنه ! [من الطويل] :

إذا انصرَفتْ نفسى عَن الشيء مرّةً
فلستُ عليـهِ آخرَ الدَّهرِ مُقبـلاَ

وشفرة السيف : حـده ، والمَزْحل - بالزاى المعجمة والحاء المهملة — من زحل عن مكانه زحولاً إذا تنحى وتباعـد ، والمزحل : مصدر بمعنى الزحول ، ومعناه : أنه لا يبـالى أن يركب من الأمور ما يؤثر فيه تأثير السيف مخافة أن يدخل عليـه ضيم ، أو يلحقه هضم ، أو احتقار ، متى لم يجـد عن ركوبه مبعداً ولا معدلا .

والشاهد فيهما : سرقة الشعر المذمومة ، وهى : أن يؤخذ اللفظ كله من غير تغيير لفظة ، و يسمى نسخاً وانتحالاً .

حكى أن عبـد الله بن الزّبير دخل على معاوية ، فأنشده هذين البيتين ، فقال : لقد شَعرتَ بعدى يا أبا بكر ، ولم يفارق عبدُ الله المجلس حتى دخل معنُ ابن أوس ، فأنشد القصيدة ، وفيها البيتان المذكوران ، فأقبل معاوية على عبد الله بن الزبير ، وقال له : ألم تخبرنى أنهما لك ؟ فقال : اللفظ له ، والمعنى لى ، و بعدُ فهو أخى من الرضاعة ، وأنا أحق بشعره .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن السرقة المذمومة أن يبدّل بالكلمات كلها أو بعضها ما يرادفها ، كما يقال فى قول الحطيئة [من البسيط] :

دَعِ المكارِمَ لاَ تَرْحَلْ لِبُغْيَتِها
وَاقعُدْ فانكَ أنتَ الطاعمُ الكاسى

ذَرِ المآثرَ لاَ تذهَبْ لِمَطْلَبِها
وَاجلسْ فانكَ أنتَ الآكل الكاسى

وكقول امرىء القيس [من الطويل] :

وُقوفاً بها صحبى عَلَىَّ مَطِيَّهُمْ يقولون لاتهلكْ أسىً وتجمَّلِ

وقد أورده طرفة فى داليته ، إلا أنه أقام « تجلد » مقام « تجمل » .

وكقول العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه [من الطويل] :

وَمَا الناسُ بالناسِ الذينَ عهدتَهُمْ وَلاَ الدَّارُ بالدَّارِ التى كنتَ تعلمُ

فأورده الفرزدق فى شعره ، إلا أنه أقام « تعرف » مقام « تعلم » .

وقريب من هذا أن يبدل بالألفاظ ما يضادّها فى المعنى ، مع رعاية النظم والترتيب ، كقول ابن أبى فتن [من الكامل] :

ذَهَبَ الزمانُ برهط حسّان الأولى كانَتْ مَناقبهم حديثَ الغابرِ
وَبقيتُ فى خَلْفٍ تحلُّ ضيوفُهُمْ فيهمْ بمنزلةِ اللئيمِ الغادرِ
سُودُ الوُجُوهِ لَئيمةٌ أحسابهمْ فُطْسُ الأنوفِ من الطرازِ الآخرِ

فانه عكس قول حسان بن ثابت الأنصارى [من الكامل] :

بيض الوجُوهِ كريمةٌ أحسابهمْ شُمّ الأنوفِ من الطراز الأوّلِ

وهى من أبيات يمدح بها أولاد جَفْنَةَ ، وهم ملوك الشام :

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهمُ مثلُ النجومِ تُجَاهَ بدرٍ أكمل

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يُغْشَوْنَ حتى ما تهرُّ كلابهمْ لا يَسْأَلُونَ عن السَّوادِ المقبلِ

يسقونَ مَنْ وَرَدَ البريصَ عليهمُ

بَرَدَى يُصفِّقُ بالرَّحيقِ السلسلِ

وأخذ قوله « وبقيت فى خلف » من قول لبيد [من الكامل] :

ذهَبَ الذينَ يُعاشُ فى أكنافهمْ وَبقيتُ فى خَلْفٍ كجلدِ الأجْرَبِ

وعلى ذكره فما أحسن قول السراج الوراق [من الكامل] :

زعمُوا لبيداً قالَ فى عصرٍ لهُ وَبقيتُ فى خلفٍ كجلدِ الأجرَبِ

وأرَاهُ أعدَى خلفهُ من خلفهِ جَرَباً وأعيَا الدّاء كلَّ مُجرِّبِ

وتضاعفَ الجربُ الذى عدوَاهُ لاَ تنفكُّ عن ماضٍ ولا متعقِّبِ

وتفاقمَ الداء العُضالُ فخلفنا بلغَ الجذامَ وعصرنا عصرٌ وَبِي

وليت شعرى ماذا يقول الناظم أو الناثر فى عصرنا هذا والخلف الذى فيه ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهمندار العرب [من السريع] :

كنا إذَا جئنا لِمنْ قبلكمْ أنصفَ فى الترحيبِ بعدَ القيامْ

والآنَ صِرْنا حِينَ نأتيكمُ نقنعُ منكمْ بلطيفِ الكلامْ

لاَ غَيَّرَ اللهُ بكمْ خشيةً مِنْ أنْ يجِى مَنْ لا يرُدُّ السلامْ

وسرقة الشعر مذمومة ، حتى قال فيها الحريرى ، فى إحدى مقاماته : واستراق الشعر عند الشعراء ، أفظع من سرقة البيضاء والصفراء ، وغيرتهم على بنات الأفكار، كغيرتهم على البنات الأبكار.

وأول من ذم ذلك طَرَفَةُ بقوله [من البسيط]:

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَلاَ أُغيرُ عَلىَ الأشعارِ أسْرِقها
عنها غَنيتُ ، وشرُّ الناسِ منسَرَقَا

وأبو تمام الطائى ضجَّ من سرقة محمد بن يزيد الأموى شعره ، فقال (١) [من الخفيف] :

مَنْ بنو بجدل من ابنُ الحبابِ مِنْ بَنُو تغلب حُدَاةُ الكلابِ
مَنْ طُفيل وعَامرٌ وَمَنِ الحا رِثُ أو مَنْ عُتَيْبة بن شِهابِ (٢)
إنما الضيغم الهصُورُ أبو الأشـــبالِ جبَّارُ كل خِيسٍ وغابِ (٣)
منْ عَدَتْ خيلهُ على سَرْحِ شعرِى وَهْوَ للحَيْن رَاتعٌ فى كتابى (٤)
غارَة أسخنَتْ عيونَ المعانى وَاستباحت محارم الآدابِ (٥)
لو ترَى منطقى أسيراً لأصبحـــتَ أسيراً لعبرةٍ وَانتحاب (٦)
ياعَذَارَى الأشعار صِرتنّ من بعـــدى سَبايا تُبعنَ فى الأعرابِ (٧)
طَالَ رَعْبِي إليكَ يا رَبِّ يا رَبِّ وَرَهبى لديكَ فاحفظ ثيابى (٨)

---

(١) اقرأها فى الديوان (٤٨٧ بيروت) وفيه فى أولها « غداة الكلاب »
(٢) فى الديوان « من طفيل من عامر » وفيه « أم من عتيبة »
(٣) فى الديوان « مناع كل خيس »
(٤) فى المطبوعتين « وهو للجبن راتع » وأثبتنا مافى الديوان ، والحين ـ بفتح الحاء المهملة ـ الهلاك
(٥) فى الديوان « أسخنت عيون القوافى » وفيه « واستحلت محارم الآداب »
(٦) فى الديوان « أسيرا ذا عبرة واكتئاب »
(٧) فى الديوان « يا عذارى الكلام »
(٨) روى هذا البيت فى الديوان هكذا :
طال رعبى يارب مما ألاقيـــه ورهبى إليك فاحفظ ثيابى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكان البحترىّ قالَ قصيدةً ، فى أبى العباسِ بن بسطام [١] ، أولها [من المنسرح] :

مَن قائل للزمان ما أَرَبُهْ ... فى خُلُقٍ منهُ قد بَدَا عجبهْ

فعارضهُ فيها أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بقصيدة ، يمدح بها الموفق أولها [٢] [من المنسرح] :

أجدٌّ هذا المقال أم لعبهْ ... أم صدق ما قيل فيه أم كذبه

فاستعارَ مِنْ ألفاظها ومَعانيها ما أوجبَ أن قالَ البحترىّ [٣] فيه ، [من المنسرح] :

ما الدهرُ مستنفد وَلاَ عجبه ... تسومنا الخسفَ كلهُ نُوبه [٤]

نالَ الرضى مادحٌ وممتدحٌ ... فقل لهذا الأمير ماغضبُهْ

أجلى لصوصَ البلاد يطردهمْ ... وظلّ لِصّ القريض ينتهبهْ [٥]

أُردُدعلينا الذى استعرت وَقل ... قولكَ يعرفْ لغالب غَلَبُهْ

وقد ذم ابن الرومى البحترى بالسرقة ، فقال [٦] [من البسيط] :

قبحاً لأشياء يأتى البحترىّ بها ... من شعره الغثّ بعد الكدِّ والتعب

كأنها حينَ يُصْغِى السامعونَ لها ... ممن يُمَيِّزُ بين النَّبْع وَالْغَرَب [٧]

---

(١) اقرأها فى الديوان (١-٣٢)

(٢) هى فى ديوان البحترى منسوبة لعبيدالله بن عبدالله (١-٣٤ مصر)

(٣) اقرأها فى الديوان (١-٣٧ مصر)

(٤) فى الديوان « لا الدهر مستنفد »

(٥) فى الديوان « أجلى لصوص البلاد يطلبهم » وفيه « وبات لص القريض »

(٦) اقرأها ضمن قصيدة فى الديوان (١-٤٠٨-٤٢٦)

(٧) النبع - بفتح فسكون - شجر تصنع منه القسى والسهام . والغرب - بفتح الغين والراء - ضرب من الشجر

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رُقى العقارب أو هذرُ البُنَاة إذا
أضحوا على شُعَبِ الجدران فى صَخَبِ(١)

سمينُ ما انتحلوهُ من هنا وَهنا والغثّ منه صريحٌ غيرُ مؤتشبِ(٢)

يسيء عفّاً فانأ كدت مسائلهُ أجادَ لصّاً شديدالبأس وَالكلبِ(٣)

حىٌّ يغيرُ على الموتى فيسلبهمْ حرّ الكلام بجيشٍ غير ذى لَجَبِ(٤)

ما إن تزال تراهُ لابساً حُللاً أسلابَ قومٍ مضوا فى سالف الحِقَبِ

شِعرٌ يغير عليهِ باسلاً بَطَلاً فينشدُ الناسَ إياه على رَقَبِ

حتى إذا كفّ عن غارَاته فلهُ شعر يئنُّ مُقَاسيه منَ الوَصَبِ

شعر كنافض حُمّى الخيبرى لهُ بردٌ وكربٌ فمن يرويه فى كَرَبِ

قل للعلاء أبى عيسى الذى نصلت به الدواهى نصول الآل فى رجبِ(٥)

أيسرقُ البحترىُّ الناسَ شعرهمُ
جهراً وأنتَ نكالُ اللصّ ذى الرّيبِ

وَتارَةً يترز الأرواحَ منطقهُ والخلقُ ما بين مقتولٍ وَمغتصبِ(٦)

---

(١) فى المطبوعتين « أو هذر البنات » وأثبتنا ما فى الديوان ، وفى الديوان « أضحوا على شعف الجدران » والبناة : جمع بان ، وشعف الجدران : أعاليها

(٢) فى الديوان « سمين ما نحلوه » وفيه « صريح غير مجتلب » وهو خير مما هنا

(٣) فى الديوان « أكدت وسائله »

(٤) فى الديوان « عبد يغير على الموتى »

(٥) فى المطبوعتين « قل للعلاء بن عيسى والذى نصلت » وفيهما « نصول الآل » وكلاهما تحريف ، وأراد أبا عيسى العلاء بن صاعد الوزير ، ونصلت : ذهبت ، والآل : جمع ألة ، وهى الحربة ، يشير إلى ما كان العرب عليه من ترك القتال فى شهر رجب

(٦) فى المطبوعتين « وتارة يبرز الا رواح » وأثبتنا ما فى الديوان ، ويترز : اراد به يزهق الأرواح

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

نكله إن أناساً قبله ركبوا بدون ماقد أتاهُ باسقَ الخشبِ
إذا أجاد فأوْجِبْ قطعَ مِقْوَلِهِ فقد رَمَى شعراء الناس بالخَرَبِ(١)
و إن أساء فأوجِبْ قَتْلَه قَوَداً بمَنْ أماتَ إذا أبقَى على السَّلَبِ(٢)

ولا يخفى على ذى لب ما فى هذه الأبيات من التشنيع على البحترى والانتقاص من حقه ، وفيه يقول ابن الحاجب أيضاً [من الخفيف] :

والفتى البحترىُّ سارقُ ما قا لَ ابنُ أوسٍ فى المدح والتَّشْبيبِ(٣)
كلُّ بيتٍ له يجـود معْنًا هُ فمعنـاه لابن أوسٍ حَبيبِ

وللسرى الرفاء من قصيدة خاطب فيها(٤) أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي ، وقد سمع أن الشاعرين الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك فى أيام الوزير المهلبى [من الكامل] :

بكَرتْ عليك مُغيرةُ الأعرابِ فاحفظ ثيابَكَ يا أبا الخطابِ
وردَ العراقَ ربيعةُ بن مُكَدَّمٍ وعُتيبةُ بن الحارثِ بنِ شهابِ
أفعنـدنا شك بأنهما هما فى الفتْكِ، لا فى صحة الأنساب
جَلَبَا إليك الشعر من أوطانه جَلَبَ التجار طرائفَ الأجْلاَبِ
فبـدائعُ الشُّعراءِ فيما جهَّزا مقْرُونة بغرائب الـكُتّاب
شنًّا على الآداب أقبحَ غارةٍ جرحتْ قلوبَ محاسن الآدابِ
فحذارِ من حركات صِلِّ قَفْرَةٍ وحذارِ من وثبات ليْثَىْ غابِ(٥)

(١) فى الديوان « فقد وهى شعراء الناس »
(٢) فى الديوان « بمن يميت إذا أبقى »
(٣) ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس .
(٤) اقرأها فى يتيمة الدهر للثعالبى (٢ـ١٤٥ بتحقيقنا)
(٥) فى اليتيمة « وحذار من حركات ليثى غاب »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لا يَسْلبان أخا الثراء ، وإنما يتناهبانِ نتائجَ الألباب
إنْ عزَّ موجودُ الكلامِ عليهما فأنا الذى وقفَ الكلامُ ببابى
أو يهبطَا من ذِلَّةٍ فأنا الذى ضُربتْ على الشرف المطلِّ قِبَابى
كم حاولا أمَدِى فطال عليهما أن يُدْرِكا إلا مُثَارَ تُرابى
عَجَزَا ولن تقفَ العبيدُ إذا جرتْ يومَ الرهانِ مواقفَ الأربابِ
ولقد حميتُ الشعرَ وَهْوَ لمعْشَرٍ رمم سِوَى الأسماء والألقاب(١)
وضربْتُ عنه المدَّعينَ وإنما عن حَوْزَةِ الآداب كان ضِرَابى
فغدَتْ نبيطُ الخالديةِ تدَّعى شعرى وترْفُل فى حَبِيرِ ثيابى
قومٌ إذا قصدوا الملوكَ لمطْلَبٍ نُقضت عمائمُهم على الأبواب
من كل كَهْلٍ تستطيرُ سبالُهُ لوْنين بين أنامل البواب
مُغْضٍ على ذلّ الحجاب يرُدُه دامى الجبين تجهُّمُ الحجاب
ومفوَّهين تعرَّضا لحرابتى فتعرضت لهما صدورُ حرابى
نظرا إلى شِعْرى يروق فتربَّا منهُ خدود كواعبٍ أترابِ(٢)
شرباهُ فاعترفا له بعذوبةٍ ولرُبَّ عذْبٍ عادَ سوطَ عذاب
فى غارةٍ لم تثْلم فيها الظُّبا ضرْباً ولم تندَ القنا بخضاب
تركَتْ غرائبَ منطِقى فى غُرْبة مسْبِيَّةً لا تهتدى لاياب
جَرْحَى وما ضُربتْ بحدّ مُهنَّدٍ أسْرى وما حُمِلَتْ على الأقتاب
لفظ صقلْتُ متونه فكأنه فى مُشْرِقات النَّظْمِ درُّ سحاب

(١) الذى فى اليتيمة «وهو لمعشر ذم سوى الأسماء»
(٢) فى اليتيمة «نظرا إلى شعر يروق»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكأنما أجريْتُ فى صفحاته حرّ اللُّجَيْنِ وخالص الزِّرْياب(١)
أغرَيت فى تحْبيرهِ فرُوَاتُهُ فى نُزْهةٍ منهُ وفى استغْراب
وقطعتُ فيه شبيبة لم تشتغل عن حُسْنه بصِباً ولا بتصابى
و إذا ترَقْرَق فى الصَّحيفة ماؤه عبقَ النسيمُ فذاك ماء شبابى
يُصْغى اللَّبيبُ له فيقسمُ لبَّه بين التعجُّب منه والاعجاب
جِدّ يطير شَرارُهُ ، وفكاهة تستعطفُ الأحبابَ للأحبابِ
أعززْ على بأن أرى أشْلاءَهُ تَدْمى بظُفْرٍ للعدو ونابِ
أفِنٌ رَماه بغارةٍ مأفونةٍ باعتْ ظِباء الروم فى الأعرَاب
إنى أُحَذِّر من يقول قصيدةً غرَّاء خِدْنَىْ غارةٍ ونهاب
إنى نَبَذْتُ على السَّواء إليكما فتأهَّبا للقادح المنتاب
و إذا نبذْتُ إلى امرئٍ ميثاقهُ فليستعدَّ لسطوَتى وعقابى

وهى طويلة متناسبة فى الحسن والعذوبة .

وله من قصيدة يمدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة و يتظلم إليه من الخالديين وقد ادعيا شعره (٢) ومدحا به المهلبى وغيره [من البسيط] :

يا أكرمَ الناسِ إلا أن يعُدَّ أباً فاتَ الكرامَ بآباء وآثارِ
أشكو إليكَ حَليفَىْ غارةٍ شَهَرَا سيفَ الشِّقاق على إنتاج أفكارى(٣)
ذئْبين لو ظفرا بالشِّعر فى حرم لمزَّقاه بأنياب وأظفار

(١) اللجين : الفضة ، والزرياب : الذهب
(٢) فى يتيمة الدهر (٢/ ١٠٢ بتحقيقنا) « وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبى وغيره »
(٣) فى اليتيمة « على ديباج أفكارى » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

سلاً عليه سيوفَ البَغْى مُصْلَتَةً ... فى جَحْفل من شنيع الظُّلم جرَّار(١)
وأرْخصاه فقلْ فى العطر مُمتهناً ... لديهما يُشترَى من غير عطار
لطائمُ المسك والكافور فائحةٌ ... منهُ ومُنْتَخب الهِنْدِىِّ والغار(٢)
وكلّ مُسْفرة الألفاظ تحسبها ... صحيفةً بين إشراق وإسفار
أرقتُ ماء شبابى فى محاسنها ... حتى ترَقرق فيها ماؤها الجارى
كأنها نفَسُ الريحانِ تمزجُه ... صبا الأصائل من أنفاس نوّارِ
إن قلّدَاكَ بدُرٍّ فهو من لُجَجِى ... أو خَتَّاكَ بياقوتٍ فأحجارِى
باعا عرائسَ شِعرى بالعراق فلا ... تبْعَد سباياه من عُونٍ وأبكار
مجهولةَ القدْرِ مظلوماً عَقائلُها ... مقسومةً بين جهّال وأغمار
ما كان ضَرَّهما والدرُّ ذو خَطَرٍ ... لو حلّياه ملوكا ذاتَ أخطارِ
ومارأى الناسُ سبياً مثلَ سبيهما ... بِيعتْ نفيستهُ ظلماً بدينار
والله ما مدَحا حيّا ولا رثيا ... مَيْتاً ولا افْتَخَرَا إلا بأشعارى
هذا وعندىَ من لفظٍ أُشَعْشِعُهُ ... سُلافَةً ذاتَ أضواءٍ وأنوارِ
كريمةً ليس من كَرْم ولا التثمت ... عَروسُهَا بِخِمارٍ عند خمّارِ
تنشا خلالَ شِغافِ القلب إن نشأت ... ذاتُ الحباب خِلال الطِّين والقار
لم يبْقَ لى من قريض كان لى وزَراً ... على الشدائد إلا ثقْلُ أوزارى
أراهُ قد هُتكت أستارُ حُرْمتِهِ ... وسائر الشعر مستُوراً بأستار

(١) فى اليتيمة «فى جحفل من صنيع الظلم جرار»
(٢) اللطائم : جمع لطيمة وهى وعاء المسك ، والهندى والغار : من الأعواد ذات الريح الطيبة ، وقال الشاعر :

رب نار بت أرمقها ... تقضم الهندى والغارا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كأنه جَنَّةٌ راحت حدائقُها من الغَبِيَّيْنِ فى نارٍ وإعْصار(١)
عارٍ من النَّسب الوَضَّاح مُنْتَسب فى الخالدين بين العُرِّ والعار

وله من قصيدة(٢) فى أبى إسحاق الصابى، وقد وردعليه كتاب الخالدين بأنهما منحدران إلى بغداد فى سرعة [من الخفيف] :

قد أظلَّتْك يا أبا إسحاق غارةُ اللَّفظ والمعانى الرقاق(٣)
فانْخذْ مَعْفِلاً لشعرك يَحميـــه مُروقَ الخوارِج المرَّاق
قبل رقْرَاقة الحديدتريق السُّ ـمَّ فى صفْو مائه الرَّقْراق
كانَ شنُّ الغارات فى البلد القفْـــر فأضحى على سَرير العراق
غارة لم تكن بسُمْرِ العوالى حين شُنَّتْ ولاالسيوف الرِّقاق
جالَ فُرْسانُها علىَّ جُلوسا لا أقلَّتْهُمُ ظهورُ العتاقِ
فجعتْ أنفُسُ الملوك أبا الهيْـ ـجاء حرْباً بأنْفَسِ الأعلاق
بقوافٍ مثلِ الرياض تمشَّتْ بين أنوارها جياد السَّوَاقى(٤)
بدَع كالسيوف أرْهفْنَ حُسْناً وسقاهُنَّ رَوْنقَ الطبع سَاقِى
مشرقات تُريك لفظاً ومعْنًى حُمْرَةَ الحلْى فى بياض التَّراقِى
يا لها غارةً تُفَرِّقُ فى الحوْ مةِ بين الحَمَام والأطواقِ
تَسِمُ الفارس المقدَّم بالعا رِ وبعضُ الاقدام عارٌ باقى(٥)

(١) الاعصار : ريح شديدة تصحبها نار غالبا
(٢) اقرأها فى يتيمة الدهر (٢/ ٤٦ : بتحقيقنا)
(٣) فى اليتيمة « والمعانى الدقاق » وهى خيرلئلا تتكرر كلمة « الرقاق » مع قافية الخامس
(٤) فى الأصول «جعاد السواقى» وأثبتنا ما فى اليتيمة
(٥) فى اليتيمة «تسم الفارس السميدع بالعار»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لو رأيتَ القريض يُرْعَدُ منها بين ذاك الارعاد والابراق
وقلوب الكلام تخفق رُعْباً عنْ تَثَنِّى لوائها الخفاق(١)
وسيوفَ الضلالِ تفتِكُ فيها بعذَارى الطُّرُوس والأوراق
والوجوهَ الرِّقاق دامية الأبْـــشارِ فى معرك الوُجوه الصِّفَاق
لتنفَّسْتَ رحمةً للخدود الـــحُمْر منهُنّ والقدُود الرِّشاق (٢)
والرياض التى ألحَّ عليها كاذِبُ الوَدْق صادقُ الاحراق
والنجوم التى تظلُّ نجومُ الـــأرض حُسَّادَها على الاشراق
بعد ما لُحْنَ فى سماء المعالى طُلَّعاً وانْتَثَرْن فى الآفاق
وتخيَّرْتُ حلْيَهُنَّ فلم يعـــدُ خيار النحور والأعناق(٣)
وقطعتُ الشبابَ فيه إلى أن هَمَّ بُرْدُ الشباب بالاخلاق(٤)
فهوَ مثلُ المدامِ بين صَفاء وبهـاء ونفحـةٍ ومـذَاق
منطق يُخْجِلُ الرَّبيعَ إذا حلَّ عليه السحابُ عقْدَ نِطاقِ
ياهلالَ الآداب يا ابن هلالٍ صرَفَ اللهُ عنك صَرْفَ المحاق!
سوف أُهْدِى إليك من خدَم المجـــد إماءً تعافُ قُبْحَ الاباق
كلَّ مطبوعةٍ على اسمك بادٍ وَسْمُها فى الجباه والآماقِ

وما اشتملت عليه هذه القصيدة وما قبلها من الرقة والانسجام وحسن الأسلوب وجودة السبك يمهد العذر فى الاطالة بهما ، مع ما فيهما من التزيد من السرى وكثرة التشنيع على الخالدين وسلبهما من التحلى بالآداب ، إذ مقامهما

(١) فى اليتيمة «تحت ثنى لوائها الخفاق»
(٢) فى اليتيمة « للخدود السمر»
(٣) فى اليتيمة « فلم تعد »
(٤) الاخلاق ـ بكسر الهمزة ـ مصدر «أخلق الثوب» أى بلى ورث

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فيه مشهور، ومحلهما منه على الألسنة مشكور ومذكور، وناهيك بأبي إسحاق الصابي نقداً للأدب، وقد قال فيهما مادحا [من الطويل]:

أرَى الشاعرَيْن الخالدَيْن سيَرا ... قصائد يَفنى الدهرُ وَهْيَ تخلَّدُ
جواهر من أبكار لفظ وعُونه ... يُقصِّرُ عنها راجزٌ ومُقصِّدُ
تنازَعَ قومٌ فيهما وتناقضوا ... ومرَّ جِدالٌ بينهم يتردَّدُ
فطائفة قالت: سعيدٌ مقدَّمٌ ... وطائفة قالت لهم: بل محمدُ
وصارُوا إلى حُكمي فأصلحتُ بينهم ... وما قلتُ إلا بالَّتي هي أرْشدُ
هُما في اجتماع الفضلِ زوْجٌ مؤلف ... ومعناهما من حيث يثبت مفردُ
كذَا فرْقدَا الظلماء لما تشاكلا ... عُلاً أشكلاَ هل ذاك أم ذاك أحمدُ
فزوْجهُما ما مثله في اتِّفاقِهِ ... وفرْدُهما بين الكواكب أوْحدُ
فقاموا على صلحٍ وقالوا جميعهم: ... رَضينا، وساوى فرْقدَا الأرض فرْقدُ

وما أحسن وأعدل هذه الحكومة من أبي إسحاق، فمامنهما إلا محسن ينظم في سلك الابداع ما فاق وراق، ويكاثر ببدائعه ومحاسنه الأفراد من الشام والعراق وقد مر في أثناء هذا المؤلف من بديع عجائبهما، ورفيع صنائعهما، ما يحق له أن يكتب بالنضار واللجين [1]، على آماق العين.

ترجمة معن ابن أوس

ومعن هو [2] ابن أوس بن نصر بن زيادة [3] بن أسحم، ينتهي نسبه إلى مزينة، وهي امرأة، وأبوها كلب بن وبرة، وأبو بني مزينة عمرو بن أدبن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار، وهو شاعر مجيد فحل، من مخضرمي الجاهلية

---

(١) النضار - بضم النون، بزنة الغراب - الذهب. واللجين - بصورة المصغر - الفضة

(٢) تجد لمعن بن أوس ترجمة في الأغاني (١٠ - ١٦٤ بلاق)

(٣) في الأغاني «بن زياد» بغير تاء

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والاسلام ، وله مدائح فى جميع[١] أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم ، وقد وفد على عمر بن الخطاب رضى الله عنه مستعينا به على بعض أمره ، وخاطبه بقصيدته التى أولها [من الطويل] :

تأوَّبهُ طيفٌ بذات الجرائم فنامَ رفيقاه وليس بنائم[٢]

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيام الفتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم

وحدث محجن الخزاعى قال : كان معاوية يُفَضِّل مزينة فى الشعر ، ويقول: كان أشعر الجاهلية منهم وهو زهير وكان أشعر أهل الاسلام منهم وهو ابنه كعب ومعن بن أوس .

وحدث العتبي قال : كان معن بن أوس مئناثاً[٣] ، وكان يحسن صحبه بناته وتربيتهن ، فولد لبعض عشيرته بنت ، فكرهها ، وأظهر جزعا من ذلك ، فقال معن[٤] [من الطويل] :

رَأيتُ رجالاً يَكرَهونَ بناتهمْ وفيهنَّ لا تُكذَبْ نساءٌ صَوَالحُ

وَفيهنَّ والأيام تعثرُ بالفتىَ نَوَادِبُ لاَ يملنهُ وَنَوائِحُ

وحدّث [أبو][٥] سعيد بن عمرو الزبيدى ، قال : كانت لمعن بن أوس امرأة يقال لها ثور ، وكان لها محبا ، وكانت حضرية نشأت فى الشام ، وكانت فى معن أعرابية ولُوثة ، فكانت تضحك من عَجْرَفته ، فسافر إلى الشام فى بعض أعوامه

---

(١) فى الأغانى «وله مدائح فى جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم»

(٢) فى الأصول« بذات الجرائم » وأثبتنا ما فى الأغانى والديوان المطبوع بمصر (ص ٣٠) وقد روى فى الديوان هذا البيت مطلع قصيدة فى مدح عاصم ابن عمر بن الخطاب

(٣) مئناث : أى كثير البنات

(٤) اقرأهما فى الأغانى وفى الديوان (ص ٣٩)

(٥) الزيادة عن الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فضلّتِ الرفقة عن الطريق ، وعدلوا عن الماء ، فطءوا منزلهم ، وساروا يومهم وليلتهم ، فسقط فرس معن في وِجارِ ضبّ : سقطت يده فيه ، فلم يستطع الفرس أن يقوم من شدة العطش حتى حمله الرفقة حملا فأنهضوه ، وجعل معن يقوده ، ويقول (١) [من الرجز] :

لَوْ شهِدَتْنى وجَوادِى ثورُ والرأسُ فيهِ مَيَلٌ ومورُ

* لضحكَتْ حتَّى يميلَ الكورُ *

وحدّث العتبيُّ قال : قدم معن بن أوس مكة على ابن الزبير ، فأنزله دار الضيفان ، وكان ينزلها الغرباء وأبناء السبيل والضيفان ، فأقام يومه لم يطعم شيئاً ، حتى إذا كان الليل جاءهم ابن الزبير بثَرِيد هرم هَزيل ، فقال : كلوا من هذا ، وَهُم نيف وسبعون رجلا ، فغضبَ معن ، وخرَجَ من عنده . فأتى عبد الله ابن عباس ، فقراه وحمله وكساه . ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدثه حديثه فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم رحل ، وقال يهجو عبد الله بن الزبير ويمدح عبد الله بن جعفر وابن عباس ، رضى الله عنهم (٢) [من الطويل] :

ظللنا بمستنّ الرياح غُدَيَّةً إلى أن تعالى اليومُ فى شرٍّ محضرِ (٣)

لدَى ابن الزبير جالسين بمنزلٍ من الخير والمعروف والرّفدِ مُقفِرِ (٤)

رَمانَا أبو بكرٍ وقد طالَ يومُنا بتيْسٍ من الشاء الحجازىّ أعفرِ (٥)

---

(١) ليس هذا الرجز فى ديوان معن

(٢) اقرأ الأبيات فى الديوان (ص٦٩) وهى مع الخبر فى الأغانى

(٣) فى الديوان «إلى أن تعالى الليل» وهى أوفق بالقصة ، ومحضر : أصله مصدر بمعنى الحضور ، وأراد منه القوم الحاضرين معه .

(٤) مقفر : خال ، وهو وصف المنزل

(٥) الشاء : اسم جمع للضأن من الغنم ، والأعفر : الذى لونه العفرة ، وهى لون أبيض تخالط بياضه حمرة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقالَ اطعموا منْـهُ ونحنُ ثلاثة وسبعونَ إنساناً فيَا لؤمَ مخبرِ
فقلتُ لهُ : لاَ تقربَنْ فأمامَنا جفانُ ابن عباس العلاَ وابن جعفرِ
وكُن آمناً وارْفُقْ بتيسك إنهُ لهُ أعنز ينزو عليها وأبشرِ(١)

وحدّث محمد بن معاوية الأسدى ، قال : قدم معن بن أوس المزنىّ البصرة ، فقعد ينشد فى المربد ، فوقف عليه الفرزدق ، فقال : يا معن ، من الذى يقول [من الوافر] :

لعمركَ مامزينة رَهطُ معنٍ بأخفافٍ يَطأنَ ولاَ سنَامِ(٢)

فقال مَعن : أتعرف يا فرزدق الذى يقول [من الوافر] :

لَعمرُكَ ما تميمٌ أهلُ فلجٍ بأرْدَاف الملوك وَلاَ كِرَامِ

فقال له الفرزدق : حسبك ، فانما جَرّبتك . قال : جرّبت وأنت أعلم ، فانصرف وتركه .

وحدّث الأصمعى ، قال : دخلت خضراء روح (٣) ابن حاتم المهلبى ، فاذا أنا برجل من ولده على فاحشة يوما(٤) ، فقلت : قبحك الله ! هذا موضع كان أبوكَ يضرب فيه الأعناق ويعطى اللُّهَا ، وأنت تفعل فيه ما أرى ، فالتفت إلىّ من غير أن يزول عنها ، وقال [من الوافر] :

---

(١) وقع فى الديوان «له أعين ينزو عليها» محرفا شنيع التحريف ، ووقع فى أصل هذا الكتاب فى آخر هذا البيت « وأبسر » بالسين مهملة ـ وهو تحريف ما أثبتناه عن الأغانى

(٢) وقع فى الأغانى « بأخفاف تطاق » ووقع فى الديوان « بأجفان تطاق ولا سنام »

(٣) فى الأصل « دخلت قصرا روح بن حاتم » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٤) فى الأصول « على فاحشة يؤتى » وأثبتنا ما فى الأغانى ، وهو الذى يصلح مع قوله « وأنت تفعل » وقوله بعد « من غير أن يزول »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَرِثنا المجدَ من آباء صدقٍ أسأنا فى دِيارهمُ الصنيعَا
إذا الحسبُ الرفيعُ تَوَا كلتهُ بناةُ السوء أوشكَ أن يضيعَا(١)

قال : والشعر لمعن بن أوس المزنى .

وحدث الحرمازى ، قال : سافر معن بن أوس إلى الشام ، وخلف ابنته ليلى فى جوار عمرو بن أبى سلمة(٢) ، وأمه أمّ سلمة ، رضى الله عنهما ، وفى جوار عاصم ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فقال له بعض عشيرته : مَنْ خلفت على ابنتك ليلى بالحجاز ، وهى صبية ، ليس لها من يكفلها ؟ فقال معن (٣) له : [من الطويل] :

لعمركَ ما ليلى بدار مضيعةٍ وما شيخها إنْ غاب عنها بخائفِ
وإنّ لها جارَين لنْ يغدرَا بها رَبيبَ النبىِّ وابنَ خيرِ الخلائفِ

وحدّث عبد الملك بن هشام ، قال : قال عبد الملك بن مروان يوماً وعنده عدّة من أهل بيته وولده : ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع به ، فذكروا لامرىء القيس ، والأعشى ، وطَرَفَةَ ، فأكثروا حتى أتَوا على محاسن ما قالوا ، فقال عبد الملك : أشعرهم والله الذى يقول(٤) [من الطويل] :

وَذى رَحمٍ قَلَّمْتُ أظفارَ ضِغْنهِ بِحلمىَ عنه ، وهو ليسَ لهُ حلمُ
إذَا سُمْتهُ وصل القرَابة سامنى قطيعتها ، تلكَ السفاهةُ والظلمُ (٥)

(١) وقع فى الأصول وفى الأغانى « بنات السوء » بالتاء المفتوحة وهو فى شعر معن « بناة » على أنه جمع بان جمع تكسير كغزاة ورماة وقضاة

(٢) فى الأصل « عمر بن أبى سلمة » وأثبتنا ما فى الأغانى

(٣) البيتان فى الديوان (ص٥٦)

(٤) الأبيات فى الديوان ضمن قصيدة (ص ١) وهذه الأبيات ليست متصلة هناك

(٥) فى الديوان « تلك السفاهة والاثم » وفى الأغانى مثل ما هنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فأسعى لكي أبني ويهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم (١)
يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي أن ينال له رغم (٢)
فما زلت في لين له وتعطف ... عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته ... وإن كان ذا ضغن يضيق به الحلم

قالوا : ومَنْ قائلها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن أوس المزنيّ .

وحدّث سليمان بن عياش (٣) السعدي عن أبيه ، قال : خرج معن بن أوس المزني إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاً له ، فلما قدمها نزل بقوم من عشيرته ، فتولّت ضيافته امرأة منهم يقال لها : ليلى ، وكانت ذات جمال ويَسار فخطبها فأجابته ، فتزوجها ، وأقام عندها حولا في أنعم عيش ، فقال لها بعد حول : يا ابنة عم ، إني قد تركت ضيعة لي ضائعة ، فلو أذنت لي فأتيت أهلي ورأيت مالي (٤) فقالت : كم تقيم ؟ قال : سنة ، فأذنت له ، فأتى أهله ، فأقام عندهم وأزمن عنها ـ أي طال مقامه ـ فلما أبطأ عليها رحلت إلى المدينة ، فسألت عنه ، فقيل لها : إنه بعمق ، وهو ماء لمزينة ، فخرجت حتى إذا كانت قريباً من عمق ، نزلت منزلا ، وأقبل معن في طلب ذَوْدٍ له قد أضلها ، وعليه مِدْرعة من صوف وبَتّ من صوف أخضر ـ قال : والبتّ الطيلسان ـ وعمامة غليظة . فلما رُفع له القوم مال إليهم ليستسقي ، ومع ليلى ابن عم لها ، ومولى من مواليها جالس أمام خباء له . فقال له معن : هل من ماء ؟ قال : نعم ، وإن شئت سويقاً ، وإن شئت

---

(١) صدو هذا البيت في الديوان «فيسعى إذا أبني ليهدم صالحي * وهي خير مما هنا وفي الأغاني
(٢) حفظي في عجز هذا البيت * وكالموت عندي أن يحل به الرغم *
(٣) في الأغاني «سليمان بن عباس السعدي»
(٤) رأيت ـ بالباء الموحدة ـ أصلحت ولعل أصله « رأيت مالي » مع أن لها هنا معنى جيدا ، ووقع في الأغاني « وزمت من مالي »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لبناً ، فأناخ معن ، وصاح مولى ليلى : يا منهلة : وكانت منهلة وصيفة : تقوم على معن عندهم بالبصرة . فلما أتته بالقدح وعرفها وحسرَ عن وجهه ليشرب عرفته وأثبتته ، فتركت القدح فى يده وأقبلت مسرعة إلى مولاتها . فقالت : يا مولاتى هذا والله معن ، إلا أنه فى جُبة صوف و بتّ صوف . فقالت : هو والله عيشهم إلحقى مولاى ، فقولى له : هـذا معن فاحبسه ، فخرجت الوصيفة مسرعة له ، فأخبرت المولى ، فوضع معن القدح من يده ، وقال : دعنى حتى ألقاها فى غـير هذا الزىّ ، فقالت لهُ : لست بارحاً حتى تدخل عليها . فلما رأته قالت : أهذا العيش الذى نزعت إليه يا معن ؟ قال : إى والله يا ابنة عم ، أما إنك لو أقمت إلى أيام الربيع حتى ينبت البلد الْخُزَامى والرُّخَامى والسَّخْبَر والكمأة لأصبت عيشاً طيباً ، فغسلت رأسه وجسده وألبسته ثياباً لينة وطيبته وأقام معها ليلته أجمع يحدثها[1] . ثم غدا متقدما بها إلى عمق ، حتى أعدّ لها طعاما ، ونحر ناقة وغنما ، وَقدمت على الحىّ ، فلم يبق فيهم امرأة إلا أتتها وسلمت عليها ، فلم تدع منهنّ امرأة إلا وصلتها . وكانت لمعن امرأة بعمق يقال لها أمّ حقة ، فقالت لمعن : هذه والله خير لك منى فطلقنى ، وكانت قد حملت ، فدخله من ذلك همٌّ وقام ، ثم إن ليلى رحلت إلى مكة المشرفة حاجّةً ومعن معها ، فلما فرغا من حجهما انصرفا فلما حاذيا منعرج الطريق قال معن : يا ليلى كأن فؤادى يعرّج إلى ماهنا[2] ، فلو أقمت سنتنا هذه حتى نحج من قابل ثم نرحل إلى البصرة ، فقالت : ما أنا ببارحة مكانى حتى ترحل معى إلى البصرة أو تطلقنى ، فقال : أما إذ ذكرت الطلاق

---

(١) فى الأصول «يهرجها» وأثبتنا ما فى الأغانى ، إذ كانت هذه الترجمة مأخوذة عنه بحروفها .

(٢) فى الأغانى «كأن الغوادى ينعرجن إلى هنا» وأكبر الظن أنه محرف عما ثبت فى أصول هذا الكتاب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فأنت طالق ، فمضت إلى البصرة ومضى إلى عمق ، فلما فارقته ندم على ذلك وتبعتها نفسه ، فقال فى ذلك(١) [من الطويل] :

توهَّمتُ رَبْعًا بالمعبَّرِ واضحا أبَتْ قرّتاه اليوم إلا تَرَاوحا
أرَبَّتْ عليه رَأدة حضرَمية ومرتجز قد كان فيه المضابحَا(٢)
إذَا هى حلت كَرْبلاء فَلعلعاً فجوزَ العذيب دُونها فالنوائحَا(٣)
وبانتْ نواها منْ نواك وطاوعتْ
مع الشانئين الشامتات الكواشحَا(٤)
فقولا لليلى هل تعوَّضُ نادماً لهُ رجعةً قال الطلاق ممازحَا
فانْ هى قالَتْ لا فقولا لها بلى ألاَ تتقين الجاريات الذوابحَا(٥)

وهى طويلة .

ولما انصرف وليست لليلى ممه ، قالت له امرأته أم حقة : ما فعلَت ليلى ؟ قال : طلقتها ، قالَت : والله لو كان فيك خير ما فعلت ذلك ، فطلقنى أنا أيضاً فقال لها معن [من الوافر] :

أعاذلَ أقصرِى ودَعى بَتاتى فإنكِ ذاتُ لو مات حماتِ(٦)

---

(١) الأبيات في الديوان « ص٧٧»
(٢) فى الديوان «أربت عليها» وفى الأغانى «أريت عليها» وفى الأصل « كأن فيه المصالحا » وأثبتنا مافى الأغانى والديوان
(٣) فى الأصل « فجوز العذيب » بالحاء مهملة ، وأثبتنا في هذه الكلمة مافى الديوان والأغانى وفيهما « بعدها »فى مكان «دونها»
(٤) فى الأغانى والديوان « مع الشاميين الشامتين الكواشحا » وما هنا أحسن
(٥) فى الأغانى والديوان«ألاتتقين الحادثات الذوابحا» وهي بمعنى ماهنا
(٦) فى الأغانى والديوان«ودعى بياتى»وأحسب أن ماهنا خير . والبتات: الطلاق ، والبيات : الغارة على الأعداء ليلا ، وأراد بلومات حمات شديدة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وإنّ الصبحَ منتظرٌ قريب وإنكِ باللامة لنْ تُفاني
نأت ليلى فَليلى لنْ تُواتى وضنتْ بالمودّة والثباتِ(١)
وحلّتْ دارُها سفَوَان بعدى فذاكَ قارٍ فمنحرفَ الفراتِ(٢)
تُراعى الريف دَائبةً عليها ظلالُ الأثل مختلط النباتِ(٣)
فَدَعها أوْ تناولها بِعنْسٍ من العيدىّ فى قُلُصٍ شحاتِ(٤)

وقال أيضا فى مطالبة أم حقة له بالطلاق [من الطويل] :

كأن لم يكن يأمّ حقة قبل ذَا بمَيطان مصطافٌ لنا ومرابعُ
وإذْ نحن فى عصر الشباب وقدعفا بنا الآن إلا أن يعوّض جازِعُ(٥)
فقدْ أنكرته أمُّ حقةَ حادثاً وأنكرها ماشئتَ والودُّ خادعُ
ولوْ آذَنتنا أمُّ حقةٍ إذنباَ شبابٌ وإذلما تَرُعنا الرّوائعُ(٦)
لَقلنا لها بيني بِليل حميدَةً كذَاكَ بلا ذمٍّ تؤدّى الودائعُ(٧)

ومر عبدالله بن عباس بمعن بن أوس وقد كف بصره ، فقال له : يامعن ، كيف حالك ؟ فقال له : ضعف بصرى ، وكثر عيالى ، وغلبنى الدين ، قال :

---

(١) فى الأغانى «وليلى لاتوانى»
(٢) فى الأغانى «بمنخرق الفرات»
(٣) فى الأغانى روى هذا البيت هكذا :
تراعى الريف دانية عليها ظلال أنف مختلط النبات
(٤) روى هذا البيت فى الأغانى :
فدعها أو تناولها بعس من العودى فى قلص سحات
(٥) في الأغانى «غصن الشباب» وفيه «نعوض جارع»
(٦) فى الأصل « وإذ لما تروع الروائع » وأثبتنا ما فى الأغانى
(٧) فى الأغانى «تؤدى الصنائع»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكم دينك؟ قال : عشرة آلاف درهم ، فبعث بها إليه ، ثم مر به من الغد ،فقال له : كيف أصبحت يامعن ؟ فقال [من الطويل] :

أخذتُ بعين المال حتى نهكتُه وبالدّين حتى ما أكاد أُدانُ
وحتى سألتُ القرض عندذوى الغنى وردّ فلانٌ حاجتى وفُلانُ

فقال له عبدالله : الله المستعان ، إنا بعثنا لك بالأمس لقمة فمالكتها حتى انتزعت من يدك ، قال : فأى شيء للأهل والقرابة والجيران ؟ فبعث إليه بعشرة آلاف درهم أخرى ، فقال معن يمدحه [من الطويل] :

وإنك فرْعٌ من قُريش وإنما تمجُّ النَّدى منها البحورُ الفوارعُ
ثَوَوْا قادة للناس ، بطحاء مكة لهم ، وسقاياتُ الحجيج الدوافعُ
فلما دُعُوا للموت لم تبك منهم على حادثِ الدَّهْرِ العيونِ الدوامعُ

ومن شعره أيضاً قوله [من مجزوء الخفيف] :

رُبما خُيِّر الفتى وَهْوَ للخير كارهُ

* * *

١٨٥ ـ مَنْ رَاقَبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجته وفاز بالطيباتِ الفاتكُ اللهِجُ

شاهد حسن الاتباع

***

١٨٦ ـ مَنْ راقب النـاس ماتَ غما وفاز باللذةِ الجَسُورُ

البيت الأول لبشار بن برد من أبيات[1] من البسيط منها :

لو كنتِ تَلْقَيْنَ مانلقى قسَمْتِ لنا يوماً نعيشُ به فيـكُمْ ونبتَهِجُ
لا خيرَ فى العيش إن دُمنا كذا أبداً لا نلتقى وسـبيلُ الملتقى نَهَجُ

(١) روى فى المختار من شعر بشار بيتين أولهما بيت الشاهد وثانيهما ثالث هذه الأبيات بتغيير سنذكره

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قالوا حرام تلاقينا فقلتُ لهم ما فى التلاقى ولا فى غيره حرج[1]

و بعده البيت ، و بعده :

أشكو إلى الله همًّا لا يفارقنى وشُرّعافى فُؤادى الدَّهْرَ تعتلجُ

والفاتك اللهج : الجرىء الشجاع الذى له ولوع بالقتل

والبيت الثانى لسَلْم الخاسر من أبيات من مخلع البسيط أولها :

بان شبابى فما يحُورُ وطالَ من ليلىَ القصيرُ

أهدى لى الشوق وهو خلوٌ أغَنُّ فى طرفهِ فُتُورُ

وقائل حين شَبَّ وَجْدِى واشتعلَ المضمرُ السَّتيرُ

لو شئت أسلاكَ عن هواهُ قلبٌ لأشجانه ذكُور

فقلتُ لا تَعجلَنْ بلومى فانما يُنبيء الخبيرُ

عذّبنى والهوى صغيرٌ فكيفَ بى والهَوى كبيرُ

وبعده البيت

ووقفت فى الدر الفريد على بيتين من مديحها وهما :

كأنهُ والقنا دَوَانٍ يومٌ على ليلةٍ مغيرُ

يُريك تحت العجاج وجها يضلُّ فى نوره البصيرُ

والجسور : الشديد الجرأة

والشاهد فيهما : حسن أخذ الثانى من الأول ، و يسمى حسن الاتباع ، فان بيت سَلْم أجود سبكا ، وأخصر لفظا

حدَّث أحمد بن صالح قال : لما بلغ بيت سَلم الخاسر بشاراً غضب وأشط

---

(١) روى هذا البيت فى المختار هكذا :

قالوا حرام تلاقينا ، لقد كذبوا مافى التزام ولا فى قبلة حرج

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وحلف لايدخل إليه ولا يفيده ولا ينفعه مادام حيا ، فاستشفع سلم إليه بكل صديق له وكل من يثقل عليه رده ، فكلموه فيه ، فقال : أدخلوه ، فاستدناه ثم قال : ياسلم من الذى يقول :

* من راقب الناسَ لم يظفر بحاجته *

قال : أنت يا أبا معاذ جعلنى الله فداك ، قال : فمن الذى يقول :

* من راقبَ الناسَ مات غما *

قال : تلميذك وخِرِّيجك وعبدك يا أبا معاذ ، فاجتذبه إليه وقَمَّعه بمخصرة كانت فى يده ثلاثا ، وهو يقول : لا أعود يا أبا معاذ إلى ماتنكره ، ولا آتى شيئاً تذمه ، إنما أنا عبدك وصنيعك ، وهو يقول له : يا فاسق ، أتتجرأ على معنى سهرت له عينى وتعب فيه فكرى وسبقتُ الناس إليه فتسرقه ثم تختصر لفظاً تقرب به لتزرى على وتذهب بيتى ؟ وهو يحلف له أن لا يعود ، والجماعة يسألونه ، فبعد جهد ما شفعهم فيه وكف عن ضربه ، ثم رجع له ورضى عنه

وحدث أبومعاذ النميرى ، قال : لما قال بشار بيته « من راقب الناس إلخ » قيل له : يا أبا معاذ ، قد قال سلم بيتا هو أحسن وأخف على الألسن من بيتك هذا قال : وما هو ؟ فأنشد بيت سلم هذا ، فقال بشار : ذهب والله بيتنا ، أما والله وددت أنه ينتمى فى غير ولاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأنى أغرم ألف دينار ، محبة منى لهتك عرضه وأعراض مواليه ، قال : فقيل له : ما أخرج هذا القول منك إلا غم ، قال : أجل ، فوالله لاطعمت اليوم طعاما ولاصمت

من شواهد حسن الاتباع

ومن حسن الاتباع قول ابن نباتة السعدى [من الطويل] :

خلقْنَا بأطراف القنا فى ظُهُورهم عيوناً لها وقعُ السيوف حواجبُ

فانه أحسن اتباع قول بعضهم [من الطويل] :

خلقنا لهم فى كل عين وحاجب بسُمر القنا والبيض عَيْناً وحاجبا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فبيت ابن نباتة أبلغ لاختصاصه بزيادة معنى وهو الاشارة إلى انهزامهم ، حيث أوقع الطعن والضرب على ظهورهم

ومن الشواهد الحسنة على حسن الاتباع قول منصور النمرى فى زينب أخت الحجاج وأترابها ، وهو [من الطويل] :

وهُنَّ اللواتى إن برَزْنَ قتلننى ... وإن غبن قطّعن الحشى حسراتِ

فأحسن اتباعه ابن الرومى بقوله [من الكامل] :

ويلاه إن نظَرت وإن هى أعرضت ... وقعُ السهام ونزعهن أليم

وقول البحترى [من الكامل] :

أخجلتنى بِندَى يديك فسوّدت ... ما بيننا تلْكَ اليدُ البيضاءُ

صِلة غدت فى الناس وهى قطيعةٌ ... عجبٌ ، وبرٌّ راح وهو جفاءُ

فأحسن أبو العلاء المعرى اتباعه فقال [من البسيط] :

لو اختَصَرْتم من الاحسان زرتكُمُ ... والعذبُ يُهجَرُ للافراط فى الخَصَرِ

لأنه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته ، وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان

وقول عنترة العبسى [من الكامل] :

إنى امرؤ من خير عبْسٍ منصباً ... شَطْرِى ، وأحمى سائرى بالمُنْصُلِ

فأحسن اتباعه الفقيه منصور المصرى فى شريف سبه وكان شرفه من جهة أبيه دون أمه ، فقال [من المجتث] :

من فاتنى بأبيه ... ولم يفُتنى بأمهْ

ورامَ شَتمىَ جَهلا ... سكتُّ عن نصف شتمهْ

وحسن الأخذ فيهما ظاهر لايخفى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولمؤلفه فى عكس هذا [من مجزء الرجز] :

من فاتَنَا بأمه ولم يَفُتنا بأبهْ
سكتُّ عن جليه وقولُنا فى المُشتبهْ

وفى معنى البيتين الأولين قول بعضهم [من الوافر] :

لقد نِلْتَ المفاخرَ من قُريش كما نلتَ الرذلة من نمار
فنصفُكَ كاملٌ لا عيبَ فيه ونصفُكَ كاملٌ من كل عار

وقول ابن الرومى [من الطويل] :

تحذتكمُ درعا حصينا لتدفعُوا نبالَ العدى عنى فكنتم نِصالَها
وقد كنتُ أرجُومنكم خير ناصر على حين خذلانِ اليمين شمالَها
فان كنتُمُ لا تحفَظُون مودّتى ذِماماً فكونوا لا عليها ولا لهَا
قِفُوا وَقْفة المعذور عنى بمعْزِل وخلُّوا نِبالى للعِدَى ونبالَها

فأحسن ابن سناء الملك اتباعه بقوله [من الكامل] :

أعددتكم لدفاع كلّ مُلمة عوناً فكنتم عون كل ملمةِ
وتخذتكم لى جُنّةً فكأنما نظر العدوّ مقاتلى من جُنتى
فلأ نضَنَّ يَدىً يأساً منكم نَفْضَ الأنامل من تراب الميت

وقال ابن الرومى [من البسيط] :

سد السَّداد فمى عما يريبكُمُ لكن فَمُ الحال منى غير مسدود

فأحسن ابن أبى الاصبع اتباعه فقال [من الكامل] :

هَبنى سكت أما لسانُ ضرورتى أهْجُى لكلٍّ مقصّر من منطقى

وقول سُلَيك بن سُلَكة [من الطويل] :

تبسّمُ عن ألْىً اللّثات مُفلّج خَليقِ الثنايا بالعُذُوبة والبردِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وما ذقته إلا بعيني تفرُّساً كما شِيمَ ماء في السحابة من بُعْدِ

وقال نُصَيب [من الطويل] :

كأن على أنيابها الخمرَ شجَّها بماء الندى في آخر الليل غابقُ

وما ذقتُه إلا بعيني تفرُّساً كما شِيمَ في أعلى السحابه بارقُ

وأحسن بشار اتباعهما بايجازه فقال [من البسيط] :

يا أطيب الناس ريقاً غير مُخْتَبِرٍ إلا شهادةَ أطراف المساويكِ

وقد تلاعب الشعراء بهذا المعنى ، فمنه قول ابن الرومي [من الطويل] :

وما سرُّ عيدان الأراك بريقها تناوحها في أيكها تتهصَّرُ

لئن عدمت سقيا الثرى إن ريقَها لأعذبُ من هاتيك سقياً وأخضرُ

وما ذقتُه إلا بشَيْمِ ابتسامها وكم مُخْبَرٍ يبديه للعين مَنظرُ

بدالي وميضٌ شاهد أن صَوْبه عريضٌ وماعندي سوى ذاك مُخْبِرُ

وقول أحمد بن إبراهيم الكاتب [من الخفيف] :

فمتى ترشفي سواكَ أراكٍ يبطل المسك نشرُ ذاك السِّواك

بأبي ثغرُك النقيُّ الذي نمَّتْ على طِيبِهِ فروعُ الأراك

وقول بعضهم [من المتقارب] :

وثغر لها طيبٌ واضحٌ لذيذ المقبَّلِ والمبتَسَمْ

وما ذقته غير ظني به وبالظنِّ يقضى على ما اكتتم

وقول المتوكل الليثي [من الوافر] :

كأن مُدَامة صَهْبَاء صِرْفاً تُصفَّق بين راووق ودَنِّ

تُعَلُّ بها ثنايا أم سلمى فراسة مُقلتي وصحيحُ ظني

وما أعذب قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يا ظبية تخشى إذا نظرت فتكاتِ سود لحاظها الأسد
إن قلتُ ريقك خمرة شهدتْ قُضُبُ الأراكِ بأنه شهدُ

وقول البهاء زهير [من الطويل] :

وتبْسِمُ عن ثغر يقولون إنه حَبَابٌ على صهباء كالمِسك تنفح
وقد شهد المسواكُ عندى بطيبه ولم أر عَدْلاً وهو سكران يطفحُ

وقو السموأل بن عادياء اليهودىٍ [من الطويل] :

يُقربُ حبُّ الموت آجالَنَا لنا وتكرهه آجالهُم فتطولُ

وقال أبو الطيب [من البسيط]

* أفناهم الصّبر إذْ أبقاهُمُ الجزعُ *

وقال الأسود بن يعفر [من الكامل] :

يسعى بها ذو توأمين كأنما قنأت أنامله من الفِرصادِ

فأحسن أبو نُوَاس اتباعه بزيادة من المحاسن فقال [من السريع] :

تبكى فتذرى الدرّ من نرجس وتلطم الورد بعُنّاب

وتقدم ذكره فى شواهد التشبيه

وقال أبو تمام يصف قصائده [من الطويل] :

يراها عِياناً من يراها بسَمْعِهِ ويدنو إليها ذو الحجى وهوشاسع
يودّ وداداً أن أعضاء جسمه إذا أُنشدَتْ شوقا إليها مسامعُ

وقال الأخطل يصف بعض القيان[1] [من المنسرح] :

جاءت بوجْهٍ كأنه قمرٌ على قَوَام كأنه غُصن

(١) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة المغنية .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حتى إذاما استوَتْ بمجلسها وصار فى حجرها لها وَطَنْ
غَنَّتْ فلم تَبْقَ فىَّ جارحةٌ إلا تَمَنَّتْ أنها أُذُنْ

والمرقص المطرب فى هذا المعنى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض [من الطويل]

إذا ما بَدَتْ ليلى فكلىَ أعينٌ وإن هى ناجتنى فكلِّى مسامع

وقال مسلم بن الوليد [من البسيط] :

تجرى محبَّتُهـا فى قلب عاشقها مجْرَى الْمعَافاةِ فى أعضاءِ مُنْتَكِسِ

فأحسن أبو نواس اتباعه فقال [من المديد] :

فتمشَّتْ فى مَفَاصلهم كتمشِّى البُرْءِ فى السقَمِ

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض ملوك اليمن [من الكامل] :

منع البقـاء تقلُّبُ الشمْسِ وطلوعُهَا من حيـثُ لا تُمسى
تجرى على كبدِ السماء كما يجْرِى حِمَامُ المَوْتِ فى النَّفْسِ

وقد مر طرف من هذا المعنى فى ترجمة أبى نواس فى أوائل الفن الأول

وحدث أبو بكر ابن هارون بن عبد الله المهلبى ، قال : كنا فى حلقة دعبل الشاعر ، فجرى ذكر أبى تمام ، فقال دعبل : كان يتبع معانىَّ فيأخذها ، فقال له رجل فى مجلسه : ما من ذاك أعزك الله؟ فقال : قلت [من الطويل] :

وإن امرأ أسْدَى إلىَّ بشـافعٍ إليهِ ويَرْجو الشكر منى لأَحْمَقُ

فأخذه أبو تمام فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسْدَى إليكَ صَنيعةً مِنْ جَاهِهِ فكأنها من مالِهِ

فقال الرجل : أحسن والله ، فقال دعبل : كذبت والله ، قبحك الله ! فقال الرجل : إن كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما أحسنت ، وإن كان أخذه منـك لقد أجاد فصار أولى ببيتك فى الحالتين ، فغضب دعبل وقام .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد أخذ ابن قلاقس هذا المعنى فقال [من الكامل] :

وإذا امرؤ أسْدَى إليك بشافعٍ خيراً فذاك الخيرُ خيرُ الشافعِ

ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف إلا نازعهم إياه المتأخرون ، وطلبوا الشركة معهم فيه ، إلا قول عنترة [من الكامل] :

وخَلاَ الذُّبابُ بها فليس ببارحٍ غَرِداً كفِعْلِ الشارب المُترَنِّمِ

هَزِجاً يحُكُّ ذراعَه بذراعِه قَدْحَ المكِبِّ على الزناد الأجْذَمِ

وقال الجاحظ : نظرنا فى الشعر القديم والحديث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض ، غير قول عنترة فى الأوائل ، وأنشد البيتين ، وغير قول أبى نواس فى المحدثين [من الطويل] :

تُدَارُ علينا الرَّاح فى عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْهَا بأنْواع التصاوير فارسُ

قَرَارَتُهَا كِسْرَى وفى جنباتها مَهًا تَدْرِيهَا بالقِسِىِّ الفوارس

فللرَّاحِ ما زرَّتْ عليه جُيُوبَها وللماء ما دَارتْ عليه القَلاَنِسُ

فانه أراد بالعسجدية كؤوسا مذهبة فيها صور منقوشة ، وهى صورة كسرى ، وصور المها والفوارس ، ومعنى البيت الأخير منها أن حَدَّ الخمر من هذه الصور التى فى الكؤوس إلى التراقى والنحور ، وأنها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها إلى مافوق رؤوسها ، وقد يكون الْحَبَابُ هو الذى انتهى إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت ، والمعنى الأول أبدع ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من حدها ممزوجة ، وزعم بعضهم أن أبا نواس اهتدى إليه من قول امرئ القيس [من الطويل] :

فلما اسْتَطَابُوا صَبَّ فى الضحن نصْفَه ووافَوْا بماء غير طَرْقٍ ولا كَدِرْ

جعل الماء والشراب قسمين ، فتسلَّق أبو نواس عليه وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصور .

وذكرت بأبيات أبى نواس هذه تضمين أبى الحسين الجزار لها فى يوم نوروز

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكتب به إلى بعض أصحابه ناقلا المعنى من وصف الكأس المصورة إلى وصف الصفاع يوم الورود ناقلا الراح من اسم الخمر إلى جمع راحة ، وهى اليد ، وهو [من الطويل] :

كتبتُ بها فى يوم لَهْوٍ وهامَتى ... تمارسُ من أبطاله ما تمارسُ
وعندى رجالٌ للجُون تَرَجَّلَتْ ... عمائمُهُمْ عن هامهم والطَّيالسُ
فللراح ما زرَّتْ عليه جُيوبها ... وللماء ما دارَت عليه القلانسُ
مساحِبُ من جرِّ الزقاقِ على الصَّفَا ... وأضغاثُ أنطاعٍ جَنىٌّ ويابس

وما زال العلماء بالشعر وجهابذة المعانى يرون أن قول عنترة السابق أوحد فَرْدٌ ويتيمٌ فذٌّ ، وأنه من المعانى العُقْم التى لا تولد ، على أن ابن الرومى قد تعلق بذيله فى معنى البيت الأول وزاد عليه بقوله [من الطويل] :

إذا ارتفعت شمسُ الأصيل وبيَّضَتْ ... على الأفقِ الغربىِّ وَرْساً مذعذعا
وودَّعَتِ الدنيا لتقضى نَحْبَهَا ... وسوَّل باقى عُمْرِها فَتَشَعْشَعَا
ولاحظَتِ النوَّار وهى مريضةٌ ... وقد وضَعَتْ خدا إلى الأرض أضْرَعَا
كما لاحظت عوَّادها عينُ مُدنَفٍ ... توجَّع من أوصابها ما توجعا
وبين إغضاء الفراق عليهما ... كأنهما خلاَّ صفاء تودَّعا
وقد ضَرَبَتْ فى خُضْرَةِ الروض صفْرةٌ ... من الشمس فاخضرَّا اخضراراً مُشَعْشَعَا
وظلَّتْ عيونُ الروض تخضلُّ بالندى ... كما اغرَوْرقَتْ عينُ الشجىِّ لتدمعا
وأذكى نسيمُ الرَّوض رَيْعَانَ ظلِّهِ ... وغنَّى مُغَنِّى الطيرِ فيه فرَجَّعَا
وغرَّدَ ربعىُّ الذباب خِلاله ... كما حَثْحَثَ النشوان صيحاً مشرَّعا
فكانت أرانينُ الذباب هنالكم ... على شَدَوات الطير ضَرْباً مُوَقَّعَا

وقال أبو محمد عبد المجيد بن عبدون [من البسيط] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

سارواومِسْكُ الدياجى غيرَ مَنهُوبِ وطُرَّةُ الشرق غُفْلٌ غير تَذْهيبِ
على رُبًا لم يزَلْ شادى الذباب بها يأتى بآنق ملفوظ ومَضْرُوبِ
كالغيد فى قُبَبِ الأزهار أذرعه قامَتْ له بالمثانى والمضاريبِ

وقال أبو بكر بن سعيد البطليوسى [من الطويل] :

كأن أهازيجَ الذبابِ أساقِفٌ لها من أزاهير الرياض مَحَاريبُ

وقال السلامى فى وصف زُنْبُور [من الطويل] :

إذا حك أعلى رأسِهِ فكأنما بسَالِفَتيه من يديه جَوَامِعُ

وتعرض حازم فى مقصورته لتشبيه عنترة بقوله [من الرجز] :

ألقى ذراعاً فوق أخرى وَحَكَى تكلف الأجْذَم فى قطْعِ السَّنَى
كأنَّمَا النورُ الذى يفْرَعُهُ مُقْتَدِحاً لزنده سَقْطُ وَرَى

فقصر عنه التقصير البين ، وأخل بذكر الاكباب والحك ، ولهما فى هذا التشبيه موقع بديع ، مع التكلف البادى على قوله «تكلف الأجذم فى قطع السنى» ثم رام أن يزيد فيه فقال «كأنما النور — البيت» وقوله «يفرعه» أى يعلوه عند إلقاء ذراعه على الأخرى ، والسقط — مثلث السين — ما يسقط من النار عند القدح .

ولا خفاء فى أن المعانى الشهيرة البارعة الحسن كتشبيه عنترة هذا لا ينبغى أن يتعرض لأخذها متعرض إلا بالزيادة البينة البديعة الموقع ، والعبارة الناصعة السهلة ، حتى يتبين الفضل للثانى على الأول ، والشفوف[1] للآخذ على المأخوذ منه ، وإلا كان فاضحاً لنفسه ، وماسخاً للمعنى الذى تعرض لأخذه

(١) كذا ، ولعله «والتفوق»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ترجمة سلم الخاسر

وسَلْم الخاسر [١] هو ابن عمرو مولى بنى تَيْم بن مرة [٢] ثم مولى آل أبى بكر الصديق رضوان الله عليه ، وهو شاعر بصرى مطبوع متصرف فى فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية ، وهو راوية بشار بن برد وتلميذه ، وعنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر ، ولقب بالخاسر - فيما يقال - لأنه ورث من أبيه مصحفاً فباعه واشترى بثمنه طنبوراً ، وقيل : لأنه لما مات أبوه واقتسم ورّاثه ماله وقع فى قسم سلم مصحف فرده وأخذ مكانه دفاتر شعر كانت عند أبيه فلقب الخاسر لذلك ، وقيل : لأنه ورث عن أبيه مائة ألف درهم فأنفقها على الأدب وبقى لا شىء عنده ، فلقبه الجيران ومن يعرفه سلماً الخاسر ، وقالوا : أنفق ماله على ما لا ينفعه ، ثم مدح المهدى والرشيد وقد كان بلغه اللقب الذى لقب به ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وقال له : أكذب بهذا المال جيرانك ، فجاءهم بها وقال لهم : هذه المائة ألف التى أنفقتها ، وربحت الأدب ، فأنا سلم الرابح ، لا سلم الخاسر ، وقيل : إنه لما باع المصحف واشترى بثمنه طنبوراً فكان يقال له : ويلك هل فعل أحد ما فعلت ؟ فيقول : لم أجد شيئاً أسر به به إبليس وهو أقر لعينه من هذا .

وحدث محمد بن عمر الجرجانى قال : كان سلم تلميذ بشار إلا أنه تباعد ما بينهما فكان سلم يقدم أبا العتاهية ويقول : هو أشعر الجن والانس ، إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلما [من الوافر] :

تعالى الله يا سَلْمَ بْنَ عَمْرٍو أذَلّ الحرصُ أعْناق الرجالِ

---

(١) لسلم الخاسر ترجمة فى الأغانى (٢١ /٧٣-٨٤ الساسى) وفى مهذب الأغانى (٩ / ٤٥)

(٢) فى الأصول «مولى بنى تميم بن مرة» محرفا ، والذى يوضح تحريفه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه أحد بنى تيم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

هَبِ الدُّنْيا تصيرُ إليك عفْواً ألَيْسَ مصيرُ ذاكَ إلى الزَّوالِ؟

قال: وبلغ الرشيد هذا الشعر فاستحسنه، وقال: لعمرى لقد صدق، إن الحرص لمفسدة لأمر الدين والدنيا، ومافتشت عن حريص قط بعيبة إلا انكشف لى عما أذمه به، وبلغ ذلك سلما، فغضب على أبى العتاهية وقال: ويلى على الجرار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أنى حريص وقد كنز البِدَرَ، وهو يطالب، وأنا فى ثوبىّ هذين لا أملك غيرهما، وانحرف عن أبى العتاهية.

وحدث القضاعى أن سلما كتب إلى أبى العتاهية [من السريع]:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ يزهِّدُ الناسَ ولا يزهَدُ
لو كان فى تزهيدِهِ صادقاً أضْحَى وأمسى بيتُه المسجدُ
ورَفضَ الدنيا فلم يلْقَها ولم يكن يَسْعَى ويستَرْفِدُ
يخاف أن تَنْفَدَ أرْزاقُه والرزقُ عندَ اللهِ لا يَنْفَدُ
الرزقُ مقسومٌ على مَنْ ترَى ينالُه الأبيضُ والأسودُ
كلّ يوفَّى رزْقَه كاملاً من كفٍّ عن جَهْدٍ ومن يَجْهَدُ

وحدث العباس بن عبد الله قال: كنا عند قُثَمَ بن جعفر بن سليمان، وهو يومئذ أمير البصرة، وعنده أبو العتاهية ينشد شعره فى الزهد، فقال لى قُثَمُ: يا عباس، اطلب لى الجماز الساعة حيث كان وجئنى به، ولك شىء، فطلبته فوجدته جالسا ناحية عند ركن دار جعفر بن سليمان، فقلت له: أجب الأمير، فقام حتى أتى قُثَمَ فجلس فى ناحية مجلسه، وأبو العتاهية ينشد، ثم قام إليه الجماز فواجهه، وأنشده أبيات سَلْمٍ هذه، فقال أبو العتاهية: مَنْ هذا أعز الله الأمير؟ قال: هذا الجماز، وهو ابن أخت سلم الخاسر انتصر لخاله حيث تقول له، وأنشد البيتين السابقين، قال: فقال أبو العتاهية للجماز: يابن أخى، إنى لم أذهب فى شعرى الأول حيث ذهب خالك، ولا أردت أن أهتف به، ولا أذهب فى حضورى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وإنشادى حيث ذهب من الحرص على الرزق، والله يغفر لكما، ثم قام وانصرف

وحدث أبو محمد اليزيدى أنه حضر مجلس عيسى بن عمرو، وحضر سلم الخاسر، فقال له: يا أبا محمد، اهجنى على روى قصيدة امرىء القيس [من المديد]:

رُبَّ رامٍ من بنى ثُعَل ... مُخْرِجٍ كفَّيْه من سِتَرِهْ

قال: فقلت له: ماذا دعاك إلى هذا؟ قال: كذا أريد، فقلت: أنا وأنت أغنى الناس عما تستدعيه من الشر، فلْتَسَعْكَ العافية، فقال: إنك لتحتجر غايةَ الاحتجار منى، وأريد أن توهم عيسى أنى مفحم لا أقدر على ذلك، فقال لى عيسى: أسألك يا أبا محمد بحقى عليك إلا فعلت، فقلت [من المديد]:

رُبَّ مغمورٍ بعافيةٍ ... غَمط النَّعْماء من أشَرِهْ

وامرئٍ طالت سلامتُه ... فرماهُ الدهرُ من غِيَرِهْ

بسهامٍ منه مُقْوِيةٍ ... نَقَضَتْ منه قُوَى مِرَرِهْ

وكذاك الدهر مُنْقَلِبٌ ... بالفتى حالين من عُصُرِهْ

يخلطُ العُسْرَى بمَيْسَرَةٍ ... ويسارَ المرء فى عُسُرِهْ

عقَّ سَلْم أمَّه صِغَراً ... وأبا سَلْم على كِبَرِهْ

كلَّ يومٍ خلْفَهُ رَجُلٌ ... رامحٌ يسْعى على أثَرِهْ

يولج الغُرْمُولَ سَبْتَهُ ... كولوج الضبِّ فى جُحُرِهْ

قال: فاغتم سلم وندم، وقال: هكذا تكون عاقبة البغى والتعرض للشر، فضحك عيسى وقال: قد جَهِدَ الرجل أن تدعه وصيانته ودينه، فأبيت إلا أن يدخلك فى حرأمك.

وحدث محمد النوفلى، قال: كان المهدى يعطى مروان[1] وسلما الخاسر عطية واحدة، فكان سلم يأتى باب المهدى على البِرْذَوْن الفاره قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام، ولباسه الخز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان،

(١) يريد مروان بن أبى حفصة، وسيتمم اسمه فى تمام الحديث

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و رائحة المسك الطيب والغالية تفوح منه، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فَرْو كبل وقميص وسراويل وعمامة من كرباس وخف كبل وكساء غليظ، وهو منتن الرائحة وكان لا يأكل اللحم حتى يُقْرَم إليه بخلا، فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله، فقال له قائل: أراك لا تأكل إلا الرأس، قال: نعم، أعرف سعره فآمن خيانة الغلام، ولا أشترى لحما فيأكله ويطبخ منه، والرأس آكل منه ألواناً: آكل من عينيه لوناً، ومن غَلْصَمَته لوناً، ومن دماغه لوناً.

وحدث الحسن الربيعي، قال: كان سلم الخاسر قد بُلي بالكيمياء، فكان يذهب بكل شيء له باطلا، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن بباب الشام صاحب كيمياء عجيبا، وأنه لا يصل له أحد إلا ليلا، فسأل عنه، فدلُّوه عليه، قال: فدخلت إليه إلى موضع مغور، فدققت الباب، فخرج إلى، فقال: مَنْ أنت عافاك الله؟ فقلت له: رجل مُعْجَب بهذا العلم، قال: لا تشهرني فاني رجل مستور، وإنما أعمل للقوت، قال: فقلت: إني لا أشهرك، وإنما أقتبس منك، قال: فاكتم ذلك، قال: وبين يديه كوز شَبَهٍ صغير، فقال لي: اقلع عُرْوَته، فقلعتها، فقال: اسبكها في البَوْتَقَة، فسبكتها، فأخرج شيئا من تحت مُصَلَّاه، فقال: ذُرَّه عليه، ففعلت، فقال: أفرغه، فأفرغته، فقال: دعه معك فاذا أصبحت فاخرج به وبعه وعد إلي، فأخرجته إلى باب الشأم فبعت المثقال بأحد وعشرين درهما، ورجعت إليه وأخبرته، فقال: اطلب الآن ما شئت، فقلت: تفيدني، قال: بخمسمائة درهم على أن لا تعلمه أحد، فأعطيته، وكتب لي صفة، فامتحنتها فاذا هي باطلة، فعدت إليه، فقيل لي: قد تحول، فاذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه، والكوز شَبَه، ولذلك كان يدخل إليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه، فانصرفت، وعلمت أن الله تعالى أراد بي خيرا، وأن هذا كله باطل.

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وحدث أبو المستهل الأسدي قال : كان سلم الخاسر يُهاجي وَالِبَةَ بن الحباب فأرسلني إليه سلم فقال : قل له [من المنسرح] :

والبةَ بْن الحباب يا حَلَقِي لستَ من اهلِ الزِّناء فانطلق

تُدخِلُ فيك الغرمول تولجهُ مثلَ ولوج المِفتاحِ فى الغَلَقِ

فأتيت إليه فقلت له ذلك ، فقال : قل له : يا ابن الزانية سَلْ عنك ريعان التميمى ، يعنى أنه ناكه ، وكان ريعان لوطيا آفة من الآفات ، وكان غلامه ظريفا ، وكان يقول : نكت الهيثم بن عدى ، فمن ترونه يفلت منى بعده .

وحدث أبو المستهل قال : دخلت يوما على سلم الخاسر ، وإذا بين يديه قراطيس يرثى ببعضها أم جعفر و ببعضها أقواما لم يموتوا ، وأم جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ! ما هذا ؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ، و يستعجلوننا ، ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد ، فنعد لهم مثل هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلنا فيه على أنه قيل فى الوقت .

وحدث زكرياء بن مهران ، قال : طالب أبو الشمقمق سلما الخاسر أن يَهَب له شيئا ، وقد خرجت له جائزة ، فلم يفعل ، فقال أبو الشمقمق [من البسيط] :

يا أم سَلْمٍ هداكِ الله زُورينا كيما نَنيكَكِ فرداً أو تَنيكينا

ما إنْ ذكرتك إلاهاجَ لى شَبَقٌ ومثلُ ذكراك أم السَّلمِ يُشْجينا

قال : فجاء سَلْم ، فأعطاه خمسة دنانير ، وقال : أحب أن تعفينى عن استزارتك أمى وتأخذ هذه الدنانير فتنفقها .

وحدث محمد بن القاسم بن الربيع عن أبيه ، قال : دخل الربيع على المهدى ، وأبو عبيد الله الوزير جالس يعرض كتبا ، فقال له أبو عبيد الله : مر هذا أن يتنحى ، يعنى الربيع ، فقال له المهدى : تَنَحَّ ، قال : لا أفعل ، فقال : كأنك ترانى بالعين الأولى ، قال : لا ، بل أراك بالعين التى أنت بها ، قال : فلم لا تتنحى إذ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أمرتك ؟ فقال له : أنت ركن الاسلام ، ومذ قتلت ابن هذا فلا آمن أن تكون معه حديدة يغتالك بها ، فقام المهدى مذعورا ، وأمر بتفتيشه ، فوجد بين جَوْرَبه وخُفّه سكين فردت الأمور كلها إلى الربيع ، وعزل أبو عبيد الله ، وولى يعقوب بن داود فقال سلم الخاسر فيه [من مجزوء الكامل] :

يعقوبُ ينظرُ فى الأمـ ـرِ وأنتَ تنظر ناجيه
أدْخلته فعلا عليـــك كذاكَ شؤمُ الناصيَهْ

قال : وكان بلغ المهدى من جهة الربيع أن ابن أبى عبيد الله زنديق ، فقال له المهدى : هذا حسد منك ، فقال : افحص عن هذا ، فان كنت مبطلا بلغت فى الذى يلزم مَنْ كَذَبَكَ ، فأتى بابن أبى عبيد الله فقرره تقريرا خفيا ، فأقر ، فاستتابه فلم يتب ، فقال لأبيه : اقتله ، فقال : لا تطيب نفسى بذلك ، فقتله وصلبه على باب أبى عبيد الله .

وكان ابن أبى عبيد الله هذا المقتول من أحمق الناس ، وهب له المهدى جارية ثم سأله المهدى عنها ، فقال : ما وضعت بينى و بين الأرض خشبة أوطأ منها ، حاشا سامعى ، فقال المهدى لأبيه : أتراه يعنينى أو يعنيك ؟ قال : لا ، بل يعنى أمه الزانية ، لا يكنى .

وحدث يحيى بن الحسن قال : حدثنى أبى قال : كنت أنا و لربيع نسير قريبا من محمل المنصور حين قال للربيع : رأيت كأن الكعبة تصدعت ، وكأن رجلا جاء بحبل أسود فشدّها ، فقال له الربيع : من الرجل ؟ فلم يجبه ، حتى إذا اعتل قال للربيع : أنت الرجل الذى رأيت فى نومى أنه شد الكعبة ؛ فأى شىء تعمل بعدى ؟ قال : ما كنت أعمل فى حياتك ، وكان من أمره فى أخذ البيعة للمهدى ما كان ، فقال سلم الخاسر فى الفضل بن الربيع [من البسيط] :

وابنُ الذى جَبَرَ الاسلامَ يوْمَ وَهى واستنقَذَ الناسَ من عمْياء صيْخُود

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قالت قريشٌ غداةَ انهاضَ مُلْكَهمُ أين الربيع؟ وأعطَوْا بالمقاليد
فقام بالأمْرِ مثناساً بوَحْدَتِهِ ماضي الضريبة ضرَّابُ القَماحيد(١)
إنْ الأمور إذا ضاقت مَسالِكُها حلّتْ يدُ الفضل منها كلَّ معقودِ
إنّ الربيع وإنّ الفضل قد بَنيا رِوَق مجدٍ على العباس ممدودِ

قال : فوهب له الفضل خمسة آلاف دينار .

وحدث أبو دعامة قال : قال سلم الخاسر فى الرشيد حين عقد البيعة لابنه محمد الأمين [من الكامل] :

قد بايعَ الثقلانِ مهديَّ الهُدَى لمحمدِ ابنِ زُبيْدَة ابنةِ جعفرِ
ولّيته عهدَ الأنامِ وأمرَهُمْ فدمَغْتَ بالمعروف رأسَ المنكر

فأعطته زبيدة مائة ألف درهم .

وحدث ميمون بن هارون قال : دخل سلم الخاسر على الفضل بن يحيى فى يوم نوروز ، والهدايا بين يديه ، فأنشده [من مجزوء الوافر] :

أمِنْ رَبْعٍ تسائلهُ وقد أقْوَتْ منازلهُ(٢)
بقلبى مِنْ هَوَى الأطلا لِ حُبٌّ ما يُزايلهُ(٣)
رويدكمُ عن المشغو فِ ، إنَّ الحب قاتلهُ
بلابِلُ صدره تَسْرِى وقد نامت عوَاذِلهُ
أحقُّ الناسِ بالتفضيـــل من تُرْجى فواضلهُ

(١) في مهذب الأغانى *فقام بالأمر مثناس بوحدته *والقماحيد : جمع قمحودة وهي مؤخر القذال
(٢) أقوت منازله : أقفرت وخلت من الأنيس
(٣) يزايله : يفارقه ويغادره

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رأيتُ مكارمَ الأخلا ق ما ضمتْ حمائلهُ
ولستُ أرَى فَتًى فى النا س إلا الفَضْل فاضلهُ
يقول لسانُه خيراً فتفعلهُ أناملهُ
ومهما تَرْجُ من خيرٍ فانَّ الفضل فاعلهُ

وكان إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق حاضرين فقال لابراهيم : ما تسمع ؟ قال : أحسن مسموع ، وفضلُ الأمير أكبر منه ، فقال : خذوا جميع ما أهدى إلىَّ اليوم فاقتسموه بينكم أنلاناً إلا ذلك التمثال ، فانى أريد أن أهديه اليوم إلى دنانير ، ثم قال : لاوالله ، ما هكذا يفعل الأحرار ، يُقَوَّمُ و يدفع لهم ثمنه ، ثم نهديه ، فقوم بأنفى دينار ، فحملها إلى القوم من بيت ماله ، واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

وحدث الجماز أن أبا الشمقمق جاء إلى سلم الخاسر يستميحه ، فمنعه ، فقال اسمع إذن ماقلته ، فأنشده [من مجزوء الرمل] :

حدثونى أن سَلْماً يشتكى جارة أيره
فهو لا يحْسُدُ شيئاً غيرَ أيرٍ فى استغيره
وإذا سَرَّك يوماً ياخليلى نَيْلُ خيره
قُمْ فمُرْ راهبَكَ الأصـــلَعَ يقْرَعْ بابَ ديره

فضحك منه سلم ، وأعطاه خمسة دنانير ، وقال: أحب جُعِلت فداك أن تصرف راهبك الأصلع عن باب ديرنا .

وحدث أبو دعامة قال : دخل سلم الخاسر على الرشيد فأنشده [من مجزوء الكامل] :

* حَىِّ الأحبّةَ بالسَّلَامْ *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال الرشيد : حياهم الله ، فقال :

* أعلى وَداعٍ أم مقام *

فقال الرشيد : حياهم الله على أى ذلك كان ، فأنشده :

لم يبق منك ومنهم غيرُ الجلود على العظام

فقال الرشيد : بل منك ، وأمر باخراجه ، وتَطَيَّر منه ومن قوله ، فلم يسمع باقى شعره ، ولا أثابه بشىء .

وقال القاسم بن موسى بن مزيد بن يزيد بن مزيد : ما حسدت أحدا قط على شعر مدح به إلا عاصم بن عتبة الغسانى ، فانى حسدته على قول سلم الخاسر فيه [من مجزوء الرجز] :

لعاصم سماء عارضُها هَتَّانُ
أمطارُها الابريز واللُّجَيْنُ والعقيان(١)
ونارُهُ تنادِى إذ خبتِ النيرَانُ
الجودُ فى قحطانِ ما بقيتْ غسَّانُ
اسْلَمْ ولا تُبالى ما فعلَ الاخوَانُ
صَلَّتْ له المعالِى والسيفُ والسِّنانُ
ماضٍ مُرْتجيهِ ما فعل الزَّمانُ
مَنْ غاله مَخُوفٌ فهوَ له أمانُ

وعاصم بن عتبة هذا هو جد أبى الشمر الغسانى ، وكان صديقا لسلم الخاسر

(١) فى مهذب الأغانى روى هذا البيت هكذا :
مطارها اللجين والدر والعقيان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كثير البر به والملاطفة له ، فأعطاه على هذه الأبيات سبعين ألف درهم ، وكان جملة ما وصل إلى سلم الخاسر منه خمسمائة ألف درهم ، فلما حضرته الوفاة دعا عاصما فقال : إني ميت ، ولا وارث لي ، و إن مالي مأخوذ ، فأنت أحق به ، فدفع إليه خمسمائة ألف درهم .

وحدث حماد عن أبيه قال : استوهب أبي من الرشيد تركة سلم الخاسر وقد مات عن غير وارث ، فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث ، فحصل منها خمسين ألف دينار

وحدث أبو دعامة أنه رفع إلى الرشيد أن سلماً الخاسر قد توفي ، وخلف مما أخذ منه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، سوى ما خلفه من عقار وغيره مما اعتده قديماً ، فقبضه الرشيد ، فتظلم إليه مواليه من آل أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : هذا خادمي ونديمي والذي خلّفه من مالي فأنا أحق به ، فلم يعطهم إلا شيئاً يسيراً من قديم أملاكه .

ولما مات سلم الخاسر قال أشجع السُّلمي يرثيه [من السريع]:

يا سَلْمُ إن أصبحتَ في حُفْرَةٍ مُوسداً تِرباً وأحجارا
فرُبَّ بيتٍ حَسَنٍ قُلْتَهُ خلَّفْتَهُ في الناس سيارا
قلدته تِرباً وسيرته فكان فخراً ذاك أو عارا
لو نَطَقَ الشعر بكى عبرةً عليه إعلاناً وإسرارا

***

١٨٧ — هَيْهَاتَ أن يأتي الزَّمانُ بمثلِهِ إن الزَّمانَ بمثلهِ لَبَخِيلُ

* * *

١٨٨ — أعْدَى الزمان سَخَاؤه فَسخا به ولَقَدْ يكونُ به الزمانُ بخيلا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل يرثي بها محمد بن حميد، وكان قد استشهد في بعض غزواته ، وأولها [١] :

بأبي وغير أبي ، وذلك قليلُ ثاوٍ عليه ثرَى السباخ مَهيلُ
خذلَتْهُ أسرَتُهُ كأنَّ سَراتَهُ جهلوا بأن الخاذل المخذولُ
أكلُ أشْلاءِ الفوارس بالقنا أضْحَى بهنَّ وشِلْوُهُ ما كولُ
كفى فقَتْلُ محمدٍ لىَ شاهدٌ إنَّ العزيزَ مع الفناء ذليلُ
إن يستضم بعد الإباء فانه قَدْ يُسْتَضامُ المُصْعَبُ المعقولُ [٢]
مستحسَنٌ وجهُ الردى في معرَكٍ قُبْحُ الحياة بحومتيه جميل [٣]
أنْسَى أبا نَصْرٍ؟ نَسيتُ إذن يدى في حَيْثُ ينتصر الفتى ويُنيل

وبعده البيت ، وما أحسن ما قال بعده :

ما أنْتَ بالمَقتول صبراً ، إنما أملى غَدَاةَ نعيكَ المَقْتُولُ

والبيت الثاني لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة من الكامل يمدح بها بدر ابن عمار صاحب طرابلس الشام ، وكان قد خرج إلى أسد فهاجه عن فريسته فوثب على كفل فرسه وأعجله عن استلال سيفه، فضربه بسوطه وخرج إلى آخر فهرب منه ، وأولها :

في الخد إنْ عزَمَ الخليطُ رَحيلا مَطَرٌ تزيدُ به الخدودُ مُحُولاً
يا نَظْرَةً نفت الرقادَ فغادَرَت في جدِّ قلبي ما حييتُ فُلولا [٤]

( ) اقرأها في الديوان (٣٧٥ بيروت)

(٢) في الأصل رواية هذا البيت هكذا :

إن يستضم بعد الاباء فانه يقتاد لحل الصرمة المعقول

وأثبتنا ما في الديوان

(٣) في الديوان « وجه الحياة بحومتيه جميل »

(٤) في الديوان « يانظرة نفت الرقاد وغادرت »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كانت من الكحلاء سؤلى إنما أجلى تمثل فى فؤادى سولاَ

يقول فى مديحها:

محك إذا مَطَلَ الكريمُ بدَينه جعَلَ الحسامَ بما أرادَ كفيلا(١)

نَطِقٌ إذا حط الكلام لثامهُ أعطى بمنطقه القلوب عقولا

و بعده البيت ، و بعده :

فكأنّ بَرْقاً فى مُتون غمامةٍ هندِيهُ فى كفّهِ مساولاَ

ومحل قائمه يسيلُ مواهباً لو كنّ سَيْلاً ما وَجَدْنَ سبيلاَ

رقّتْ مضاربه فهنّ كأنما يُبدين من عشقِ الرقاب نحولاَ

أمغرَ الليث الهزَبْرِ بسوطهِ لمن ادّخَرْتَ الصارمَ المصقولا

واستمر فى وصف الليث إلى أن قال :

قبضتْ منيتهُ يديه وعُنقه فكأنما صادَفْتَهُ مغلولا

سمعَ ابنُ عمتهِ به وبحالهِ فغدا يهرولُ أمسِ منكَ مهولاَ(٢)

وأمرٌ مما فرّ منه فِرارُه وكقتلهِ أن لا يموتَ قتيلا

تَلَفُ الذى اتخذَ الجراءة خلةً وَعظَ الذى اتخذ الفرار خليلاَ

لو كان علمكَ فى الاله مُقَسَّماً فى الناس ما بعثَ الاله رسولاَ

لو كان لفظكَ فيهمُ ما أنزل التوارة والفرْقان والانجيلاَ

لو كان ما تعطيهمُ من قبل أن تعطيهمُ لم يعرفوا التأميلاَ

فلقد عُرفت وما عُرفتَ حقيقةً ولقد جُهلتَ وما جُهلت خُمولا

نطقتْ بسودَدِكَ الحمامُ تقنيا وبما تجشمها الجيادُ صهيلاَ

---

(١) محك ـ بفتح الميم وكسر الحاء – اللجوج ، وقالت أعرابية :

إذا الخصوم اجتمعت جثيا وجدت ألوى محكا أبيا

(٢) في الديوان « فنجا يهرول منك أمس مهولا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ما كل مَنْ طَلَبَ المعالى نافذا فيهـا ولا كل الرجال فُحُولا

ولقد جاوز المتنبي حد الغلو ، وأنا أستغفر الله تعالى لى وله .

والشاهد فى البيتين : كون المأخوذ دون المأخوذ منه فى البلاغة .

وهذا الأخذ مذموم مردود ، لفوات الفضيلة وعدم الفائدة ، فان المصراع الثانى من بيت أبى الطيب مأخوذ من المصراع الثانى من بيت أبى تمام ، لكن مصراع أبى تمام أجود سَبْكًا ، لأن قول أبى الطيب « ولقد يكون » بلفظ المضارع لم يصب مَحَزَّه ، إذ المعنى على الماضى ، والمراد « لقد كان » .

و ينظر إلى بيت أبى تمام قول الشريف الموسوى فى الصاحب بن عباد [من الكامل] :

يا طالِبـاً مِنْ ذا الزمان شبيهَهُ هيهات كلَّفْتَ الزمانَ مُحَالا

و ينظر إلى صدر بيت المتنبى قول السَّلامى فى الوزير سابور [من الكامل]:

أعْدَى الزمانَ نَدَى أبى نصر فلو سُمْنَاهُ أن يهَبَ الصبى لم يَبْخَلِ

وما أحسن قول القاضى الفاضل فى هذا المعنى [من الكامل] :

مَضَتِ الدهورُ وما أتينَ بمثلِهِ ولقد أتى فعَجَزْنَ عن نُظَرائِهِ

ومن الأخذ المذموم قول بعض الأعراب [من السريع]:

وريحها أطيبُ من طِيبِها والطيبُ فيه المسك والعَنْبَرُ

وقول بشار بعده [من الرمل] :

وإذا أدنَيْتَ منْهُ بَصَلاً غلبَ المسْكُ على ريح البَصَلْ

وقول أشجع السلمى [من الكامل] :

وعلى عدوِّكَ يا ابن عَمِّ محمدٍ رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ

فاذا تَنَبَّهَ رُعتَه وإذا غَفَا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلامُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول أبي الطيب بعده [من الوافر] :

يرَى فى النَّوْمِ رُمْحَكَ فى كُلاَهُ ويخشى أن يراهُ فى الشُّهَادِ

وكذا قول السرى الرفاء وإن كان فيه زيادة المعنى وحلاوة السبك ، وهو [من البسيط] :

تَرُوعُ أحشاءهُ بالكتب وَهْوَ لَهَا خَوْفَ الرَّدَى ورجاء السِّلْمِ مُسْتَلِمُ

لا يَشْرَبُ الماء إلا غَصَّ من حَذَرٍ ولا يَهُمُّ إلا راعَهُ الحُلُمُ

وقد ألم به الشهاب محمود فقال من قصيدة [من البسيط] :

كأن هاربِهُمْ والخوف يَطْلُبُهُ يبدو لديه مثالٌ منه أو مَثَلُ

فان تنبهَ يوماً راعهُ ، وإذا غفَا جلَتْه عليه فى الكرَى المقَلُ

وقول الخنساء [من الطويل] :

وما بلغ المُهْدُونَ للناس مدحةً وإن أطنَبُوا إلا وما فيك أفْضَلُ

وقول أشجع [من الطويل] :

وما ترك المداح فيكَ مقالةً ولا قال إلا دونَ ما فيكَ قائِلُ

وهذا الباب واسع لا طاقة لأحد على حصره ، وهذه النبذة كافية فيه إن شاء الله تعالى .

* * *

١٨٩ — لَوْحَارَ مُرْتَادُ المَنِيَّةِ لم يجِدْ إلا الفِراقَ على النفُوس دَلِيلاَ (١)

* * *

شواهد عمائة المأخوذ منه المأخوذ

١٩٠ — لَوْلا مُفَارَقَةُ الأحْبَابِ ما وَجَدَتْ لَهَا المَنَايا إلى أرْوَاحِنَا سُبُلاَ

البيت الأول لأبي تمام ، من قصيدة من الكامل ، يمدح بها نوح بن عمرو

(١) فى الديوان (٢٤٢) « لو جاء مرتاد المنية »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

السكسكى ، أولها :

يومَ الفراقِ لقد خُلِقْتَ طويلا ... لم تُبْقِ لى صبراً ولا معقُولا[1]

و بعده البيت ، و بعده[2] :

قالوا الرحيل فما شَكَكْتُ بأنها ... نَفْسٌ عن الدنيا تُريدُ رَحيلاَ

الصبرُ أجملُ غيرَ أن تَذَلُّلى ... فى الحب أحْرَى أن يكونَ جَميلاَ

أتظُنُّنى أجِدُ السّبيلَ إلى العزَا ... وَجَدَ الحمامُ إذن إلىَّ سبيلاَ

ردُّ الجُموحِ الصعبِ أيْسَرُ مطلباً ... من رد دمعٍ قَدْ أصابَ مَسِيلاَ

وهى طويلة .

والارتياد : الطلب ، و إضافة المرتاد إلى المنية بيانية ، أى المنية الطالبة للنفوس لو تحيرت فى الطريق إلى إهلاكها ولم يمكنها التوصل إليها لم يكن لها دليل عليها إلا الفراق .

ومثله قول الحمّانى [من الكامل] :

ولقدْ نَظَرْتُ إلى الفراق فلم أجد ... للمَوْتِ لو فقِدَ الفراق سبيلا

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من البسيط يمدح بها سعيد ابن كلاب الطائى وأولها :

أحيا وأيْسَرُ ما لاَقَيْتُ ما قتلا ... والبينُ جارَ على ضعفى وما عَدَلا

والوَجدِ يَقْوَى كما يَقْوَى النوى أبداً ... والصبرُ يَنْحَلُ فى جسمى كما نَحَلاَ

و بعده البيت ، و بعده :

بما بجفْنَيْكِ من سِحْرٍ صلى دنِفاً ... يهْوَى الحياة ، وأما إن صَدَدت فَلاَ

إن لا يَشِبْ فلقد شابَتْ له كبدٌ ... شَيْباً إذا خَضَبَتْهُ ساوة نَصَلاَ

يحِنُّ شوقاً فلولا أن رائحةً ... تزورُه فى رياح الشرق ما عَقَلاَ

(١) فى الديوان « لم تبق لى جلدا »

(٢) بيت الشاهد تال للبيت الذى أوله « قالو الرحيل »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

هافانظُرى أوفظُنى بى ترَى حُرَقاً مَنْ لم يذق طَرَفاً منها فقد وألاَ[1]
عَلَّ الأميرَ يرَى ذلى فَيَشْفَعَ لى إلى التى تركتنى فى الهوى مَثَلاَ

وهذا البيت من الخالص القبيحة التى عِيبَتْ على المتنبى ، وسببُ القبح كونه جعل ممدوحه ساعياً بينه و بين محبوبته فى الوصال ، وفى ذلك ما فيه ، وقد سبقه أبو نواس إليه بقوله [من الطويل] :

سأشكو إلى الفَضْلِ بن يحيى بن خالد هواكِ لعل الفَضْلَ يجْمَعُ بيننا

وقد سبقهما إلى ذلك قيس بن ذريح [2] حين طلق لُبْنى فتزوجت غيره فندم على ذلك وشَبَّب بها فى كل مغنى ، فرحمه ابنُ أبى عتيق ، فسعى فى طلاقها وأعادها إلى قيس ، فى خبر طويل ، فقال يمدحه [من الوافر] :

جَزَى الرحمن أفْضَلَ ما يجازى على الاحسان خيراً من صديق
وقد جرَّبْتُ إخوانى جميعاً فما ألفيت كابْنِ أبى عتيق
سَعَى فى جمع شملى بعد صَدْعٍ ورأى حِدْتُ فيه عن الطريق
وأطفأ لوْعَةً كانت بقلبى أغَصَّتنى حَرَارتها بريقى

فلما سمع ذلك ابن أبى عتيق قال لقيس : يا حبيبى ، أمسك عن هذا المدح فما سمعه أحد إلا وظنى قواداً .

ولنرجع إلى الكلام على البيتين .

والشاهد فيهما : مماثلة المأخوذ المأخوذ منه ، فيكون أبعد من الذم ، والفضل للأول إن لم يكن فى الثانى دلالة على السرقة باتفاق الوزن والقافية ، وإلا فهو

---

(١) الحرق ـ بضم الحاء وفتح الراء ـ جمع حرقة ، وأراد لواعج الغرام وآلامه ، ووأل : نجا . تقول : وأل يئل ، مثل وعد يعد ووصف يصف

(٢) فى الأصول « قيس بن الذريح »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مذموم جدا ، فأبو الطيب أخذ معنى بيت أبي تمام كله مع بعض الألفاظ كالمنية والفراق والوجدان ، وبدّل النفوس بالأرواح .

ومنه قول أبي تمام [من الوافر] :

مقيمُ الظن عندك والأمانى ... وإن قلقت ركابى فى البلادِ
ولا سافرْتُ فى الآفاق إلا ... ومِنْ جَدْواكَ راحِلتى وزادى (١)

وقول المتنبى [من الوافر]:

محبك حيثما اتجهت ركابى ... وضيفُكَ حيث كنتُ من البلادِ

وقول القاضى الأرجانى [من الكامل] :

لم يُبكنى إلا حديث فِرَاقكم ... لما أسَرَّ به إلى مُوَدِّعِى
هو ذلك الدُّرُّ الذى أوْدَعْتُمُ ... فى مَسْمَعى ألقيته مِنْ مَدْمَعى

وقول الزمخشرى فى مرثية أستاذه [من الطويل] :

وقائلة ما هذه الدرر التى ... تُساقطُها عيناك سمْطَيْنِ سمطينِ
فقلت هو الدرُّ الذى قد حَشَا به ... أبو مُضَرٍ أذْنى تَساقَطُ من عينى

وقول إبراهيم بن العباس فى ابن الزيات الوزير (٢) [من المتقارب] :

نَجَا بك لؤْمُك منجى الذبابِ ... حَمَتْهُ مقاذيرُه أن يُنَالا

وقول ابن حجاج بعده [من الوافر] :

على أنى أظنك كنتَ تنجو ... بِعِرْضك من يدى مَنْجَى الذباب

وقول أبى نواس [من الطويل] :

تستَّرْتُ من دهرى بظلِّ جناحه ... فعينى ترى دهرى وليس يَرَانى

---

(١) فى الديوان والموازنة :

* وماسافرت فى الآفاق إلا *

(٢) كذا ذكر جماعة منهم صاحب اليتيمة ، والذى فى أخبار أبى تمام أن المقول فيه محمد بن عبد الملك بن أبان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

سترْتُ بظله من رَيب دهرى فطال على النوائب أن تَرَانى

وقول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخَمَّارَةٍ من بنات اليهود نرى الزق فى بيتها شَائِلاَ
وزَنَّا لها ذهَباً جامداً فكانَتْ لنا ذهباً سائلاَ

وقول ابن حجاج [من الوافر] :

وخَمَّاراً أعدَّ الكأس ظِئْراً لطارِقَةٍ فلم تُرْضِعْهُ غَيْلاَ
أوفِّيهِ خلاص التبر وزناً فيسكبه ويعطينيه كيلاَ

ولابن حمديس فى مثله [من المتقارب] :

وضعتُ بميزانها درْهمى فسَيَّلَ بالكأس دينارَها

وقول جَحْظَة البرمكى ، أو على بن جبلة [من الرمل] :

بأبى من زارنى مكتتما خائفا من كل شىء جَزِعَا
زائر نَمَّ عليه حسنه كيف يخفى الليل بدراً طلعا
راقَبَ الغفلة حتى أمكنَتْ ورعى السامرَ حتى هَجَعَا
رَكِبَ الأهْوَالَ فى زَوْرَتِهِ ثُمَّ ما سَلِمَ حتىَّ وَدَّعَا

وقول المتنبى [من الخفيف] :

بأبِى مَنْ وَدِدْتُهُ فافترَقْنَا وَقضَى اللهُ بَعدَ ذَاكَ اجتِمَاعَا
وَافترَقْنَا حَوْلاً فلمَّا التَقينَا كانَ تسليمهُ علىَّ وَدَاعَا

وقول الحسين بن الضحاك [من الرمل] :

بِأبِى زَوْرٌ تلفَّتَ لهُ فتنفَّسْتُ عَليهِ الصُّعَدَا
بينما أضحكُ مَسرُوراً بهِ إذْ تَقَطَّعْتُ عَليهِ كَمَدَا .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول الآخر أنشده الصولى [من الخفيف] :

زَائِرٌ زَارَنِى يُشَيِّعُهُ الشَّوْ ... قُ قَرِيبُ الهوَى بَعِيدُ المَرَامِ
كَانَ عَنْسًا أَوْحَى انصرَافًا مِنَ اللَّحْـ ... ـظِ وَأَخْفَى مِنْ طَارِقٍ فِى المَنَامِ (١)

وقول العباس بن الأحنف [من الخفيف] :

سَأَلُونَا عَنْ حَالِنَا كَيْفَ أَنْتُمْ ... فَقَرَنَّا وَدَاعَنَا بِالسُّؤَالِ
مَا حَلَلْنَا حَتَّى افْتَرَقْنَا فَمَا نَفْـ ... ـرِقُ بَيْنَ النُّزُولِ وَالارْتِحَالِ

وقول كشاجم ، ويُعزى لأبى الحسين بن طاهر بن محمد النجرى الكاتب [من الكامل] :

بِأَبِى وَأُمِّى زَائِرٌ مُتَقَنِّعٌ ... لَمْ يَخْفَ ضَوْءُ البَدْرِ تَحْتَ قِنَاعِهِ
لَمْ أَسْتَتِمَّ عِنَاقَهُ لِقُدُومِهِ ... حَتَّى ابْتَدَأْتُ عِنَاقَهُ لِوَدَاعِهِ
وَمَضَى فَأَبْقَى فِى فُؤَادِى حَسْرَةً ... تَرَكَتْهُ مَوْقُوفًا عَلَى أَوْجَاعِهِ

ومنه قول الآخر [من الخفيف] :

زَارَ يُهْدِى السَّلَامَ لَمْ أَرَ فَصْلًا ... بَيْنَ تَوْدِيعِهِ وَبَيْنَ السَّلَامِ

وقول الآخر [من مجزوء الرمل] :

زَارَنَا حَتَّى إِذَا مَا ... سَرَّنَا بِالقُرْبِ زَالَا

ولأبى الشيص فى معناه [من السريع] :

يَا حَبَّذَا الزَّوْرُ الَّذِى زَارَا ... كَأَنَّهُ مُقْتَبِسٌ نَارَا
نَفْسِى فِدَاءٌ لَكَ مِنْ زَائِرٍ ... مَا حَلَّ حَتَّى قِيلَ قَدْ سَارَا (٢)

---

(١) أوحى : أسرع

(٢) فى الأصل * نفسى فدا لك من زائر ، ولا يتم وزن الشطر حتى تضم إليه الهمزة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد عكس ابن أبي البشر الصقلي الكاتب بيت جحظة الأخير ، فقال : يهجو ثقيلا [من الرمل] :

وثقيلٍ قدْ شَنِئْنَا شخصهُ مُذْ عرفناهُ مُلِحّاً مُبْرِماَ
ثقلَ الوطـــأة فى زَوْرَتِهِ ثمّ ماَ وَدَّعَ حتى سَـــلمَا

* * *

شواهد السلخ ١٩١ ــ هُوَ الصنع إنْ يَعْجَلْ فخيرٌ ، وَإنْ يَرِثْ
فللرِّيثُ فِى بعضِ المواضِعِ أنفَعُ

* * *

١٩٢ – وَمِنَ الخيرِ بُطءُ سَيبكَ عَنّى
أسرَعُ السحْبِ فى المَسيرِ الجَهَامُ

البيت الأول لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، أولها :

أمَا إنهُ لوْلاَ الخليطُ المودّعُ وَرَبْعٌ عفاَ منهُ مصيفٌ ومرْبعُ
لَرُدَّتْ على أعقَابِهَا أريحِيـــة
مِنَ الشوْقِ وَادِيهَا مِنَ الدَّمْعِ مُترَعُ

وهى طويلة ، وسيأتى طرف منها فى التلميح ، إن شاء الله تعالى .

والريث : الابطاء .

والبيت الثانى لأبى الطيب ، من قصيدة من الخفيف ، يمدح بها علىّ ابن أحمد الخراسانى المروزىّ أولها :

لا افتخارٌ إلا لِمنْ لا يُضَامُ مُدْرِكٍ أوْ مُحَارِبٍ لاَ ينامُ
ليسَ عَزْماً ما مرّضَ المرءُ فيهِ ليسَ هما ما عاقَ عنهُ الظلاَمُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَاحتمالُ الأذَى وَرُؤيةُ جانيـــهِ غَناء تَضوَى بهِ الأجسَامُ
ذَلَّ منْ يغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عَيشٍ أخَفُّ منهُ الحِمَامُ
كلّ حِلمٍ أتىَ بِغيرِ اقتدارٍ حُجةٌ لاَ جىءٌ إليها اللئـامُ
مَنْ يَهُنْ يَسهُلِ الهَوَانُ عَليهِ مَا لجرْحٍ بميتِ إيـلامُ

يقول فى مديحها :

خيرُ أعضائنا الرُّؤوسُ وَلـكنْ فضلتهَا بِقصـدِكَ الأقْدَامُ
قَدْ لَعمرِى أقصرْتُ عنكَ وَللوَفْـــدِ ازدِحَامٌ وللعطَايا ازدِحَامُ
خِفْتُ إنْ صِرْتُ فى يمينكَ أنْ يأ خُذَنِى فى هبَاتِكَ الأقوَامُ
وَمِنَ الرُّشدِ لَمْ أزُرْكَ على القُرْ بِ، علىَ البُعْدِ يُعْرَفُ الإلمَامُ

و بعده البيت ، و بعده :

قُلْ فكمْ منْ جَواهرٍ بنظَامٍ وَدُها أنهَا بِفِيكَ كلاَمُ
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنهارُ فلوْ تنْـــهاهُمَا لَمْ تَجُزْ بِكَ الأيامُ

والسَّيْب : العطاء ، والْجَهَام : السحاب الذى لا ماء فيه ، أو الذى هراق ماءه .

والشاهد فى البيتين : الالمام ، و يسمى : السلخ ، وهو : أخذ المعنى وحده ثم هو على ثلاثة أقسام : إما أبلغ من المأخوذ منه ، أو دونه ، أو مثله ، فبيت المتنبى أبلغ من بيت أبى تمام ، لاشتماله على زيادة بيان للمقصود ، حيث ضرب المثل بالسحاب .

* * *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

١٩٣ — وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدِيِّ كَلَامُهُ الـــمَصْقُولُ خِلْتَ لِسَانَهُ مِنْ عَضْبِهِ

* * *

شاهد مجيء المأخوذ دون المأخوذ منه

١٩٤ — كَأَنَّ أَلْسُنَهُمْ فِي النُّطْقِ قَدْ جُعِلَتْ
عَلَى رِمَاحِهِمُ فِي الطَّعْنِ خُرْصَانَا

البيت الأول للبحترى ، من الكامل ، من قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب، أولها :

مَنْ سَائِلٌ لِمُعَذِّبٍ عَنْ خَطْبِهِ أَوْ صَافِحٌ لِمُقَصِّرٍ عَنْ ذَنْبِهِ

وهى طويلة يقول فى مديحها :

وَإِذَا اسْتَهَلَّ أَبُو عَلِيٍّ بِالنَّدَى جَاءَ الغَمَامُ المُسْتَهِلُّ بِسَكْبِهِ
وَإِذَا احْتَبَى فِي عِقْدِهِ مِنْ حِلْمِهِ يَوْمًا رَأَيْتَ مَتَالِعًا فِي هَضْبِهِ

و بعده البيت . و بعده :

وَإِذَا دَجَتْ أَقْلَامُهُ ثُمَّ انْتَحَتْ بَرَقَتْ مَصَابِيحُ الدُّجَى فِي كُتْبِهِ
فَاللَّفْظُ يَقْرُبُ فَهْمُهُ فِي بُعْدِهِ مِنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ
وَكَأَنَّهَا وَالحُسْنُ مَعْقُودٌ بِهَا شَخْصُ الحَبِيبِ بَدَا لِعَيْنِ مُحِبِّهِ

ومعنى تألق : لمع ، والندى : المجلس الغاص بأشراف الناس ، والمصقول : المنقح ، والعضب : السيف القاطع ، شبه لسانه بسيفه .

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من البسيط ، يمدح بها أبا سهل الأنطاكى ، أولها :

قَدْ عَلِمَ البَيْنُ مِنَّا البَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَأَلَّفَ فِي ذَا القَلْبِ أَحْزَانَا
أَمْلَتْ سَاعَةَ سَارُوا كَشْفَ مَعْصَمِهَا لِيَلْبَثَ الحَيُّ دُونَ السِّيرِ حَيْرَانَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَلَوْ بَدَتْ لأتَاهَتْهُمْ فحجَّبَهَا صَوْنٌ عُقُولَهُمُ منْ لحظها صَانَا

إلى أن قال فى مديحها :

مَا شِيدَ اللهُ منْ مجدٍ لسَالفهمْ إلا وَنَحْنُ نَرَاهُ فيهمُ الآنَا

إنْ كُوتبُوا أوْ لُقُوا أوْ حُورِبُوا وُجِدُوا

فِى الخطِّ وَاللفْظِ والهَيجَاء فُرْسَانَا

و بعده البيت ، و بعده :

كأنهمْ يَرِدُونَ المَوْتَ منْ ظمإٍ أوْ ينشقُونَ مِنَ الخَطِّىِّ رَيْحَانَا

وخرصان الرماح : أسنتها أو الحلق تطيف بأسافل الأسنة ، وواحدها : خِرْص بالضم والكسر ، يريد وصف فصاحة ألسنة الممدُوحين وطلاقتها .

والشاهد فى البيتين : مجىء المأخوذ دون المأخُوذ منه ، فبيت المتنبى دُون بيت البحترى ، لأنه قدفاته ما أفاده البحترى بلفظى «تألق ، والمصقول» من الاستعارة التخييلية ، حيث أثبت التألق والصقالة للكلام ، كاثبات الأظفار للمنية ، و يلزم من هذا تشبيه كلامه بالسيف ، وهو استعارة بالكناية .

* * *

مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

١٩٥ — وَلَمْ يكُ أكثرَ الفتيَانِ مالاً وَلكنْ كانَ أرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

* * *

١٩٦ — وليسَ بأوْسعهمْ فى الغنى ولكنْ معرُوفَهُ أوْسعُ

البيت الأول لأبى زياد الأعرابى ، من أبيات من الوافر ، وقبله :

لهُ نارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إذَا النيرَانُ أُلْبِسَتِ القِنَاعَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَرَحْب الذراع : كناية عن الوصف بالسخاء ، يقال : فلان رحب الذراع ، وواسع الذراع ، أى سخى .

والبيت الثانى لأشجع السُلَمى ، من قصيدة من المتقارب ، يمدح بها جعفر ابن يحيى البرمكى .

حدث إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، قال : لما ولى الرشيدُ جعفر بن يحيى خراسان جلس للناس فدخلوا عليه يهنئونه ، ثم دخل الشعراء ، فأنشدوه ، وقام أشجع فى آخرهم ، فاستأذن فى الانشاد فأذن له ، فأنشده قوله :

أَتَصبرُ للبينِ أمْ تجزَعُ ... فإنَّ الدِّيار غداً بَلْقَعُ

غداً يتفرَّقُ أهْلُ الهَوَى ... وَيكْثرُ باكٍ ومُسترجعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوِّيَّة بينَ أقطَارِهَا ... مَقَاطعُ أرْضينَ لاَ تُقْطَعُ

تجاوَزْتُهَا فوْقَ عيرَانةٍ ... مِنَ الرِّيحِ فِى سيرِهَا أسرَعُ

إلى جعفرٍ نَزَعَتْ رَغبةٌ ... وأىُّ فتىً نحوَهُ يُنْزَعُ

فمَا دُونهُ لامرىءٍ مَطْمَعٌ ... ولا لامرىءٍ غيرهُ مَقنعُ

وَلاَ يَرْفعُ الناسُ منْ حَطَّهُ ... وَلاَ يَضَعُونَ الذى يَرْفَعُ

تُرِيدُ الملوكُ مَدَى جعفرٍ ... ولاَ يَصنَعُونَ كما يَصنعُ

وبعده البيت ، وبعده :

تلوذُ المُلُوكُ بآرائهِ ... إذَا نابها الحدثُ الأفظعُ

بَدِيهتهُ مثلُ تَدْبيرهِ ... مَتَى رُمْتهُ فهو مُستجمعُ

وكم قائلٍ إذْ رَأى ثَرْوَتى ... وَمَا فى فُضُولِ الغِنى أصنعُ

غَدَا فى ظلال نَدَى جعفرٍ ... يجرُّ ذُيولَ الغنى أشجعُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقُلْ لخراسانَ تَحيا فَقَدْ أتاها ابن يَحيى الفَتَى الأروعُ

فأقبل عليه جعفر بن يحيى ضاحكا ، واستحسن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ أخاه ، ثم أمر له بألف دينار ، قال : ثم بدا للرشيد فى ذلك التدبير فعزل جعفراً عن خراسان بعد أن أعطاه العهد والكتب ، وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ، فدخل عليه أشجع ، فأنشده [من السريع] :

أمْسَتْ خراسَانُ تُعزَّى بما أخطَأَها من جعفر المُرْتجَى
كانَ الرشيدُ المُعْتلى أمْرُهُ وَلَّى على مشرِقها الأبْلَجَا
ثمَّ أرَاهُ رَأيهُ أنهُ أمْسى إليهِ منهمُ أحوَجَا
فكم بهِ الرحمنُ من كُربةٍ فى مُدّةٍ تقصُرُ قدْ فَرَّجَا

فضحك جعفر ، وقال : لقد هوّنت علىَّ العزل ، وقمت لأمير المؤمنين بالعذر ، فسلنى حاجتك ، فقال : كفانى جودك ذل السؤال ، فأمر له بألف دينار أخرى .

والشاهد فى البيتين مجىء المأخوذ مثل المأخوذ منه

وقد ألم أبو الطيب بهذا المعنى فقال [من المتقارب] :

بمصْرَ ملوك لهمْ ما لَهُ ولكنهمْ مالهمْ هَمُّهْ

ومثله قول بعضهم فى مرثية ابن له [من الكامل] :

والصَّبْرُ يُحْمَدُ فى المَوَاطِنِ كُلِّهَا إلَّا عَلَيْكَ فإنَّهُ مَذْمُومُ

وقول أبى تمام بعده [من الطويل]

وقد كان يُدْعَى لابسُ الصَّبْرِ حازماً فأصْبَحَ يُدْعَى حازماً حينَ يَجْزَعُ

وقول بكر بن النطاح [من الطويل] :

كأنك عند الكرفى حَوْمَةِ الوغى تفر من الصف الذى من وَرَائكا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول أبي الطيب المتنبي [من الكامل] :

وكأنهُ والطَّعْنُ من قُدَّامِهِ مُتَخَوِّفٌ من خَلْفِهِ أن يُطعنَا

ترجمة أبي زياد الأعرابي

وأبو زياد الأعرابي اسمه يزيد بن الحر الكلابي، وقيل: يزيد بن عبدالله بن الحر الكلابي، قدم بغداد من البادية أيام المهدي، لأمر أصاب قومه، فأقام ببغداد أربعين سنة، وكان العباس بن محمد يجري عليه في كل يوم رغيفاً ثم قطعه فقال أبو زياد في ذلك [من الطويل] :

فان يَقْطَعِ العباس عني رغيفَهُ فما قاتني من نعمة الله أكثر

ومن شعره أيضا [من الطويل] :

أراكَ إلى كُثْبان يَبْرِين شيقاً وهذا لعمري لو قنعتَ كثيبُ

فأينَ الأراكُ الآنَ والأيكُ والغضا ومستخبرٌ عمَّنْ أحبُّ قريبُ

وصنف أبو زياد هذا كتاب النوادر، وهو كتاب كبير فيه فوائد كثيرة، وقال الصاحب جمال الدين أبو الحسن علي بن القفطي: رأيت من بعض نسخة المجلد الثالث عشر، وهو آخر الكتاب، وكان بخط بانوسة معلم بني مقلة، ووراقهم. وله كتاب الفرق، وكتاب الابل، وكتاب خلق الانسان.

ترجمة أشجع السلمي

وأشجع [1] هو ابن عمرو السلمي، ويكنى أبا الوليد، وهو من ولد الشريد السلمي، تزوج امرأة من أهل اليمامة، فشخص معها إلى بلدها، فولدت له هناك أشجع، ونشأ باليمامة، ثم مات أبوه، فقدمت به أمه البصرة، فطلب ميراث أبيه وكان له هناك مال، فماتت بها. ونشأ أشجع بالبصرة، فكان مَنْ لا يعرفه

(١) تجد للأشجع السلمي ترجمة في الأغاني (١٧: ٣٠-٥١) وعنها أخذ المؤلف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يدفع نسبه . ثم كبر وقال الشعر ، فأجاد وعدّ فى الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود . فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس وأثبتت نسبه ، وكان له أخَوَانِ : أحمد وحريث ابنا عمرو ، وكان أحمد شاعراً ، ولم يكن يقارب أشجع ، ولم يكن لحريث شعر ، ثم خرج أشجع إلى الرقة والرشيد بها ، فنزل على بنى سليم ، فتلقَّوْهُ وأكرموه ، ومدح البرامكة ، وانقطع إلى جعفر خاصة ، وأصفاه مدحه ، فوصله بالرشيد ومدحه فأعجب به ، وأثرى ، وحسنت حاله فى أيامه ، وتقدم عنده . وحدَّثَ أسد بن جديلة ، قال : حدثنى أشجع السلمى ، قال : شخصتُ من البصرة إلى الرقة ، فوجدت الرشيد غازياً ، ونالتنى خَلَّة ، فخرجت حتى لقيته منصرفا من الغزو ، وكنت قد اتصلت ببعض أهل داره ، فصاح صائح ببابه : من كان ههنا من الشعراء فليحضر يوم الخميس ، فحضرنا سبعة وأنا ثامنهم ، فأمرنا بالبكور فى يوم الجمعة ، فبكرنا وأدخلنا ، فقدم واحد واحد منا ينشد على الأسنان ، وكنت أحدث القوم سنا وأرقهم حالا ، فما بلغ إلىّ حتى كادت الصلاة أن تجب ، فقدمت والرشيد على كرسى وأصحاب الأعمدة بين يديه سماطين ، فقال لى : أنشد ، فخفت أن ابتدىء فى أول قصيدتى بالنسيب فتجب الصلاة و يفوتنى ما أردت ، فتركت النسيب وأنشدته من موضع المديح فى قصيدتى التى أولها [من الطويل] :

تذكر عهدَ البيضِ وَهْوَ لها تِرْبُ ... وأيامَ تُصْبِى الغانياتِ ولا يصبُو

فابتدأت قولى فى المديح :

إلى ملكٍ يَستغرقُ المالَ جودُهُ ... مكارمهُ نَهْبٌ ومعروفه سَكْبُ (١)

وما زال هارون الرضا بن محمد ... لهُ من مياه النصر مَشْرُبُها العذبُ

(١) فى الأغانى «مكارمه نثر»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

متى تبلغ العيسُ المراسيلُ بابهُ بنافهناك الرحْبُ والمنزل الرحْبُ
لَقَدْ جمعتْ فيك الظنون ولم يكنْ بغيرك ظنٌّ يستريحُ لهُ قلبُ
جمعتَ ذوى الأهواء حتى كأنهم على منهج بعدَ افتراقهمُ ركبُ
بعثتَ على الأبناء أبناء دُرْبة فلم يَقِهِمْ منهمْ حصونٌ ولادربُ (١)
وما زلتَ ترميهمْ بها مُتفرِّداً أنيساكحزمُ الرأى والصارمُ العَضْبُ (٢)
جهدتُ فلم أبلغ علاكَ بمدحة وليس على من كان مجتهداً عَتْبُ

فضحك الرشيد : ثم قال : خفتَ أن يفوت وقتُ الصلاة ، وينقطع المديح عليك ، فبدأت به وتركت النسيب ، وأمرتنى أن أنشده النسيب ، فأنشدته إياه فأمر لكل واحد من الشعراء بعشرة آلاف درهم ، وأمر لى بضعفها .

وحدَّث قدامة بن نوح قال : جلس جعفر بن يحيى بالصالحية يشرب على مستشرف له ، فجاءه أعرابى من بنى هلال ، فشكا واستماح بلفظ فصيح ، وكلام مثله يعطف المسئول ، فقال له جعفر بن يحيى : أتقول الشعر ياهلالى ؟ قال كنت أقوله وأنا حَدَث أتملَّح به ، ثم تركته لما صرت شيخا ، قال : فأنشدنى لشاعركم حُمَيد بن ثور ، فأنشده قوله [من الكامل] :

لِمَنِ الديارُ بجانب الحمس كمخط ذى الحاجات بالنقْسِ (٣)

حتى أتى على آخرها ، فاندفع أشجع ، فأنشده مديحا ، قاله فيه على وزنها وقافيتها [من الكامل] :

---

(١) كذا ، وأحسبه « بعثت على الأعداء أبناء دربة » ووقع فى الأغانى « بنيت على الأعداء » محرفا فى كلمة أخرى .

(٢) وقع فى الأصل « أينسالك » محرفا عما أثبتناه عن الأغانى

(٣) فى الأغانى :

لمن الديار بجانب الحمس كمحط ذى الحاجات بالنفس

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ذَهبَتْ مكارمُ جعفرٍ وفعالُهُ ... فى الناس مثلَ مَذَاهِبِ الشمسِ
ملك تسوسُ له المعالىَ نفسُهُ ... والعقلُ خيرُ سياسة النفسِ
فاذا تَرَاءتهُ الملوكُ تَرَاجعُوا ... جهرَ الكلام بمنطقٍ همسِ
ساد البرامكَ جعفرٌ وهمُ الأولى ... بعدَ الخلائف سادةُ الانسِ
ماضرّ مَنْ قصدَ ابن يحيى راغباً ... بالسعدِ حلّ به أمِ النحسِ (١)

فقال له جعفر : صِفْ موْضعنا هذا ، فقال [من الوافر] :

قُصُورُ الصالحيةِ كالعذَارَى ... لبسنَ ثيابهنّ ليوْمِ عُرْسِ
مُطِلاتٍ على قصرٍ كستهُ ... أيادِى الماءِ وشياً نسجَ غَرْسِ (٢)
إذَا ما الطلُّ أثرَ فى ثرَاهُ ... تنفسَ نَوْرُهُ من غير نفسِ
فتصبغهُ السماء بصبغِ وَرْسٍ ... وتَصْبَحُهُ بأكؤسِ عينِ شمسِ (٣)

فقال جعفر للأعرابى : كيف ترى يا هلالى صاحبنا ؟ قال : أرى خاطره طوع لسانه ، وبيانَ الناس دون بيانه ، وقد جعلت له ما تصلنى به ، قال : بل نفردك (٤) يا أعرابى ونرضيه ، فأمر للأعرابىّ بمائة دينار ، وللأشجع بمائتى دينار .

وحدّث أشجع قال : كنت ذات يوم فى مجلس بعض إخوانى أتحدث وأنشد إذ دخل عليهم أنس بن أبى شيخ البصرى ، صاحب جعفر بن يحيى ، فقام له جميع القوم غيرى ، ولم أعرفه فأقوم له ، فنظر إلىّ ، وقال: من هذا الرجل؟

---

(١) فى الأغانى « ماضر من قصد ابن يحى راجيا »
(٢) فى الأغانى « مطلات على بطن كسته »
(٣) فى الأغانى « فتغبقه السماء بصبغ ورس »
(٤) كذا ، وفى الأغانى « بل نفدك ياأعرابى » وأحسبه محرفا عن « نرفدك » وفى مهذب الأغانى « بل نصلك ياأعرابى » وما رأيناه أقرب .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقيل : أشجع السلمى الشاعر ، فقال : أنشدنى بعض شعرك ، فأنشدته ، فقال : إنك لشاعر ، فما يمنعك من جعفر بن يحيي ؟ فقلت : ومن لى بجعفر بن يحيي ؟ فقال : أنا ، فقل أبياتاً ولا تطل فانه يملّ الاطالة ، فقلت له : لست بصاحب إطالة ، وقلت أبياتاً على نحو ما رسم لى وصرت إليه ، فقال : تقدمنى إلى الباب فلم يلبث أن جاء ، فدخل وخرج أبو رمح الهمدانى ، صاحبُ جعفر بن يحيي ، فقال : أشجع ، فقمت إليه ، فقال : ادخل ، فدخلت ، فاستنشدنى فأنشدته [من الكامل] :

وترى الملوكَ إذا رأيتهمُ كلٌّ بعيدُ الصوت والْجَرْسِ

الأبيات المارة قريباً ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم . وكان أشجع يحب الثياب ، فكان يكترى الخلعة فى كل يوم بدرهمين ، فيلبسها أياما ، ثم يكترى غيرها فيفعل بها مثل ذلك ، قال : فابتعت ثيابا كثيرة بباب الكرخ ، فكسوت عيالى وعيال إخوتى حتى أنفقتها ، ثم أتيت المبارك مؤدب الفضل بن يحيي ، فقال : أنشدنى ، فأنشدته ، فقال : ما يمنعك من الفضل بن يحيي ؟ [فقلت : ومَنْ لى بالفضل بن يحيي ؟][1] قال : أنا لك ، فأدخلنى عليه فأنشدته [من الطويل] :

وما قدَّمَ الفضلُ بنُ يحيي مكانهُ على غيرهِ بلْ قدَّمتْهُ المكارمُ
لقدْ أرْهبَ الأعداء حتى كأنهُ على كلِّ ثغـــــرٍ بالمنية قائمُ

فقال : كم أعطاك جعفر ؟ قلت : عشرة آلاف درهم ، فقال : أعطوه عشرين ألفاً .

---

(١) هذه الزيادة ساقطة من اصول هذا الكتاب ، ولا يتم الكلام إلا بها ، وهي ثابتة فى الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وحدّث داود بن مهلهل ، قال : لما خرج جعفر بن يحيي ليُصْلح أمر الشام نزل فى مَضْرِبه ، وأمر باطعام الناس ، فقام أشجع فأنشده [من الكامل] :

فئتان طاغيةٌ و باغيةٌ جَلَّتْ أمورهما عن الخطبِ
قدْ جاءكم بالخيل شازبةً ينقلنَ نحوكم رَحَى الحربِ (١)
لم يبقَ إلا أنْ تدُورَ بكم قدْ قامَ هاديها على القُطْبِ (٢)

قال : فأمر له بصلة ليستْ بالسنية ، وقال له : دائم القليل خير من منقطع الكثير ، فقال له : ونَزْرُ الوزير خير من جزيل غيره ، فأمر له بمثلها .

قال : وكان يُجرى عليه فى كل جمعة مائة دينار مدة مقامه ببابه .

وحدّث إسحاق الموصلى ، قال : دخلت على الرشيد يوماً وهو يخاطب جعفر ابن يحيي بشيء لم أسمع ابتداءه ، وقد علا صوته ، فلما رآنى مقبلا ، قال لجعفر : أترضى باسحاق ؟ فقال جعفر : والله مافى علمه مطعن إن أنصفَ ، فقال لى : أى شيء تروى للشعراء المحدثين فى الخمر ؟ أنشدنى منْ أفضل ما عندك ، وأشده تقدما ، فعلمت أنهما كانا يتمارَيان فى تقديم أبى نواس ، فعدلت عنه إلى غيره ، لئلا أخالف أحدهما ، فقلت له : لقد أحسن أشجع السلمى فى قوله [من الكامل] :

ولقد طعنْتُ الليل فى أعجازه بالكأس بين غطارف كالأنجم
يتمايلونَ على النعيم كأنهمْ قُضُبٌ مِن الهندىِّ لمْ تتثلَّمِ
وسعى بها الظبىُ الغريرُ يزيدُها طيباً ويغشمها إذَا لمْ تغشم
والليلُ مشتمل بفضل ردائهِ قد كادَ يحسرُ عنْ أغرَّ أرثمِ (٣)

(١) شازبة : ضامرة ، ووقع فى الأصول « شاذبة » ووقع فى الأغانى « شاربة » ووقع فى مهذب الاغانى « سارية » وكل ذلك تصحيف

(٢) فى الأصول « قد قام هاربها » وماأثبتناه موافق لما فى الأغانى ومهذبه

(٣) فى رواية من روايات الأغانى « والليل منتقب بفضل ردائه » وفى أخرى كما هنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فاذا أدَارتها الأكفُّ رأيتها تثنى الفصيحَ إلى اللسان الأعجَمى
وَعلىَ بنان مُديرِها عقيانة من مسكها وعلى فضولِ المعصم(١)
تَغلى إذَا ما الشعرَيان تَلظتاَ صيفاً وتسكن فى طلوع المرزم
ولقدْ فضضناها بِخاَتم رَبهاَ بِكراً وليس البكرُ مثلَ الأيِّمِ
ولها سكون فى الاناء وخلفها شغب يطوِّح بالكمىّ المعلمِ
تعطى على الظلم الفتى بِقيادِها قسْراً وتظلمه إذا لم تُظلَمِ(٢)

فقال لى الرشيد : قد عرفت تعصبك على أبى نواس ، وأنك عدلت عنه ، متعمداً (٣) ، ولقد أحسن أشجع ، ولكنه لا يقول أبداً مثل قول أبى نواس [من المديد] :

ياشقيقَ النَّفْسِ منْ حكم نمتَ عَنْ ليلى ولم أنمِ

فقلت له : ماعلمت ما كنتما فيه يا أمير المؤمنين ، وإنما أنشدت ماحضرنى فقال : حسبك ، قد سمعتَ الجواب ، وكان فى إسحاق تعصب على أبى نواس لشىء جرى بينهما .

وحدَّث إسحاق ، قال : اصطبح الواثق فى يوم مَطيرٍ ، واتصل شربه ، وشربنا معه حتى سقطنا لجنوبنا صَرْعَى وهو معنا على حالنا ، فما حول أحد منا من مضجعه ، وخدم الخاصَّة يطوفون علينا ويتفقدوننا ، وبذلك أمرهم ، وقال لهم : لا تحركوا أحداً منهم عن مضجعه ، فكان هو أول من أفاق منا ، فقام

---

(١) فى الأصول « من كسبها » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى مهذب الأغانى ، وفى الأغانى « من لونها »
(٢) فى الأصول « بقتادها » محرفا عما أثبتناه عن الأغانى .
(٣) فى الأصول « معتمدا » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأمر بانباهنا ، فانتبهنا ، وقمنا وتوضأنا وأصلحنا من شأننا ، وجئنا إليه ، وهو جالس ، وفى يده كأس ، وهو يروم شربها والخُمَار يمنعه ، فقال لى: يا إسحاق أنشدنى فى هذا المعنى شيئاً ، فأنشدته قول أشجع السلمى :

* ولقد طعنتُ الليل فى أعجازه *

إلى آخر الأبيات ، فطرب ، وقال : أحسن والله أشجع ، وأحسنت يا أبا محمد ، أعد بحياتى ، فأعدتها وشرب كأسه عليها ، وأمر لى بألف دينار .

وحدَّث على بن الجهم، قال : دخل أشجع على الرشيد ، وقد مات ابن له ، والناس يعزونه ، فأنشده [من السريع] :

نقصٌ من الدين ومنْ أهلهِ نقصُ المنايا منْ بنى هاشمِ
قدَّمتَهُ فاصبرْ عَلَى فقدهِ إلى أبيهِ وَأبِى القاسمِ

فقال الرشيد : ما عزانى أحدٌ اليوم أحسن من تعزية أشجع ، وأمر له بصلة .

وحدَّث عمر بن على أن أشجع السلمىَّ كتب إلى الرشيد ، وقد أبطأ عنه شىء أمر له به [من الطويل] :

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً لها عَنَقٌ بينَ الرُّواةِ فسيحُ(١)
بأنَّ لسانَ الشعر ينطقه الندَى ويخرسهُ الإبطاء وهو فصيحُ

فضحك الرشيد ، وقال : لن يخرس لسان شعرك ، وأمر بتعجيل صلته .

وحدَّث أشجع ، قال : دخلت على الأمين ، حين أجلس مجلس الأدب

---

(١) وقع فى الأصول «ألا أبلغ» بزيادة « ألا » عما فى الأغانى ، ولا يستدعيها الوزن ، ويجب معها وصل همزه « أبلغ »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

للتعليم ، وهو ابن أربع سنين ، وكان يجلس فيه ساعة ، ثم يقوم ، فأنشدت [من الكامل] :

ملكٌ أبوهُ وأُمهُ منْ نَبْعَةٍ فيها سراجُ الأمةِ الوهاجُ
شربَتْ بمكةَ فى رُبَى بَطْحائها ماء النبوة ليس فيهِ مزاجُ

قال : فأمرت له زبيدة بمائة ألف درهم .

وحدث سعيد بن زهير وأبو دعامة ، قالا : كان انقطاع أشجع إلى العباس ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، فقال الرشيد للعباس يوماً : يا عم ، إن الشعراء قد أكثروا من مديح محمد بسببي و بسبب أم جعفر ، ولم يقل أحد منهم فى المأمون شيئاً ، وأنا أحب أن أقع على شاعر فطن ذكيّ يقول فيه . فذكر العباس ذلك لأشجع ، وأمره أن يقول فيه ، فقال [من المديد] :

بيعةُ المأمون آخذةٌ بعنانِ الحق فى أفقهْ
أحكمت مرآته عُقَداً تمنعُ المحتال فى نفقهْ
لن يفكَّ المرءُ رِبقتها أو يفكَّ الدين من عنقهْ
وله من وجهِ والده صورةٌ تمَّتْ ومن خلقهْ

قالا : فأتى العباس الرشيدَ وأنشده إياها واستحسنها ، وسأله : لمن هى ؟ فقال : هى لى ، فقال : قد سررتنى مرتين باصابتك مافى نفسى و بأنها لك . وما كان لك فهو لى ، وأمر له بثلاثين ألف درهم ، فدفع إلى أشجع منها خمسة آلاف درهم وأخذ باقيها لنفسه .

وحدث على بن الفضل السلمى قال : أول ما نجم به أشجع اتصاله بجعفر ابن المنصور ، وهو حدث ، وصله به أحمد بن يزيد السلمى وابنه عوف ، فقال أشجع فى جعفر بن المنصور [من الخفيف] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

اذكروا حُرْمةَ العواتكِ منا ... يا بنى هاشم بن عبدِ مَنافِ
قدْ وَلدْنا كم ثلاثَ ولادا ... تٍ خلطن الاشرافَ بالأشرافِ
مهدَتْ هاشماً نجوم قصىٍّ ... من بنى فالج حجورُ عَفَافِ (١)
إن أرماح بهْثَةَ بْنِ سليمٍ ... لعجافُ الأطراف غير عجافِ (٢)
معشَرٌ يطعمُونَ من ذروة الشوْ ... ل ويُسْقَوْنَ خمرة الأقحافِ (٣)
يضربون الجبَّارَ فى أخْدعَيْهِ ... ويُسقُّونَهُ نقيعَ الذُّعافِ

فشاع شعره وبلغ المنصور، ولم يزل [أمره (٤)] يترقى إلى أن وصلته زبيدة بعد وفاة أبيها بزوجها الرشيد (٥) فأسنى جوائزه، وألحقه بالطبقة العليا من الشعراء.

وحدث مهدى بن سابق قال: أعطى جعفرُ بن يحيى مروانَ بن أبى حفصة وقد مدحه ثلاثين ألف درهم، وأعطى أبا البصير عشرين ألفاً، وأعطى أشجع وقد أنشده معهم ثلاثة آلاف، وكان ذلك فى أول اتصاله به، فكتب إليه أشجع [من مجزوء الكامل]:

أعطيتَ مروان الثلا ... ثينَ التى دلَّتْ رِعاثَهْ (٦)

---

(١) فى الأغانى وبلغ المنصور ومهذبه «وبنو فالغ حجور عفاف»

(٢) هكذا وقع فى الأصول موافقا لما فى الأغانى، ووقع فى مهذب الأغانى «بعجاف الأطراف غير عجاف»

(٣) فى الأغانى ومهذبه «ويسقون خمرة الأنحاف»

(٤) الزيادة عن الأغانى

(٥) فى الأصول «بعد وفاه أبيها وتزوجها الرشيد» وما أثبتناه موافق لما فى الأغاني ومهذبه

(٦) فى الأغانى «الثلاثين التى ذلت رغاثه» وهو تحريف، وما أثبتناه موافقا لما فى أصول هذا الكتاب مستقيم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأبا البصير ، وإنما أعطيتنى معهم ثلاثه
ما خاننى حوكُ القريـــض ولا اتهمت سوى الحداثه (١)

فأمر له بعشرين ألف درهم أخرى

وحدث محمد بن الحارث الخراز قال : كان لأشجع جارية يقال لهـا ريم ، وكان يَجِدُ بها وجداً شديداً ، فكانت تحلف له أنها إن بقيت بعـده لم تتعرض لغيره ، وكان يذكرها فى شعره ، فمن ذلك قوله من قصيدته التى يرثى بها الرشيد [من الطويل] :

وليس لأحزان النساء تَطَاوُلٌ ولـكنَّ أحزان الرجال تَطُولُ
فلا تَبْخَلى بالدمع عنى فانَّ مَنْ يَضَنُّ بدمعٍ فى الهوى لبخيلُ (٢)
فلا كنت ممن يُتْبِعُ الريحَ طرفَهُ دَبورا إذا هَبَّتْ صبا وقبُولُ (٣)
إذا دارَ فىء أتبعَ الفىء طرفه يميلُ مع الأيام حيث تميـلُ

وقال فيها أيضاً [من الطويل]

إذا غَمَضَتْ فوقى جفونُ حُفَيرَةٍ من الأرض فابكينى بما كنتُ أصنَعُ
تُعَزِّكِ عنى بعـد ذلكَ سَلْوَةٌ وأن ليس فيما وَارتِ الأرضُ مَطْمَعُ
إذا لم تَرَىْ شخصى ، وتُغْنِيكِ ثروتى ولم تَسْمَعى منى ، ولا منكِ أسمعُ (٤)

---

(١) فى الأصول « ما خاننى خود القريض » محرفا عما أثبتناه موافقا لما فى الأغانى

(٢) فى الأغانى ومهذبه « فان من يضن بدمع عن هوى لبخيل »

(٣) كذا ، وفى الأغانى ومهذبه « دبور إذا هبت له وقبول » وهو أحسن مما هنا .

(٤) كذا فى الأصول موافقا لما فى الأغانى ، وقد جعله فى مهذب الأغاني « وتغنك ثروتى » مجزوما بالعطف على جواب الشرط « تعزك عنى — إلخ » وليس الجزم بضربة لازب .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فحينئذ تَسْلين عنى ، وإن يكن بكائى فأقصَى ما تُبَكِّينَ أربَعُ
قليلا ورَبِّ البيتِ يا ريمُ ما أرَى فتــاةً بمنْ ولى به المـوت تَقْنَعُ
بمَنْ تدفعين الحادثات إذا رَمَى عليك بها عامٌ من الجدب يَطْلُعُ
فيومئذٍ تَدْرِينَ من قد رُزئتهِ إذا جعلت أركانُ بيتكِ تُنْزَعُ

قال : فشكته إلى أخيه أحمد بن عمرو ، فأجابه عنها بشعر نسبه إليهـا ، ومدح فيه الفضل أيضاً ، فاختير شعره على شعر أخيه ، وهو [من الطويل] :

ذكَرْتَ فراقاً والتفرقُ يَصْدَعُ وأىُّ حياةٍ بعد مَوْتكَ تَنفَعُ (١)
إذا الزمن الغدارُ فَرَّقَ بيننا فمالىَ فى طيبٍ من العَيْشِ مَطْمَعُ (٢)
ولا كانَ يوْمٌ يا ابن عمرو وليلةٌ يبددُ فيها شملنا ويُصَدَّعُ
فألطم وجهاً فيك كنت أصونه وأخشعُ مما لم أكن منهُ أخشعُ (٣)
ولا كان يوم فيه تَثْوِى رَهينةً فتروى بجسمى الحادثات وتَشْبَعُ (٤)
ولو أننى غُيِّبْتُ فى الترب لم تَبَلْ ولم يَرَكَ الراؤون لى تتوَجَّعُ
وهل رجلٌ أبصَرْتَه متوجعاً على امرأة أوعينُه الدهرَ تدمَعُ
ولـكن إذا ولَّتْ يقولُ لها اذهبى فمثلك أخرى سوفَ أهْوَى وأتبَعُ (٥)

---

(١) فى الأغانى « والفراق يصدع »
(٢) فى الأغانى « إذا الزمن الغرار »
(٣) فى الأغانى « فألطم وجها كنت فيه أصونه » وما هنا أحسن
(٤) فى الأصول « ولا كان يوم فيه سوء رهبته » وما أثبتناه موافق لما فى الأغانى ، وهو أصح
(٥) وقع فى الأصول * ولـكنها مهما تولت يقل سوى * وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الأغاني .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولو أبصرت عيناكَ ما بي لأبصرت صبابةَ حزن غيمها ليس يُقْشَعُ (١)
إلى الفَضْلِ فارْحَلْ بالمديح فانه مَنيعُ الحمى معروفُهُ ليسَ يمنَعُ
وزُرْهُ تزر حلماً وعلماً وسودَداً وبأساً به أنف الحوادث يجْدَعُ
وأبدِعْ إذا ما قلت في الفضل مدحةً كما الفضل في بذل المواهب يُبْدِعُ

في أبيات أخر ، قال : فأنشدها أشجع الفضلَ وحدثه بالقصة ، فوصل أخاه وجاريته ، ووصله .

وحدث الحسين الجعفي قال : كان أشجع إذا قدم بغداد ينزل على صديق له من أهلها ، فقدمها مرة فوجده قد مات والنوح والبكاء في داره ، فجزع لذلك وبكى ، وأنشأ يقول [من الخفيف] :

وَيْحَهَا هل دَرَتْ على مَنْ تنوحُ أسقيمٌ فؤادُها أم صحيحُ ؟
قمرٌ أطبقُوا عليه ببغْدَا دَ ضريحاً ، ماذا أجَنَّ الضَّريحُ ؟
رحِمَ الله صاحبي ونَدِيي رحمةً تغتدي ، وأُخرى تَرُوحُ !

ودخل أشجع على الرشيد في عيد الفطر ، فأنشده [من السريع] :

استقْبِلِ العيدَ بعُمْرٍ جَديدْ مَدَّت لك الأيامُ حَبْلَ الخلودْ
مُصَعِّدًا في دَرَجات العلا نجمُكَ مَقْرُونٌ بسَعْد السُّعودْ
واطوِ رداء الشمْسِ ما أطْلَعَتْ نوراً جديداً كلَّ يوم جَديدْ
تمضي لك الأيام ذا غِبْطَةٍ إذا أتى عيدٌ طوى عُمْرَ عِيدْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وأمر أن يغنى بهذه الأبيات .

وحدث محمد بن عبد الله بن مالك قال : كان حرب بن عمرو الثقفي نخاساً ،

---

(١) في الأغاني « صبابة قلب غيمها ليس يقشع »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكانت له جارية مغنية ، وكان الشعراء والكتاب وأهل الأدب ببغداد يختلفون إليها ويستمعونها وينفقون فى منزله النفقات الواسعة ويبرونه ويهدون إليه ، فقال فيها أشجع [من السريع] :

جارية تهتز أردافها ... مشبعة الخلخال والقلب
أشكو الذى لاقيت من حبها ... وبغض مولاها إلى ربى
من بغض مولاها ومن حبها ... سقمت بين البغض والحب
فاعتلجا فى الصدر حتى استوى ... أمرهما فاقتسما قلبى (١)
فعجل الله شفائى بها ... وعجل السقم إلى حرب

وأخباره كثيرة ، وهذا القدر منها كاف .

وحدث ابن أشجع السلمى قال : مر أبى وعمّاى أحمد ويزيد ، وقد شربوا حتى انتشوا ، بقبر الوليد بن عقبة وإلى جانبه قبر أبى زبيد الطائى ، وكان نصرانياً وكان أبو زبيد لما احتضر أوصى أن يدفن إلى جنب الوليد بالبليخ ، والقبران مختلفان كل منهما متوجه إلى قبلة أهل ملته ، قال : فوقفوا على القبرين ، وجعلوا يتحدثون بأحاديثهما ، ويتذاكرون أخبارهما ، فأنشأ أبى يقول [من الوافر] :

مررتُ على عظام أبى زُبَيْد ... وقد لاحتْ ببَلْقَعَةٍ صَلود
وكان له الوليدُ نديمَ صدقٍ ... فنادم قبرُهُ قبرَ الوليد
أنيسَا ألفةٍ ذهبَا فأمستْ ... عظامُهما تأنس بالصَّعيد
وما أدرى بن تَبْدُو المَنَايا ... بأحمد أم بأشجع أم يَزِيد

قال : فماتوا والله كما رتبهم بالشعر ، فكان أولهم أحمد ، ثم أشجع ، ثم يزيد .

* * *

(١) فى الأغانى «فاختلجا فى الصدر» ولكل منهما وجه ، ومعناهما متقارب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد الأخذ الخفي والمعنيان متشابهان

١٩٧ فلا يَمْنَعْكَ مِنْ أَرَبٍ لِحاهُمْ سَوَاء ذو العِمَامَةِ والخِمَارِ

* * *

١٩٨ ومَنْ فى كَفِّهِ منهُمْ قَنَاةٌ كمن فى كفِّهِ منهُمْ خِضَابُ

البيت الأول لجرير، من قصيدة [١] من الوافر.

والأرب: الحاجة، واللحى — بالضم والكسر — جمع لحية، وهى شعر الخدين والذقن. والخمار — بالكسر — النَّصِيف، وهو ما ستر الرأس، وكل ما ستر شيئاً فهو خمار.

والمعنى: لا يمنعك من الحاجة كونُ هؤلاء على صورة الرجال، لأن الرجال والنساء منهم سواء فى الضعف.

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى، من قصيدة من الوافر [٢] يمدح بها سيف الدولة، ويذكر فيها خضوع بنى كلاب وقبائل العرب له، وأولها:

بغيرِكَ راعياً عبثَ الذئابُ وغيرِكَ صارماً ثَلَمَ الضِّرَابُ
وتملك أنفُسَ الثقلين طُرّاً فكيف تحوزُ أنفُسَهَا كلابُ
وما تركُوكَ مَعْصِيَةً ولكن يُعافُ الوِرْدُ والموْتُ الشرابُ [٣]
طلبتهمُ على الأمْوَاهِ حتى تخوف أن تُفَتِّشَهُ السحابُ

وهى طويلة يقول فيها:

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (ص١٩٠) وفيه *فلا تمنعك من أرب لحاهم*

(٢) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٧٥)

(٣) وقع هذا البيت فى الأصول

وما تركوك مضيعة ولكن يعاف الورد والماء السراب

وهو تحريف شنيع فى عدة مواضع، وقد أثبتنا صوابه عن الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولكن ربُّهُمْ أسْرَى إليهم فما نَفَعَ الوقوفُ ولا الذَّهَابُ
ولا ليلٌ أجنَّ ولا نهارٌ ولا خَيْلٌ حَمَلْنَ ولا ركابُ
رميتهُمُ ببحرٍ من حَدِيدٍ له فى البر خَلْفَهُمُ عُبَابُ
فسَاهُمْ وبُسْطُهُمُ حريرٌ وصَبْحَهُمْ وبُسْطُهُمُ ترابُ

وبعده البيت ، وبعده :

بَنُو قتلى أبيكَ بأرض نجْدٍ ومن أبقى وأبقَتْهُ الحرابُ
عفا عنهمْ وأعتَقَهُمْ صغاراً وفى أعناقِ أكثرِهِمْ سِخَابُ (١)
وكلكم أتى مأتى أبيه فكل فعالكم عَجَبٌ عُجَابٌ (٢)
كذا فَلْيَسْرِ من طَلَبَ الأعادى ومثل سُرَاكَ فليكن الطِّلَابُ

والشاهد فى البيتين : الأخذ الخفى مع تشابه المعنيين ، فتعبير جرير عن الرجل بذى العمامة كتعبير أبى الطيب عنه بمن فى كفه قناة ، وكذا تعبير جرير عن المرأة بذات الخمار كتعبير أبى الطيب عنها بمن فى كفه خضاب

ومن الأخذ الخفى قول الطرماح [من الطويل] :

لقد زَادَنِى حباً لنفسِىَ أننِى بَغيضٌ إلى كل امرئٍ غيرِ طَائِلِ
وأنى شَقِىٌّ باللئامِ ، ولا تَرَى شقياً بهم إلَّا كريمَ الشمائِلِ

وقول أبى الطيب [من الكامل]

وإذا أتَتْكَ مذمتى من ناقِصٍ فهىَ الشهادةُ لى بأنىَ كاملُ

---

(١) السخاب ـ بكسر السين ـ قلادة تتخذ من سلك وغيره وليس فيها من الجوهر شىء يلبسها الصبيان

(٢) فى الديوان * فكل فعال كلكم عجاب *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد نقل المعنى المأخوذ إلى موضع آخر

١٩٩ — سُلبُوا وأشرقَتِ الدماء عليهمُ محمرَّةً فكأنهمْ لم يسْلَبُوا

***

٢٠٠ — يبسَ النَّجيعُ عليه وَهْوَ مجرَّدٌ من غمدِهِ فكأنما هُوَ مُغْمَدُ

البيت الأول للبحترى من قصيدة من الكامل يمدح بها إسحاق بن إبراهيم (١) وأولها :

عارضْنَنَا أُصُلاً فقلنا الرَّبَرَبُ حتى أضاءَ الأقحوانُ الأشنَبُ

وأخْضَرّ مَوْشِيّ البُرود وقد بَدَا منهنّ ديباجُ الخدودِ المذهّبُ

أومَضْنَ من خَلَلِ السُّجوف فراعَنَا بَرْقانِ خالٍ ما يُشَام وخُلبُ (٢)

ولو أنني أنصفتُ فى حكم الهَوَى ما شِمْتُ بارقةً ورأسى أشْيَبُ

إلى أن قال فيها :

ما إن ترى إلا توَقُّدَ كوكبٍ من قومس قد غاب فيه كوكبُ

فمجدّلٌ ومُوَسدٌ ومُرَمَّلٌ ومُضَرَّجٌ ومُضَمَّخٌ ومُخَضَّبُ

و بعده البيت ، و بعده :

ولو أنهم ركبوا الكواكب لم يكن لمجدِّهم من جد بأسكَ مَهْرَب (٣)

وهى طويلة .

ومعنى البيت : أن الدماء المشرقة صارت بمنزلة الثياب عليهم .

وقد أخذ هذا المعنى السرى الرفاء فقال من قصيدة فى سيف الدولة [من البسيط] :

---

(١) ارجع إليها فى الديوان (١ — ٦٢ مصر)

(٢) فى الديوان « من خلل الستور » وفيه « برقان خال ماينال »

(٣) فى الديوان « من أخذ بأسك »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لما تراءى لك الجمعُ الذى نزَحَتْ أقطارُه ونأت بُعْداً جوانبُهُ
تركتَهُمْ بين مصبوغ ترائبُهُ من الدماء ومخضوب ذوائبُهُ
فحائدٌ وشهابُ الرمح لاحِقُه وهاربٌ وذبابُ السيف طالبُهُ
يَهْوِى إليه بمثل النجم طاعِنُهُ ويَنْتَحيه بمثلِ البَرْقِ ضاربُهُ
يكسوه من دَمِهِ ثوباً ويسلبُهُ ثيابَهُ فهوَ كاسيهِ وسالبُهُ

وأصل هذا المعنى من قول بعض العرب [من الطويل] :

وفَرَّقْتُ بين ابْنَىْ هشيم بطعنةٍ لها عائد يكسو السليب إزارا(١)

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الكامل (٢) أيضاً ، يمدح بها شجاع بن محمد الطائى ، أولها :

اليومَ عهدكمُ فأينَ الموْعِدُ هيهاتَ ليسَ ليَوْمِ موْعِدكم غَدُ
الموتُ أقْرَبُ مخْلَباً من بيْنِكم والعيشُ أبعَدُ منكم لا تبْعَدُوا
إن التى سفكت دمى بجفُونِها لم تَدْرِ أن دمى الذى تتَقَلَّدُ
قالت وقد رأت اصفرارى مَنْ به وتنهَّدَتْ فأجبتُهَا المتَنهِّدُ
فمضت وقد صبَغَ الحياء بياضَهَا لونى كما صبغ اللجينَ العَسْجَدُ
فرأيْتُ قرنَ الشمس فى قمر الدجى متأوداً غصنٌ به يتأوَّدُ
عدويةٌ بدويةٌ منْ دونها سلبُ النفوس ونارُ حربٍ توقدُ
وهواجلٌ وصواهلٌ ومناصلٌ وذوابل وتوعدٌ وتهدُّدُ
أبلتْ مودَّتَهَا اللَّيالِى بعدَنا ومشَى عليها الدهرُ وهو مقيدُ

(١) فى الأصل « لها عائد » محرفا عما أثبتناه ، والعاند - بالنون - العرق الذى يسيل دمه فلا يرقأ ، وهو أيضا الطعن يكون بمنة ويسرة

(٢) اقرأها فى الديوان (١ — ٣٢٧)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أبرَحْتَ يامرضَ الجفون بمرضٍ مَرِضَ الطبيبُ لهوعيدَ العُوَّدُ (١)

وهى طويلة ، يقول فى مديحها :

كنْ حيثُ شئتَ تسرْ إليكَ ركابُنا فالأرضُ واحدةٌ وأنت الأوْحدُ

وَصُنِ الحسامَ وَلاَ تذلهُ فانهُ يشكو يمينكَ والجماجمُ تشهدُ

و بعده البيت وبعده :

رَيان لو قَذَف الذى أسْقَيْته لجرى من المهجاتِ بحرٌ مزبدُ

ما شاركتْهُ منيةٌ فى مهجةٍ إلا وشَفْرَتهُ على يدها يدُ

والنجيع من الدم : ما كان إلى السواد ، وهو دم الجوف ، والغمد ـ بالكسر ـ جفن السيف .

والشاهد فى البيتين : نقل المعنى الآخر المأخوذ إلى محل آخر ، فمعنى بيت المتنبي أن الدم اليابس صار بمنزلة غمد السيف ، فنقل المعنى من القتلى والجرحى إليه .

* * *

شاهد مجيء معنى المأخوذ أكمل

٢٠١ — إذا غَضِبَتْ عليكَ بنُو تميم حَسِبْتَ الناسَ كلهمْ غضابَا

* * *

٢٠٢ — وَليسَ لله بِمُستنكرٍ أنْ يجمعَ العالَمَ فِى وَاحِد

البيت الأول لجرير ، من قصيدة من الوافر تقدم ذكر أولها فى شواهد الاستخدام ، ومنها قبل البيت :

---

(١) فى الأصول : « أبرمت يا مرض الجفون » ، وقد أثبتنا ما فى الديوان .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لنا حوْضُ الحجيج وساقِيَاهُ ومَنْ وَرِثَ النبوَّةَ والكتابَا
ألسنَا أكثرَ الثقلين حيّا ببطْنِ مِنىً وأكثرَهُمْ قِبَابَا

و بعده البيت ، و بعده :

فلاَ وَأبيكَ مالاَقيتُ حيّاً كبيرْبُوعٍ إذا رَفعُوا النقَابَا
فَغُضّ الطرْفَ إنكَ مِنْ نُميرٍ فلاَ كعباً بلغْتَ ولاَ كِلاَبَا

والمعنى : أن بنى تميم يقومون مقام الناس كلهم .

والبيت الثانى لأبى نُوَاس ، من أبيات من السريع ، كتبها للرشيد مادحاً الفضل بن الربيع ، وهى :

قولاَ لهَا رُونَ إمامِ الهدَى عندَ احتفالِ المجلس الحاشِدِ
نصيحةُ الفضلِ و إشفاقُهُ أخلى له وجهكَ مِنْ حاسِدِ
بِصادِقِ الطاعَةِ ديانِها وَوَاحِدِ الغائبِ والشاهدِ
أنتَ على ما بِكَ مِنْ قدرَةٍ فلسْتَ مثلَ الفضلِ بالوَاجِدِ
أوْحَدَهُ اللهُ فما مِثلهُ لطالبٍ ذَاكَ وَلاَ نَاشِدِ

و بعده البيت .

حدَّث سعيد بن حميد : أن أبا تمام الطائىّ دخل على ابن أبى دُؤاد ، فقال له : أحسبك عاتباً يا أبا تمام (١) ، فقال له : إنما نعتب على واحد وأنت

(١) فى الأصول «أحسبك غائبا ياأبا تمام» وفيها «إنما نغيب على واحد» وفيها «فكيف نغيب عنك» وكل هذا تحريف ما أثبتناه موافقا لعدة مراجع من أمهات الكتب منها تاريخ ابن خلكان (١ – ٦٨ بتحقيقنا فى أثناء ترجمة أحمد بن أبى دؤاد) قال «ودخل أبو تمام عليه يوما وقد طالت أيامه فى الوقوف ببابه ولا يصل إليه ، فعتب عليه مع بعض أصحابه فقال له ابن أبى دؤاد : =

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ناس جميعاً ؟ فكيف نعتب عليكَ ؟ فقال له ابن أبي دُؤادَ : من أين أخذت هذه اللفظة ؟ فقال : من قول الحاذق أبي نواس ، وأنشد البيت .

والشاهد في البيتين : مجيء معنى المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه ، فان بيت جرير يخص بعض العالم ، وبيت أبي نواس يشمله .

وقد جاء في معنى البيتين قول المتنبي [من الكامل] :

نُسِقُوا لنا نسَقَ الحسابِ مُقدَّما وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخرا

وقوله أيضاً [من الطويل] :

مَضىَ وَبنُوهُ وانفرَدْتَ بفعلهِ وألفٌ إذا ما جُمِّعَتْ واحدٌ فرْدُ

وقوله [من المنسرح] :

هديةٌ ما رَأيتُ مُهديهَا إلا رَأيْتُ العباد في رَجلِ

وقول الوزير المغربي [من البسيط] :

حتى إذا ما أرَادَ اللهُ يُسعدُنى رَأيتهُ فرأيْتَ الناسَ في رَجلِ

وقول أبي الفرج الببغاء يميل إلى المبالغة [من الخفيف] :

وإذا ما حَلَلْتَ في بلْدَةٍ فهْـــو جميع الدنيا وأنت الأنامُ

وقول ابن قلاقس من قصيدة [من المتقارب] :

دَعوْتُكَ فاحضُرْ فلَيسَ الجميع إذَا غِبْتَ ـ لا غبْتَ ـ كالحضَّرِ

وقد جمعَ اللهُ فيكَ الأنامِ وَليسَ عَليهِ بِمُستنكرِ

وقوله أيضا [من البسيط] :

= أحسبك عاتبا يا أبا تمام ، فقال : إنما يعتب على واحد وأنت الناس جميعا كيف نعتب عليك ـ إلخ»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عَلىَ الشهادَةِ بالفضل المبينِ لهُ كلُّ المذاهبِ وَالآراءِ وَالملل
مدَحتُهُ فَمَدَحتُ الناسَ قاطبةً لأنني منهُ ألقى الناسَ فى رجُلِ

وقد ضمن القيراطىّ بيت أبى نواس فقال يهجو [من السريع] :

تجَمعتْ مِنْ نُطَفٍ ذاتُهُ حتى بَدَا فى قالب فاسِد
ليسَ علىَ الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحدِ

ومثله ما أجاب به قابوسَ صاحبَ جُرْجان ، الصاحبُ بن عباد حين هجاه بقوله [من المنسرح] :

قدْ قَبَسَ القابساتِ قابُوسُ ونجمهُ فى السماء منحوسُ
وكيفَ يُرْجى الفلاحُ من رَجُلٍ يكونُ فى آخرِ اسمهِ بُوسُ

وجواب قابوس [من السريع] :

مَنْ رَامَ أنْ يهْجُو أبَا القاسمِ فقدْ هجا كلَّ بنى آدمِ
لأنهُ صُوِّرَ مِنْ مُضغةٍ تجَمَّعَتْ منْ نُطفِ العالمِ

ومثله لأبى أحمد العروضى [من الكامل] :

لو كانَ يُورَثُ بالتشابُهِ ميتٌ لملكتَ بالأعضاء مالاَ يُملكُ
بخلٌ مخائلهُ تخبِّرُ أنهُ فى الناس من نطفِ الجميع مُشبَّكُ

ومنه قول ابن المسجف [من السريع] :

ابن العلائىِّ لهُ فقحةٌ شيعيةٌ تصبُو إلى القائم
أبخلُ من كلبٍ ولكنهُ بسُرْمِهِ أجوَدُ من حاتِمِ
كفاهُ هَجْواً أنهُ واحدٌ صُوِّرَ من كل بنى آدَمِ

ولقد أجاد أبو نعيم البزار الشاعر الواسطى بقوله [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لَقد كمل الرحمنُ شَخصكَ فى الورَى فلاشان شَيئاً من كمالكَ بالنقص
ومنْ جمعَ الآفاقَ فى العين قادرٌ على جمعِ أشتاتِ الفضائل فى شَخْصِ

فانه زادَ على أبى نواس بالمبالغة والتمثيل ، لأن الانسان إذا فتح عينه رأى نصف العالم .

وكان الوزير مؤيد الدين بن العلقمى ـ أذاقه الله العلقم ، من زقوم جهنم ! ـ قد طالع المستعصم فى شخص من أمراء الجبل ، يعرف بابن شرف شاه ، وقال فى آخر كلامه « وهو المدبر » فوقع المستعصم له [من السريع] :

وَلاَ تُساعدْ أبداً مدبراً وكنْ معَ اللهِ على المدبرِ

فكتب ابن العلقمى أبياتاً فى الجواب ، منها [من السريع] :

يا مالكا أرْجُو بحبيٍّ لهُ نيْلَ المُنَى والفوْزَ فى المحشَرِ
أرشدْتَنِي لازلت لى مُرْشداً وهادِياً من نورك الأنورِ
أبنتَ فى بيْت هُدًى قلتهُ عن شرفٍ فى بَيتكَ الأطهرِ
فضلكَ فضلٌ مالهُ منكرٌ لَيْسَ لضوء الشمْسِ من مُنكرِ
أن يجمعَ العالم فى وَاحدٍ فليسَ لِلّهَ بِمستنكرِ

فقلب بيت أبى نواس ، فجعل عجزه صدراً .

والعلقمى هذا كان وزير المستعصم ، وكان هو الركن الأكبر فى مجىء التتار إلى بغداد ، وخراب ذلك الإقليم ، وهدم ذلك الجناب العظيم ، فعليه من الله ما يستحقه ! .

* * *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

شاهد مجيء المأخوذ نقيض المأخوذ منه

٢٠٣ — أَجِدُ الملامةَ فى هَوَاكَ لذيذةً حُبا لِذِكرِكَ فليلمنى اللوَّمُ

* * *

٢٠٤ — أُحِبُّهُ وأحبُّ فيهِ ملامة إنَّ الملامة فيهِ مِنْ أعدائهِ

البيت الأول لأبى الشيص ، من أبيات من الكامل ، وقبل البيت :

وَقفَ الهوَى بى حيثُ أنتَ فليسَ لى
مُتأخَّرٌ عَنـهُ وَلاَ مُتقدَّمُ

و بعده البيت ، و بعده :

أشبهتَ أعدائى فصرتُ أُحبهمْ إذ كانَ حظى مِنكَ حظى منهُمُ
وَأهنتنى وأهنتُ نفسى عامداً مامَنْ يهونُ عليكَ مِمَّنْ يُكرمَ

والبيت الثانى لأبى الطيب المتنبى ، من قصيدة من الكامل يمدح بها سيف الدولة ، أولها :

القلبُ أعـلم يا عذُولُ بدائهِ وَأحق مِنـكَ بجفنـهِ و بمـائهِ
فَمَنْ أحبَّ لأعْصِيَنَّكَ فى الهوَى قسَماً بهِ وَبحُسنـهِ وَبهـائهِ

و بعده البيت ، و بعده :

عجبَ الوُشاةُ من اللحاظِ وقولهمْ دَعْ مابراكَ ضعفْتَ عَنْ إخفائهِ
ما الخـلُّ إلا مَنْ يودّ بقلبهِ وَيَرَى بطرفٍ لا يَرَى بسوَائهِ
إنَّ المعينَ على الصبابةِ بالأسى أوْلَى برحمـةِ ربهـا وَإخائهِ
مَهلاً فانّ العذلَ من أسقامهِ وترفقاً فالسمعُ مِنْ أعضائهِ
وَهَبِ الملامةَ فى اللذاذة كالكرَى مطرُودَة بسُهادهِ وَبُـكائهِ
لاَ تعْـذلِ المشتاقَ فى أشوَاقهِ حتى يكونَ حَشاكَ فى أحشائهِ
إنَّ القتيلَ مُضرَّجاً بدُمُوعـهِ مِثلُ القتيلِ مُضَرَّجاً بِدمائهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والعشق كالعُشُوق يَعذبُ قُربه للمبتلى وينال من حَوْبائِهِ
لو قلْتَ للدنفِ الحزين فَدَيْتُهُ ممَّا به لَأَغرته بفــدَائِهِ

وقد أخذ المتنبّي قوله * لا تعذل المشتاق فى أشواقه * البيت من قول البحترى [من الطويل] :

إذا شئتَ أن لا تعذلَ الدهرعاشقاً على كمدٍ من لوعة البين فاعْشَق

والشاهد فى البيتين : كون معنى المأخوذ نقيض معنى المأخوذ منه ، فبيت أبى الطيب نقيض بيت أبى الشيص ، والأحسن فى هذا النوع أن يبين السبب كما فى هذين البيتين إلا أن يكون ظاهرا كما فى قول أبى تمام [من الوافر] :

ونغْمَةَ مُعْتَفٍ جَدْوَاه أحلى على أُذُنَيْهِ من نَغَم السَّماع

وقول المتنبي [من الخفيف] :

والجراحاتُ عنده نَغَماتٌ سُبقت قَبْلَ سَيْبِه بسؤال

أراد أبو تمام أن صوت السائل لعطاء ممدوحه أحلى وألذ على سمعه من نغمات السماع وألحان الغناء ، وأراد أبو الطيب أن عادة ممدوحه الاعطاء بغير سؤال ، فإن سبقت نغمة من سائلى عطائه أثر ذلك فيه تأثير الجرح فى المجروح

وفى معنى بيت أبى تمام قول البحترى [من الكامل] :

نَشْوان يَطْرب للسؤال كأنما غناه مالك طىء أو مَعْبَدُ

وكذلك قول المتنبى [من البسيط] :

كأنّ كلّ سؤالٍ فى مَسَامِعِهِ قميص يوسُفَ فى أجفَان يَعْقُوبِ

وفى معناه قول أبى العلاء المعرى [من الطويل] :

فما ناح قُمْرِىٌّ ولا هَبَّ عاصفٌ من الريح إلاّ خاله صَوْتَ سائلِ

وقد أخذ بعض المغاربة بيت أبى الشيص فقال [من الكامل] :

هُدِّدت بالسلطان فيكَ وإنما أخشى صُدُودكَ لا من السُّلطانِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أجدُ اللذاذة فى الملام ، فلو درَى أخذَ الرُّشا منِّى الذى يَلْحَانِي

وأصل هذا المعنى لأبى نُوَاس فانه قال [من الوافر] :

إذا غادَيْتَنِي بِصَبُوح عَذْلٍ فَمَزْوُجاً بِتَسْمِيَةِ الحبيبِ

فإنى لاأعُدّ اللومَ فيهِ عليْكَ إذا فَعَلْتَ من الذنوبِ

وفى معناه قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

من ذَمَّ عاذلهُ فانى شاكرٌ للعُذَّل

سَمْعى لهم كالقلْبِ مِنْ ذِكْرِ الأحبّة ممتلى

ما ضَرَّنى إغراؤهم بالعَذْلِ إذ لم أقبلِ

تَعَبُ الملامِ عليهمُ وحَلاَوة التذكار لى

ومنه قول ابن الرومى أيضاً [من الوافر] :

تلذُّ لىَ الملامة فى هَوَاه كَمَرْآه وأستَحْلِى أذَاها

ترجمة أبى الشيص

وأبو الشيص[1] اسمه محمد بن رزين بن سليمان بن تميم ، وهو عم دعبل الخُزَاعىّ ، وأبو الشيص : لقب غلب عليه ، وكنيته أبو جعفر ، وكان من شعراء عصره ، متوسط المحل فيهم ، غير نبيه الذكر ، لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع السلمى وأبى نواس ، فخمل ، وانقطع إلى أمير الرقة عُقْبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى فمدحه بأكثر شعره ، وكان عقبة جوادا فأغناه عن غيره ، فقلّ ما يُرْوَى له فى غيره شعر .

وحكى عبدالله بن المعتز أن أبا خالد العامرى قال له : مَنْ أخبرك أنه كان فى الدنيا أشعر من أبى الشيص فكذبه ، والله لكان الشعر أهون عليه من شرب الماء

---

(١) تجد ترجمة أبى الشيص فى الأغانى (١٥ – ١٠٨ بولاق) وعنها صدر المؤلف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

على العطشان ، وكان من أوصف الناس للشراب ، وأمدحهم للملوك ، وكان سريع الهاجس جداً فيما ذكر عنه .

ومن شعره فى مدح أمير الرقة قوله [من الكامل] :

لا تُنكِرِى صَدِّى ولا إعْرَاضى ... ليس المقِلُّ عن الزمان براضِ
شيئان لا تَصْبُو النساء إليهما ... حَلْىُ المَشيب وحُلّة الانفاض
حَسَرَ المشيب قناعَهُ عن رأسِهِ ... فرمَيْنَهُ بالصَّدِّ والاعراض
ولربما جعلَتْ محاسنَ وجهه ... لجفونِهَا غَرَضاً من الأغراض

يروى عن أبى الشيص أنه قال : لما أنشدت هذه القصيدة لعُقْبة بن جعفر أمر بأن تُعَدّ ، وأعطانى لكل بيت ألف درهم

وحدث أحمد بن عبيد قال : اجتمع مسلم بن الوليد وأبو نواس وأبو الشيص ودِعبِلٌ فى مجلس ، فقالوا : لينشد كل واحد منكم أجود ماقاله من الشعر ، فاندفع رجل منهم فقال : اسمعوا منى أخبركم بما ينشد كل واحد منكم قبل أن ينشد ، فقال لمسلم : أما أنت يا أبا الوليد فكأنى بك قد أنشدت [من الطويل] :

إذا ما علَتْ منّا ذُؤابةَ واحدٍ ... وإن كان ذا حلم دَعَتْهُ إلى الجَهْلِ
كَهِلِ العيشُ إلا أن تَرُوحَ مع الصبي ... وتَغْدُو صريع الكأس والأعين النُّجْلِ

قال : وبهذا البيت لقبه الرشيد صريع الغوانى ، فقال له مسلم : صدقت ، ثم أقبل على أبى نواس وقال له : وكأنى بك يا أبا على قد أنشدت [من البسيط] :

لا تبْكِ ليلى ولا تَطْرب إلى هنْدِ ... واشْرَب على الوَرْدِ من حَمْراء كالوَرْدِ
تَسقيك من عَيْنها خَمْرا ومن يَدِها ... خَمْراً فما لك عن سُكْرَين من بُدِّ

فقال له : صدقت ، ثم أقبل على دِعبل فقال له : يا أبا على ، وكأنى بك تنشد قولك [من الكامل] :

* أين الشباب وأيةً سلكا *

الأبيات المارة فى إيهام التضاد ، فقال له : صدقت ، ثم أقبل على أبى الشيص

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال له : وأما أنت ياأباجعفر فكأنى بك وقد أنشدت قولك [من الكامل] :

* لا تُنكِرِى صَدّى ولا إعْرَاضى *

الأبيات السابقة قريبا ، فقال له : لا ، ما هذا أردت أن أنشد ، ولا هذا بأجود شيء قلته ، قالوا : فأنشِدْنَا ما بدالك ، فأنشدهم الأبيات الميمية السابقة ، فقال أبو نواس : أحسنت والله وجوّدت ، وحياتِكَ لأسرقَنَّ هـذا المعنى منك ، ثم لأغلبنك عليه ، فيشهر ما أقول ويموت ماقلت ، قال : فسرق أبو نواس قوله * وقف الهوى بى ... البيت * سرقا خفيا فقال فى الخصيب [من الطويل] :

فَمَا جازَهُ جودٌ ولا حلّ دُونَهُ ولـكن يَسيرُ الجود حيث يَسيرُ[1]

فسار بيت أبى نواس وسقط بيت أبى الشيص

وحدّث رُزَين بن على الخزاعى أخو دعبل ، قال : كنا يوما عند أبى نواس أنا ودعبل وأبو الشيص ومسلم بن الوليد الأنصارى ، فقال أبو نواس لأبى الشيص : أنشدنى قصيدتك المخزية ، قال : وماهى ؟ قال : الضادية ، فما خطر بخَلَدى قولك * ليس المقل عن الزمان براض * إلا أخزيتك استحساناً لها ، فان الأعشى كان إذا قال قصيدة عرضها على ابنته ، وكان قد ثقّفَهَا وعلمها مابلغت به استحقاقَ التحكيم والاختيار لجيد الكلام ، ثم يقول لها : عدى المخزيات ، فتعد قوله [من البسيط]

أغر أرْوَعُ يُسْتَسقَى الغمام بهِ لَوْ قارَعَ الناس عن أحسابهم قَرَعا

وما أشبه ذلك من شعره ، فقال أبو الشيص : لا أفعل ، إنها ليست عندى عقد در مفصل ، ولـكنى أكاثر بغيرها ، ثم أنشده الأبيات الميمية المذكورة أيضاً فقال له أبو نواس : قد أردت صرفك عنها ، فأبيت أن تخلى عن سلبك ، أوتدرك

---

(١) وقع عجز هذا البيت فى بعض الأمهات ومنها تاريخ ابن خلـكان فى ترجمة أحمد بن محمد القسطلى الشاعر

* ولـكن يصير الجود حيث يصير *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فى هربك ، قال : بل اترك طلبي[1] فكيف ترى أنت هذا الطراز ؟ فقال : أرى نمطاً خسروانيا مذهبا حسناً فكيف تركت قولك [من الخفيف] :

فى رداء من الصَّفيح صقيل وقميصٍ من الحديدِ مُذَال

قال : تركته كما ترك مختار الدرَّتين إحداهما بماسبق فى خاطره و زين فى ناظره

قال ابن فضل الله : رأيت بخط الفاضل كمال الدين أبى العباس أحمد بن العطار الشيبانى الكاتب رحمه الله تعالى ما صورته : ذكر أن أباالشيص كان لو قيل له : ابْنُ مَنْ أنت ؟ لقال * وقف الهوى بى... البيت * ولو قيل لشهاب الدّين التلعفرى ابن من أنت ؟ لقال * هذا العذول عليكم مالى وله * ثم قال : وهذه القصيدة مشهورة سيارة دائرة محفوظة على ألسنة العالم ، وعارَضَها جماعة من معاصريه فلم يتفق لهم ما اتفق له فيها . انتهى .

أقول : ولا بأس بذكر طرف منها ليعلم صدق مقاله ، قال [من الكامل] :

هذا العذول عليكم مالى وَلَهْ أنا قد رضيتُ بذا الغرام وذا الوَلَهْ

إلى أن يقول فيها :

أألومكم فى هَجركم وصُدُودكم ما هذهِ فى الهَجر منكم أوَّلَهْ
قسما بكم قد صرتُ مما أشتكى حىَّ الدُّجى وعَدِمتُهُ ما أطوَلَهْ
يا سائلى عن شرح حالى فى الهَوَى تركى الجَوَابَ جوابُ هذى المسألَهْ
يا راحلين وفى أكلَّة عِيسِهِمْ رَشَأ عليه حَشَا المحبِّ مُقَلْقَلَهْ
أسَرَتْ له العُشاقَ نظرةُ وجنَةٍ بسوى اللواحظِ لا تبيت مُقَبَّلَهْ
لو لم يُصِبْ صُدْغيه عارض خدهِ ما أصْبَحَتْ فى سالِفَيْهِ مُسلسلَهْ

وقد استعمل هذا المعنى أيضا فقال [من الكامل] :

هَبْ أن خدك قَدْ أصيب بعارض ما بال صدغك راح وهُو مسلسَلُ

(١) كذا ، وفى الأغانى « بل أقول فى طلبى »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رجع إلى أخبار أبى الشيص

وحدَّث موسى بن معروف الأصفهانى قال : دخل أبو الشيص على أبى دلف وهو يلاعب خادما له بالشطرنج ، فقال له : يا أبا الشيص ، سل هـذا الخادم أن يحل أزرار قميصه ، فقال : الأمير أعزه الله أحق بمسألته ، قال: قدسألته فزعم أنه يخاف العين على صدره ، فقل فيه شيئاً ، فقال [من السريع] :

وشـادنٍ كالبَدْر يجلو الدُّجى في الفَرْق منه المسكُ مذْرُورُ
يحاذرُ العـينَ على صَدْرِهِ فالجَيْبُ منْهُ الدَّهْرَ مَزْرُورُ

فقال أبو دلف : وحياتى لقد أحسنت، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال الخادم : قد أحسن والله كما قلت ، ولـكنك أنت ما أحسنت ، فضحك وأمر له بخمسة آلاف درهم أخرى .

وحدَّث علىّ بن سعيد الشيبانى ، قال : تعشق أبو الشيص قَيْنَةً لرجل من أهل بغداد ، فـكان يختلف إليها و ينفق عليها فى منزل الرجل ، حتى أتلفَ مالا كثيراً ، فلما كف بصره وأخفق ، جعل إذا جاء إلى مولى الجارية حجبه ومنعه من الدخول ، فجاءنى أبو الشيص وشكا إلىَّ وجْدَهُ بالجارية واستخفاف مولاها به ، وسألنى المضى معه إليه ، فمضيت معه إليه ، فاستؤذن لنا عليه ، فأذن لنا ، فدخلت أنا وأبو الشيص ، فعاتبته فى أمره ، وعظَّمت عليه حـقَّه ، وخوَّفته من لسانه ومن إخوانه ، فجعل له يوما فى الجمعة يزورها فيه : فـكان يأكل فى بيته ، و يحمل معه نبيذه ونَقْلَه ، فمضيت معـه ذات يوم إليها ، فلما وقفنا على بابهم سمعنا صُرَاخاً شديداً من الدار ، فقال لى: مالها تصرخ ؟أتراه قد مات لعنه الله؟! فما زلنا ندق الباب حتى فتح لنا ، وَإذا هو قد حسَرَ كميه و بيده سوط ، وقال لنا ادخلا ، فدخلنا ، وَإنمـا حمله على الاذن لنا الفرَق منى ، فدخلنا ، وعاد الرجل إلى داخل يضربها ، فاستمعنا عليه ، واطلعنا ، فاذا هى مشدودة على سُلَّم ، وهو يضربها أشد الضرب ، وهى تصرخ ، وهو يقول لها : وأنت أيضا فاسرقى الخبز

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فاندَفع أبو الشيص فى المكان على الحال يقول فى ذلك [من السريع] :

يقولُ والسوطُ على كفهِ قدْ حزَّ فى جلدتها حَزَّا
وهْىَ على السلّم مشدُودةً وأنتِ أيْضافاسرقى الخبزا

قال : وجعل أبو الشيص يرددهما ، فسمعهما الرجل ، فخرج إلينا مبادراً ، وقال له : أنشدنى البيتين اللذين قلتهما ، فدافعه ، فحلف أنه لابد من إنشادهما ، فأنشده إياهما ، فقال لى : يا أبا الحسن ، أنت كنت شفيع هذا ، وقد أسعفتك بما تحب ، فان أشاع هذه البيتين فَضَحنى ، فقل له يقطع هذا ولا يشيعهما ، وله علىّ يومان فى الجمعة ، ففعلت ذلك ، وَوَافقته عليه ، فلم يزل يتردد إليه يومين فى الجمعة حتى مات .

وحدَّث على بن محمد النوفلى عن عمه ، قال : كان أبو الشيص صديقا لمحمد ابن إسحاق بن سليمان الهاشمى ، وهما حينئذ مملقان ، فنالَ محمد بن إسحاق مرتبة عند سلطانه ، فجَفا أبا الشيص وتغير له ، فكتب إليه [من البسيط] :

الحمدُ للهِ رب العالمين على قُرْبى وَبُعدِكَ منى يا ابن إسحاقِ (١)
ياليْتَ شِعْرِى متى تُجْدِى علىَّ وقدْ أصبحْتَ ربَّ دنانير وأوراقِ
تُجْدِى علىَّ إذَا ما قِيلَ مَنْ رَاقِ
والتفّتِ السَّاقُ عندَ الموتِ بالساق (٢)

(١) فى الأغانى «قربى وبعدك منه يابن إسحاق» وهو المناسب ، والضمير فى «منه» عائد إلى الله تعالى

(٢) يريد تجدى على يوم تكون روحى فى النزع ، وقد أخذ هذا من قوله تعالى (كلا إذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) من سورة القيامة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يومٌ لعمرى تهمُّ الناسَ أنفسُهم وليس تنفعُ فيه رُقيةُ الراقى

وحدَّث أحمد بن عبد الرحمن الكاتب عن أبيه قال : كانت لأبى الشيص جارية سوداء اسمها تبر، وكان يتعشقها ، وفيها يقول [من المنسرح] :

لم تنصفى يا سمية الذهب تتلف نفسى وأنْتِ فى لعب
يا ابنةَ عمِّ المسك الزكى ومَنْ لولاكِ لم يُتَّخذ ولَم يطبِ
ناسبكِ المسك فى السواد وفى الريح فأكْرِمْ بذاكِ من نسب

ومن لطيف شعره قوله [من الوافر] :

وقائلةٍ وقد بَصرتْ بدمعٍ على الخدّين مُنحدرٍ سكوبِ
أتكذبُ فى البكاء وأنتَ خِلْوٌ قديماً ماجسرتَ على الذنوبِ
قميصكَ والدموعُ تجول فيه وَقلبكَ ليسَ بالقلب الكئيبِ
نظيرُ قميص يوسف حين جاءوا على أبابه بدم كذوبِ
فقلتُ لها فداكِ أبى وأمى رَجمْتِ بسوء ظنك فى الغيوبِ
أماَ وَاللهِ لوْ فتشتِ قلْبى لسرَّكِ بالعويلِ وبالنحيبِ
دُمُوعُ العاشِقينَ إذَا تَلاَقَوْا بظهْرِ الغيبِ ألسنةُ القلوبِ

وعمى أبو الشيص فى آخر عمره . وله مراث فى عَينيه قبل ذهابهما و بعده فحدث محمد بن القاسم بن مهرويه . قال : أنشدت إبراهيم بن المدبر أبيات أبى يعقوب الخريمى التى يرثى بها عينيه يقول فيها [من الوافر] :

إذا ما ماتَ بعضك فابْكِ بعضاً فان البعضَ من بعضٍ قريبُ

فأنشدَنى لأبى الشيص يبكى عينيه [من المنسرح] :

يا نفس ابكى بأدمع هُتُنِ ووا كفٍ كالجمان فى سَنَنِ
على دَليلى وقائدِى و يدِى وَنُورِ وجهى وسائس البدنِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أبكي عليها بها مخافةَ أنْ تَقْرِنَني وَالظلامَ فى قَرَنِ

وقال أبو هفان : حدثنى دِعبل ، أن امرأة لقيتْ أبا الشيص ، فقالت : يا أبا الشيص ، عَميتَ بَعدِى ، فقال : قبحكِ الله ! دَعوْتنى باللقبِ ، وعيرتنى بالضرر .

وحدَّث أبو العباس بن الفرات ، قال : كنت أسير مع عبيد الله بن سليمان ، فاستقبله جعفر بن حفص على دابة هزيلة ، وخلفه غلام له شيخ على بغل له هرمٌ وما فيهم إلا نضْوٌ ، فأقبل علىَّ عبيد الله بن سليمان ، فقال : كأنهم والله صفة أبى الشيص حيث يقول [من الكامل] :

أكلَ الوجيفُ لحومها وَلحومهُمْ فأتَوْكَ أنقاضاً عَلىَ أنقاضِ

وكانتْ وفاة أبى الشيص سنة ست وتسعين ومائة ، مقتولا . حدث عبدالله ابن الأعمش ، قال : كان أبو الشيص عند عقبة بن جعفر بن الأشعث الخزاعى يشرب مع خادم له . فلما ثمل نام عنده ، ثم انتبه فى بعض الليل ، فذهب يدب إلى خادم لعقبة ، فوجأه بسكين ، فقال له : وَيحكَ قتلتنى والله ، وما أحب أن أفتضح ، وأنى قتلت فى مثل هذا ، ولا تفتضح أنت بى ، وَلكن خذ دستيجة فاكسرها ولوثها بدمى واجعل زجاجها فى الجرح ، فاذا سئلت عنى فقل : إنى سقطت فى سكرى على الدستيجة فانكسرت فقتلتنى . ومات من ساعته ، ففعل الخادم ما أمره به .

ودفن أبو الشيص ، وَجزع عقبة عليه جزعا شديداً ، فلما كان بعد أيام سكر الخادم وتحدث بما كان . فصدق عقبة الخبر ، وأنه هوالذى قتله ، فلم يلبث عقبة أن قام إليه بسيفه فلم يزل يضربه حتى قتَله .

* * *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

٢٠٥ — وتَرَى الطيرَ عَلَى آثارِنا رأىَ عينٍ ثِقَةً أن سَتُمَارْ

أخذ المعنى وإضافة ما يحسنه إليه

* * *

٢٠٦ — وقَدْ ظَلَّتْ عقبانُ أعلامِهِ ضحى بعقبانِ طيرٍ فى الدِّماء نَوَاهِلِ
أقامَتْ مَعَ الراياتِ حتَّى كأنها منَ الجيْشِ إلا أنها لم تُقَاتِلِ

البيت الأول للأفوه الأودىّ ، من قصيدة من الرمل أولها :

إن تَرَىْ رأْسِىَ فيه نَزَعٌ وشَوَاتى خلة فيها دوَار

يقول فيها :

إنما نُعْمَةُ قوم متعةٌ وحياة المرء ثوبٌ مُسْتَعَار
حتم الدَّهر علينا أنهُ ظَلَفٌ ما نالَ مِنَّا وجُبَار(١)

ظلف : باطل ، وجبار : هَدَر.

وهذه القصيدة من جيد شعر العرب ، وهى التى نهى النبىُّ صلى الله عليه وسلم عن إنشادها لما فيها من ذكر إسماعيل عليه السلام ، وإياه عنى بقوله فيها :

رَيَّشَتْ جُرْهُمُ نبلاً فَرَمَى جُرْهُمًا منهُنَّ فُوقٌ وغرار

والبيتان الأخيران لأبى تمام من قصيدة من الطويل ، يمدح بها المعتصم والافشين ، وأولها :

غدَا الملكُ مَعْمُورَ الحرا والمنازل مُنَوَّرَ وَحْفِ الروض عذبَ المناهلِ(٢)
بمعتصم بالله أصبح مَلْجأ ومُعْتَصما حرزاً لكلّ مُوَائِلِ
لقد ألبَسَ الله الامام فضائلا وقَى طَرَفَيْهَا باللُّهى والفَوَاضل(٣)
فأضْحَتْ عطاياه نَوَازِعَ شُرَّدًا تُسائل فى الآفاق عَنْ كل سائل(٤)

(١) فى اللسان (ط ل ف) « حكم الدهر »
(٢) وقع فى الأصول « معمور الحوا » وأثبتنا ما فى الديوان (٢٤٧) والحرا الناحية ، والوحف : الريان ، والمناهل : جمع منهل ، وهو الحوض
(٣) فى الديوان « وتابع فيها باللهى »
(٤) فى الديوان « نوازع شزبا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مواهبُ جُزْنَ الأرضَ حتى كأنما أخذنَ بأهْدَابِ السَّحَابِ الهَوَاطِلِ (١)

ومنها فى مديح الافشين :

شهدت أميرَ المؤمنين شهادةً كثيرٌ ذَوُو تصديقها فى المحافل

لقدلَبَّسَ الافشينُ قَسْطَلَةَ الوغَى مخشابنصلِ السيف غيرَ مُوَاكل (٢)

وجرَّد من آرائه حين أضْرِمَتْ به الحرب حَدًّا من حدود المَنَاصِلِ

وثارَتْ به بين القنابل والقنا عزائمُ كانت كالقنا والقنابلِ (٣)

رأى بابكٌ منه التى لا شوَى لها سِوَى سِلمِ ضيْمٍ أوصفيحة قاتلِ (٤)

تراه إلى الهيجاء أول راكبٍ وتحت صبير الموْت أولَ نازلِ (٥)

تسَرْبَلَ سربالا من الصبر وارتدى عليه بعضب فى الكريهة ناصلِ

وبعده البيتان

والنواهل : جمع ناهلة ، من نهل إذا روى ، والرايات : الأعلام.

ومعنى البيت الأول إنك ترى الطير كائنة على آثارنا ، لوثوقها واعتمادها أن سنطعمها من لحوم مَنْ نقتلهم من أعدائنا .

ومعنى البيتين الأخيرين أن رايات الممدوح التى هى كالعقبان قد صارت

---

(١) فى الديوان «مواهب جدن الأرض» وفيه «أخذن بأذناب السحاب»

(٢) قسطلة الوغى: غباره ، والصوت يكون فى الحرب . والمخش: الجرىء على العمل ، ونصل السيف: حده، والمواكل : التكلة الذى يكل أموره إلى غيره ليقضيها

(٣) فى الديوان «وسارت به» وكان فى الأصول «بين القبائل» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما فى الديوان

(٤) وقع فى الأصول «التى لاشراها» محرفا عما أثبتناه عن الديوان

(٥) فى الديوان «رأوه إلى الهيجاء »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مظلة بالعقبان من الطيور النواهل فى دماء القتلى ، لأنه إذا خرج للغزو تسير العقبان فوق راياته لأكل لحوم القتلى ، فتلقى ظلالها عليها ، والعقاب يطلق على الراية الضخمة ، قال الشاعر [من الرجز] : 7

وهْوَ إذا الحربُ هفا عُقَابهُ مِنْ جمرِ حَرْبٍ تلتظى حِرَابُه

وقال الآخر [من البسيط] :

ورُبَّ ظلٍّ عُقاب قَدْ وقَيْتُ به مُهرى من الشمس والأبطال تجتلدُ

والشاهد فى الأبيات : أن يؤخذ بعضُ معنى المأخوذ منه و يضاف إليه ما يحسنه فان أبا تمام لم يلم بشىء من معنى قول الأفوه « رأى عين » ولا قوله « ثقة أن ستمار » ولكنه زاد عليه زيادات محسنة لبعض المعنى الذى أخذه بقوله « إلا أنها لم تقاتل » و بقوله « فى الدماء نواهل » و بقوله « أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش » وبهذه الزيادة يتم حسن قوله « إلا أنها لم تقاتل » لأنه لو قيل ظللت عقبان الرايات بعقبان الطير إلا أنها لم تقاتل لم يحسن هذا الاستثناء المنقطع ذلك الحسن ، لأن إقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش مظنة أنها أيضا تقاتل مثل الجيش ، فيحسن الاستدراك الذى هو رفع التوهم الناشىء من الكلام السابق ، بخلاف وقوع ظلها على الرايات ،

وما ذكر فى الأبيات من أن الطير تتبع جيشه لتتغذى مما يقتل من أعدائه معنى متداول بين الشعراء ، وأولُ من نطق به الأفوهُ هذا ومنه قول النابغة فى القصيدة السابقة فى تأكيد المدح بما يشبه الذم [من الطويل] :

إذا ما غَزَوْا بالجيش حلَّقَ فوقهم عَصَائبُ طيرٍ تهتدِى بعَصَائب

يُصاحِبْنَهُمْ حتى يغِرْن مغَارَهُمْ من الضاربات بالدِّماء النوائب[1]

(١) هكذا وقع هذا البيت فى أصول الكتاب ، وهو متغير فى أكثر كلماته ، وأوضح رواية فى إنشاده :

يصانعنهم حتى يغرن مغارهم من الضاربات باللحوم الدوارب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تَراهُنَّ خلفَ القومِ خُزْراً عُيونُها جلوسَ الشيوخِ في ثيابِ المرانبِ[١]
جوانحُ قَدْ أيقنَّ أنَّ قبيلَهُ إذا ما التقى الجمعانِ أولُ غالبِ
لهنَّ عليهم عادةٌ قد عَرَفنَهَا إذا عُرِّضَ الخطّيُّ فوقَ الكوائبِ[٢]

وقول أبي نواس [من المديد]:

وإذا مـجَّ القنا عَلقاً وتراءى الموتُ في صُوَرهْ
راحَ في ثنيي مُفاضتِهِ أسدٌ يَدمى شبا ظُفرهْ
تتأيَّا الطيرُ غُدْوَتَهُ ثقةً بالشِّبْعِ من جزَرهْ

ولما سمع محمود الورَّاق أبانواس ينشد هذه الأبيات قال: ماتركت للنابغة شيئاً حيث يقول * إذا ما غزوا * وأنشد الأبيات، فقال له أبو نواس: اسكت فان كان أحسن الابتداع فما أسأت الاتباع

وتبع أبانواس مسلم فقال [من البسيط]:

قد عوَّد الطيرَ عاداتٍ وثِقن بها فهُنَّ يتبعْنَهُ في كل مُرْتحـلِ

ومن هذا المعنى قول حُميد بن ثور الهلالي يصف ذئبا [من الطويل]:

إذا ما غدَا يوْماً رأيت غمامةً من الطيرِ ينظرْنَ الذي هُوَ صانعُ[٣]

ومنه قول مروان بن أبي الجنوب يمدح المعتصم [من البسيط]:

لاتَشبعُ الطيرِ إلا في وقائعِهِ فأينما سارَ سارتْ خلفَهُ زُمرَا
عوارفاً أنهُ في كل مُعترَكٍ لايُغمِدُ السيفَ حتى يكثرَ الجزَرَا

---

(١) وقع في الأصول «في ثياب المراتب» وهو تحريف ما أثبتناه موافقا لما في الديوان. وثياب المرانب ـ بالنون قبل الباء ـ ثياب يقال لها المرنبانية كأنها متخذة من جلود الأرانب

(٢) وقع في الأصول * إذا عرض الخطي فوق الكتائب * وأثبتنا ما في الديوان، والكوائب: جمع كائبة، وهي أمام قربوس السرج

(٣) في الموازنة للآمدي «إذا ما غزا» وهو تحريف صوابه ما هنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأخذه بكر بن النطاح فقال [من مجزوء الكامل] :

وترَى السباعَ من الجوَا رح فَوْقَ عسكرنا جوَانح
ثِقـــة بأنا لانزَا ل نَميرُ ساغِبَهَا الذبَائح

وأخذه ابن جهور فقال [من البسيط] :

ترَى جوَارحَ طير الجو فوقَهُمُ بينَ الاسنَّةِ والراياتُ تختفِقُ

وأخذه آخر فقال [من الطويل] :

ولَسْتَ ترَى الطيرَ الحوائم وُقَّعاً من الأرض إلاحيْثُ كان مُواقعاً

ومنه قول الكميت بن معروف [من الوافر] :

وقد سترَت أسنَّتهُ المواضى حُدَيَّ الجو والرَّخَمُ السِّغابُ

ومنه قول بعضهم [من البسيط] :

والطيرُ إن سارَ سارَت فوق موكبِهِ عوَارفاً أنه يسطو فيَقربها

وقد أحسن المتنبي بقوله [من الطويل] :

له عسكرا خيلٍ وطيرٍ إذا رمى بها عسكراً لم تبق إلا جَمَاجِمُهْ

وله فى قريب منه [من البسيط] :

يُطعمُ الطيْرَ فيهم طولُ أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقَعُ

وقد أشار إلى هذا المعنى أبوفراس بقوله [من الطويل] :

وأظمأ حتى ترتوى البيضُ والقنَا وأسغَبُ حتى يَشبعَ الذئب والنَّسْرُ

ومنه قول ابن شهيد الأندلسى [من الطويل] :

وتَدْرِى سباعُ الطير أن كماتَهُ . إذا لَقيت صيدَ الكُمَاةِ سِبَاعُ
تَطيرُ جيـــاعاً فوْقَهُ وتردُّهَا ظُباه إلى الأوكار وهْىَ شِباعُ

وقد يقع اتفاق الشاعرين فى اللفظ والمعنى جميعاً أو فى المعنى وحده، ويكون ذلك من قبيل توارد الخاطر، كما يحكى أن سليمان بن عبدالملك أتى بأسارى من الروم وكان الفرزدق حاضراً، فأمره سليمان أن يضرب عنق واحد منهم، فاستعفى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فما أعنى ، وقد أشير إلى سيف غير صالح للضرب ، فلم يستعمله ، وقال : إنما أضرب بسيف أبى رَغْوَان سيف مُجَاشع ، يعنى سيفه ، ثم ضرب به الرومى ، فنبا السيف ، فضحك سليمان ومَنْ حوله ، فقال الفرزدق [من البسيط] :

أيَعْجَبُ الناسُ أن أضحكتُ سيِّدَهُمْ ... خَلِيفَةَ الله يُسْتَسْقَى به المطَرُ

لم يَنْبُ سَيْفِى مِنْ رُعْبٍ ولا دَهَشٍ ... عَنِ الأسير ولكن أخَّرَ القَدَرُ

ولَنْ يُقَدَّمَ نفساً قبل مِيتَتِهَا ... جَمْعُ اليَدَيْنِ ولا الصَّمْصَامَةُ الذكَرُ

ثم أغمد سيفه وهو يقول [من الرجز] :

ما إنْ يُعَابُ سيدٌ إذا صَبَا ... ولا يُعَابُ صارمٌ إذا نَبَا

ثم جلس يقول : كأنى بابن المراغة - يعنى جريراً - وقد هجانى فقال : [من الطويل] :

بسَيْفِ أبى رَغْوَانَ سَيْفِ مُجَاشِع ... ضَرَبْتَ ولم تَضْرِبْ بسَيْفِ ابْنِ ظَالِمِ

وقام فانصرف ، وحضر جرير ، فأخبر الخبر ، ولم ينشد الشعر ، فأنشأ يقول البيت بحروفه ، وزاد

ضَرَبْتَ به عِنْدَ الامام فأرْعِشَتْ ... يَدَاكَ وقالوا مُحْدَثٌ غَيْرُ صَارِمِ(١)

فأعجب سليمان ما شاهد ، ثم قال جرير : يا أمير المؤمنين كأنى بابن القَيْن - يعنى الفرزدق - قد أجابنى فقال [من الطويل] :

وَلا نَقْتُلُ الأسْرَى ولكن نَفُكُّهُمْ ... إذَا أثْقَلَ الأعْنَاقَ حملُ المَغَارِمِ

ثم حضر الفرزدق فأخبر بالهجو دون ما عداه ، فقال مجيباً :

كَذَاكَ سُيُوفُ الهند تَنْبُو ظُبَاتُها ... وتقطَعُ أحياناً مَنَاطَ التَّمَائِمِ

ولا نَقْتُلُ الأسرَى ولكن نَفُكُّهُمْ ... إذا أثْقَلَ الأعناقَ حملُ المغارِمِ

وهَلْ ضَرَبَهُ الرُّومىُّ جاعلةٌ لكم ... أباً من كليبٍ أو أخاً مثلَ دارِمِ

(١) فى الأصول «وقالوا مجدب» وأثبتنا ما فى الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ويضارع هذا ما يحكى أن المهدىّ أتى بأسرى من الروم، فأمر بقتلهم، وكان عنده شبيب[1] بن شبة، فقال له: اضرب عنق هذا العِلْج، فقال: يا أمير المؤمنين، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق، فعير به قومه إلى اليوم، فقال: إنما أردتُ تشريفك، وقد أعفيتك، وكان أبو الهول الشاعر حاضراً، فأنشد [من الطويل]:

جَزِعتَ منَ الرُّومى وهو مقيَّدٌ ... فكيفَ إذَا لاَقيته وَهْوَ مطلقُ

دعاكَ أميرُ المؤمنينَ لِقتلهِ ... فكادَ شَبِيبٌ عندَ ذلكَ يَفْرَقُ

فَنَحِّ شبيباً عنْ قِرَاعِ كتيبةٍ ... وأدْنِ شبيباً منْ كلام يُلَفَّقُ

ومن نوادر الخواطر ما يحكى عن ابن مَيَّادة أنه أنشد يوما لنفسه، [من الطويل] :

مُفيدٌ وِمتْلَافٌ إذاما أتيتهُ ... تَهَلَّلَ واهتز اهتزاز المهندِ

فقيل له: أين يذهب بك؟ هذا للحطيئة، فقال: الآن علمت أنى شاعر إذْ وافقته على قوله ولم أسمعه.

ومنه ما حكى الصفى الحلى أنه نظم بيتا من جملة أبيات، وهو [من الكامل]:

تَهْوَى مَوَاضيكَ الرِقابَ كأنما ... منْ قبلُ كان حديدها أغلالاَ

ثم ذكر أنه سمع بعد ذلك بيتاً لا يعلم قائله، وهو [من البسيط] :

تهوى الرقابَ مواضيها فتحسبها ... تودُّ لوْ أصبحتْ أغلال من أسَرَا

فأسقط بيته الذى نظمه، ثم إنه نظمه بعد ذلك فى بديعيته، فقال : [من البَسيط] :

تهوى الرقابَ مواضيهم فتحسبها ... حديدَها كان أغلالاً من القِدَمِ

ولنذكر مِنْ أخذ المتأخرين بعْضهم من بعْضٍ ما يحلو فى الأذواق، وتتحلى

(١) كذا، ويقع فى بعض الأمهات « شبيب بن شيبه »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

به الأوراق.

فمن ذلك قول القاضي الفاضل في مليح مُعذر [من الطويل] :

وكنتَ وكنّا والزمانُ مُساعدٌ فصرْتَ وصِرْنا وَهْوَ غير مُساعدِ
وَزَاحمني في وِرْد ريقكَ شاربٌ ونفسيَ تأبى شركها في المواردِ

أخذه العز الموصلي، فقال [من الطويل] :

لَقدْ كنتَ لي وَحدي وَوَجهكَ رَوْضَتي
وكُنا وكانت للزمان مواهبُ
فعارضني في وردِ خدِّكَ عارضٌ وزاحمني في ورد ثغرِكَ شاربُ

وقول ابن سناء الملك [من الطويل] :

وفي القلب تَصديعٌ، وفي الوصل جَبْرُه
وَفي الخدّ دينارٌ وفي الجفنِ كسرُهُ

أخذه ابن نباتة فقال [من مجزوء الكامل] :

في خـــده وجفُونه للحسن دينارٌ وكَسرُ

وقد تلاعبَ الشعراء بهذا المعنى إلى أن وصل للمعمار، فقال : [من مجزوء الرمل] :

كم حَوَى جَفْنيَ معنىً قلتُ ألفاً وكسورا

وقول السراج الوَرّاق [من السريع] :

يا ساكناً قَلبي على أنهُ بوجـــده في قَلقٍ دائبِ
قَلبَي من خوف النوى واجبٌ وأنتَ لم تخرج عن الواجبِ

أخذ ابنُ نباتة نكتة الواجب وسَبكها في قالب آخر، فقال في رامي بندق [من السريع] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أسعدْ بِهَا يا قمرى برزَةً سعيدَةَ الطالعِ والغاربِ
صرَعْتَ طيراً وسكنتَ الحشَى فما تعدَّيتَ عنِ الواجبِ

وقول أبي الحسين الجزار، وكتب به إلى بعض الرؤساء، يَسْتَدْعى قطراً [من الطويل]:

أيا عَلَمَ الدينِ الذى جُود كفِّهِ براحَتِهِ قَدْ أخْجَلَ الغَيْثَ والبَحْرَا
لئن أمْحَلَتْ أرْضُ الكُنافَةِ إنَّنى لأرْجُوهَا من سُحبِ راحَتِكَ القَطْرَا

فتحلىَّ ابنُ نباتة بهذا القطر فقال [من مخلع البسيط]:

لجود قاضى القُضَاةِ أشكُو عَجْزِى عَنِ الحُلْوِ فى صِيَامِى
والقَطْرُ أرْجُو ولا عَجِيبٌ للقَطْرِ يُرْجَى مِنَ الغَمَامِ

وقول محيي الدين بن عبد الظاهر [من مجزوء الكامل]:

شكرا لنَسْمَةِ أرضكم كم بلَّغت عنى تحيَّهْ
لاغَرْوَ أن حفِظت أحا ديثَ الهوى فهى الذكيهْ

أخذه الصلاح الصفدى فقال [من الكامل]:

ياطيبَ نَشْرٍ هَبَّ لى من أرضكم فأثار كامنَ لوْعتى وتهتُّكى
أهدى تحيتكم وأشْبَهَ لطفكم وروى شذاكم إنَّ ذَا نشرذكى

وأشار إلى هذه السرقة ابن أبى حجلة فقال [من الكامل]:

إن ابن أيْبَكَ لم تزل سرقاتُهُ تأتى بكل قبيحةٍ وقبيحِ
نَسَبَ المعانى فى النسيم لنَفْسه جهلا فراح كلامُهُ فى الريحِ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً مقتبساً [من الكامل]:

بأبى فَتَاةٌ من كمال صفاتِها وجمال بَهجتها تَحَارُ الأعينُ
كم قد دفعتُ عواذلى عن وجهها لما تبدَّت بالتى هى أحْسَنُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أخذه ابن نباتة بقافيته ولكن زاده إيضاحاً فقال [من الكامل] :

ياعاذلى شمس النهار جميلةٌ وجمالُ فاتنتى ألذ وأزينُ
فانظر إلى حسنيهما متأملا وادفع ملامك بالتى هى أحسنُ

وألمّ به العزالموصلىّ فقال [من الخفيف]:

قد سلونا عن المليح بخودٍ ذاتِ وجهٍ به الجمالُ تفنّنْ
ورجعنا عن التهتك فيه ودفعناه بالتى هى أحسنْ

وقول ابن عبد الظاهر أيضاً وكتب به من منهل بطريق الحجاز يسمى عيون القصب [من الطويل] :

كتبتُ لكم من أعيُنِ القَصَبِ التى لها من معانيكم ومن نفسها طَرَبْ
فان أطرَبَ التشبيبُ فيها بذكركم فكم أطرب التشبيب من أعين القَصَب(١)

أخذه المعمار فقال فى مشبب [من مجزوء الرجز] :

هويته مشبباً بعادُه برّحَ بى
تيّمَ قلبى بالحجا زمن عُيون القَصَبِ(١)

وقول شيخ شيوخ حَماة موريا بالورد المنسوب إلى نصيبين[من مخلع البسيط]

أفدِى حبيباً رُزقتُ منهُ عطفَ مُحب على حبيب
بوجنةٍ ما أتمّ ربحى وقد غدَا وردُها نصيبى

أخذه ابن نباتة فقال [من الطويل] :

فديتُكَ غصناً ليس يَبْرَحُ مُثمرا من الحسن فى الدنيا بكلّ غريب
تفتّح فى وَجناته الوردُ أحمرا فيالَيْتَ ذاك الوردَ كان نَصيبى

وقوله أيضاً فى أسماء متنزهات دمشق وهى السهم وسطرى [من السريع]:

قالوا أما فى جلّقٍ نُزْهَة تُنْسيكَ ماأنتَ به مُغْرَى

(١) أراد من الحجاز ضربا من النغم معروفا بهذا الاسم ، وأراد من عيون القصب المزمار

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يا عاذلى دُونَكَ من لحظه سَهْماً ومن عارضه سَطْرا

أخذه الجلال ابن خطيب داريا فقال وأبدل السهم بمقرى وهو من متنزهاتها أيضاً [من الطويل] :

سألتكما إن جئتما الشام بكْرَةً وعاينتما الشقراء والغوطَةَ الخضْرَا
قِفا واقرآ منى كتابا كتبتهُ بدمعى لكم مقرى ولا تَنْسَيَا سطرا

وفى مثله للنور الأسعردى [من الطويل] :

وريم جلالى خمرةً مُزَّةً جلَتْ همومى وقد عاينْتُ فى خده سَطْرَا
ورَبْوَتُه الشقراء ناعمةٌ غَدَتْ فيا حُسْنها من بَرْزةٍ ليتها عَذْرَا

وقول مجير الدين بن تميم فى سَجَّادة [من الطويل] :

أيا حُسنها سجادة سندسية يرى للتقى والزهد فيها تَوَسُّمُ
إذا ما رآها الناسِكونَ ذوُو الحِجى أمامَهمُ صَلَّوْا عليها وسَلَّموا

أخذه ابن نباتة فقال [من الخفيف] :

إن سَجَّادتى الحقيرَةَ قَدْراً لم يَفتها فى بابكَ التعظيمُ
شرفَتْ إذْ سَعَتْ إليك فأمْستْ وعليها الصلاةُ والتَّسليمُ

وتطفل عليها ابن الوردى فقال [من المقتضب] :

سَجَّادتى أذْكَرَتْنى منك الذى كنت أعلم
أهدَيْتُها لمحبٍّ صلّى عليها وَسَلّم

وقوله أيضاً فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته [من السريع] :

كم قُلتُ لما فاضَ غيظاً وقَدْ أزيحَ عن مَنْصبه المُعْجب
لا تَعْجَبُوا أن فارَ من غَيْظِهِ فالقَلْبُ مَطْبُوخ على المنصِب

ألم به الشرف النصيبى فقال [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَلَّوْكَ إذ علموا يجهلك منصباً علماً بأنك عن قليلٍ تبرَخُ
طبخوا بنار العزل قلبكَ بعدَ ذا وكذا القلوب على المناصب تُطْبخُ

وقوله أيضا [من الوافر] :

دعيتُ فكان أكلى فخذَ طيرٍ ولم أشرَب من الصهباء نقطهْ
وما يومى كأمسِ وذاكَ أنى أكلتُ أوزة وشَربتُ بَطّهْ

أخذه الصلاح الصفدى بقافيته فقال [من المقتضب] :

شَوَى الأوز فأضْحَتْ فى حُمْرَة الخد بَسْطَهْ
فقلت تَشْوى أوزا أم كنت تَشْرَب بطه

وقوله أيضا وتقدم فى حسن التعليل [من الطويل] :

حبيبي وَعَدْتَ الكأس منك بقبلةٍ وأعْقَبَ ذاك الوعدَ منك نفارُ
وما كان هذا لونها غير أنها علاها لطول الانتظار صفارُ

أخذه ابن الصاحب فقال [من مخلع البسيط] :

يا حابس الكأس لا تزدها من بَعْد حَبْس الدنان حَسْرَهْ
واغنم مزاجا لها لطيفا أورثه الانتظارُ صُفْرَهْ

وقول ابن العفيف [من مجزوء الرمل] :

كان ما كانَ وزالا فاطّرِحْ قيلاً وقالا
أيها المعرِضُ عنى حسبُكَ الله تَعَالى

أخذ المجد بن مكانس بعضه فقال [من مخلع البسيط] :

يا غُصناً فى الرياض مالا حَمَّلْتنى فى هواكَ مالا
يارائحاً بعد ما سَبَانى حسبُكَ رَبُّ السما تعالى

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

إنى لأشكو فى الهوى ما راح يَفْعَلُ خَدُّهُ
ما كان يدرى ما الجَفَا لكن تفتّحَ وردُهُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أخذه الصلاح الصفدى وزاده نكتة أخرى فقال [من الطويل]:

أقولُ له ما كان خدُّك هكذا ولا الصُّدْغ حتى سال فى الشَّفَق الدُّجى
فمِنْ أين هذا الحسنُ والظرفُ قال لى تفتُّح وردى والعذارُ تخرُّجا

وقول الوداعى من قصيدة [من الكامل] :

بخلتْ على بدرٌ مَبْسمها فغدتْ مطوَّقةً بما بخلتْ

أخذه ابن نباتة فقال [من الكامل]

بخلَتْ بالؤلؤ ثغرها عن لائمٍ ففدَتْ مطوقة بما بخلَتْ بِهِ

ومحاسن المتأخرين كثيرة ، والاقتصار على هذه النبذة أولى

ترجمة الأفوه الأودى

والأفْوَه الأوْدِى[1] اسمه صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف ابن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة ، وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك « فارس الشهباء » وفى ذلك يقول الأفوه [من الطويل] :

أبى فارسُ الشهباء عمرو بن مالكٍ غَدَاةَ الوغى إذ مال بالجد عاثِرُ

ولقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشفتين ، ظاهر الأسنان ، وقال الكلبى : وكان الأفوه من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، وكان سيد قومه وقائدهم فى حروبهم ، وكانوا يصدرون عن رأيه ، والعرب تعده من حكمائها ، وتعد كلمته [من البسيط]

لنا معاشِرُ لم يَبْنُوا لقومِهِمُ وإن بنى قَوْمُهُمْ ماأفسَدُوا عادوا

من حكمة العرب وآدابها ، وكان بينه وبين قوم من بنى عامر دماء ، فأدرك بثأره ، وزاد ، فأعطاهم ديات من قَتَلَ فضلا عن قتلى قومه ، فقبلوه وصالحوه فقال يفتخر عليهم [من الطويل] :

نقاتِلُ أقواما فنَسبى نساءَهُمْ ولم يَرَ ذو عِزٍّ لنسوَتِنَا حِجْلَا
نَقُودُ ونأبى أن نُقَادَ ولا نَرَى لقوم علينا فى مكارمهم فَضْلَا

(١) للأفوه الأودى ترجمة فى شعراء النصرانية (٧٠) والشعراء لابن قتيبة (١١٠) والأغانى (١١ - ٤٤)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وإنا بطاء المشى عند نسائنا كما قُيِّدَتْ بالصيف نَجْدِيَّة بزلا
نَظَلّ غَيارى عند كلّ ستيرةٍ تقلب جيداً واضحاً وشَوًى عَبْلاَ
وإنا لَنُعْطى المالَ دون دمائنا ونأبى فما نستام دُونَ دمٍ عَقْلا

وقال أبو عمرو : أغار بنو أوْدٍ وقد جَمَعها الأفوهُ على بنى عامر ، فمرض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله يزيد بن الحارث الأودى ، وأقام الأفوه الأودىّ حتى أفاق من وَجَعِهِ ، وخرج يزيد بن الحارث فلقى بنى عامر وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، فلما التَقَوْا عرف بعضهم بعضاً ، فقالت لهم عامر : ساندونا فما أصابنا كان بيننا وبينكم ، فقالت أود وكانوا قد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتى نأخذ طائلتنا ، فقام أخو المقتول وهو رجل من كعب بن أود فقال : يا بنى أود والله لتأخُذُنَّ بطائلتى أو لأنْتَحِين على سيفى ، فاقتتلت أود وبنو عامر ، فظفرت أود وأصابوا مغنماً كثيرا ، فقال الأفوه فى ذلك [من الوافر]:

ألا يا لَهْفَ لو شَهِدَتْ قناتى قبائلُ عامرٍ يوْم الصليبِ[1]
غداةَ تجمّعت كعب إلينا حلائف بين أفناء الحُرُوبِ[2]
فلما أن رأونا فى وغاها كآسادِ العرينةِ والحجيب[3]
تداعَوْا ثم مالوا عن ذراها كمعل الجامعات من الوجيبِ[4]
وطارُوا كالنَّعامِ ببطن قوٍّ مزايلةً على حذر الرقيبِ[5]

وهو القائل (من البسيط) :

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لا سراة لهم ولا سَرَاةَ إذا جُهَّالُهُمْ سادُوا

---

(١) فى الأغانى « لو شدت قناتى » وفيه « يوم الصبيب » .
(٢) فى الأغانى « جلائب بين أبناء الحريب » .
(٣) هذا البيت غير مذكور فى الأغانى ولا فى شعراء النصرانية
(٤) فى الأغانى وشعراء النصرانية :
تداعوا ثم مالوا فى ذراها كفعل معانة أمن الوجيب
(٥) فى الأغانى « وطاروا كالبغام » وفيه « مواءلة على حذر » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تُهْدَى الأمور بأهل الرأى ما صَلَحَت فانْ تَوَلَّتْ فبالأشرار تَنْقَادُ

وهو القائل [من السريع] :

والمرء ما يُصْلِحْ له ليلةً بالسَّعْدِ تُفْسِدْهُ لياليِ النُّحُوسْ
والخير لا يأتى ابتغاءً به والشر لا يفنيه ضَرْحُ الشموسْ

وهو القائل [من الوافر] :

بَلَوْتُ الناسَ قَرْناً بعْدَ قَرْنٍ فلم أر غيْرَ ذى قيل وقال
ولم أر فى الخُطُوب أشدَّ هَوْلاً وأصْعَبَ من مُعاداةِ الرِّجالِ
وَذُقْتُ مَرارة الأشياء طرًّا فما شيءٌ أمرُّ من السُّؤالِ

قال عبد الله بن الزبير : هذه الأبيات الثلاثة جامعة لما قالت العرب

* * *

٢٠٧- إن كنت أزْمَعْتَ على هَجْرِنَا من غير ماجُرْمٍ فَصَبْرٌ جَمِيلْ
وإنْ تَبَدَّلْتَ بنا غَيْرَنا فَحَسْبُنا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلْ

الاقتباس

البيتان من السريع ، وقائلهما أبو القاسم بن الحسن الكاتبي .

ومعنى « أزمعت » أجمعت على الأمر وثبتَّ عليه ، والجرم — بالضم — الذنب ، والصبر الجميل : هو الذى لاشكوى فيه ، كما أن الصفح الجميل هو الذى لا عتب فيه ، والهجر الجميل هو الذى لا غيبة فيه

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من القرآن العظيم

وما أحسن قول مجير الدين بن تميم فى وكيل بدار القاضى يدعى بالعز [من السريع]:

لاتقربِ الشرعَ إذا لم تكن تَخْبُرُهُ فهوَ دَقيقٌ جليلْ
وَوَكِّلِ العزَّ الذى وَجهه على نجاح الأمْرِ أقْوَى دَليلْ
ولاَ تَمِلْ عنهُ إلى غيرِهِ فحسبنا اللهُ وَنعمَ الوكيلْ

وما أظرف قول بعضهم فى ذم وكيل اسمه كثير [من المقتضب] :

كثيرٌ شأنكَ عندى وعندَ غيرى قليلُ
وحقُّ مَنْ هو حسبى ما أنتَ نعمَ الوكيلُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

من شواهد الاقتباس

٢٠٨ — قالَ لِي إنَّ رَقِيبِي سَيِّءُ الخُلْقِ فَدَارِهْ
قلتُ دَعنِي وَجهكَ الجنـــةُ حُفَّتْ بالمكارِهْ

البيتان للصاحب بن عباد ، من الرمل .

والرقيب : الحافظ والحارس ، والمداراة : الملاطفة والمخاتلة

والشاهد فى البيت الثانى : الاقتباس من الحديث ، ولفظه : « حُفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات » . والحفوف : الاحاطة بالشىء .

والمعنى : أن وجهك لحسنه جنة ، فلا بد لى من تحمل مكاره الرقيب ، كما أنه لا بد لطالب الجنة الحقيقية من تحمل مشاق التكاليف .

وفى مثله قول بعضهم [من الطويل] :

وَلِلهِ فِى عَرْضِ السمواتِ جَنةٌ ولكنها محفوفةٌ بِالمكارِهِ

وقول ابن قلاقس [من الطويل] :

ووَاللهِ لولاَ أنهُ جنةُ المنَى لما كانَ محفوفاً لنا بالمكارهِ

وقول ابن نُباتة السعدى [من مجزوء الكامل] :

عَنْ خدِّهِ منعَ الرَّقيـــبُ وَبعدَهُ دَاجى عِذَارِهْ
وَاهاً لها من جنَّة حُفَّتْ بِأنوَاعِ المكارهْ

وقول الصفى الحلى [من مجزوء الكامل] :

يا جنـة الحسن التى حُفَّتْ لدينا بالمكارهْ
إنى لِوَجهكَ عاشقٌ ولِنظرِ الرُّقباء كَارِهْ

وقول ابن نباتة فى جارية صوَّرت بوجهها حية وعقرباً بغالية [من الطويل]:

قتيلُكِ ما أذكى الهوى جُلَّ نارِهِ إلى أن تبدَّى الخدُّ فى جُلَّنَارِهِ
رأى حيةً فى وجنتيك وعقرباً نعمْ جنَّةٌ محفوفة بالمكارهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقريب منه قول الأبله الشاعر البغدادى ، وكان له ميل إلى بعض أولاد البغاددة ، فمر على باب داره فوجد خلوة ، فكتب على الباب [من السريع] :

دارُكَ يا بدرَ الدجى جنة بغيرها نفسى لاَ تلهُو
وقدْ رَوَى فى خبرٍ أنهُ أكثر أهل الجنةِ البلهُ

ذكرت بهذا ما حكى ابنُ عَسَاكر ، عن سلمة بن عاصم ، قال : ما لقينى الأصمعى قط إلا قال : « أرجو أن تكون من أهل الجنة » قال : فقال لى جليس له : إنما أراد أنك أبْلَه ، لأن أكثر أهل الجنة البله ، قال : لا يبعد ، فقد كان ماجِناً ، انتهى

ترجمة الصاحب بن عباد

والصاحب ابن عباد [1] ، هو : إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد ابن أحمد بن إدريس الطالقانى ، والطالقان : اسم لمدينتين : إحداهما بخراسان ، والأخرى : من أعمال قزوين ، وهذه هى التى منها الصاحب ، ومولده بها ، أو باصطخر ، سنة ست وعشرين وثلثمائة ، وهو أول من سُمِّى بالصاحب من الوزراء لأنه صحب مؤيد الدولة من الصبى ، فسماه الصاحب فغلب عليه ، ثم سمِى به كل من ولى الوزارة بعده ، وقيل : سُمِّى به لأنه كان يصْحَب الوزير ابن العميد ، فقيل له : صاحب ابن العميد ، ثم خفف فقيل : الصاحب

وقال الثعالبى فى حقه : ليست تحضرنى عبارة أرضاها للافصاح عن علو محله فى العلم والأدب ، وَجلالة شأنه فى الجود والكرم ، وتفرده بغَايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاخر ، إلى أن قال : ولكنى أقول : هو صَدْرُ المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وَينبوع الفضل والاحسان . وكانت حضرته محط رحال الأدباء والشعراء ، وموسم فضائلهم ، ومَتْرع [2] آمالهم ، وأمواله مصروفة إليهم ،

(١) تجد للصاحب بن عباد ترجمة فى يتيمة الدهر (٣ـ١٨٨ بتحقيقنا) وفى تاريخ ابن خلكان (١ ـ ٢٠٦ بتحقيقنا) .
(٢) فى المطبوعتين « ومنزع آمالهم » وأثبتنا ما فى اليتيمة .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وصنائعه مقصورة عليهم . ولما كان نادرة عطارد فى البلاغة ، وواسطة عقد الدهر فى السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصى البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل ، وصارت حضرته مشرعا لروائع الكلام ، وبدائع الافهام ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول ، وذوب العلوم ، وثمار الخواطر ، ودرر القرائح ، فبلغ فى البلاغة ما يعد فى السحر ، ويدخل فى باب الاعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتى الشرق والغرب ، واحتفّت به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يُرْبى عددهم على شعراء الرّشيد ، ولا يقصرُون عنهم فى الأخذ برقاب القوافى ، وملك رق المعانى ، فانه لم يجتمع بباب ملك ولا خليفة ما اجتمع بباب الرشيد من فحول الشعراء : كأبى نُوَاس وأبى العتاهية ، والعتابى ، والنميرى ، ومسلم بن الوليد ، وأبى الشيص ، وأشجع السلمى ، ومروان بن أبى حفصة ، وغيرهم . وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والرى ، وجرجان . مثل : السلامى ، والخوارزمى ، والمأمونى ، والبديهى ، والرستمى ، والزعفرانى ، والضبى ، والجرجانى ، وأبى قاسم بن أبى العلاء ، وابن بابك ، وابن القاشانى ، والبديع الهمذانى ، وأبى الفرج الساوى ، وغيرهم ، ومدحه مكاتبةً[1] الشريفُ الرضى ، وابن حجاج ، والصابى ، وابن سكرة الهاشمى ، وما أحسن قول الصاحب المتقدم فى شواهد الادماج [من الخفيف] :

إنّ خيرَ المداح مَنْ مدحته ... شُعراء البلاد فى كل نادى

قال : وسمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة فى حِجْرِها ، ودرج فى وَكْرِها ، ورضع أفاويق دَرّها ، وورثها عن أبيه ، كما قال الرستمى فيه [من الكامل] :

وَرِثَ الوزارة كابراً عن كابرٍ ... مَوْصُولَةَ الاسناد بالاسناد

يروى عَنِ العباس عبّادٌ وزا ... رتَه وإسْماعيلُ عَنْ عبّادِ

(١) فى المطبوعتين «ومدحه كاتبه الشريف الرضى» وهو خطأ تصويبه عن اليتيمة .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى الصاحبُ من الوزارة ، قال له : لك فى هذه الدولة من إرث الوزارة ، مالَنا فيها من إرث الأمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ بحقه .

قال : وحدثنى عون بن الحسين الهمذانى ، قال : كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب بن عباد ، فرأيت فى دستور كاتبها ، وكان صديقى ، مبلغ عمائم الخز التى صرفت فى تلك الشتوية للعلويين والفقهاء والشعراء خاصة غير الخدم والحاشية ثمانمائة وعشرين ، قال : وكان يعجبه الخز ، ويأمر بالاستكثار منه فى داره ، فنظر أبو القاسم الزعفرانى يوماً إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملوّنة ، فاعتزل ناحية ، وأخذ يكتب شيئاً ، فنظر إليه الصاحبُ ، وقال : علىّ به ، فاستمهل الزعفرانى ريثما يتم مكتوبه ، فأمر الصاحبُ بأخذ الدرج من يده ، فقام ، وقال : أيد الله مولانا الصاحب [من الرجز] :

اسمعهُ ممنْ قاله تزدَدْ به عُجْباً لحسن الورد فى أغصانه

فقال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً ، منها [من المتقارب] :

سِوَاكَ يَعُدُّ الغنىَ ما اقتنىَ وَيأمرهُ الحرْصُ أنْ يخزنَا
وَأنتَ ابنَ عبَّادِ المرْتجَى تعدّ نوالكَ نيـــلَ المنىَ
وَخيرُكَ مِنْ باسطٍ كفَّهُ وممنْ ثناهَا قريبُ الجنىَ
غمرْتَ الورَى بصنُوفِ الندَى فأضغرُ ما ملكُوهُ الغنىَ
وَغادَرْتَ أشعرَهُمْ مُفحَماً وَأشكرَهمْ عاجزاً ألكنا
أيأمَنُ عطاياهُ تُهدِى الغنىَ إلىَ راحَتَىْ مَنْ نأى أوْ دَنَا
كَسَوْتَ المقيمينَ والزائرينَ كُسىً لم يُخَلْ مثلها ممكناَ
وَحاشيةَ الدَّارِ يمشونَ فى ضُروبٍ مِنَ الخزِّ إلاّ أنَاَ
وَلستُ أذكّرُ بى جارياً عَلىَ العهدِ يحسن أنْ يُحسِنَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال له الصاحب : قرأت فى أخبار معن بن زائدة أن رجلا قال له : احملنى يها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس و بغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت ركوباً غيرها لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة ، ودُرَّاعة ، وقميص ، وسراويل ، وعمامة ، ومنديل ، ومُطْرَف ، ورداء ، وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز أعطينا كه .

قال : وحدثنى أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدى ، قال : شهدت أبا محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده [من البسيط] :

هذا فؤادُكَ نهبى بينَ أهواءِ وذاكَ رأيكَ شورَى بينَ آراءِ
هَوَاكَ بين العيون النُّجْلِ مقتسم داء لعمرُكَ ما أبلاهُ من داءِ
لاَ تستقرُّ بأرضٍ أوْ تسيرَ إلى
أخرَى بشخصٍ قريبٍ عزمهُ نائى
يوماً بجُرْوَى وَيوْماً بالعقيق وَبالعذَيب يوْماً وَيوْماً بالخليصاءِ
وَتارَةً ينتحى نجداً ، وآونةً شعبَ الغُوَيْرِ ، وَيوْماً قَصْرَتيماءِ

قال : فرأيت الصاحب مقبلا عليهِ ، حسن الاصغاء إلى إنشاده ، حتى عجب الحاضرون ، فلما بلغ إلى قوله :

أدْعى بأسماء نبزا فى قبائلها كأنَّ أسماء أضحتْ بعضَ أسمائى
ألقيْتُ شعرى وألقتْ شَعْرَهَا طَرَبًا فألَّفَا بينَ إصباح وإمساء

مال الصاحب عن دَسْته طربا ، حتى بلغ قوله فى المدح :

لوْ أنَّ سحبَان جاراه لأسحبهُ على خَطَابته أذيالَ فأفاءِ
أرى الأقاليم قدْ ألقَتْ مقالدَهَا إليهِ مستلقيات أىَّ إلقاء
فساس سبعتها منهُ بأربَعةٍ أمرٍ ونهْى وتثبيت وإمضاء

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كذاكَ توحيدهُ ألوَى بأربعة كفرٍ وجَبْرٍ وتشبيهٍ وإرجاءِ
نعم تجنبَ لا يومَ العطاء كما تجنب ابنُ عطاءٍ لَثْغَةَ الراءِ

فاستعاده وطرب للمعنى ، فلما ختمها بهذه الأبيات :

أطرِى وأطرِب للأشعار أنشدُها أحسنْ ببهجة إطرابى وإطرائى
ومنْ منائح مولاناَ مدائحه لأنَّ منْ زَندِهِ قدْحى وإيرائى
فَخُذْ إليكَ ابنَ عبادٍ محبرَةً لا البحترىُّ يدانيها وَلاَ الطائى

قال له : أحسنت ، أحسنت ، ولله أنت ، وتناول النسخة ، وتشاغل باعادة النظر فيها . ثم أمر له بخلعة من ملابسه ، وفرس من مراكبه ، وصلة وافرة .

قال : وحدثنى أبو الحسن محمد بن الحسن النحوى ، قال : سمعت الصاحب يقول : أنفذ إلىَّ أبو العباس تاش الحاجب رقعة فى السر ، بخط مخدومه نوح بن منصور ملك خراسان وما وراء النهر ، يريدنى فيها على الانحياز إلى حضرته ليلقى إلىَّ مقاليد ملكه ويَعتمدنى لوزارته ، قال : وكان فيما اعتذرت به إليه من تركى امتثال أمره ذكر طول ذيلى بكثرة حاشيتى ، وحاجتى لنقل كتبى خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من تجمل مثلى .

وحدثنى أيضا قال : سمعتُ الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ، وأنا إذ ذاك فى رَيعان شبابى ، فلما تَقوَّضَ ذلك المجلس وانصرف القوم وقد حلَّ الافطار أنكرتُ ذلك بَيْنى وَبين نفسى ، وعجبتُ من إغفاله الأمر بتفطير الحاضرين مع وفور رياسته ، وعاهدتُ الله أن لا أخلَّ بما أخلَّ به إذا قمت يوماً مقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه فى شهر رمضان بعد العصر أحد كائناً مَنْ كان فيخرج منْ داره إلا بعد الافطار ، وكانت داره لا تخلو ليلة من ليالى الشهر من ألف نفسٍ مفطرة .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكانت صِلاته وصدقاته ونفقته فى هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها فى جميع السنة

قال : وحدثنى أبو الفضل الهمذانى بديعُ الزمان ، قال : لما أدخلنى أبى إلى الصاحب ووصلت إلى مجلسه وأصلت الخدمة بتقبيل الأرض ، فقال لى : يابنى اقعد ، كم تسجد؟ كأنك هدهد .

وكان الصاحب فى الصغر إذَا أراد المضى إلى المسْجد ليَقرأ تعطيه والدته ديناراً ودرهما فى كل يوم ، وتَقول له : تصدَّقْ بهذا على أول فقير تلقاه ، فجعل هذا دأبَهُ فى شبابه إلى أن كبر وماتت والدته ، وَهو على هذا يَقول للفراش فى كل ليلة : اطرح تحتَ المطرح دينارا ودرهما ، لئلا ينساه ، فبقى على هذا مدة ، ثم إن الفراش نَسى ليلة منَ الليالى أن يطرح له الدرهم والدينار ، فانتبه وصلى وقَلَبَ المطرح ليأخذ الدينار والدرهم ، فما رآهما ، فتطير من ذلك ، وظن أنه قرب أجله فَقَال للفرَّاشين : شيلوا كل ما هنا مِن الفرش وأخرجوه وأعطوه لأول فقير تَلقونه حتى يكون كفارة لتأخير هذا الخير . فَلَقوا فقيراً أعمى هاشميا على يد امرأة وهو يبكى ، فَقالوا له : تَقبل هذا ، فَقال : ماهُو ؟ فَقالوا : مطرح ديباج ومخادُّ ديباج ، فأغمى عليه . فأعلموا الصاحب بأمره ، فأحضره وسقَاهُ شراباً بعد مارش عَليه الماء ، فلما أفاق سأله قال : اسألوا هذه المرأة إن لم تصدقونى ، فَقال له : اشرح ، فَقَال : أنا رجل شريف ، ولى ابنة من هذه المرأة خَطبها رجلٌ فَزوجناه بها ، ولى صنتان آخذ القَدر الذى يفضلُ منْ قوتنا أشترى لها به قطعة صفر أو صفرية ، أوما أشْبه ذلك ، فلما كان البارحة قالَتْ أمها : اشتهيتُ لها مطرح ديباج ومخاد ديباج ، فقلت لها : من أين لى ذلك ؟ وجرى بينى وبينها خصومة إلى أن سألتها أن تأخذ بيدى وتخرجنى حتى أمضى على وجهى ، فلما قال لى هؤلاء هذا الكلام حق لى أن يغشى علىّ ، فَقال الصاحب : لا يكون الديباج إلا مع ما يَليق به ، على بالانماطيين ، فجيء بهم ، فاشترى منهم الجهاز الذى يَليق بذلك المَطرح ، وأحضر زوجَ الصبية ، ودفع إليه بضاعة سنية .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال : وحدثنى أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب بن عباد فطاولته الحديث ، فلما أردت القيام قلت : لعلى طولت ، فقال : لا ، بل تَطَوَّلْتَ

يحكى أن الصاحب استدعى فى بعض الأيام شراباً ، فأحضروا قدحاً ، فلما أراد أن يشربه قال له بعض خواصه : لا تشربه فانه مسموم ، وكان الغلام الذى ناوله واقفا ، فقال للمحذر : وما الشاهد على صحة قولك ؟ قال : تجربه فى الذى ناولك إياه ، قال : لا أستجيز ذلك ولا أستحله ، قال : فجربه فى دجاجة ، قال : التمثيل بالحيوان لا يجوز ، ورد القدح وأمر بقلبه ، وقال للغلام : انصرف عنى ولا تدخل دارى ، وأمر باقرار جاريه وجرايته عليه ، وقال : لا يدفع اليقين بالشك ، والعقوبة بقطع الرزق نذالة .

يقال : إن ابن الخطيرى أتى يوماً إليه ، فقام له ، فمر مسرعا لأجله ، فضرط ، فقال : يامولانا هذا صرير التَّخْت ، فقال : بل صفير التَّحْت ، فذهب واستحيا وانقطع ، فكتب إليه [من البسيط] :

قل للخطيرىِّ لا تَذْهَبْ على خجل ... بضَرْطَةٍ أشْبَهَتْ نايا على عُودِ

فانها الريحُ لا تستطيع تُمسِكُهَا ... إذ أنت لَسْتَ سليمان بن داودِ

وكان الصاحب قد وَلَّى عبد الجبار الأستراباذى قاضى القضاة بهمذان والجبال فاستقبله يوماً ولم يترجل له ، وقال : أيها الصاحب ، أريد أن أترجل للخدمة ، ولكن العلم يأبى ذلك ، وكان يكتب فى عنوان كتابه إلى الصاحب « داعيه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « وليه عبد الجبار بن أحمد » ثم كتب « عبد الجبار بن أحمد » فقال الصاحب : نظن القاضى يؤول أمره إلى أن يكتب « الجبار »! .

وقال الصاحب يوما : ما أفظعنى إلا شاب بغدادى ورد علينا إلى أصبهان فقصدنى ، فأذنت له ، وكان عليه مرقعة ، وفى رجله نعل طاق ، فنظرت إلى حاجبى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فقال له وهو يصعد إليّ : اخلع نعلك ، فقال : ولم ؟ لعلني أحتاج إليها بعد ساعة ، فغلبني الضحك وقلت : أتراه يريد أن يصفعني بها .

وقال بديع الزمان الهمذاني : كنت عند الصاحب ابن عباد ، فأتاه رجل بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب ، وهي [من الوافر] :

غنينا بالطُّبُولُ عن الطلول ... وعن عَنْس عُذَافرة ذَمُولِ
وأذهلني عُقَارى عن عقَارى ... فمي است أم القضاة مع العُذُولِ
فلست بتاركٍ إيوانَ كسرَى ... لتوضِحَ أو لحوْملَ فالدَّخُولِ
وضبٍّ بالفلا ساع وذئبٍ ... بها يَعْوى وليثٍ وَسْطَ غِيلِ
إذا ذبحُوا فذلك يوم عيد ... وإن نحَرُوا ففي عُرْسٍ جليلِ
يَسُلُّونَ السيوفَ برأس ضب ... هرَاشا بالغداة وبالأصيل
بأية رتبة قدَّمتمُوهَا ... على ذي الأصل والشرف الجليلِ
ألا لو لم يكن للفرس إلا ... نِجَار الصاحب العَدْل النَّبيل
لكان لهُمْ بذلِكَ خَيْرُ عز ... وجيلُهمُ بذلك خيرُ جيلِ

فلما بلغ إلى هنا قال له الصاحب : قَدْك ، ثم اشرأبَّ ينظر إلى الزوايا وأطراف القوم ، فلم يرني ، وكنت في زاوية من زوايا البيت ، فقال : أين أبو الفضل ؟ فوثبت و بُسْت الأرض بين يديه ، فقال : أجبه عن ثلاثتك ، قلت : وما هي ؟ قال : أدبك ونسبك ومذهبك ، فقلت : ولا مهلة للقول إلا بما تسمع :

أرَاكَ على شَفَا خَطَرٍ مَهُول ... بما أودَعْتَ نفسَك من فُضُولِ
طلبت على مكارِمِنا دليلاً ... متى احْتَاجَ النهارُ إلى دَليلِ
أَلَسْنَا الضاربينَ جزَى عليهم ... فأيّ الخِزْيَ أقعدُ بالذليلِ
متى فرع المنابرَ فارسيّ ... متى عرف الأغرّ من الحجُول

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

متى عَلِقَتْ وأنت بهم زَعِيمٌ أكفُّ الفُرْس أعْرَافَ الخيولِ
فَخَرْتَ بملء ماضغتيك فخراً على قَحْطَانَ والبيت الأصيلِ
وحقك أن تُبَارِينا بكسرى فما ثور ككسرى فى الرّعيلِ
فخرت بنحو مَلْبُوس وأكلٍ وذلك فخر رَبَّاتِ الحجُولِ
تفاخرهن فى خد أسيل وفَرْعٍ من مَفَارقها رَسيلِ
فأَمْجَدُ من أبيك إذا أثَرْنَا عراة كاللبوث وكالنصُولِ

قال : فلما أجبته بهذه الأبيات نظر الصاحب بن عباد إلى الرجل فقال : كيف ترى ؟ فقال : لو سمعت به ما صدقت، قال : فاذن جائزتك إن وجدتك بعدها فى مملكتى أمرت بضرب عنقك ، ثم قال : لا تَرَوْنَ رجلا يفضل العجم على العرب إلا وفيه عرق من المجوسية يرجع إليها .

قال : وحدّثنى أبو منصور اللجيمىّ قال : أهدى العميرى قاضى قزوين إلى الصاحب كتباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميرىّ عَبْدُ كافى الكُفَاة وإن اعْتَدَّ من وُجُوه القُضَاة
خَدَمَ المجلس الرفيعَ بكُتْبٍ مُفْعَمَاتٍ من حُسْنها مُنْزَعَاتِ

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنا منَ الجميع كتاباً وَرَدَدْنَا لِوَقْتِهَا البَاقِيَاتِ
لست أستغنم الكثيرَ فطَبْعِي قولُ خُذْ لَيْسَ مَذْهَبِي قَوْلَهات

قال : وكتب إليه بعض العلويين يخبره بأنه قد رزق مولودا ، ويسأله أن يسميه ويكنيه ، فوقع فى رقعته « أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قُرَّة ، والنفس مسرة مستقرة ، فالاسم على ليعلى الله أمره ، والكنية أبو الحسن ليحسن الله ذكره ، فانى لأرجو له فضل جده ، وسعادة جده وقد بعثت ديناراً من مائة مثقال ، قاصداً فيه مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عام ، ويخلص خلوص الذهب الابريز من نُوَبِ الأيام ، والسلام »

وكتب إليه أبو حفصٍ الوراقُ رقعة نسختها « لولا أن الذكرى ـ أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل ـ تنفع المؤمنين ، وهز الصمصام يعين المصلتين ، لما ذكرت ذكراً ولا هززت ماضياً ، ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ويكد الجواد ، وحال عبد مولانا أدام الله تأييده فى الحنطة مختلفة ، وجُرْذَانُ داره عنها منصرفة ، فان رأى أن يخلط عبده ، بمن أخصب رحله عنده ، فعل إن شاء الله » فوقع عليها « أحسنت أبا حفص قولا ، وسنحسن فعلا ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجدب ، فالحنطة تأتيك فى الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى » .

قال : وسمعت أبا النصر بن عبد الجبار العتبي يقول : كتب بعض أتباع الصاحب إليه رقعة في حاجة ، فوقع فيها ، ولما وردت إليه لم ير فيها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبى العباس الضبي ، فما زال يتصفحها حتي عثر بالتوقيع ، وهو ألف واحدة ، وكان ختام الرقعة « فان رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل » وأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً ، يعنى أفعل .

قال : و بلغ الصاحب أن بعض المتشاعرين انتحل شيئاً من شعره ، فكتب إليه [من المقتضب] :

سرقْتَ شعرى ، وغيرى ... يُضَام فيه ويُخْدَعْ
فهَوْف أجزيك صَفْعاً ... يكدُّ رَأساً وأخْدَعْ
فسارقُ المال يُقْطَعْ ... وسارق الشعر يُصْفَعْ

قال : فأخذ الليل جملا وهرب من الرى .

وقال محمد بن المرزبان : كنا بين يدى الصاحب ليلة فنعس ، وأخذ إنسان يقرأ سورة الصافات ، فاتفق أن بعض الأجلاف من أهل ماوراء النهر نعس أيضاً

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وضرط ضرطة منكرة ، فانتبه الصاحب وقال : يا أصحابنا ، ثمنا على الصافات وانتبهنا على المرسلات.

وقال أيضاً : انفلتت ليلةً ضرطةٌ من بعض الحاضرين ، والصاحب في الجدل فقال على حدته : كانت بيعة أبي بكر ، خذوا فيما أنتم فيه ، يعني أنه قيل في بيعة أبي بكر رضى الله عنه إنها كانت فلتة .

ولما كان الصاحب ببغداد قصد القاضي أبا السائب عُتْبَة بن عبيد الله لقضاء حقه ، فتثاقل في القيام له ، ونحفز تحفزاً أراه بضعف حركته وقصور نهضته فأخذ الصاحب بضَبْعه وأقامه ، وقال : نعين القاضي على قضاء حقوق أصحابه ، فخجل القاضي واعتذر إليه

وحدثني غيره قال : كتب إنسان رقعة إلى الصاحب أغار فيها على رسائله ، وسرق فيها جملة من ألفاظه ، فوقع فيها « هذه بضاعتنا ردَّت إلينا » ووقع في رقعة استحسنها « أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون » ووقع في كتاب لبعض مخالفيه « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان قد ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه لمعاودة حضرته « ألم نربِّك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين ، وفعلت فعلتك التي فعلت» ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال « التصرف لا يلتمس بالتكفف، إن احتجنا إليك صَرَّفناك ، وإلا صَرَفناك » وعزل الصاحب عاملا بقُمَّ فكتب إليه « أيها العامل بقُم ، قد عزلناك فقم » وسأل أبا الحسين الربعي عن مسألة ، فأجاب جواباً أخطأ فيه ، فقال له: أصبت، فقبل الأرض بين يديه شكراً ، فلما رفع رأسه ، قال : عين الخطأ ، ووقع إليه بعض منهي الأخبار أن رجلا ممن ينطوي له على غير الجميل يدخل داره في غمار الناس ثم يتلوم على استراق السمع ، فوقع « دارنا هذه خان ، يدخلها مَنْ وَفَى ومن خان » .

قال : وبلغني عن القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أنه قال:

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

انصرفت يوما من دار الصاحب ، وذلك قبل العيد ، فجاءنى رسوله بعطر الفطر ورقعة مكتوب فيها [من الكامل] :

يا أيها القاضى الذى نَفْسى له مَعَ قُرْب عهدِ لقائه مُشْتاقه
أهْدَيْتُ عِطْراً مثلَ طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخْلاَقَهْ

قال: وسمعته يقول : إن الصاحب يَقْسِم لى من إقباله وإكرامه بجرجان ، أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلدان ، وقد استعفيته يوما من فَرْط تَحَفِّيه بى وتواضعه لى ، فأنشدنى لنفسه [من الكامل] :

أكرِمْ أخاك بأرض مَوْلِدِه وأمدّه مِنْ فَعْلِكَ الحَسَنِ
فالعِزُّ مَطْلُوبٌ وَمُلْتَمَس وأعَزُّه ما نيلَ فى الْوَطَنِ

ثم قال لى : قد فرغت من هذا المعنى فى قصيدتك العينية ، فقلت : لعل مولاى يريد قولى [من الطويل] :

وشَيَّدْتُ مجدى بين قومى فلم أقل ألا لَيْتَ قومى يعلمون صَنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى « يا ليت قومى يعلمون ، بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين » .

قال : وأنشدنى أبو حنيفة الدهستانى للصاحب ما كتب به إلى أبى هاشم العلوى وقد أهدى إليه يوم أضحى عطراً فى طبق فضة [من الكامل] :

اقبَلْ من الطيب الذى أهديتهُ ما يسرقُ العطارُ من أخْلاَقِكْ
والظرف يوجب أخذهُ مَعَ ظَرْفِهِ فَأضِفْ به طبقاً إلى أطْبَاقِكْ

قال : وبلغنى عن الصاحب أنه قال : ما استأذنت قط على فخر الدولة وهو فى مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة ، فأذن لى فيه ، وما أذكر أنه تبذَّل بين يدى ومازحنى إلا مرة واحدة ، فانه قال لى فى شجون الحديث : بلغنى أنك تقول : المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال ، فأظهرت الكراهة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لانبساطه ، وقلت : بنا من الجد ما لا نفرغ معه إلى الهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إلى مراسلةً حتى عاودتُ مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجرى مجرى المزاح والهزل .

قال : وسمعت أبا الحسين العلوىّ الهمذانى الوصىّ قال : لما توجهت تلقاء الرىّ فى سفارتى إليها من جهة السلطان ، فكّرْتُ فى كلام ألْقَى به الصاحب ، فلم يحضرنى ما أرضاه ، وحين استقبلنى فى العسكر وأفضى عنانى إلى عنانه جرى على لسانى «ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم» فقال «إنى لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون» ثم قال : مرحبًا بالرسول ابن الرسول ، والوصى ابن الوصى» .

قال : وسمعت عونًا الهمذانىّ يقول : إن الصاحب أتى بغلام مثاقف ، فلعب فاستحسن الصاحب صورته ، وأعجب بخفته ، فقال لأصحابه : قولوا فيه شيئًا ، فلم يرضه ما قالوا ، فقال [من السريع] :

مثاقف فى غاية الحِذْقِ فَاقَ حِسَانَ الغَرْبِ والشَّرْقِ
شَبَّهْتُهُ والسيف فى كَفِّهِ بالبَدْرِ إذْ يَلْعَبُ بالبَرْقِ

قال : وسمعت سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب الماء والثلج ينشد فى أثره [من الرجز] :

قَعْقَعَةُ الثاجِ بماء عذْبِ تستخرج الحمدَ مِنَ اقصى القلب

ثم يقول : اللهم جَدِّدِ اللعنة على من منع الحسين الماء .

وقال غيره: كان ابن عباد فصيحا مُفَوَّها ، لكنه يتقَعَّر فى خطابه ، ويستعمل وَحْشِىَّ الكلام حتى فى انبساطه ، وكان يعيب التيه ويتيه ، ولا ينصف من يناظره ، وقيل : كان مشوه الصورة ، وصنف فى اللغة كتابا سماه « المحيط » فى سبع مجلدات وله كتاب «الكافى» فى الترسل ، وكتاب الأعياد ، وكتاب « الامامة» ذكر فيه فضائل على رضى الله عنه وأثبت إمامة من تقدمه ، وكان شيعيا جلدًا كآل بُوَيْه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

معتزلياً وكان يقول: شاركت الطبرانى فى إسناده ،و يقال : إنه نال من البخارى وقال : هو حَشْوِىّ لا يُعَوَّل عليه ، ولما عزم على الاملاء تاب إلى الله تعالى ، واتخذ لنفسه بيتاً سماه «بيت التوبة» ولبث أسبوعا على الخير ، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته ، ثم جلس للإملاء ، وحضر خلق كثير ، يحكى أنه خرج متحنكا متطلسا بزى العلماء ، وحضر خَلْقٌ ، فكان المستملى الواحد لا يقوم بالاملاء حتى انضاف إليه ستة كلٌّ يبلغ صاحبه ، وكان ينفذ إلى بغداد فى السنة خمسة آلاف دينار تُفَرَّقُ على الفقهاء والأدباء ، وكان يبغض من يميل إلى الفلسفة ، ومرض فى الأهواز بالاسهال ، فكان إذا قام عن الطست ترك إلى جانبه عشرة دنانير حتى لا يتبرم به الخدم ، فكانوا يودون دوام علته ، فلما عوفى تصدق بنحو خمسين ألف دينار .

وهذه غرر من فقر الصاحب تجرى مجرى الأمثال :

من استماح البحر العذب ، استخرج اللؤلؤ الرطب. من طالت يده بالمواهب، امتدّت إليه ألسنة المطالب . من كفر النعمه ، استوجب النقمه . من نبت لحمه من الحرام ، لم يحصده غيرُ الحسام . من يكن الْحَذَّاء أباه ، جادت نعلاه . من لم تهزه يسير الاشارة ، لم ينفعه كثير العبارة . ربّ لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال . الشمس قد تغيب وتشرق ، والروض يذبل ثم يورق . والبدر يأفَل ثم يطلع ، والسيف ينبو ثم يقطع . العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر . الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نَافعه . بعض الحلم مذله ، و بعض الاستقامة مزله : كتاب المرء عنوان عقله بَلْ عيار قدره ، ولسان فضله بل ميزان علمه . إنجاز الوعد، من دلائل المجد . واعتراض المطل، من أمارات البخل . وتأخير الاسعاف ، من قرائن الاخلاف . لكل أمر أجل ، ولكل وقت رجل . شجاع ولا كمرو ، ومندوب ولا كصخر . كفران النعم ، عنوان النقم . للصدر نفثة إذا أُحرج ، وللمرء بثة إذا أحوج . قد يصلى البرىء بالسقيم ،

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و يؤخذ البر بالأثيم . ما كل طالب حَق يُعطَاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه .

ملح وظرف من ألفاظه :

أخبرنى عن سَفْرَتك، وما حصل بها فى سُفْرَتك . وجدت حَرًّا يشبه قلب الصَّبِّ ، و يذيب دماغ الضَّبِّ . لا اعتراض بين الشمس والقمر ، والروض والمَطر . مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير . زائر وَجهه وسيم ، وريحه نسيم ، وفضله جسيم . فِقَرٌ كما جيدت الرياض، وفصول كما تغامزت المقل المراض. ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما تنفست الأسحار . نثر كَنْثر الورد ، ونظم كَنظم العقد . كتابك رُقْيَة السليم ، وغُرَّة العيش البهيم . عشرته ألطف من نَسيم الشمال ، علىَ أديم الماء الزلال . وألصق بالقلب، من علائق الحب . شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه . أثنى عليه ثناء العطشان الوارد ، على الزلال البارد .

رقعة استزارة — هذا اليوم يا سيدى طارونى ، يعجبنى جوه الفاخى ، و إذ قد غابت شمس السماء عنا ، فلا بد أن تَدْنو شمس الأرض منا ، فان نشطت للحضور ، شاركتنا فى السرور ، و إلا فلا إكراه ولاَ إجبار ، ولك متى شئت الخيار .

رقعة أخرى — غداً يا سيدى ينحسر الصيام ، وتَطيب المدام ، فلا بد أن تقيم أسواق الأنس نافقة ، وتنشر أعلام السرور خافقه ، فبالفتوة فانها قسم الظراف ، تفرض حسن الاسعاف ، ولو ران المروءة حاجة مجتاح ، بادرتها ولو على جناح الرياح .

أخرى — نحن يا سيدى فى مجلس غَنِيٍّ إلا عنك ، شاكر إلا منك ، قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت خدود البنفسج ، وفاحت مَجامِرُ الأترج ، وفتقت فازات النارنج ، ونطقت ألسنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وَهبَّت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام مُنادى الطرب ، وطلعت كواكبُ الندماء ، وامتدَّت سَماء الند ، فَبحياتى لما حضَرت لنحصُل بك فى جَنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعِقْدِ

أخرى — نحن وحياتك فى مجلس راحهُ ياقوت ونَوْرُه در ، ونارنجه ذهب ونرجسه دينار ودرهم يحملهما زَبرجد ، وألسنَة العيدان تخاطبُ الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكننا بغيبتك كعقد غيبت واسطته ، وعباب أخذت جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من المَاء فى انحداره ، والقمر فى مَدَاره

تهنئة ببنت — أهلا وسهلا بعَقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبةِ الأصهار والأولاد الأطهار ، ومبشرة باخوة يتناسقون ، ونجباء يَتلاحقون (١)

ولو كانَ النساء كمثلِ هذى لَفُضِّلت النساء على الرجالِ
فما التأنيثُ لاسم الشمس عَيباً ولاَ التذكيرُ فخراً للهلالِ

فادّرع يا سيدى بها اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكبُ ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس مؤنثة ، وَبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، والجنة مؤنثة ، وَبها وُعِد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون ، فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيتَ ، وَأطَال بَقاءك ماَ عرف النسْل وَالولد ، وماَ بقى الأبد ، وَما عمّر لُبَدُ .

رقعة فى مُدَاعبَة — خبر سيدى عندى وَإن كتمه عنى ، واستأثر به دونى ،

(١) البيتان لأبى الطيب المتنبى ، وهما من الوافر

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد عرفت خبره البارحة فى شربه وأنسه ، وغناء الضيف الطارق وعرسه ، *وكان ما كان مما لست أذكره * وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاى امتطى الأشهب ؟ فكيف وجد ظهره ، وركب الطيار ، فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف فى سعة أم مضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال فى الحلة بالكرة ، فليتفضل بتعريفى الخبر ، فلا يسعه الانكار ، ولا يغنى عنه إلا الاقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبومرة(١) كما ساعده ، فنصلى للقبلة التى صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التى خطب عليها هذا وله فضل السبق إلى ذلك الميدان ، الكثير الفرسان

وله ديوان شعر ، ومن محاسنه قوله [من مجزوء الرجز] :

وشادن جماله تقصر عنه صفتى
أهوى لتقبيل يدى فقلت لا بل شفتى(٢)

وقوله [من الكامل] :

رشأ غدا وجدى عليه كردفه وغدا اصطبارى فى هواه كخصره
وكأن يوم وصاله من وجهه وكأن ليلة هجره من شعره
إن ذقت خمراً خلتها من ريقه أو رمت مسكا نلته من ثغره

وقوله [من السريع] :

ياخاطراً يخطر فى تيهه ذكرك موقوف على خاطرى
إن لم تكن أشرف من ناظرى عندى فلا متعت بالناظر

وقوله [من مخلع البسيط] :

قل لأبى القاسم الحسين يانور قلبى ونور عينى

(١) أبو مرة : كنية إبليس
(٢) فى الوفيات « فقلت قبل شفتى » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

البدرُ زَيْنُ السماء حُسْنًا وأنت زين لكل زين

وقوله [من البسيط] :

دب العذارُ على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يَسْعَى به وَقَفَا
كأنهُ كاتبٌ عَزَّ المدادُ لهُ أراد يكْتُبُ لاما فابتدا ألِفا

وقوله فى مليح ألثغ [من السريع] :

وشادنٍ قلتُ له ما اسمهُ فقال لى بالغَنْجِ عبَّاثُ
فصِرْتُ من لثغتِهِ ألثغاً وقلت أين الكافُ والطاث

وقوله فى حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبةٍ من عِنَبٍ من المُنَى مُتَّخَذَهْ
كأنها لؤلؤة فى وَسْطِهَا زمُرُّذَهْ

وقوله [من الطويل] :

بَعَثْنَا من النارنج ما طاب عَرْفُهُ فظل على الأغصان منه نَوَافِجُ
كُرَات من العِقْيَانِ أحكم خَرْطُهَا وأيدى الندامى حَوْلَهُنَّ صَوَالِجُ

وقوله [من السريع] :

لو فَتَقُوا قلبى رأوْا وَسْطَهُ سَطْراً قد امتد بلا كاتبِ
حب على بن أبى طالب وحب مولاى أبى طالب

وقوله للقاضى أبى بشر الجرجانى [من الوافر] :

يَصُدُّ الفَضْلُ عنا أى صَدٍّ وقال تأخرى عن ضعف معده
فقلتُ له جَعَلْتَ الواوَ عَيْنًا فان الضعف أجمع فى الموده

وقوله [من مخلع البسيط] :

قولوا لاخواننا جميعا مَنْ كُلُّهم سيد مُرَزَّا(١)

(١) «مرزا» أصله مرزأ ـ بالهمزة ـ فقلبت ألفا لانفتاح ما قبلها، والمرزأ ـ بصيغة اسم المفعول من المضعف العين ـ الكريم، والرجل من قوم مات خيارهم.

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مَنْ لم يَعُدْنَا إذا مَرِضنَا إنْ مَاتَ لم نَشهدِ المعزَّى

أين هذه الحشمة من قول أبي الحسن اللحام الحرانى [من مجزوء الرجز] :

إنى اعتللتُ عـلةً سقطتُ منها فى يدِى
وكانَ فى الاخوان مَنْ لم أرَهُمْ فى العُوّدِ
فقلتُ فِيهِمْ كلهمْ قَوْلَ امْرِىءٍ مُقتصِدِ
أيْرُ الذى قَدْ عَادَنَا فى استِ الذى لم يعُدِ

ومثل قول الصاحب قول الآخر [من مخلع البسيط] :

قُلْ للذى لمْ يَعُدْ سَقَامى وَقلبهُ مُشْرَبٌ حَزَازَهْ
مَنْ لم يعدْنَا إذَا مَرضنَا إنْ مَاتَ لمْ نَشْهدِ الجَنَازَهْ

ومن قول الصاحب فى العيادة أيضاً [من البسيط] :

حقُّ العيادَةِ يَوْمٌ بعدَ يَوْمينِ وَجلسةٌ مثْلُ رَدِّ الطَّرْفِ فى العين
لاَ تبرمنَّ مريضاً فى مُساءلة يكفيكَ مِنْ ذَاكَ تَسْآل بحرفين

وقال الثعالبي : سمعت أبا الفتح البستى ، يقول : لم أسمع فى إنفاذ الحلوى إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حَلاَوَةُ حبكَ يا سيدِى تُسَوِّغُ بعثى إليكَ الحلاَوَهْ

فقلت له : وأنا لم أسمع فى النثار أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنتُ أنثر ما تستحقُّ نثرتُ عليكَ سُعُودَ الفلكْ

وللصاحب فى الهجاء والمجون [من السريع] :

قَالَ ابن مشوىّ لِغلمانهِ وَقدْ حَشوهُ بأيور العبيدْ
لئِنْ شكرتم لأزيدَنكمْ وَإنْ كفرتمْ فعذَابى شديدْ

وقال فى الغويرى [من السريع] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إنَّ الغويريَّ لهُ نكهةٌ بِنَتْنِهَا أَرْبتْ على الكُنْفِ
يَا ليتَهُ كانَ بلاَ نكهةٍ أَوْ ليتنى كنتُ بلاَ أنفِ

وقال فيمن زوَّج أمه [من مجزوء الكامل] :

زَوَّجتَ أُمَّكَ يا فتى وكسوْتنى ثوْبَ القلقْ
والحرُّ لا يهدى اللحو م إلى الرجال على الطبقْ

وقال [من الوافر] :

أَبُو العباس قدْ أضحى فقيهاً يتيهُ بفقهِهِ فى الناس تيهًا
وذلك أنَّ لحيته أتتنى تناظر فقحتى فخريتُ فيها

وقال [من السريع] :

حُبُّ علىّ بن أبى طالبٍ هوَ الذى يُهدى إلى الجنهْ
إن كانَ تفضيلى لهُ بدعةً فلعنةُ اللهِ عَلَى السنهْ

وقال فى شهر رمضان [من الخفيف] :

قَدْ تَعَدَّوْا على الصيامِ وقالُوا حُرِمَ الصبُّ فيهِ حسْنَ العَوائدْ
كذبُوا ، فى الصيام للمرء مهما كان مستيقظا أَتمُّ الفـــوائدِ
موْقِفٌ بالنهار غيرُ مُريبٍ واجتماع بالليل عندَ المساجدِ

وقال [من الكامل] :

رَاسلتُ مَنْ أهوَاهُ أطلبُ زَوْرةً
فأجابنى : أو لَستَ فى رَمضانِ
فأجبتهُ والقلبُ يخفقُ صبْوَةً أتصومُ عنْ بِرٍ وعنْ إحسانِ
صُمْ إنْ أرَدْتَ تحرجاً وتعففًا عنْ أنْ تكدَّ الصبَّ بالهجرَانِ
أولا فزرنى وَالظلام مُجَلَّلٌ واحْسبهُ يوما مَرَّ من شعبانِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقال يرثى أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لى أودَى كثيرُ بن أحمدٍ وذلك رُزْءٌ فى الأنام جليلُ
فقلتُ دعُونى والعلانبكه معاً فمثْلُ كثيرٍ فى الرجال قليلُ

وقال الثعالبى : سمعت أبا بكر الخوارزمى يقول : أنشدنى الصاحب لنفسه من تُنَفه هذا البيت [من الطويل] :

لَئنْ هوَ لم يكففْ عقارب صُدْغهِ

فقولوا لهُ يسمحْ بِدِرْياقِ ثغرهِ

فاستحْسنتهُ جدا ، حتى حمتُ من حسدى له عليه ، ووددتُ لو أنه بألف بيت من شعرى . قال الثعالبى : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيدالله هذا البيت ، وحكيت له هذه الحكاية فى المذاكرة ، فقال : أتعرف من أين سَرَقَ الصاحبُ معنى البيت ؟ فقلت : لا والله ، فقال : إنما سَرقه من قول القائل ، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل]

لدَغَتْ عينك قلبى إنما عينكَ عقربْ
لكن المصةُ من ريـــقكَ دِرْيَاقٌ مُجَرَّبْ

فقلت : لله در الأمير ، لقد أوتى حظاً كبيراً من التخصص ، بمعرفة التلصص .

ومما هجى به الصاحب * وما زالت الأملاك تهجى وتمدح * قول أبى العلاء الأسدى [من البسيط]

إذا ظفرت بجى فى مُرقَّةٍ يأوى المَساجد حراً ضره بادِى
فاعلم بِأنَّ الفتَى المسكينَ قدْ قذفَتْ
بهِ الخطوبُ إلى لؤم ابن عبَّاد

وقول السلامى [من مجزوء الرمل]

يا ابن عباد بن عبا س بن عبد الله جرها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تُنكرُ الجبر وأخرجـــت إلى العالم كرها

وقول غيره [من السريع]

صاحبنا أحوَالهعاليـــــه لكنما غرفته خاليـــه

وَإن عرفتَ السرَّ من دائهِ لم تَسأل الله سوَى العافيه

والجروح قصاص ، فانه قال يهجو قاضيا [من الهزج]

لنا قاضٍ له رأس من الخفة مملوه

وفى أسفله داء بعيدٌ منكمُ السوُّه

ذكر آخر أمره — لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وأنتابته أمراض الكبر ، وجعل ينشد قوله [من الوافر]

أناخَ الشيب ضيفاً لم أردهُ ولكن لا أُطيقُ لهُ مَرَدّا

رداء للرَّدَى فيهِ دليلٌ تردَّى مَنْ به يوماً تردّى

ولما كنى المنجمون عن عرضه فى سنة موته بما يفيد ذلك قال [من الرجز]:

يامالكَ الأرْواح والأجسامِ وَخالق النجوم والأحكامِ

مُدبِّرُ الضيـــــاء والظلام لا المشترى أرجُوهُ للانعام

ولا أخافُ الضرّ من بَهرامِ وَإنما النجومُ كالأعلام

والعـــــلم عندالملك العلام يا رب فاحفظنى من الأسقام

وَوقِّنى حـــــوادثَ الأيامِ وَهجنةَ الأوزَارِ وَالآثامِ

هبنى لحب المصطفى المغنامِ وصنـــــوِهِ وآلهِ الكرام

وكتب بخطه على تحويل السنة التى دلت على انقضاء عمره هذه الأبيات ، [من الطويل]

أرَى سنتى قد آذنَتْ بعجائبِ وربىَ يكفينى جميعَ النوائبِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَيدفع عنى ماَ أخاف بِمَنِهِ وآمَنُ ما قَدْ خَوَّفُوا منْ عواقب
إذَا كانَ مَنْ أجْرَى الكواكبَ أمْرُهُ
مُعينى فما أخشَى صرُوفَ الكواكب

عليكَ أيارَبّ الأنام توكلى فحظىَ منشرٌّ الخطوبالحوازب
فكم سنةٍ حذرتها فتزحزحتْ بِخيرٍ وَإقبال وجدّ مصاحب
ومنْ أضمرَ اللَّهُمَّ سوءاً لمهْجتى فرد عليه الكيدَ أخيبَ خائب
فلست أريد السوء بالناس إنما أريد بهم خيراً مَرِيعَ الجوانب
وأدفع عنْ أموالهمْ ونفوسهمْ بجدّى وجهدى باذلاً للمواهب
ومنْ لم يسعهُ ذَاكَ منى فاننى سأكفاه إن الله أغلبُ غالبِ

وبلغه عن بعض أصحابه شماتة ، فقال [من الطويل] :

وكم شامتْ بى بعدَ موتى جاهل بظلم يسُلُّ السيفَ بعد وفاتى
ولوْ علمَ المسكين ما ذَا يناله من الظلم بعدى مات قبل مماتى

ولم يسعد أحدٌ بعد وفاته كما كان فى حياته غير الصاحب ، فانه لما توفى أغلقَت مدينة الرى ، واجتمع الناس على باب قصره ، وَحضر مخدومه فخر الدولة وسائر الأمراء والقوّاد ، وقد غيروا لباسهم ، فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة ، وقبلوا الأرض ، ومشى فخر الدولة أمام النعش ، وقعد للعزاء أياماً .

ورثاه الناس بمراث كثيرة ، منها قول أبى القاسم بن أبى العلاء الأصفهانى من قصيدة [من البسيط] :

هذى نوَاعى العلاَ مذ متّ نادبة من بَعْدِ مَا نَدَبتكَ الْخُرَّدُ العينُ
تبكى عليكَ العطايا والصلاَتُ كما تبكى عليكَ الرَّعايا وَالسلاطينُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قامَ السعاة وكانَ الخوف أقعدهمْ واستيقظوا بعد ما مُتَّ الملاعينُ
لا يعجب الناسُ منهم إنهمُ انتشروا مضى سليمان فانحل الشياطينُ

ومن قصيدة لأبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

أبعد ابن عباد يهش إلى السرى أخُو أَمَلٍ أو يستماحُ جَوَادُ
أبى الله إلا أنْ يموتَا بموْته فما لهما حتى المعـــــادِ معادُ

ومن قصيدة لأبي الفياض الطبرى [من الوافر] :

خليلي كيف يقبلك المقيلُ ودهرك لا يقيلُ ولا يقيلُ
ينادي كل يوم فى بنيه ألاهُبُّوا فقدْ جدَّ الرحيلُ
وهمْ رَجلان منتظر غفول ومبتدر إذا يدعى عَجولُ
كأن مثال من يفنى ويبقى رعيل سوف يتلوه رعيل
فهم سفر وليس لهم ركاب وهم ركب وليس لهم قفُولُ
تدور عليهمُ كأسُ المنايا كما دارت على الشَّرب الشَّمول
ويحدوهم إلى الميعاد حادٍ ولكن ليس يَقْدَمهم دليل
ألم تر من مضى من أولينا وغالتهم من الأيام غُولُ
قد احتالوا فما نفع الحويل وأعوَلْنَا فما نفع العويل
كذاك الدهر أحوالٌ تَزولُ وأعمال تحول ولا تؤول
لنا منهُ وإنْ عفنا وخفنا رسولٌ لا يُصابُ لديه سُولُ
وقد وَضَحَ السبيلُ فما لخلق إلى تبديله أبداً سبيل
لعمرك إنه أمد قصيرٌ ولكن دونه أمل طويل
أرَى الاسلام أسلمه بَنُوه وأسلمهم إلى وَلَهٍ يَهُول
أرى شمس النهار تكاد تخبو كأن شعاعها طَرْفٌ كَليل

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أرى القمر المنير بدا ضئيلا بلا نور فأضناه النحول
أرى زُهْرَ النجوم مُحَدَّقات كأن سراتها عور وحُول
أرى وجه الزمان وكل وجه به مما تكاءده فلول
أرى شم الجبال لها وَجيبٌ تكاد تذوب منه أو تزول
وهذا الجوّ أكلفُ مقشعرّ كأنّ الجوّ من كمد عليل
وهذى الريح أطيبها عقيم إذا هبت وأعذبها بَليل
وللسحب الغِزَار بكل فج دموع لا يذاد بها الهطول
نعى الناعى إلى الدنيا فتاها أمين الله فالدنيا ثَكول
نعى كافى الكفاة فكل عين بما تقذى العيون به كفيل

وهى طويلة يقول فى آخرها :

أأحيا بعده وأقرّ عيناً حياتى بعده هدر غلول
حياتى بعده موت وَحِيٌّ وعيشى بعده سم قَتُول

ومن قصيدة الشريف الرضىّ الموسوىّ [من الكامل] :

أكذا المَنُونُ تقطِّعُ الأبطالا أكذا الزمانُ يُضَعْضِعُ الأجبالا[1]
أكذا تُصَاب الأسْدُ وهى مدلة تحمى الشُّبُولَ وتمنع الأغيالا
أكذا تفاض الزاخرات وقد طَغَتْ لُجَجاً وأوردت الظماء زُلالاَ
يا طالب المعروف حَلَّق نجمه حُطَّ الحمول وعطل الأجمالا
وأقم على يأس فقد ذهب الذى كان الأنامُ على نَدَاهُ عِيَالا

ولأبى عيسى بن المنجم لما استوزر أبو العباس الضبى بعد موت الصاحب ولقب بالرئيس الجليل [من البسيط] :

والله والله لا أفْلَحتم أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس

(١) فى الديوان « تقنطر الأبطالا »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وما أنزلتُ حاجاتى بواد غير ذى زرعِ

ترجمة إسماعيل القراطيسى

والقراطيسى هو إسماعيل بن معمر، الكوفى، مول الأشاعثة، وكان مألفا للشعراء، وكان أبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وطبقتهم يقصدون منزله ويجتمعون عنده ويقصفون ويدعوا لهم القيان وغيرهن من الغلمان، ويساعدهم، وإياهم يعنى أبو العتاهية بقوله [من مجزوء الوافر]:

لقد أمسى القراطيسىُّ رأساً فى الكساجبة

يعنى الكشاخنة.

ومن شعره [من السريع]:

ويلى على ساكن شَطّ الصَّرَاهْ مرر حُبيِّه علىَّ الحياهْ
ما تنقصى من عجب فكرتى من خصلة فَرَّطَ فيها الولاه
تَرْكُ المحبينَ بلا حاكمٍ لم يقصدوا للعاشقين القضاه

يقول فيها:

وقد أتانى خبرٌ ساءنى مَقَالُهَا فى السرِّ واسوْأتاهْ
أمثل هذا يبتغى وَصْلَنَا أما يرى ذا وجْهَهُ فى المراه

قال القراطيسى: قلت للعباس بن الأحنف: هل قلت فى معنى قولى هذا شيئا؟ فقال: نعم، ثم أنشدنى [من السريع]:

جاريةٌ أعجبَهَا حُسْنُهَا ومثلها فى الناس لم يُخْلَقِ
خبرْتُهَا أنى محِبٌّ لها فأقبلَتْ تضحك من منطقى
والتفتت نحو فتاة لها كالرشا الوسنان فى قَرْطَقِ
قالَتْ لها قُولِى لهذا الفتى انظُرْ إلى وجهك ثم اعْشَقِ

وحدّث أبو هفان عن الجماز قال: اجتمع يوما أبو نُوَاس وحُسَين الخليع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأبو العتاهية فى الحمام ، وهم مخمورون ، فقالوا : أين نجتمع اليوم ؟ فقال القراطيسى [من مجزوء الوافر] :

ألاَ قُومُوا بأجْمَعِكُمْ إلى بَيْتِ القَرَاطِيسِى
فَقَدْ هَيَّا لنَا نُزُلاً غلامٌ فارهٌ طُوسِى
وقد هَيَّا زُجَاجَاتٍ لَنَا من أرْضِ بَلْقِيسِ
وأَلْوَاناً من الطَّيْرِ وأَلْوَاناً من العِيسِ
وقِينَاتٍ من الحُورِ كأَمْثَالِ الطَّوَاوِيسِ
فنيكوهُنَّ فى ذاكم نَقُمْ فى طاعةِ آبليس

* * *

من شواهد الاقتباس

٢١٠ — قَدْ كَانَ مَا خِفْتُ أن يَكُونَا إنَّا إلى الله رَاجِعُونَا

البيت من مخلع البسيط ، وقائله بعض المغاربة عند وفاة بعض أصحابه ، وذكر صاحب قلائد العقيان أنه قيل فى الرئيس أبى عبد الرحمن محمد بن طاهر ، وقال : شهدت وفاته سنة سبع وخمسمائة ، وحين قضى دخل عليه الوزير أبو العلاء ابن أزرق وهو يبكى ملء عينيه ، ويقلب على ما فاته كَفَّيْه ، وينادى بأعلى صوته ، أسفاً على فوته :

كان الذى خفت أن يكونا إنا إلى الله راجعونا

والشاهد فيه : الاقتباس مع تغيير يسير فى التقفية

ومن الأمثلة الشعرية فى الاقتباس قول الأحوص [من الطويل] :

إذا رُمْتُ عنها سلْوَةً قال شافعٌ من الحبِّ : ميعادُ السلوّ المقَابِرُ
سَتَبقى لها فى مُضْمَرِ القلبِ والحشا سَرَائرُ ود يومَ تُبْلَى السرائرُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول البديع الهمذانى [من المتقارب] :

لآلِ فريغون فى المكرمات يَدٌ أولا واعتذار أخيرَا
إذا ما حَلَلْتَ بمغناهُمُ رأيتَ نَعيماً وملكا كبيرَا

وقول الأبيوردى [من الكامل] :

وقصائد مثل الرياض أضعتُها فى باخلٍ ضاعَتْ به الأحساب
فاذا تناشدها الرواة وأبصروا الـــــمدوح قالوا ساحرٌ كذَّابُ

وقول محمد الشجاعى [من الرمل] :

لا تعاشر معشرا ضلوا الهدى فَسَواءٌ أقبلُوا أم أدْبَرُوا
بدت البغضاء من أفواههم والذى يخفُونَ منها أكثرُ

وقول القاضى منصور الهروى [من الطويل] :

ومنتقبٍ بالورد قَبَّلْتُ خدَّهُ وما لفؤادى من هَوَاهُ خَلاصُ
فأعْرَضَ عنى مُغْضَباً قلت لا تجُرْ وقَبِّلْ فمى إن الجروح قصاصُ

وقول أبى الفضل عبد الله بن محمد الحبرى [من الكامل] :

أشكو الأقارب لا يغبُّ جفاهم يبغى أذاى صغيرُهم وكبيرُهُمْ
هُمْ يُعْلنون لَدَى اللقاء مَوَدَّتى والله يَعْلَمُ ما تُكِنّ صُدُورُهُمْ

وقول أبى منصور عبد الرحمن بن سعيد [من الخفيف] :

خلة الغانيات خلة سوء فاتقُوا الله يا أُولى الألباب
و إذا ماسألتموهنّ شيئاً فاسألوهنّ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب

وقول الحكيم [من الوافر] :

سَبَقْتَ العالمين إلى المعالى بصائب فكرة وعلوِّ هِمَّهْ
ولاحَ بحكمتى نورُ الهدىٰ فى ليالٍ للضلالَةِ مُدْلَهِمَّهْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يريد الجاهلون ليُطْفِئُوهُ ويأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّهْ

وقول أبي عبد الله الأبيوردي [من الوافر] :

أردْتُ زيارة الملكِ المُفَدَّى لأمْدَحَهُ وآخذ منه رفْدَا
فعَبَّسَ حاجباً فقرأتُ : أما مَنِ استَغْنى فأنت له تَصَدَّى

وقول الخباز البلدي [من الطويل] :

كأن يميني حين حاوَلْتُ بَسْطَهَا لتَوْديعِ إلفي والهَوَى يَذْرِفُ الدَّمْعَا
يمينُ ابن عمرانٍ وقد حاول العَصَى وقد جُعِلت تلك العصي حَيَّةً تَسْعَى
وقائلة هل تملكُ الصبرَ بعدهم فقلت لها لا والذي أخرج المرعى

وقوله [من الكامل] :

سار الحبيبُ وخلّف القَلْبَا يُبْدِي الغرام ويظهر الكربا
قد قلت إذ سار السَّفينُ به والشوقُ يَنْهَبُ مُهْجتي نَهْبَا
لو أن لي عزّاً أصول به لأخذت كل سفينة غصبا

وقول الأستاذ أبي محمد العبد الكاني [من المتقارب] :

إذا كنت متخذاً ضَيْعَةً فإياك والشركاء الوُجُوهَا
ودار الملوكَ فإن الملوكَ إذا دخلوا قَرْيَةً أفسدوها

وقول الأمير نصر الدين أحمد الميكالي [من المقتضب] :

ياقَوْمَنا لا تُضيعُوا ذمامَ كلِّ حميم
ولا تخُلُّوا جُحُوداً بحق خلّ قديم
وذكروا النفس حقاً بقول رب رَحيم
إني أخافُ عليكم عذاب يوم عظيم

وقول بعضهم يهجو بخيلا [من الهزج] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رأى ضَيْفُكَ فى الدار وكَرْبُ الجوعِ يَغْشَاهُ
على خبزك مكتوباً سَيَكفيكهمُ الله

وقول محمد بن نصر الباخرزى [من الخفيف] :

وفتـاة ألبَسْتُهَا من ثيـابى مَلْبَساً فيـه نزْهَةٌ ونَعيمُ
غَدَرَتْ بى وغادرتنى وحيداً إن رَبِّى بكيـدهن عليمُ

وقول المطوعى [من السريع] :

انظر إلى وجه صديق لَنَا كَيْفَ محا الشَّوْكُ به النَّقْشَا
قد كتب الدهر على خده بالشَّعْرِ (والليل إذا يغشى)

وقول الأديب شهاب الدين أحمد الأمشاطى [من الوافر] :

وفَتَّاكِ اللواحظِ بَعْدَ هَجْرٍ حَبَا كَرَماً وأنعَمَ بالمَزارِ
وظلَّ نهارَهُ يرمى بقلبى سِهَاماً من جفون كالشفـار
وعنـد النوم قلت لمقلتَيْهِ وحكم النوم فى الأجفان سارى
تبارَكَ من توَفَّاكم بليلٍ ويعلم ما جرحتم بالنهارِ

وقول شيخ شيوخ حماة [من البسيط] :

يا نَظْرَةً ما جَلت لى حُسْنَ طلعته حتى انْقَضَتْ وأدامتنى على وَجَلِ
عاتَبْتُ إنسان عينى فى تَسَرُّعِهِ فقال لى (خلق الانسان من عَجَلِ)

وقوله أيضاً [من السريع] :

أدْمَعْتَ عينى فمن أجْلِ ذا بكى على حالىَ مَنْ لا بَكَى
أوْقَعنى إنسانها فى الهوَى (يا أيها الانسان ما غَرَّكا)

وقول ابن نباتة المصرى [من الطويل] :

وأغْيَدَ حارت فى القلوب لحاظه وأسهرَتِ الأجفانَ أجفانُه الوَسْنَى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أجِلْ نظراً فِي حاجبيهِ وَطرْفهِ
تَرَى السحرَ منهُ قَابَ قَوسين أوْ أدْنَى

وقول ابن قرناص [من مجزوء الكامل]:

إنَّ الذينَ تَرَحلوا نزلوا بعينِ ساهرَهْ
أسكَنتهُم فى مقلتى فاذَا همُ بالساهرَهْ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرمل] :

رب فَـلاَّح مليـح قال يا أهل الفتـوَّه
كفلى أضعفَ خَصرى فأعينُـونى بِقـوَّه

وقول الحافظ العلامة ابن حجر العسقلانى [من الكامل] :

خَاضَ العوَاذلُ فِى حَديثِ مَدَامعى
لمـا جرَى كالبَحرِ سرعةَ سَيرِهِ
فَحَبستُهُ لأصُونَ سِرّ هوَاكُمُ
حَتَّى يخُوضُوا فِى حَدِيثِ غَـيرِه

وقد سبق إلى هذا الاقتباس ، الفقيه الواعظ إبراهيم بن سعيد البردشيرى بقوله [من الكامل] :

خالِلْ إذَا خالَلتَ خلا خَيِّراً وَبِهِ تمسك تقتبس من خيرِهِ
واهْجرْ أناساً مهْجرِين أولى جفاَ فالهجْرُ سَامعه دريئة ضيره
وَإذَا رَأيتهم فأعرضْ عنهُمُ حتى يخوضوا فى حديث غيرِهِ

وما أحسن قول بعضهم وأصدقه [من الكامل] :

أما السماحُ فقد مضى وقد انقضي فَتَسَلَّ عنهُ ولاَ تَسَلْ عَنْ خيرِهِ
واسكتْ إذا خاض الوَرَى فى ذكره حتى يخوضوا فى حَدِيث غيرِهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول الآخر [من المتقارب] :

دخلتُ على كافرٍ دارَهُ وأشجارُ بُستَانِهِ زاهرَهْ
وقد وَافَقَ الزهرُ نَقْشَ البساطِ فعينى لما أبْصَرَتْ حائرهْ
جنانٌ تُزَخْرَفُ للكافرينَ ونحن نُحَالُ على الآخرهْ
فان يَكُ فى الحشْرِ حالى كذا فتلك إذاً كَرَّةٌ خاسِرَهْ

وأحسن ابن سناء الملك فى بعض مطالعه بقوله [من الكامل] :

رَحلوا فلست مسائلا عن دارهم أنا باخعٌ نفسى على آثارهم

وما ألطف قول ابن عبد الظاهر فى معشوقه نسيم [من الكامل] :

إن كانَت العشاقُ فِى أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولاَ
فأنا الذى أتلو عليهم ليتنى كنتُ اتخذتُ مع الرسول سبيلاَ

وقول المعمار [من مخلع البسيط] :

ابنُ الجمالىٍّ مَات حقا برّح بى موته وآذَى
وَرحتُ أقرَا عليهِ جهراً يَاليتنى مِتُّ قبل هذَا

ومن أفحش السخف وأقبحه إدراج المفحشين من الشعراء الآيات الشريفة فى أشعارهم على طريق المجون والسخف ، كقول القائل [من السريع] :

أوحى إلى عشاقه طَرْفُهُ هيهاتَ هيهاتَ لما تُوعدونْ
وردفُه ينطق من خَلْفه لمثل ذا فليعمل العاملون

وكقول أبى نواس [من مجزوء الرمل] :

خط فى الأرداف سَطْرٌ فى عروض الشعر موزون
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون

وقول ابن العفيف التلمسانى [من مجزوء الرجز] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يا عاشقينَ حاذِرُوا مبْتسماً عَنْ ثغرِهِ
فطرْفُهُ الساحرُ مُذْ شَككتمُ فِي أمْرِهِ
يُريدُ أنْ يخرجكم مِنْ أرْضِكمْ بِسحرِهِ

والتهاون فى مثل ذلك يجرُّ إلى الانسلال من الدين ، والعياذ بالله تعالى .

ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح القاضى الفاضل [من الخفيف] :

قمتُ ليلَ الصدُودِ إلا قليلاَ ثمَّ رتلتُ ذكركم ترْتيلاَ
ووصلتُ السهادَ أقبحَ وصلٍ وهَجَرْتُ الرقادَ هجراً جميلاَ
مَسمعٌ مَلَّ من سماعِ عَذُولٍ حينَ ألقى عليهِ قَوْلاً ثقيلاَ
وَفؤادٍ قدْ كانَ بينَ ضلوع أخَذَتْهُ الأحبابُ أخذاً وَبيلاَ
قُلْ لِرَاقى الجفون إنَّ لعينى فى بحار الدموع سَبْحاً طويلاَ
ماس عُجباً كأنه مارأى غُصْـــناً طليحاً ولا كَثيباً مهيلاَ
وَحمى عَنْ محبهِ كأس رِيقٍ حينَ أمسى مزاجها زنجبيلاَ
بَانَ عنى فصحتُ فى أثر العيـــس ارْحمونى وأمهلونى قليلاَ
أنَا عبدٌ للفاضل بن علىٍّ قَدْ تبتَّلْتُ بالثنَا تَبْتيلاَ
لا تَسُمْهُ وَعداً بغير نَوَالٍ إنهُ كانَ وَعدُهُ مفعُولاَ
جلَّ عنْ سَائِرِ الخلائق قدْراً فاخترَعنا فى مدحه التنزيلاَ

نعوذ بالله سبحانه من مغالاته وفرط إغراقه ، فان مذهبه فى ذلك مشهور .

ومنه قول البهاء زُهير [من الخفيف]:

وسقانى من رِيقهِ البَارِدِ العذْ بِ كُؤوساً حَوَتْ شَرَاباً طهُورَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بِقوَارير فضةٍ مِنْ ثنَايَا قَدَّرُوها بِلؤلؤ تقـديرَا
وغُيُومٍ مثل الجمان فمَا تنـــظرُ فيهَا شمساً ولا زَمهريرَا
نصب روض وشى النسيم عليه فانبرَى سعيهُ بهِ مشكورَا
أيها الحاسـدُ المفَنِّدُ إمَّا إن تكن شاكراً وإمَّا كَفورَا
كيْفَ تجفو التى يطيرُ بها الهَمُّ وَإنْ كانَ شَرُّهُ مُستطيرَا

وهذا النوع محظور ، وقد تجاوز فيه بعض العلماء ، وتجنُّبُه أولى بالأدب .

ومن الاقتباس من الحديث قول الصاحب بن عباد [من الوافر] :

أقولُ وقدْ رَأيتُ لهُ سجايَا منَ الهجرانِ مُقبلةً إلينَا
وقدْ سحَّتْ عزَاليها بِهَطْلٍ حَوَالينَا الصُّدُودُ ولاَ علينَا

وقول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلى [من السريع] :

ومُنكرٍ قتلَ شهيدِ الهوَى ووجههُ ينبىء عنْ حالهِ
اللونُ لونُ الدَّمِ منْ خدِّهِ والريحُ رِيحُ المسكِ من خَالهِ

وقول أبى جعفر الأندلسى الغرناطى [من الرمل] :

لاَ تُعَادِ الناسَ فى أوْطَانِهمُ قَلَّمَا يُرْعى غريبُ الوَطنِ
وَإذا ما شئتَ عيشاً بينهُمْ خَالِقِ الناسَ بخُلْقٍ حَسَنِ

وقول أبى الحسن الباخرزى صاحب دمية القصر [من البسيط] :

ياحادِيَ العيس رفقاً بالقوَارِيرِ وَقِفْ فليسَ بعارٍ وقفةُ العيرِ
وَاحلبْ مآقِيَ عينٍ طالما قطرَتْ حمرَ الدموعِ على البيضِ المقاصيرِ

اقتبسه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لأنجشة ، وكان يحدو بالإبل التى عليها نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع : « يا أنجشةُ رُوَيدكَ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بسوقك بالقوارير » شبه النساء بها لضعف عزائمهن ، وقلة دوامهن على العهد ، لأن القوارير يسرع إليها الانكسار ولا تقبل الجبر .

ومن الاقتباس فى صناعة الحديث قول ابن جابر [من الطويل] :

أرادَتْ على دَعوَى المحبةِ شاهداً ... فقلتُ لها هذى دُموعى فاسألى

فقالَتْ لها جُرْحٌ بخدكَ بيِّنٌ ... فتلكَ شهودٌ عندنا لم تعدَّلِ

وإنَّ حديثَ الدَّمع عندى مُرْسَلٌ ... وليسَ علىَ ما أرْسلوا منْ مُعوَّلِ

فياً عَجباً منْ حسنها وَهْوَ مالكٌ ... ومُرْسَلُ دَمعى عندَهُ غير مُهملِ

ومن الاقتباس فى علم الخلاف ، قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

عَرَضُ الحبِّ دُونَ جوهرِ ذَاكَ الثغر منْ أعظمِ المحالِ فجُودِى

أجمعَ الناظرُونَ فِى ذَاكَ أنْ لا ... عَرَضٌ دُونَ جَوْهَرٍ فِى الوُجُودِ

وقوله أيضاً فى الاقتباس من الأصول [من الخفيف] :

جئتها طالباً لسالفِ وَعدٍ ... فأجابَتْ لَقَدْ جهلتَ الطريقهْ

إنما مَوْعدِى مجَازٌ ! فقلت : الأصل فى سائر الكلام الحقيقهْ

ومن الاقتباس فى الفقه قول المتنبى [من الطويل] :

بَليتُ بِلى الأطلال إنْ لمْ أقفْ بِهَا

وُقوفَ شَحيحٍ ضَاعَ فى التربِ خاتَمُهْ

فمِن تَغْرَمِ الأولى مِنَ اللحظِ مُهْجتى

بِثانيـــةٍ وَالمتلفُ الشىء غَارِمُهْ

وقول بعضهم أيضا [من الوافر] :

أقولُ لِشَادِنٍ فى الحسن أضحَى ... يصيدُ بِلحظه قلبَ الكمىِّ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ملكتَ الحسنَ أجمعَ في نصابٍ فأدِّ زكاةَ منظرِكَ البهيِّ (١)
فقالَ أبو حنيفةَ لي إمامٌ يرى أن لا زكاةَ على الصبيِّ
فإنْ تكُ مالكيَّ الرأي أو مَنْ يرى رأيَ الإمام الشافعيّ
فلاتكُ طالباً مني زكاةً فإخراجُ الزكاة على الوصيِّ

وقول ابن جابر الأندلسي [من الطويل]:

طلبتُ زكاةَ الحسنِ منها فجاوبَتْ إليكَ فهذا ليسَ تُدرِكُهُ مِنِّي
عليَّ ديونٌ للعيون فلا ترُمْ زكاةً فإنَّ الدَّينَ يُسقطها عني

وقول القاضي عبد الوهاب المالكي [من السريع]:

يزرعُ وردًا ناضراً ناظري في وجنةٍ كالقمرِ الطالعِ
فلم حرمتمْ شفتي قطفَهُ والحكمُ أنَّ الزرعَ للزارعِ

وقوله أيضا [من الطويل]:

ونائمةٍ قبلتُها فتنبهتْ وقالتْ تعالوْا فاطلبُوا اللصَّ بالحدِّ
فقلتُ لها إني فديتكِ غاصبٌ وما حكمُوا في غاصبٍ بسوى الرَّدِّ
خُذيها وكُفِّي عنْ أثيمٍ ظُلامةً وإنْ أنتِ لم ترضَيْ فألفٌ على عدِّ
فقالتْ قصاصٌ يشهدُ العقلُ أنه على كبدِ الجاني ألذُّ من الشهدِ
فباتتْ يميني وهي همیانُ خصرها وباتتْ يساري وهي واسطةُ العقدِ
فقالتْ ألم أُخبَرْ بأنكَ زاهدٌ فقلتُ بلى مازلتُ أزهد في الزهدِ

وقول صدر الدين ابن الوكيل [من البسيط]:

---

(١) حفظي أن بين هذا البيت والذي بعده بيتا آخر، وهو قوله:

وذاك بأن تجود لمستهام برشف من مقبلك الشهي

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يَا سَيِّدِى إنْ جَرَى مِنْ مَدْمعِي وَدَمِى
للعينِ والقلبِ مسفوحٌ وَمسقوكُ
لاَ تخشَ مِنْ قَوَدٍ يُقْتَصُّ منكَ بهِ
فالعينُ جَارِيَةٌ وَالقلبُ مملوكُ

وقول الصاحب بن عباد [من الكامل]:

ومُهَفْهفٍ يُغنى عَنِ القمرِ قَمَرَ الفؤادَ بفاترِ النظَرِ
خالستهُ تفاحَ وَجنَتِهِ منْ غيرِ إبقاءٍ ولاحذَرِ
فأخَافنى قومٌ فقلتُ لهمْ لاقطعَ فى ثمرٍ ولاَ كثَرِ

وقول أبى الفتح البكتمرى [من الكامل]:

ردُّوا الهدُوَّ كما عهدْتُ إلى الحَشَا والمقلتين إلى الكَرَى ثم اهجرُوا
من بعدِ ملكى رُمْتُمُ أنْ تغدِرُوا ماَ بعدَ فرْقة بيْنَ تَخيُّرُ

ومن الاقتباس فى علم المنطق قول ابن العفيف [من المنسرح]:

للمنطقيِّين أشتكى أبَداً عَينَ رَقيبِ فَليتهُ هجعاَ
حاذَرَهاَ مَنْ أُحبهُ فأبَى أن نختلى ساعةً وَنجتمعَا
كيفَ غدَتْ دائماً وماَ اتصلَتْ مانعةَ الجمعِ والخلو معاَ

وقول ابن جابر الأندلسى [من المنسرح]:

مُقدماتُ الرَّقيبِ كيفَ غَدَتْ عندَ لقاء الحبيبِ مُتصلهْ
تمنعنا الجمعَ والخلُوَّ معاً وَإنما ذَاكَ حكمُ مُنفصلهْ

وقوله أيضا [من الطويل]:

قياسُ غرَامى صادقٌ مَعَ أنهُ تركَّبَ منْ تلكَ العيون السوالبِ
وقدْ حكموا أنَّ السوَالبَ كلما تركبَ منها لايُرَى غيرُ كاذبِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول نجم الدين الدارمينى [من الكامل] :

لاَ تَخطَبَنَّ سِوَى كَرِيمةِ مَعشرٍ فالعِرْقُ دسَّاسٌ منَ الطرفينِ
أولستَ تنظرُ فى النتيجةِ أنها تبعُ الأخسِّ منَ المقدمتينِ

ومن الاقتباس فى علم النحو قول المتنبى [من الطويل] :

إذا كانَ ما تنويه فعلاً مُضارعاً مضىَ قبلَ أنْ تلقى عليهِ الجوازمُ

وقول نجم الدين القحفارى الحنفى [من السريع] :

أضمرتُ فى القلبِ هَوَى شادِنٍ مشتغلٍ فى النحوِ لاَ يُنْصِفُ
وصفتُ ما أضمَرْتُ يوْماً لهُ فقَالَ لى المضمرُ لاَ يُوصَفُ

وقول أبى إسحاق الأندلسى الاشبيلى [من الخفيف] :

ليتنى نلتُ منهُ وصلا وأجلتْ ليلةُ الوصلِ عنْ صباحِ المَنُونِ
وقَرَأنا بابَ العناق مُضافاً وحذفنَا الرَّقيبَ كالتنوينِ

وقول ابن مَمَّاتى [من السريع] :

وَأهيفٍ أحْدَثَ لى نحوُهُ تعجباً يُعربُ عنْ ظرْفهِ
علامةُ التأنيثِ فى لحظهِ وأحرُفُ العلةِ فى طَرْفهِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من الكامل] :

قالَتْ وقد حاولتُ نيلَ وصالها منْ غيرِ شىءٍ لاَ تجوزُ المسألهْ
باللهِ قُلْ لى أيْنَ نحوكَ يَافتَى أوَأيتَ موصُولاً يجىء بلا صِلهْ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدَّتْ بغير ضرُورةٍ ولقبلُ مَعرفتى بهـا مقصورَه
إنَّ الخليل و إنْ دَعته ضرُورة لمْ يرْضَ ذَكَ فكيف دُونَ ضرُورَه

وقول أبى جعفر الأندلسى [من الكامل] :

قد كان لى أُنسٌ بطيبِ حديثكم والآنَ صارَ حديثكم برسُولِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولقد مَدَدتَ منَ النوَى مقصورَهُ إنَّ الخليلي يراهُ غيرَ جميل

وقوله أيضاً [من الكامل] :

ما للنوَى مُدَّتْ وأنتَ خليلنا ولقبل قد قصُرَتْ برغم الكاشح

أتبعتَ فِي ذَا مَذهباً لا يُرتضَى نقداً وليسَ الرَّأيُ فيه بصالح

وقال محاسن الشوله [من المتقارب] :

أرَى الصفحَ وردَّ منهُ القذَالاَ وأوسعَ فِي أخدَعيه المجَالاَ

وأسلاه عَنْ حب ذاتِ اللمَى وإنْ هِيَ راقَتْ وَفاقَتْ جمَالاَ

فإنْ كانَ قدْ حالَ ما بينهُ وبينَ الحبيبة صفحٌ توَالَى

فقد يحدثُ الظرْفُ بينَ المضاف وَبينَ المضافِ إليه انفصالاَ

وقول ابن الوردى [من مجزوء الرجز] :

وأغيدٍ يسألنِي ما المبتدَا والخبرُ

مَثَّلهما لى مُسْرعاً فقلتُ: أنتَ القمَرُ

وقول ابن أبى الأصبع [من الطويل] :

أيا قمراً من حُسْنِ وجنته لنا وظل عِذَارَيْهِ الضُّحَى والأصائِلُ

جَعَلْتُكَ بالتمييز نَصْباً لناظرى فَهَلاَّ رفَعْتَ الهجرَ والهجرُ فاعِلُ

ومن الاقتباس فى علم العروض قول ابن جابر الأندلسى [من البسيط] :

إن صدَّ عنى فانى لا أعاتِبُهُ فما التنافُرُ فى الغِزْلان تنقيصُ

شوقى مَدِيدٌ وحبي كامِلٌ أبداً لأجل ذلك قلبى فيه مَوْقُوصُ

وقوله أيضاً [من الكامل] :

سَبَبٌ خَفِيفٌ خَصْرُها ووراءها مِنْ رِدْفِهَا سببٌ ثقيلٌ ظاهرُ

لم يجمَعِ النوْعانِ فى تركيبها إلا لأن الحسنَ فيهما وافرُ

ومن الاقتباس فى علم الحساب قول ابن جابر أيضا [من الخفيف] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قُسِمَ القلب فى الغرام بلحظ يَضْرِبُ القلب حين يرسل سَهْمَهْ
هـنه فى هَوَاه يا قومِ حالى ضاعَ قلبى ما بين ضَرْب وقِسْمَهْ

ومن الاقتباس فى علم الخط قول بعضهم [من الوافر] :

بوَجه معذِّبى آياتُ حُسْنٍ فقلْ ما شئتَ فيه ولا تُحَاشِى
فنسْخَةُ وَجهِهِ قُرِئت فصَحَّتْ وها خط الكمال على الحواشى

وهذا القدر كاف فى الاقتباس ، إن شاء الله تعالى .

* * *

٢١١ — على أنّى سأنشِدُ عِنْدَ بَيْعِى أضَاعُونِى وأىّ فَتًى أضَاعُوا

شاهد التضمين

البيت للحريرىّ ، من قصيدة من الوافر ، أوّلها :

لَحَاكَ الله هل مِثْلِى يُبَاعُ لكِنَّا تَشْبَعَ الكرشُ الجِيَاعُ
وهَلْ فى شِرْعة الانصاف أنى أكلَّفُ خُطَّةً لا تُسْتطاع
وأن أُبْلَى بَرَوْعٍ بعد رَوْعٍ ومثلى حين يُبْلَى لا يُرَاعُ
أمّا جرَّبْتنى فخَبَرْتَ منى نَصَائح لم يُمازجْهَا خِدَاع
وكم أرْصدْتَنى شَرَكاً لصَيْدٍ فَدُمْت وفى حَبَائِلِىَ السِّبَاع
ونُطْتَ بِىَ المصاعِبَ فاستقادت مُطَاوعةً وكان بها امتناعُ
وأى كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكُنْ لى فيه باعُ
وما أبْدَت لىَ الأيامُ جُرْما فيكشف عن مُصَارَمتى القناعُ
ولم تَعْثر بحمد الله منى على عيبٍ يكتمُ أو يُذَاعُ
فأنّى ساغ عندَكَ نَبْذُ عهدى كما نُبِذَت برايتها الصُّنَاعُ
ولِمْ سمحَتْ قرونُكَ بامتهانى وأن أُشْرَى كما يشرَى المتاعُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وهلا صُنْتَ عِرْضى عنه صَوْنى حديثك حين جَدَّ بنا الوداعُ
وقلتَ لمن يساومُ فىَّ : هذا سكاب فلا يُعَارُ ولا يُبـاعُ(١)
فَمَا أنادونَ ذَاكَ الطِّرْفِ لـكن طِباعُكَ فوقها تلْكَ الطِّباعُ

و بعده البيت

والشاهد فيه : التضمين ، وهو أن يُضَمن الشاعر شيئاً من شعر الغير ، مع التنبيه عليه ، إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء ، و إن كان مشهوراً فلا حاجة إلى التنبيه ، فالمصراع الثانى من البيت للعَرْجىِّ من أبيات قالها فى حَبْسِهِ ، وهى [من الوافر] :

أضَاعونِى وأىّ فتىً أضاعوا ليوم كَرِيهَةٍ وسِـدادِ ثَغْرِ
وصَـبْرٍ عند مُعْتَرَكِ المَنَايَا وقد شَرَعَتْ أسِنَّتُهابنَحْرِى
أجَرِّرُ فى المجـامع كل يومٍ فيا للهِ مظلمتى وصبرى
كأنى لم أكن فيهم وسـيطاً ولم تك نسبتى فى آل عمرو

والـكريهة : من أسماء الحرب ، وسداد الثغر هو بكسر السين فقط .

وقد ضمنه النميرى الغرناطى فقال [من الوافر] :

له شَفَةٌ أضاعوا النَّشْرَ منها بلثم حين سَدَّتْ ثَغْرَ بَدْرِى
فما أشهَى لقلبى ما أضاعوا ليوْم كريهة وسـدادِ ثغر

ومن لطيف ما يذكر هنا أن رجلا قدم ابنه إلى القـاضى ليحجر عليـه ،

---

(١) يشير بهذا إلى قول شاعر أراد أحد الأمراء أن يأخذ فرسا له اسمها سكاب :

أبيت اللعن إن سكاب علق نفيس لا يعـار ولا يبـاع
مفـداة مكرمة علينـا يجاع لها العيال ولا تجاع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها ومنعكها بشىء يستـطاع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وابن أبي الأصبع سمى هذا النوع إيداعا، وفرق بينه و بين التضمين فقال الابن : كيف تحجر على وأنا أحفظ القرآن ؟ فقال الأب : أصلحك الله ! إن كان يحفظ آية من كتاب الله فلا تحجر عليه، فقال له القاضي : اقرأ، فقال [من الوافر] :

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فقال الأب: أصلحك الله ! إن قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه، فحجر عليهما معا.

وقد تقدمت ترجمة كل من الحريري والعرجي في هذا الفن الثالث ولله الحمد.

* * *

من شواهد التضمين

٢١٢- إذا الوَهْمُ أبْدَى لِي لَمَاها وثَغْرَها تَذَكَّرْتُ ما بين العُذَيْبِ وبَارِقِ
وَيُذْكِرُنِي مِنْ قَدِّها ومَدَامِعِي مَجَرَّ عَوَالِينَا ومَجْرَى السَّوابِقِ

البيتان لابن أبي الأصبع، من الطويل

والعذيب : ماء من مياه العرب، وبارق : من ديارها

والشاهد فيهما : التضمين، فان المصراعين الأخيرين منهما مطلع قصيدة، لأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة، ويذكر وقعته ببني عقيل، فنقلهما ابن أبي الأصبع من الحماسة إلى الغزل،

والبيتان المذكوران من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

أعِرْ مقلتي إن كنت غير مُوافِقِي دُموعاً لتبكي فَقْدَ حِبٍّ مُفَارِقِ
فقد نَضَبَتْ يومَ الوداع مَدَامعي وشابت لتشتيت الفراق مَفَارِقِ

وقد ضمنه ابن مطروح بقوله [من الطويل] :

إذا ما سقاني ريقَهُ وَهْوَ باسِمٌ تذكرت ما بين العذيب وبارق

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والاستعانة والعنوان بأن التضمين يقع فى النظم والنثر، ولا يكون إلا بالنثر، ويكون من المحاسن والعيوب، لكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع فى النظم بالنظم، وأما الايداع والاستعانة — وإن وقعا معا فى النظم والنثر — فلا يكونان إلا بالنظم، دون النثر، وأما العنوان فانه يقع فى النظم والنثر، ولا يقع بالنثر، ولا يكون إلا من المحاسن دون العيوب، فعلى هذا يكون ما ذكر من الشواهد هنا يسمَّى إيداعا لا تضمينا.

وحيث ذكرنا الاستعانة والعنوان فلا بأس بذكر شىء من شواهدهما، تتميما للفائدة، ثم نرجع إلى ما نحن بصدده

الاستعانة وأمثلتها

فالاستعانة: أن يستعين الشاعر ببيت لغيره فى شعره، بعد أن يوطىء له توطئة لائقة به، بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته، وخصوصاً أبيات التوطئة، وكذلك الناثر، إلا أن يكون البيت لنفسه؛ فيسمى تشهيراً

فمن أمثلة الاستعانة فى الشعر قول الحارثىّ [من الطويل]:

وقائلةٍ والدمعُ سَكْبٌ مُبَادِرُ ... وقد شَرِقَتْ بالماء منها الْحَاجِرُ
وقد أَبْصَرَتْ نُعْمَانَ من بَعدِ أَنْسِهَا ... بنا وهى منا مُوحشات دَوَائِرُ
(كأن لم يكن بين الحَجُون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكة سامِرُ)
فقلت لها والقلب منى كأنما ... يُقَلِّبُه بين الجوانح طائرُ
(بلى، نحنُ كنَّا أهْلَهَا فأبادنا ... صروفُ الليالى والجدودُ العواثرُ)

فاستعان ببيتى خرقة بنت تبع[1].

وقول ابن أبى الأصبع يهجو يهوديا طبيبا [من الطويل]:

رأيت أبا الخير اليهودىّ ماسكاً ... بقارُورة كالوَرْسِ راق حليبُهَا
وقد رشَّ منها فوق صَفْحَةِ خدِّه ... وقال لقد أحيا فؤادى طِيبُهَا
فقلت له: ما هذه؟ قال: بَوْلَةٌ ... لأسْوَدَ يشفى الداء منى قَضِيبُهَا

(١) المشهور ان البيتين لمضاض بن عمرو الجرهمى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما هَوَى كل نَفْسٍ أين حل حبيبها

قال ابن أبي الأصبع : ولا يضر تصحيف الحرف وتحريفه من الكلام المتقدم ليدخل فى معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة، كما فعلت ببيت من الحماسة حين قلت [من الطويل] :

إذا ما خليلٌ صدّ عنك مَلَالَةً وأصْبَحَ من بعد الْوَفا وَهْوَ غادرُ
فلا تَحتَفِلْ واستَغْنِ بالله إنه على أن تُرَى عنه غَنِيًّا لقادِرُ
وَهَبْه كشيء لم يكن أو كَنَازِح به الدارُ أو مَنْ غَيَّبَتْهُ المَقابرُ

فان هذا البيت كان نسيبا وكان أوله « فيها » فحرفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل فى معناى .

قلت : تقدم ذكر هذا البيت فى شواهد التقسيم ، وأنه لعمر بن أبى ربيعة المخزومى .

العنوان وأمثلته

وأما العنوان فهو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو هجاء أو مديح أو عتاب أو غير ذلك ، ثم يأتى لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة أو قصص سالفة كقول أبى نواس [من البسيط] :

يا هَاشِمُ بْنَ خديجٍ لَيْسَ فخركُمُ بقَتْلِ صهرِ رسولِ اللهِ بالسَّدَدِ
أدرجتم فى إهاب العير جُثَّتَهُ لبئس ما قدَّمت أيديكمُ لِغَدِ
إن تَقْتُلُوا ابْنَ أبى بكرٍ فقد قَتَلَتْ حُجْراً بدارَةِ مَلْحوبٍ بَنو أسَدِ
وقد أصابَ شراحيلا أبو حَنَشٍ يَوْمَ الكُلَابَ فما دافَعْتُمُ بيَدِ
ويَوْمَ قَلَّم لعَمْرٍو وهو يَقْتُلكم قَتْلَ الكلابِ لَقَدْ أبْرَحْتَ بالولد
ويَوْمَ كِنْدِيَّةٍ قالت لِجارَتِها والدمع يَنْهَلُّ من مَشْنًى ومن وَحَدِ
أَلْهَى امْرَأَ القَيْسِ تشبيبٌ بغانِيةٍ عن ثأرِهِ وصِفاتُ النؤى والْوَتِدِ

فاشتملت هذه الأبيات على عدة عنوانات ، منها قصة قتل محمد بن أبى بكر

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

الصديق رضى الله عنهما ! وقتل حجر أبي أمرىء القيس [١] وقتل عمرو بن هند كندة فى ضمن هجاء من أراد هجاءه ومعيرة المهجو بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم .

ومثل ذلك قول أبى تمام لأحمد بن أبى دؤاد [من الوافر] :

تَنَبَّتْ ، إن قولا كان زوراً أتى النعمان قَبْلَكَ فى زيادِ
فأرَّث بين حى بنى جلاح لَظَى حَرْب وحى بنى مصادِ
وغادرَ فى صُدُور الدهْرِ قتلى بنى بدر على ذات الأصادِ

فأتى بعنوان يشير إلى قصة النابغة حين وشى به الواشون إلى النعمان ، وما جرى فى ذلك من السعى للحروب التى انطوت عليها قطعة من أيام العرب .

وهذا القدر كاف فلنرجع إلى ما كنا بصدده فنقول :

عود إلى التضمين

ثم التضمين تارة يكون ببيت فما فوقه ، أو بمصراع فما دونه ، فمن إنشادات ابن المعتز فيه [من السريع] :

عَوَّذَ لما بتُّ ضيفاً لهُ أقراصَهُ منى بياسِينِ
وعَوَّذَ الماء بسُمْرِ القنا وبالأفاعى والثعابين
فبت والأرض فراشى وقد غنت قفا نبك مَصَارِينى

والأحسن فى هذا النوع صرفه عن معناه الأول ، فمن ذلك قول أبى الحسن حازم فى تضمين قصيدة امرىء القيس وقد صرف معانيها إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم [من الطويل] :

لعينيك قُلْ إن زرْتَ أفضل مرسل (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)

---

(١) فى المطبوعتين « وقتل حجر بن امرىء القيس » وارجع إلى شرح الشاهد الأول من شواهد هذا الكتاب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وفى طيْبَةَ فانزل ولا تغش منزلا (بسقط اللوى بين الدخُول فحومل)

ومن أبدع ماله فيها :

نبىّ هُدًى قد قال للكُفْرِ نورُه (ألاَ أيها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا انجلى)

تلاَ سُوَراً ما قولها بمعارضٍ (إذا هى نَصَّنه ولا بمُطَل)

لقد نَزَلَتْ فى الأرض حلة هَدْيِه (نزول اليمانى ذى العباب المحوّل)

أتَتْ مَغْرِباً من مشرق وتعَرَّضَتْ (تعرّضَ أثناءِ الوشاح المفصَّل)

ففازت بلادُ الشَّرْقِ من زينةٍ بها (بِشِقٍّ وشِقٍّ عندَنَا لم يُحَوَّل)

وقد تلاعب الشعراء بتضمين هذه القصيدة ، فمن ذلك قول أبى منصور العبدونى :

أكتاب ديوانِ الرسائلِ مالكُمْ تحمَّلْتُم بل مُثِّمُ بالتحمل

وأرزاقكمُ لا تستبين رُسومها (لما نَسجَتها من جَنُوب وشمأل)

إذا ماشكا الأفلاسَ والضرّ بعضكم (تقولون لا تهلِكْ أسًى وتجمَّل)

خُلِقْتُمْ على باب الأمير كأنَّكم (قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل)

ومما كتب به الصلاح الصفدىّ إلى ابن نُباتة :

أفى كل يَوْمٍ منك عَتْبٌ يَسُوءُنى (كُجلمُودِ صَخْرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ)

وترْمى على طول المدى متجنِّبا (بسهميْكَ فى أعشار قلبٍ مقتَّلِ)

فأمْسِى بليلٍ طالَ جُنْحُ ظلامِهِ (على بأنواع الهموم ليبتلى)

وأغدو كأن القلب من وَقْدَةِ الجوَى (إذا جاشَ فيه حَمْيُهُ غَلْىُ مِرجَلِ)

تطيرُ شظاياه بصدرى كأنها (بأرجائه القصوى أنابيشُ عُنْصُلِ)

وسالت دموعى من هُمُومى ولوْعتى (على النحر حتى بَلَّ دمعى محملى)

ترَفَّقْ ولا تجزَعْ على فائتِ الوَفا (فما عندَ رسمٍ دارسٍ من مُعوَّلِ)

فى أبيات . . . .

فأجابه ابن نباتة متهكما فى المطلع بقوله :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فطمت ولاثى ثم أقبلت عانباً (أفاطِمُ مَهْلاً بعض هذا التدلُّلِ)
برُوحيَ ألفاظ تعرض عَتْبُها (تعرُّضَ أثناء الوشاح المفصَّلِ)
فأحييْتَ ودًّا كان كالرسم عافيا (بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
تُنَفِّي رياحُ العذلِ منك رُقُومَه (لما نسجتها من جَنُوب وشمأل)
نَعَمْ قوضَتْ منك المودَّة وانقضَتْ (فيا عَجَباً من رَحْلِها المتحمَّل)
أمَوْلاىَ لا تسلُكْ من الظلم والجفا (بنا بَطْنَ خَبْتٍ ذى قِفَاف عَقَنْقل)
ولا تنس منى صُحْبةً تصدع الدجى (بصبح وما الاصباح منك بأمثل)

وهى طويلة ، يقول فى آخرها :

فدونك عَتْبِي اللَّفْظُ ليس بفاحشٍ (إذا هى نَصَّتْهُ ولا بمعطلِ)
وعاداتُ حب هن أشهر فيك من (قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل)

ومن التضمين الغريب ما اخترعه الصاحب فخر الدين بن مكانس فى مداعبة رجل من أصحابه كان كبير الأنف ، وهو [من الطويل] :

تأنف عن وَصْفِ الغزال تَغَزُّلى بلحية أنف ذى عِقَاصٍ ومُرْسَلِ (١)
من البق فيها جُمْلة قد تعرضت (تعرض أثناء الوشاح المفصل)
فيا قبحَ شعر فوق أنفٍ معرَّقٍ (أثيث كقِنْوِ النخلةِ المتعثكل)
وقالوا اختبىء فى شعره فكأنه (كبير أناسٍ فى بجادٍ مزَمَّلِ)
ترى القمل والصئبان فى عَرَصاتها (وقيعانها كأنه حبُّ فلفل)

إلى أن قال :

(١) آخر هذا البيت من قول امرىء القيس ، وهو الشاهد الأول :
غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص فى مثنى ومرسل

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وكم قلت إذ أرخى ذوائبَ أنفهِ (على بأنواع الهموم ليبتلى)
(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلى بصبح وما الاصباح منك بأمثل)
كأن الفُسَا إن قيسَ مَعْ ريح أنفه (نسيم الصبا جاءت بَرَيَّا القرنفل)
ترى شعراتِ الأنف سدتْ خدودهُ (لما نسجتها من جنوب وشمأل)
وقد دَرَست بالأنف آثارُ وجهه (فهل عند رسم دارسٍ من معول)
كأنِّي بموْلاَنَا عَلىَ وَصف أنفهِ (تولَى بأعْجاز وناء بكلكل)
وَجرّد شَعْرَ الأنفِ منا وجاءنَا (بمنجردٍ قيدِ الأوَابدِ هيكلَ)
(مكرّ مفرّ مقبل مُدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علَ)

ومن ظريف التضمين قول أبي الحسين الجزار، مضمنا قصيدة امرىء القيس المذكور[٢] :[١]

قفانبكَ من ذكرى قميص وسرْوالِ وَدُرَّاعةٍ لي قدْ عفاَ رَسْمهاَ البالِي
وَما أنَا مَنْ يبكي لأسماءَ إنْ نأت ولكنني أبكي عَلىَ فقدِ أسمالِي
لوَ آن امرَأ القيس بن حُجْرٍ رَأى الذى أكابدُه مِنْ فرط هَمٍّ وَبلبال
لما مال نحو الخدر خدر عنيزةٍ ولا بات إلا وهوَ عن حبها سالى
ولي من هوى سكنى القياس عن هوى بتوضح فالمقراة أعظم أشغال
ولاسيما والبرد وافى بَرِيدُهُ وحالي على ما اعتدت من عسرة حالى

---

(١) ضمن هذه القصيدة ألفاظا من معلقة امرىء القيس التى أولها :
قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
وألفاظا أخرى من لامية امرىء القيس التى أولها :
ألا عم صباحا أيها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى
بل الأكثر من هذه القصيدة .

(٢) فى أصول هذا الكتاب « قصيدة امرىء القيس المذكورة » ولما كانت حقيقة الأمر ما ذكرنا أصلحناه بحذف التاء

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ترى هل يرانى الناس فى فَرَجِيَّةٍ ... أجُرُّ بها تيهاً على الأرض أذيالى
ويُمْسِى عَدُوِّى غير خال من الأسى ... إذا بات عن أمثالها بيتُه خالى
ولو أننى أسعَى لتفصيل جبةٍ ... كفانى ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكننى أسعى لمجدٍ بجوخةٍ ... وقد يُدْرِكُ المجد المؤثل أمثالى

ومنها :

وكم ليلةٍ أستغفرُ الله بتُّهَا ... بخد وريق بين وَرْدٍ وجِرْيالِ 11
تَبَطَّنت فيها بَدْرَ تم مُشَنَّف ... ولَمْ أتبطَّن كاعباً ذات خلخال

وما أحسن قول ابن نباتة [من الوافر] :

أقول لمعشر جلدوا ولاطوا ... وباتوا عاكفين على الملاح
(ألستم خيرَ من ركب المطايا ... وأندى العالمين بطونَ راح)

وقوله [من الطويل] :

تَصَدَّى إلى إيرى فقلت له اتَّئِدْ ... وحقكَ لو عاينْتَهُ وهو ثائرُ
(رأيت الذى لا كلُّهُ أنت قادرٌ ... عليه ، ولاعن بعضه أنت صابرُ)

وما أحسن قول الناصر البارزى فى هذا المعنى [من الوافر] :

أقول وقد أبى عن أخذ إيرى ... وسالَتْ مِنْ محاجِرِه دُمُوعُ
(إذا لم تستطعْ شيئاً فدَعْهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ)

وقول الاسعردى سامحه الله تعالى [من السريع] :

قال وقد قَصَّرْتُ فى نَيْكه ... سُدَّ فَضَا مَبْعَرَىَ الواسعِ
فقلت يا مولاى عُذْراً فقد ... (اتَّسَعَ الخرقُ على الراقعِ)

ذكرت بهذا التضمين ما حكى عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال له بعض أصحابه فى هزيمته التى قتل فيها يامولانا أين ذلك التدبير، وتلك

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

السياسات ؟ فأنشد [من السريع] :

الثَّوْبُ إن أسرع فيه البلى أعيا على ذى الحيلةِ الصانِعِ
كنا نُدَاريها وقد مزقَتْ (واتسعَ الخرق على الراقعِ)

وقد أبدع ابن نباتة بقوله [من الكامل] :

لم أنْسَ مَوْقفنا بكاظِمة والعَيْشُ مثْلُ الدَّار مُسْوَدُّ
والدمعُ يَنْشِدُ فى مسايله (هل بالطُّلولِ لسائلٍ ردُّ)

وما أحسن قول بعض المغاربة [من الوافر] :

وفرع كان يوعدنى بأسر وكان القلبُ ليس له قَرارُ
فَنَادى وجْهُهُ لاخوفَ فاسكن (كلامُ الليلِ يمْحُوهُ النهارُ)

ومن ظريف التضمين ما حكى أن الْحَيْصَ بَيْصَ الشاعر قتل جرو كلب وهو سكران ، فأخذ أبو القاسم القطان الشاعر كلبة وعلق فى رقبتها قصة وأطلقها عند باب الوزير ، فأخذت القصة من عنقها وأدخلت على الوزير ، فاذا فيها مكتوب [من البسيط] :

ياأهل بغداد إن الحَيْصَ بَيْصَ أتى بخَزْية أورَثَتْهُ العار فى البلدِ
أبدَى شَجَاعته بالليل مجترئاً على جُرَىٍّ ضعيفِ البَطْشِ والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احْتَسَبَتْ دَمَ الأبيلقِ عند الواحدِ الصمَدِ
(أقولُ للنفس تأساءً وتعزيةً إحدَى يَدَىَّ أصابتنى ولم تُرِدِ
كلاهما خَلَفٌ من فَقْدِ صاحبه هذا أخى حين أدعوهُ وذا ولدى)

البيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل أخوها ابناً لها ، فقالتهما تسلية لنفسها .

وما أحسن قول إبراهيم بن العباس الصولى [من البسيط] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أولى البرية طرّاً أن تواسيهُ عند السرور الذى وَاساكَ فى الحَزَن
(إن الكرام إذا ما أيْسَرُوا ذكَرُوا من كان يألَفُهُمْ فى المنزل الخَشِنِ)

البيت الأخير لأبى تمام ، وقد أحسن تضمينه الصاحب بن عباد بقوله [من البسيط] :

أشكو إليك زماناً ظَلَّ يعركنى عَرْكَ الأديم ومَنْ يَعْدُو على الزمَنِ
وصاحباً كنتُ مغبُوطاً بصُحْبَتِه دهراً فغادرنى فَرْداً بلا سَكَنِ
هَبَّتْ له ريحُ إقبالٍ فطارَ بها إلى السرور وألجانى إلى الحَزَنِ
نأى بجانبه عنى وصيَّرَنى مع الأسى ودواعى الشوق فى قَرَنِ
وباع صَفْوَ ودادٍ كنت أقصُرُهُ عليه مجتهداً فى السر والعَلَنِ
وكان غالى به حيناً فأرْخَصَهُ يا من رأى صَفْوَ وُدٍ بيعَ بالغَبَنِ
كأنه كان مَطْوِيّاً على إحنٍ ولم يكن فى قديم الدهر أنشدنى
(إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

وذكرت بهذه الأبيات واقعة الوزير المهلبى مع رفيقه ، وكانت حاله قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسى منها قَذَى عينيه وشَجَا صدره ، فبينا هو ذات يوم فى بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الأدب ، إذ لقى من سفره نصباً ، واشتهى اللحم فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا مَوْتٌ يباعُ فأشتريهِ فهذا العيش ما لا خيرَ فيه (١)

(١) ورد فى المطبوعتين «ألا موتا» والمحفوظ هو ما أثبتناه بالرفع ، مع أن للنصب وجها فى العربية وعليه ورد قول الشاعر :

ألا رجلا جزاه الله خيرا يدل على محصلة تبيت

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إذا أبْصَرْتُ قبراً من بعيد ... وددتُ لَوَ انني فيما يليهِ
ألا رَحِمَ المهيمنُ رُوحَ عَبْدٍ ... تَصَدَّق بالوفاةِ على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد ما سكن قَرَمه ، وتحفظ الأبيات ، وتفارقا ، وضربَ الدهر ضرباته فترقَّتْ حالُ المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة حتى قال [من مجزوء الكامل] :

رق الزمانُ لفاقتي ... ورثى لطول تَحَرُّقي
وأنالني ما أشتهي ... وأقالني ما أتقي
فلأغفِرَنَّ له الكثيرَ من الذنوبِ السُّبَّقِ
حتى جنايتَهُ لما ... فعلَ المشيبُ بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل الدهر ، وثقل عليه بَرْكُه ، وهاضه عَرْكه ، فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قُلْ للوَزير فَدَتْهُ نفسي ... مقالةَ مُذْكِرٍ ما قد نسيهِ
أتذكُرُ إذ تَقُولُ لضَنْكِ عيشٍ ... (ألا مَوْتٌ يباع فأشتريهِ)

فلما نظر فيها تذكره وهزته أريحية الكرم للاحسان إليه ورعاية حق الصحبة فيه ، والجرى على حكم من قال [من البسيط] :

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

فأمر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء » . ثم دعا به ، وخلع عليه ، وقلده عملا يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير ذلك ما حكي أن الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره إلى القاهرة تاجر كان يحسن إليه وهو في رقه ، فلما باعه تنقلت به الأحوال إلى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ما صار إليه، وافتقر التاجر فيما بعد، فحضر إليه إلى مصر، وكتب إليه رقعة فيها [من البسيط] :

كنا جميعَيْنِ فى كد نكابدُهُ ... والقلب والطرف منافى أذًى وقذَى
والآنَ أقبلَتِ الدنيا عليك بما ... تهْوَى فلا تَنْسَنِي (إن الكرام إذا)

فأعطاه عشرة آلاف درهم .

وما أحسن قول بعضهم [من الكامل] :

قد قلت لما أطلعَتْ وجناته ... حول الشقيق الغض روضةَ آسِ
أعِذَارَهُ السارى العجول تَرَفُّقاً ... (مافى وقوفك ساعة من باس)[1]

وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسى فقال [من الكامل] :

ومُوَرَّدُ الوجنات دبّ عِذَارُه ... فكأنه خط على قرطاس
لما رأيت عذاره مستعجلاً ... قد رام يخفى الوردَ منهُ بآس
ناديته قف كى أودع وردَهُ ... (مافى وقوفك ساعة من باس)[1]

ولأبى بكر الخوارزمى فى ابن العميد [من الطويل] :

لئن كنت أضحى من عطَاياكَ شاعراً ... لقد صِرْتُ أمسى من عطاياك مُفْحَمَا
أبيتُ إذا أجريتُ ذِكْرَاكَ مُنْشِداً ... (وأن تعتب الأيام فيها فربما)
ومالى من الأصوات مقترحٌ سِوَى ... (أعالج وجداً فى الضمير مُكتما)

وله فى شمس المعالى قابوس [من الطويل] :

شموس لهن الخدر والبيت مَغْرِب ... فطالعُهَا بالبين والهجر غارب
ولكنما شمس المعالى خلافها ... مشَارِقهُ لَيْسَتْ لهن مَغَارِبُ

---

(١) عجزه صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبى تمام، وهو :

ما فى وقوفك ساعة من باس ... تقضى ذمام الأربع الأدراس

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فما لقبوهُ الشمس إلا وقد روَوْا (فانك شمس والملوك كواكب)

ومن ظريف التضمين قول القاضى أبى عمر القابسى وقد أهديت إليه جارية فوجدها ابنة سرية له ، كان قد تسرى بها ، فردها ، وكتب إلى مهديها [من الكامل] :

يامهدىَ الرشأ الذى ألحاظهُ تركَتْ فؤادى نُصْبَ تلك الأسهُمِ
ريحانةٌ كل المنى فى شمها لولا المهيمنُ واجتناب المحرَمِ
ماعَنْ قِلىً صُرِفَتْ إليك وَإنما صيدُ الغزالةِ لم يُبَحْ للمُحْرِمِ
إن الغزالةَ قدْ عرفنا قَبلها سرَّ المهاة وليْتنا لم نعلمِ
يا وَيحَ عنترَةَ الذى قدْ شفَّهُ ماَ شَفنى فَشدا وَلمْ يَتكلمِ
(يا شاة ما قنصٍ لمنْ حلتْ لهُ حرُمَتْ علىَّ وليتها لم تحرُمِ)

فضمن بيت عنترة ، والعرب تطلق الشاة على البقرة الوحشية ، فكنى بها عن المرأة تشبيهاً لها بها ، ويقال : إن التى عناها كانت زوجة أبيه ، فلذلك حرمت عليه

ومن بديع التضمين ، قول ابى فراس الحمدانىّ يتغزل فى غلام من الفرس [من الخفيف] :

قاَتِلِى شاَدِنٌ رَخيمُ الدلَّالِ كِسرَوِىّ الأعمامِ والأخْوَالِ
كيفَ أرْجُو مِمنْ يَرَى الثأرَ عندِى فَرَجاً مِنْ تعطفٍ أوْ وصاَلِ
ما دَرَتْ أسرَتى بِذِى قارَ أنِّى بعضُ مَنْ جَندَلُوا مِنَ الأبطالِ (١)

(١) ذو قار : يوم كان بين العرب والفرس انتصر فيه العرب انتصارا باهرا . يقول : إن قومى العرب هم الذين قتلونى ، لأنى هذا الغلام الفارسى تسلط على قلبى حتى ذهب به ، فأنا قتيل هذا الغلام الذى أراد أن يأخذ بثأر قومه منى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أيها الملزمي جرائر قومي بعدَ ما قد مضتْ عليها اللَّيالي
(لم أكنْ من جُناتها علمَ اللهُ وإني بحرِّها اليومَ صالي)

والمعنى الذى أراد : أن بنى شيبان ، وهم من ربيعةَ قوم أبى فراس ، كانوا قد هزموا الفرسَ ، يوم ذى قار ، وهو يوم مشهور ، فنزع أبو فراس فى هذه الأبيات منزَعاً ظريفاً ، وذهب مذهباً غريباً . ذكر فيه أن هذا الغلام على تأخر زمانه وزمان أبى فراس عن الذين شهدوا تلك الهزيمة ، ذهب إلى الأخذ بثأر قومه من أبى فراس ، وإن لم يكن أبو فراس من جُناةِ تلكَ الحرب . وأما البيت المضمن فهو من شعر الحارث بن عباد البكرى [1] يقوله فى حرب البسوس بعد أن كان اعتزل الحرب ، فلم يدخل فيها ، إلى أن قتل ابنه بجير ، فلما بلغه قتله ظنَّ أنَّ مهلهلا يقنع به فى دم أخيه كليب ، وقال : نعم القتيل قتيلاً أصلح الله به بين ابنى وائل ، يريد بكراً وتغلب ، وعزم أن لا يطلب بثأره ، إلى أن بلغه أن مهلهلا ، قال له حين قتل : بُؤْ بشِسْعِ نعل كليب ، يريد أنه لا يفى دمه بشىء من دم كليب ، فعند ذلك حمى الحارثُ وغضب وعزم على الدخول فى الحرب ، وقال فى ذلك [من الخفيف] :

قَرِّبا مَرْبطَ النعامةِ مِنِّى لقحتْ حربُ وائلٍ عَنْ حيالِ

إلى أن قال :

لم أكنْ مِنْ جُناتِها علمَ اللهُ وإنى بحرِّها اليومَ صالى

وقد ضمنه شمس الدين التلمسانى ، وأجاد ، بقوله [من الخفيف] :

وعيونٍ أمْرَضْنَ جسمِي وأضْرَمْـ ـنَ بقلبِي لواعجَ البلبالِ
وخدودٍ مثل الرياض زَواهٍ ما لأيامِ حُسنها مِنْ زَوالِ

---

(١) فى الأصول «الحارث بن عبادة» بزيادة التاء ، وهو تحريف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

جلاَ مسوَاكُ ثغرك خيرَ دُرٍّ فجلَّ مذاكَ واكتسبَ المزَايَا
وأنشـــدَ صحبهُ تيهاً وفخراً (أنَا ابْنُ جلاَ وطلاّعُ الثنايَا)

وقال شمس الدين الحلبي فيه [من الوافر] :

جلاَ ثَغراً وأطلعَ لى ثنايَا يسُوقُ بها المحبّ إلى المَنايَا
فأنشدَ ثغرهُ يبغى افتخَاراً (أنَا ابْنُ جَلاَ وطلاَّعُ الثنايَا)

وضمنه الأرّجانيّ ، فقال [من الوافر] :

تغنَّمْ صُحبتى ياصاحِ إنى نزعتُ عن الصبَا إلاّ بقايا
وخالِفْ مَنْ تنَسّكَ من رجال لَقُوكَ بأكبُدِ الابل الأبايَا
ولاتسلكْ سوى طرقى فانى (أنَا ابْنُ جلاَ وطلاَّعُ الثنايَا)

وظريف قول المولى الفاضل على بن مليك فى تضمينه [من الوافر] :

وَمُذْ تاهَ الدليلُ وقَدْ ضللنَا بليلٍ ليْسَ يُهْدَى سالكُوهُ
فأشرَقَ وجهُ مَنْ أهوى ونادَى أنَا ابْنُ جلاَ ألا لاَ تُنكرُوهُ
وَوَجهُ الصبحِ وَافَانَا سريعاً وَقالَ وَقدْ حكاهُ أنا أخُوهُ
فقلتُ لصاحبى أنعمْ صباحاً لَعمركَ قدْ تعارَفَتِ الوُجُوهُ

ومن محاسن السراج الوراق فى التضمين قوله [من الطويل] :

تَوَارى منَ الواشى بليلٍ ذَوائِبٍ لهُ منْ جبين وَاضحٍ تحتهُ فجرُ
فدَلَّ عليهِ شَعرُهُ بِظلاَمِهِ (وَفى الليلةِ الظلماءِ يُفْتَقَدُ البدْرُ)

نقله ابن الصائغ إلى المداعبة وزاده تورية بقوله [من الطويل] :

تطلَّبت جحرا فى الظلام فلم أجد ومن يك مثلى حَيَّةً دأبه الجحر
فنادانى البدر الأديب إلى هنا (وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر)

ومن تضامين مجير الدين بن تميم البديعة قوله [من الكامل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عاينتُ فى الحمّامِ أسْوَدَ وَاثِباً مِنْ فَوْقِ أبْيضَ كالهلالِ المُسفِرِ
(فكأنّما هُوَ زَوْرَقٌ من فِضّةٍ قدْ أثقلتهُ حمُولة من عَنبرِ)

وقوله فى الفانوس [من الطويل]

يقولُ لِىَ الفانُوسُ حِينَ أتَوْا بهِ وَفى قَلبِهِ نارٌ من الوَجدِ تُسْعَرُ
(خُذُوا بِيدِى ثمّ اكشفُوا الثوْبَ تَنظرُوا ضَنىَ جَسَدِى لَكِننّى أتَسَتّرُ)

وقوله أيضاً [من الوافر]:

أزَهْرَ اللوْزِ أنتَ لكلّ زَهرٍ منَ الأزْهارِ يأتينا إمامُ
(لقدْ حَسُنَتْ بِكَ الأيامُ حتى كأنكَ فى فَمِ الدهرِ ابتسامُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لَوْ كنتَ إذْ أبصرْتَها فَوّارَةً للشمسِ فى أمْوَاجِها لألاءُ
لرَأيتَ أعجبَ ما يُرَى من بِركةٍ (سالَ النضارُ بها وقامَ الماءُ)

وقوله أيضا [من الكامل]:

لَوْ كنتَ فى الحمامِ واجِناً علىَ أعطافِهِ وبِجسْمِهِ لألاءُ
لرَأيتَ مَا يسبيكَ منهُ بقامةٍ (سالَ النضار بها وقامَ الماءُ)

وقوله، وهو من تضامينه البديعة [من الكامل]:

أفدِى الذى أهْوَى بِفِيهِ شَارِباً من بِركةٍ رَاقتْ فطابتْ مشرَعَا
أبدَتْ لِعينِى وجههُ وخيالَه (فأرَتنى القمرَينِ فى وقتٍ مَعَا)

وقوله وأجاد [من الطويل]:

وشبّابة قدْ كنتُ أهوَى سماعها وقدْ صرْتُ منها بعد ماتبتُ أنفرُ
وهَا أنَا قَدْ فَارَقتُها غيرَ نادِمٍ (وكم مثلها فارَقتها وهْىَ تصفِرُ)

وقوله [من الطويل]:

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وناطقةٍ بالروح عنْ أمرِ ربها تعبر عما عندها وتترجمُ
سكتنا وقالتْ للقلوب فأطربتْ (فنحن سكوتٌ والهوى يتكلمُ)

ومن تضامين الشهاب محمود البديعة قوله [من البسيط]:

مَنْ حاتمٌ عدِّ عنهُ واطّرِحْ فَبِهِ فى الجود لا بِسواهُ يُضربُ المثلُ
لوْ مُثِّلَ الجودُ سَرْحاً قال حاتمهمْ (لا ناقةٌ لِىَ فى هذا ولا جملُ)

وما أحسن قول ابن العفيف التلمسانى [من السريع]:

قالوا غداً تندمُ عنْ لثمهِ فى خدِّه إذْ يغلبُ السكرُ
فقالَ لِى مبسمهُ دَعهُمُ (اليومَ خمرٌ وغداً أمرُ)

وما أحسن قول العز الموصلى [من الكامل]:

لحديث نبْتِ العارضين حلاوةٌ وطلاوةٌ هامتْ بها العشاقُ
فاذا انتهى المردُ قلت تمهّلوا (فإليكمُ هذا الحديثُ يُساقُ)

وقول ابن نباتة [من الطويل]:

ومُذْ كَلَّمتْ قلبى سيوفُ لحاظها شكوت إليها قصتى وهى تبْسمُ
فلم أرَ بدْراً ضاحكاً قبلَ وجهها ولم ترَ قبـــلى ميتاً يتكلمُ

وقول ابن نميم [من البسيط]:

إنْ تاه ثغرُ الأقاحى إذ نشبهه بثغر حُبكَ واستولى به الطرَبُ
فَقلْ له عندَ مَا يحْكيهِ مُبْتَسماً
(لقَدْ حكيتَ ولكنْ فاتكَ الشَّنَبُ)

وهذا المصراع الأخير لابن الخيمى، من قصيدة طنانة، مطلعها: [من البسيط]:

يا مطلباً ليْسَ لى فى غيرهِ أَرَبُ إليكَ آلَ التقصِّى وانتهى الطلبُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَما طَمحتُ لِمرْأى أوْ لمستمعٍ ... إلا لمعنىً إلى عَلياكَ ينْتسبُ
وما أرَانىَ أهلاً أنْ تواصلنى ... حسبى علوّاً بأنى فيكَ مُكتئب
لـكنْ ينازع شوْقى تارةً أدبى ... وأطلب الوصل لما يضعفُ الأدب
ولست أبرَح فى الحالين ذَا قَلقٍ ... نامٍ وشوقٍ له فى أضْلعى لَهَبُ
ومَدْمع كلما كفكفْتُ أدْمعه ... صَوْناً لذكرِكَ يعصينى وَينسكبُ

إلى أن قال :

والهْفَ نَفْسِىَ لو يجدِى تَلهُّفُهَا ... غوثاً وواحَرَباً لو ينفعُ الحرَبُ
يمضى الزمان وأشْوَاقى مُضَاعَفَةٌ ... يالرجال ولا وصل ولا سَبَبُ
يا بارقاً بأعالى الرَّقمتين بدَا ... (لقد حكَيْتَ ولكنْ فاتَكَ الشَّنَبُ)

وهى قصيدة بليغة بارعة متناسقة فى الحسن والعذوبة ، وكان لما فرغ منها كتبها فى ورقة ، وأومأ بيده ليضعها فى جيبه ، فسقطت ، فمر ابن إسرائيل على أثره ، فرآها فأخذها وقرأها فأعجبته وادعاها لنفسه ، وبلغ ابن الخيمى ذلك فالتهبت ناره ، وامتنع قراره ، وجَدَّ فى استرجاع ابن إسرائيل عن ادعائها ، وهو مُصِرٌّ على ذلك ، فتراضيا على تحكيم ابن الفارض ، والتسليم إليه من غير معارض فلما عرضا عليه أمرهما أمر كل واحد منهما أن ينظم فى وزنها ، فذهبا ثم أتياه فأنشده ابن الخيمى أبياتاً منها [من البسيط] :

مَنْ مُنْصفى من لطيف منهم غَنِجٍ ... لَدْنِ القوام لاسْرَائيل يَنْتَسبُ
مُبَدِّل القول ظلماً لا يفى بمَوَا ... عيد الرجال ومنْهُ الذنب والغضب
فى لَثْغَةِ الراء منْه صدقُ نسبته ... والمنُّ فيه بزور الوَعد والـكذبُ
فَمَنْ عجائبِهِ حدِّثْ ولا حرَجٌ ... ماينتهى فى المليح المنطِقِ العَجَبُ

وأنشده ابن إسرائيل أبياتا منها [من البسيط] .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يا بارقاً ببراقِ الحزنِ لاحَ لنـــا أأنْتَ أم أرسلَتْ أقمارَها النقبُ
ويانَسيماً سَرَى والمسك يَصْحبُه أجُزْتَ حيث مَشَينَ الخرْدُالعربُ
أقْسَمْتُ بالمقسمات الزهر تحجُبُهَا زهرُ العَوَالى والخطِّيَّةُ القُضبُ
لـكدت تشبه برقاً من ثغورِهِمُ يا دُرّ دَمعيَ لولا الظُّلْمُ والشَّنَبُ

فنظر ابن الفارض إلى ابن إسرائيل نظر الازدراء ، وقد كاد يرمى قصيدته بالعراء ، وقال له :

* لقد حكيْتَ ولـكن فاتك الشَّنَبُ *

فقضى له عليه ، وتركه نادماً يعض يديه .

وقد ضمنه بعضهم أيضاً بقوله [من البسيط] :

ويا غزالاً حـكى معنى جَمَالهم (لقدحكيتولـكن فاتك الشنب)

وألم به أبو الثناء محمود الحلبي فقال [من البسيط] :

يا بارق الثغر لولاحَتْ ثغورُهُمُ وشِمْتَ بارقها ما فاتَكَ الشنبُ

وما أحسن قوله بعده :

و يا حيا جادَهُمْ إن لم تكن كلِفاً ما بالُ عينَيْكَ منها الماء ينْسكبُ
ويا قضيبَ النّقا لو لم تجد خبراً عند الصبا منهُم ماهزك الطرب

والصلاح الصفدى بقوله [من البسيط] :

يا بَرْقُ لاتبتسم من ثغره عجباً قدفاتَ معناكَ منهُ الظّلْمُ والشنب

وابن فضل الله بقوله [من البسيط]:

يابَرْقُ وَاْحكِ وَميضاً من ثغورهم وما عليك إذا ما فاتك الشنب

رجعنا إلى التضمين . عود إلى التضمين

ومنه قول إبراهيم الاشبيلى المهتدى [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تأمّلْ لظى شَوْقى وموسى يَشُبُّهُ (تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرَ مُوقِدِ)

ولطيف قول ابن عبد ربه [من الكامل] :

إنَّ الغوانى إنْ رَأَيْنَكَ طاوياً بُرْدَ الشباب طَوَيْنَ عنكَ وصالاَ

(وإذَا دعوْنكَ عمهنَّ فانهُ نسبٌ يزيدكَ عندهنَّ خَبالاَ)(١)

وقول بعضهم [من الكامل] :

كانَتْ بَلَهْنِيَةُ الشبيبة سكرةً فصحوْتُ واستبدلتُ سيرةَ مُجْمِلِ

وقعدتُ أنتظرُ الفناءَ كراكبٍ (عَرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقد ضمنه بعضهم مجوناً ، فقال [من الكامل] :

قالوا وقد بصروا بأيرى نائماً عند الدبيب إليه رِخْوَ المفصلِ

ما ذَا عراه فقلتُ سارى ليلةٍ (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

ولابن نباتة فيه [من الكامل] :

يا ربّ ليلٍ بتُّ فيه منعَّماً برشيقةٍ تَعْيَا بردْفٍ مثقلِ

أيرى بجانب كسها فى حجرها (عرفَ المحلَّ فباتَ دونَ المنزلِ)

وقول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر [من الطويل] :

لقدْ قال لى إذْ رُحْتُ مِنْ خمر ريقه أحثُّ كؤوساً من ألذ مُقَبَّلِ

بِلثم شِفاهى بعد تَقبيل مبسمى (تنقلْ فلذّاتُ الهوى فى التنقلِ)

وهذا المصراع الأخير لأبى عبد الله محمد بن أبى الفضل السلمى المرسى من أبيات ، وهى [من الطويل] :

تَنَقَّلْ فلذّاتُ الهوى فى التنقلِ وَرِدْ كلَّ صافٍ لاتقفْ عند مَنْهَلِ

وإنْ سارَ من تهوى فسرْ عن جنابه ولا تسكُبَنْ دمعاً على مُتَرَحِّلِ

(١) نسب فى كتب العروض إلى الأخطل ، ولم أجده فى ديوانه المطبوع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولا تعتبرْ قولَ امرىء القيْس إنه ضليلٌ ومَن ذَا يقتدى بالمُضَلَّلِ
فَفِي الأرْضِ أحبابٌ وفيها مَنازِلِ
(فلا تبْكِ من ذكرى حَبِيبٍ ومنزلِ)

ومن ظريف التضمين قول البدرى المنبجى [من الطويل] :

ولما خلوْنا والمسرة بيننا وقد عَزَّ شُرْبُ الراح فيناعلى الشَّرْبِ
تعوضَ كل بالحشيش عن الطلا (ومن لم يجد ماء تيممَ بالترب)

وقول السراج الوراق يهجو بخيلا [من البسيط] :

وباخل يَشنأ الأضيافَ حلَّ به ضيف من الصفْع نزَّال على القِمَمِ
سألته ما الذى تشكو فأنشدنى (ضيف ألم برأسى غيرَ محتشمِ)

وقول الصلاح الصفدى [من الرجز] :

قل للرَّقيب يَسترح من رَصدِى ما أصبح المعْشُوقُ عندى مشتهى
وارتدّ قلبى عَنْ سيوف لحظه (وكل شىء بَلَغَ الحدَّ انتهى)

وقول ابن نباتة [من الطويل] :

ألا فاسقنى مِنْ خَمْرة لَذَّ طَعْمها بفيكَ ولاتبخَلْ وقُلْ لى هى الخمرُ
وحُطَّ لثاماً حجَّبَ اللثم عن فمى (فلاخيرفى اللذات من دونها ستر)

وقد أخذ الصلاح الصفدى هذا التضمين من ابن نباتة وإن كان فى معنى آخر ، فقال [من الطويل] :

لقدْ كنت فى لذّات ثغرك هائما ليالِىَ لمْ يُمْنَعْ على عاشق ثَغْرُ
فأما وسترٌ دُونها من شوارب (فلاخيرفى اللذات من دونها ستر)

وما أحلى قول الصلاح الصفدى مضمناً ومكتفياً [من المقتضب] :

رشفت ريقك حلواً فلم يكن لىَ صبرُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَسَوْفَ أَحْظَى بِوَصْلٍ (وَأَوَّلُ الغَيْثِ قَطْرُ)

ومن الغايات هنا ما كتب به شيخ شيوخ حماة إلى السيف الآمدى ، وهو [من البسيط] :

لَئِنْ تقدَّمَ قومٌ عَصرَ سيدنا فكمْ تقدَّمَ خيرَ المرسلينَ نبي
وَإِنْ يكنْ عِلمُهُ فَرْعاً لعلمِهِمُ (فإنَّ فى الخمرمعنىً ليس فى العنبِ)
وَإِنْ أتتْ قبلَهُ كُتبٌ مؤلفة (فالسيف أصدق أنباء من الكتبِ)

12

وقول البدر بن الصاحب [من البسيط] :

للهِ يومُ الوَفَا وَالناسُ قَدْ جُمعُوا كالرَّوض تطفُو على نَهْرٍ أزَاهرُهُ
وَللوَفَاءِ عَمُودٌ مِنْ أصابعِهِ مخلَّقٌ تَملأُ الدُّنيا بَشَائِرُهُ

وقول البرهان القيراطى [من الكامل] :

قلْ فى اخضرارِ عِذَارِهِ وقَوَامِهِ خَلعَ الرَّبيعُ عَلَى غصُون البَانِ
وانشُرْ مِنَ الأغزَال فى أرْدَافِهِ حُللاً فواضلها عَلَى الكُثْبَانِ

وقوله فى بادهنج [من الطويل] :

بِروحِيَ أفْدِى بَادَهَنْجاً مُوكلاً
بإطْفَاءِ ما نلقاهُ مِنْ حُرَقِ الجَوَى (١)
إذَا فُتِحَتْ فِى الحرِّ منهُ طَرَائقٌ
(أتَانِى هَوَاهَا قَبلَ أنْ أعْرِفَ الهَوَى)

---

(١) البادهنج : معرب بادكير ، أو بادخون ، وهو المنفذ الذى يجيء منه الريح ، ويسميه الأدباء « راووق النسيم » وقال أبو الحسن الأنصارى :

ونفحة بادهنج أسكرتنا وجدت لروحها برد النعيم
فما جرى الهوى فيه رقيقا فسميناه راووق النسيم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقوله فيه أيضا [من الطويل] :

أيا بادَهَنْجاً صحَّ فيهِ لَنا الهَوَى ... صِفاتُكَ ما وَفَّى بِهِنَّ خِطابُ
وما شئتُ إلا أنْ أدُلَّ عواذِلِي ... عَلَى أن رأيي فِي هَوَاكَ صَوَابُ

وقال ابن أبي حجلة فيه ، وأجاد [من الوافر] :

هَجَا الشعراءَ جَهْلاً بادَهَنْجِي ... لأنَّ نسيمَهُ أبداً عليلُ
فقال البادَهنج وقدْ هَجَوْهُ ... إذا صحَّ الهَوَى دَعهُمْ يقُولُوا

وما أحسن قول القيراطي في موسوس [من الكامل] :

ومُوَسْوسٍ عندَ الطهارة لم يزَلْ ... أبداً عَلَى المـاءِ الكثيرِ مُوَاظِبَا
يَستصغرُ البحْرَ الكبيرَ لذقنهِ ... وَيَظُنُّ دِجلةَ ليسَ تكفي شارِبَا

وَقول ابن أبي حجلة غاية هنا [من البسيط] :

قلْ للهلال وَسُحبُ الجوّ تسترُهُ ... حكيتَ طلعةَ مَنْ أهْواه بالبَلَجِ
لكَ البشارَةُ فاخلعْ ماعليكَ فقدْ ... ذكرت ثم على مافِيكَ من عِوجَ

وقول العَلاء بن أيبك الدمشقي [من الوافر] :

أقول وقد ظَمِئْتُ ووجهُ حبي ... لهُ عَرَقٌ على وَرْدِ الخدُودِ
أرَى ماءً وَبِي ظمأ شديدٌ ... ولـكنْ لا سبيلَ إلى الوُرُودِ

وما أحسن قول البدر الزغاري [من الطويل] :

وَبِي سَامِرِيٌّ مَرَّ بِي فِي عِمَامَةٍ ... قد اكتسبَتْ مِنْ وَجنتيهِ احمرارها
مُورَّدَةٍ دَارَتْ بِوَجهٍ كأنما ... تناوَلها مِنْ خَدِّهِ فأدَارَها

وما أبدع قول ابن أبي حجلة [من الكامل] :

ومتى امتطيْتَ من الكؤوس كميْتَها ... أمْسَيْتَ تمسِي فِي المسرّةِ رَاكِبَا
ومتى طَرَقْتَ عَشِيَّ أنس ديرَهَا ... لم تلْقَ إلا رَاغِباً أوْ رَاهِبَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقوله فى الفانوس غاية هنا [من الكامل] :

أنا فى الدجا ألقى الهوَى وَبمهْجتى حُرَقٌ يَذُوبُ لها الفؤادُ جميعهُ
فكأننى والليل صَبٌّ مغرمُ كتمَ الهوَى فوَشَتْ عليه دُموعهُ

وقوله أيضا فيه [من الكامل] :

يحكى سَنَا الفانوس حِينَ بدَا لَنَا برْقاً تألقَ موْهناً لمعانهُ
فالنار ما اشتَملَتْ عليه ضلوعهُ والمـــاء ما سحَّتْ به أجفانهُ

وقوله أيضا ، وهو بديع [من الكامل] :

ياصَاحِبى خضرَ الشرَابُ ومنْيتِى وحظيتُ بعدَ الهَجرِ بالايناسِ
وكسَا العذَارُ الخدَّ حُسْناً فاسقنى واجعلْ حديثك كلهُ فى الكاسِ

وظريف قول محيي الدين بن قرناص الحموى [من الكامل] :

أفديه أغيدَ زَارَنى تحْتَ الدُّجَا وعَلَيه منْ فرعيه ليـلٌ ساجِى
والفَرْقُ بين الشعر فوق جبينهِ عُرْيانُ يمشى فِى الدُّجَا بِسرَاجِ

ومن غاياته هنا قوله فى كاحل يسمى بالشمس [من الطويل] :

دَعُوا الشمسَ منْ كَحْلِ العيون فكفهُ
يسوقُ إلى الطَّرْف الصحيح الدَّوَاهِيَا
فَكَمْ أذْهَبَتْ مِنْ نَاظرٍ بِسوَادهِ
وَخلَّتْ بَيَاضاً خَلْفَهَا وما بَقِيَا

وما أملح قول ابن الوردى [من المتقارب] :

لِوَجْنَةِ صَيَّادكم نُسْخَةٌ خريريَّةٌ ملحة فى الملح
تقول لنَبْتِ العذار اجتهد ومُدَّ الشباك وصِدْ من سنح

ومثله لابن أبى حجلة ، ونقله إلى معنى آخر [من المتقارب] :

غدا طيرُ أفراحنا سانحاً يَحومُ على عذب ورد القدحْ
فقلنا لدرّ الحبَاب اجْتهدْ ومدَّ الشباكَ وصِدْ منْ سَنَحْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد تضمن هذا الكتاب من فنّ التضمين ما هو ضامن لكل أديب الاستغناء به ، إن شاء الله تعالى .

ترجمة ابن أبي الأصبع

وابن أبي الأصبع : هو زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر ابن عبد الله بن أبي الأصبع ، العدواني ، المصري ، الشاعر المشهور ، الامام في الأدب ، صاحب التصانيف الحسنة فيه ، منها « تحرير التحبير » في البديع وكتاب « بديع القرآن » وكتاب « الجواهر السوانح ، في سرائر القرائح » وغير ذلك ، وله شعر رائق ، منه [من الطويل]

ولما اعتنقنا رَدّ دَمعي لنحرها وَدِيعتها فهيَ اللآلي التي تُرَى
بكتْ ورنتْ نحوي فجرّدَ لحظها مِنَ الجفنِ سيفاً بالدموعِ مُجَوْهَرَا

ومنه من قصيدة ، يمدح بها الملك الأشرف موسى [من الطويل] :

فضحتَ الحيا والبحرَ جُوداً فقدْ بكى الحيا منْ حياءٍ منكَ وَالتطَمَ البحرُ

ومنها :

عُيُون معانيها صحاحٌ وأعينُ الملاحِ مراضٌ في لواحظها كسرُ
هِيَ السحرُ فاعجبْ لامرىءٍ جاءَ يبتغي عَوَارِفَ مِنْ مُوسَى وَصنعتهُ السحرُ

ومنه [من الخفيف] :

انتخبْ للقريض لفظاً رَقيقاً كنسيم الرياض في الأسحارِ
فاذَا اللفظُ رَقّ شفّ عَنِ المَعْنى فأبْدَاهُ مِثلَ ضَوءِ النهارِ
مثلَ ما شفّتِ الزجاجة جسماً فاختفى لونها بلونِ العُقَارِ

ومنه في ذمّ قيم حمام [من البسيط] :

وَقَيم كلمتْ جسمي أنَامِلهُ بغيرِ ألسنةٍ تَكليمَ خرصَانِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إنْ أمسكَ اليدَ مِنِّى كادَ يكسرُهَا
أو سرَّح الشعرَ منْ فَوْدَىَّ أدْمَانى
فليسَ يُمْسكُ إمساكاً بمعرفةٍ وَلاَ يُسَرِّحُ تَسْرِيحاً بإحْسَانِ

ومنه فى وصف فرس أدهم محجل [من الطويل]:

وَأدْهَمَ جَارَى الشَّمْسَ فِى مِثلِ لَوْنِهِ
مِنَ المغربِ الأقصَى إلَى جَانِبِ الشَّرْقِ
فَوَافَى إلَيْـــهِ قبلَهَا مُتَمَهِّلاً فأعطَاهُ منْ أنْوَارِهِ قَصَبَ السَّبْقِ

ومنه [من الطويل]:

رَأيتُ بِفيـــهِ إذْ تَبَسَّمَ أدْمُعاً
فَقلتُ رَنَى لِى إذْ بَكَى فَمُهُ حُزْنَا
أجَادَ لَهُ فى النظمِ شَاعِرُ ثَغْرِهِ
وَلَـكنهُ مِنْ مُقلتِى سَرَقَ المَعْنَى

ومحاسنه كثيرة، وعاش نيفاً وستين سنة، وكانت وفاته بمصر، فى الثالث والعشرين من شوال، سنة أربع وخمسين وستمائة، وحضر السراج الوراق مع عفيف الدين التلمسانى بن عدلان وأبى الحسين الجزار قبر الزكى المذكور، وكانا قد كتماه أن ذلك اليوم مأتمه، وكتماه قصيدتين فى رثائه، فقال السراج الورّاق [من الكامل]:

ماذَا أقُولُ وقد أتانا رَاثِياً ملكُ النحاة وَسيِّدُ الشعراءِ
رَثيَاكَ بِالدُّرِّ النظيمِ فهـذِهِ لِلدَّال قافيـة وَتلكَ لِرَاءِ
وتوخَّيَا نثرَ العقيقِ مَدَامِعاً إذ كنتَ لم تنصفْ بنظمِ رِثَاءِ
يامَنْ طَوَى بفضائلٍ وفَوَاضلٍ ذِكرين للطائى بعدَ الطائِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

غادَرْتنى وَأنَا الحبيبُ مَودّةً صَبَّاقدِ استَعذَبتُ مَاء بُكائى
فَسَقَاكَ فضْلُ اللهِ فيضَ عطَائه فَلَقَدْ أقمتَ قِيامَةَ الشعَرَاءِ

* * *

شاهد العقد

٢١٣ — مَا بَالُ مَنْ أوّلُهُ نُطْفَةٌ وَجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ

البيت لأبى العتاهية ، من قصيدة من السريع ، أولها :

وَاعجباً للناس لوْ فَكرُوا وحَاسَبُوا أنفسهمْ أبْصرُوا
وَعبَرُوا الدنيا إلى غيرها فإنما الدنيا لهُم معبرُ
الخير مما ليس يخفى هو المعروف والشرّ هوالمنكرُ
والموعد الموت وما بعده الحشرفذاك الموعد الأكبرُ
لا فخر إلا فخر أهل التقى غدا إذا ضَمَّهُمُ محشرُ
ليعلمنّ الناسُ أن التقى والبرّ كانا خيرَ ما يُذْخَرُ
عجبتُ للانسان فى فَخْره وهو غداً فى قبره يقبرُ

و بعده البيت ، و بعده :

أصبحَ لا يملك تقديمَ ما يرجو ولا تأخير ما يَحْذَرُ
وأصبحَ الأمرُ إلى غيره فى كل ما يقضى وما يقدرُ

والشاهد فيه : العقد ، وهو : أن ينظم الشاعر نثراً ، قرآناً كان أو حديثاً أو مثلا ، أوغير ذلك ، لا على طريق الاقتباس .

فهذا البيت هو عَقْدُ قول علىّ كرّم الله وجهه : « وما لابن آدم والفخر ؟ وإنما أوله نطفة وآخره جيفة » .

ويروى أن مطرّف بن عبد الله الشخّير نظر إلى يزيد بن المهلّب ، وهو

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يمشى فى حُلة يَسحبها ، فقال له : ما هذه المِشْيَة التى يُبغضها الله تعالى ورسوله ؟! فقال يزيد : أما تعرفنى ؟! قال: بلى ، أو لك نطفة مَذِرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك حامل العذرة .

وقد نظمَ هذا المعنى الشيخ أبو محمد الخوارزمىّ ، فقال [من المنسرح] :

عَجبتُ من مُعْجَبٍ بصُورَتِه ... وكانَ من قبْلُ نطفةً مَذِرَهْ
وفى غدٍ بعدَ حُسْن صورته ... يصيرُ فى الأرض جيفةً قَذِرَهْ
وهو على عُجبِه ونَخْوَتِه ... ما بينَ ثوْبيهِ يحملُ العَذِرَهْ

ومثله قول الفقيه منصور المصرىّ [من المتقارب] :

تتيهُ وجسْمُكَ من نطفةٍ ... وأنتَ وعاء لما تعلَمُ

وقول المؤمن الأدفوى [من الطويل] :

هل النفسُ إلا نطفة من مشيمة ... نمت بدَمِ الأحشاء شرَّ نَماءِ
وهل هو إلا ظرف بولٍ وغائط ... ولوْ أنهُ يُطْلَى بكل طلاءِ
كنيفٌ ولكنْ سدّدت جدراته ... بظل قميص واستتار رداءِ

وقول الآخر [من الوافر] :

أرَى أولاد آدم أبْطَرَتْهُمْ ... حظوظُهُمُ مِنَ الدنيا الدنيَّهْ
فَلِمْ بطِرُوا وأوّلهم مَنِىّ ... إذا افتخرُوا وآخرهم منيَّهْ

وقول الفقيه منصور المصرى [من مجزوء الرمل] :

قلتُ للمعجب لما ... قالَ : مثلى لا يُرَاجعْ
يا قريبَ العهدِ بالمخـــرج لم لاَ تتواضَعْ ؟

ومثله قول ذى النون المصرى رضى الله عنه [من الخفيف] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أيها الشامخ الذى لا يُرَامُ نحن من طينةٍ عليك السلامُ
إنما هذه الحياة مَتَاعٌ ومَعَ الموتِ تَسْتَوِى الأقْدَامُ

ومن أمثلة العقد من القرآن قول أبى نُوَاس [من الطويل]:

بروحى غَزَالٌ كان للناس قِبْلَةً وقد زُرْتُ فى بعض الليالى مُصَلَّاهُ
ويقرأ فى المحرابِ والناس خَلْفَهُ ولا تَقْتُلوا النفسَ التى حَرَّمَ اللهُ
فقلتُ تأمل ما تَقُول فانها فعالك يامَنْ تقتلُ الناسَ عَيْنَاهُ

وقول الآخر [من الوافر]:

أنِلْنى بالذى استقرضت حَظًّا وأشهد مَعْشَرًا قد شاهَدُوهُ
فان الله خـــلاق البرَايا عَنَتْ لِجَلَال هَيْبَتِهِ الوجوهُ
يقولُ إذا تَدَايَنْتُمْ بدَيْنٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبُوهُ

وقول أبى نصر سهل بن المرزبان [من السريع]:

لا تجْزَعَنْ من كل خَطْبٍ عَرَى ولا تُرِ الأعداء ما يشْمِتُ
أما سمعْتَ الله فى قوله إذا لقيتُمْ فئةً فاثبتُوا

وقول أبى محمد العبدلكانى [من السريع]:

لا تكرهن خَلْقًا على مَذْهَبٍ لَسْتَ من الارشاد فى شئ
ألم تَرَ الرحمنَ سُبْحَانَهُ المخْرِجَ للميتِ منَ الحىّ
يقول لا إكراهَ فى الدين قَدْ تبينَ الرشدُ من الغىّ

وقول المطوعى [من الوافر]:

غَدَا منذ التحَى ليلاً بهيما وكان كأنه البَدْرُ المنيرُ
فقَدْ كتب السوادُ بعارضيه لمن يقْرا وجاءكم النذيرُ

وقوله [من المتقارب]:

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تكبرَ لما رأى نَفْسَهُ على صُورَةِ الشمس قد صُوِّرَت
سَيَنْدَمُ ألفاً على كِبْرِهِ إذا الشمس فى خده كُوِرَتْ

وقول ابن الصابونى الاشبيلى [من مخلع البسيط] :

رأيْتُ فى خده عِذَاراً خلَعْتُ فى حبه عِذَارى
قد كتب الحسن فيه سَطْراً ويُولِجُ الليلَ فى النهارِ

وقول ابن يعمور [من مخلع البسيط] :

خَطْبٌ أتى مسرعاً فآذى أصبح جِسْمى به جُذَاذَا
خَصَّصَ قلبي وعَمَّ غيرى يالَيْتَنى مت قبل هذَا

وقول أبى الحسين الجزار [من السريع] :

أصبحت جزّاراً وفى البيت لا أعْرِفُ ما رائحَةُ اللحْمِ
جَهِلْتُهُ فقراً فكُنْتُ الذى أضلهُ اللهُ على عِلمِ

ولمؤلفه فى غرض عرض [من السريع] :

أرى الضحايا قُسِّمَتْ فى الورَى وضاع فيما بَيْنَهُم قِسْمى
وكلّ من يَعْلَمُ حالى فقَدْ أضله الله على علمِ

وقول ابن جابر الأندلسى [من السريع] :

يا صاحب المال ألم تَسْتَمِعْ لقوله ما عِنْدَكم يَنْفَدُ
فاعمل به خيراً فوالله ما يبقى ولا أنْتَ له تُخلَدُ

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

إذا شئت رزقاً بلا حِسْبَةٍ فلذْ بالتقى واتَّبِعْ سُبْلَهُ
وتصديقُ ذلك فى قوله ومَنْ يتق الله يجْعَلْ لهُ

وقول أبى جعفر الأندلسى [من المتقارب] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إذا ظَلَمَ المرء فامهـل له فبالقُرْب يُقْطَعُ منه الوتينُ
فقد قال ربك وهو القوى وأملى لهم إن كَيْدِى مَتينُ

ومن العقد فى الحديث قول الأمام الشافعى رحمه الله تعالى ورضى عنه [من الخفيف] :

عُمْدَةُ الخير عندنا كلماتٌ أرْبعٌ قالهن خير البريهْ
إتّقِ المشبهات وازهَدْ ودَعْ ما لَيْسَ يَعنيكَ واعملنَّ بنيهْ

فهو عقد قول النبى صلى الله عليه وسلم « الحلال بين ، والحرام بين ، و بينهما أمور مشتبهات » وقوله « ازهد فى الدنيا يحبك الله » وقوله « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وقوله « إنما الأعمال بالنيات » .

ومنه قول بعضهم ، وهو عبد المحسن بن محمد الصورى [من الخفيف] :

وأخ مَسَّهُ نزولى بقَرْحٍ مثل ما مسنى من الجوع قَرْحُ
قيلَ لى إنه جَوَاد كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحُّ
بِتُّ ضيفاً له كما حكم الدهـ ـرُ وفى حكمه على الحرِّ قُبْحُ
قال لى إذ نزلت وهو من الخمـ ـرة سكرانُ طافحٌ ليس يَصْحُو
لم تغربْتَ ؟ قلتُ : قال رسولُ الله والقولُ منه نصحٌ ونُجْحُ
«سافروا تغنمو» فقال : وقد قا ل تمام الحديث «صوموا تصحوا»
قلت : فالصَّوْمُ لا يصحُّ بليلٍ قال : إن الوِصَالَ فيه يَصِحُّ

وقول ابن خلكان [من السريع] :

أنظُرْ إلى عارضِهِ فَوْقهُ لحاظُهُ تُرْسِل منها الحتوفْ
تشاهِدِ الجنة فى وجهـهِ لكنها تحت ظلال السُّيُوفْ

وقول ابن نباتة المصرى [من المتقارب] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أقولُ لمنْ يَتَشَكّى الخطوبَ ويحْذَرمن مُوبقات الصُّرُوفْ
عليكَ بأبْوَاب سَيْفِ العُلاَ مَلاَذِ الفقير وأمْنِ المخوفْ
تجِدْ ظله جَنةً والجنانُ بلا شك تحت ظلال السيوف

وقول الحلى [من المديد] :

مُتْ شهيداً فى غَزَالٍ ألوفِ لينِ الأعْطَافِ غيْرِ عَطُوفِ
خَدُّهُ دون ظُبَا مُقْلَتَيهِ جنة تحت ظلال السيوفِ

وقول ابن جابر [من الرمل] :

عمل إن لم يوافق نيةً فَهْوَ غَرْسٌ لا يرى منه ثمر
إنما الأعمال بالنيات قد نصه عن سيد الخلق عمر

وقول أبى جعفر [من المنسرح] :

من سلم المسلمون كلهمُ وأمنوا من لسانه ويدهْ
فذلك المسلم الحقيقُ بذا جاء حديث لاشَكَّ فى سَنَدِهْ

وقول ابن عبد القدوس [من البسيط] :

إذا وَتَرْتَ أمرأً فاحْذَرْ عَوَاقبهُ من يَزْرَع الشوك لم يَحْصُدْ به عنبا

فهو عقد قول عيسى عليه السلام « تعملون السيئة وترجون أن تجازوا بما يجازى به أهل الحسنات ، أجَلْ لا يجتنى من الشوك العنب »

وقول أبى تمام [من الطويل] :

وقال علىّ فى التعازى لأشْعَثٍ وخَافَ عليه بعضَ تلك المآثِمِ
أتَصْبِرُ للبلوى عزاءً وحِسْبَةً فتؤجَرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائمِ

فهو عقد قول على رضى الله عنه فى كلام عزَّى به الأشعث بن قيس فى ولده وهو « إن صبرت صبر الأحرار ، وإلا سلوت سلو البهائم » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَمن عقد الحكم قول أبى العتاهية [من الوافر] :

كفى حزَنا بدفنك ثم أنى ... نفَضْتُ ترَاب قبرك عن يدَيَّا

وكانَتْ فى حياتكَ لى عِظَات ... وأنت اليومَ أوعظُ منك حيّا

وهذان البيتان من جملة أبيات قالها فى مرثية على بن ثابت الأنصارى ، أولها :

ألا مَنْ لى بأنْسِكَ يا أخيَّا ... ومَنْ لى أن أبُثَّكَ ماليَّا

طَوَتْكَ خُطُوب دهرك بعد نَشْرٍ ... كذاك خُطُوبه نشراً وطَيَّا

فلو سَمَحَتْ بردِّكَ لى الليالى ... شكوت إليك ما اجْتَرَمَتْ إليا

بكَيْتُكَ يا علىُّ بدرَّ عينى ... فلم يُغْنِ البكاء عليك شيَّا

و بعده البيتان ، والأخير منهما عقد قول أرسطاطاليس يندب الاسكندر وقد أتى به ميتاً فى تابوت « قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً ، وما وعظ بكلامه موعظة قط أبلغ من موعظته بسكوته » .

وقول أبى العتاهية أيضاً فى المرثى أولا [من الخفيف] :

ياعلىُّ بنَ ثابتٍ بانَ منى ... صاحِبٌ جلّ فَقْدُهُ يوم بنْنَا

قدلَعمرى جَلَبْتَ لى غصَصَ المو ... ت وحرّكتنى لها وسكَنْتَا[1]

فهو عقد قول مؤدب الاسكندر ، فانه لما مات بكى مَنْ حضره فقال مؤدبه : « حركتنا بسكونك » .

وقول بعضهم [من السريع] :

أصْلِى وفَرْعى فارَقَانِى معاً ... واجْتُثَّ من حَبْلِهِمَا حَبْلى

---

(١) حفظى فى صدر هذا البيت

* قد لعمرى حكيت لى غصص الموت *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فما بقاء الغُصْنِ فى ساقِهِ بعد ذهابِ الفَرْعِ والأصْلِ

فهو عقد قول حكيم « لقد مات أبوك وهو أصلك ، وابنك وهو فرعك ، فما بقاء شجرة ذهب أصلها وفرعها ؟ ! » .

ومثله قول عبد الله بن عبد الأعلى النحوى [من الطويل] :

صَحِبْتُكَ قبلَ الروحِ إذْ أنا نُطْفَةٌ مُصَانٌ فلا يَبْدُو لخلق مَصُونُهَا

فماذا بَقَاء الفَرْعِ من بَعْدِ أصلهِ ستَلْقَى الذى لاقى الأصُولُ غُصُونُهَا

وللمتنبى فى عقد الحكم ساعد شديد ، فلنذكر من محاسنه طرفا صالحا من ذلك ، فمنه قوله [من الكامل] :

وإذا كانت النفوسُ كباراً تعبت فى مُرَادها الأجسامُ

عقد قول أرسطاطاليس « إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان تلاف النفس دون بلوغها » وقوله [من الطويل] :

بذا قَضَتِ الأيام ما بين أهلها مصائِبُ قومٍ عند قومٍ فوَائدُ

عقد قول أرسطا طاليس « الزمان ينشىء ويلاشى ، ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين » وقوله [من البسيط] :

والهَجْرُ أقْتَلُ لى مما أحاذرُهُ أنا الغريق فما خوفى من البَلَلِ

عقد قول أرسطاطاليس « من علم أن الفناء مستولٍ على كونه هانت عليه المصائب » وقوله [من الطويل] :

وما الحسْنُ فى وجهِ الفتى شرفاً لهُ إذا لم يكن فى لَفْظِهِ والخلائقِ

عقد قول أرسطاطاليس وقد نظر يوماً إلى غلام حسن فاستنطقه فلم يجد عنده علماً ، فقال : « نعم البيت لو كان فيه ساكن » وقوله [من الخفيف] :

من يَهُنْ يَسْهُلِ الهَوَانُ به ما لجُرْحٍ بميِّتٍ إيلامُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عقد قول أرسطاطاليس « النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام » وقوله [من الخفيف] :

وإذا لم يكن مِنَ الموتِ بُدٌّ فمِنَ العجز أن تموتَ جبانا

عقد قول أرسطاطاليس « خوف وقوع المكروه قبل تناهى المدة خَوَرٌ فى الطبيعة » وقوله [من الوافر] :

ولم أر فى عُيُوب الناس شيئاً كنقص القادرينَ على التمام

عقد قول أرسطاطاليس « أعجز العجزة مَنْ قدر أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل » وقوله [من الطويل] :

ومن ينفِقُ الساعات فى جمع ماله مخافةَ فَقْرٍ فالذى فعَلَ الفَقْرُ

عقد قول أرسطاطاليس « من أفنى مدته فى جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم » وفى هذا القدر كفاية .

* * *

شاهد الحال

٢١٤ — إذا ساء فِعْلُ المرءِ ساءَتْ ظُنُونُهُ وصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

هو للمتنبى ، من قصيدة من الطويل ، قالها فى كافور الاخشيدى ، وكان قد دخل عليه يوماً فلما نظر إليه وإلى قلته فى نفسه ، وخسة أصله ، ونقص عقله ، ولؤم كفه ، وقبح فعله — ثار الدم فى وجهه حتى ظهر ذلك فيه ، وبادر وخرج ، فأحس كافور بذلك ، فبعث إليه بعض قواده وهو يرى أن أبا الطيب لا يفطن فسايره وسأله عن حاله ، وقال له : يا أبا الطيب ، مالى أراك متغير اللون ؟ فقال : أصاب فرسى جرح خفته عليه ، وماله خلف إن تلف ، فعاد إلى كافور فأخبره ، فحمل إليه مهراً أدهم ، فقال هذه القصيدة ، وذلك سنة سبع وأربعين وثلثمائة ، وأولها :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فِرَاقٌ ومن فارَقْتُ غيرُ مذمَّمٍ وأمٌّ ومن يمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ
وما منزلُ اللذاتِ عندى بمنزلٍ إذا لم أبَجِّلْ عندَهُ وأكرِّمِ
سجيةُ نفسٍ ما تزالُ مليحةً منَ الضيم مَرْمِياً بها كلُّ مخرمِ
رَحلتُ فكم باكٍ بأجفان شادنٍ علىّ وكم باكٍ بأجفان ضيغمِ
ومارِبة القرط المليح مكانه بأجزعَ منْ ربِّ الحسام المصممِ
فلو كانَ ما بى من حبيب مقنع عَذَرْتُ ولكن من حبيب معمّمِ
رَمى واتقى رَمْيى ومن دُونِ ما اتقى هَوًى كاسرٌ كفّى وقوسى وأسهمى

و بعده البيت ، و بعده :

وعادَى مُحبيهِ بقولِ عُدَاتِهِ وأصبحَ فى ليلٍ منَ الشك مُظلمِ

إلى أن يقول فيها :

وماَ كلُّ هاوٍ للجميل بفاعل ولاَ كلّ فعَّال لهُ بمتممِ
فِدًى لأبى المسك الكرامُ فانها سَوَابقُ خيل يهتدينَ بأدْهَمِ
أغرّ بمجدٍ قدْ شخصنَ وَرَاءهُ إلى خُلُقٍ رَحْبٍ وخَلْقٍ مُطهمِ
إذَا امتَنعتْ منكَ السياسةُ نفسهَا فَقفْ وَقفةً قُدَّامهُ تتعلمِ
يضيق على منْ راءه العذر أن يرى ضعيف المساعى أو قليل التكرّمِ
ومن مثل كافور إذا الخيل أحجمت وكان قليلا من يقول لها اقدمى
شديد ثبات الطرف والنقع واصل إلى لَهَوَاتِ الفارس المتلثمِ
أبا المسكِ أرجو منك نصراً على العدا وآمل عزا يخضب البيض بالدم
وَيوماً يغيظ الحاسدينَ وَحالة أقيمُ الشقا فيها مَقامَ التنعمِ
ولم أرْجُ إلا أهلَ ذَاكَ ومَنْ يُرِدْ مَوَاطرَ منْ غرّ السحائب يظلمِ

قال أبو الفتح بن جنى : أومأ إلىّ أبو الطيب وقت قراءة هذا البيت عليه أنه قد ظلم فى قصده كافوراً .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فلو لم يكنْ فى مصر ما سرْتُ نحوَهَا ... بقلبِ المشُوقِ المستهام المتيمِ
ولا نبحتْ خيلى كلابُ قبائلٍ ... كأنّ بها فى الليل حَمْلاتِ دَيلمِ
ولا اتبعت آثارنا عينُ قائفٍ ... فلم ترَ إلا حافراً فوقَ منسمِ
وسمنا بها البيداءَ حينَ تَغَمَّرَتْ ... منَ النيل واستذرت بظل المقطَّمِ
وأبلج يَعْصِى باختصاصى مُشيرَهُ ... عصيْتُ بقَصْدِيه مُشيرى ولُوّمى
فساقَ إلىّ العرْفَ غير مكدّر ... وسُقتُ إليه الشكرغير مجمجمِ
قداخترتكَ الأملاكَ فاختر لهم بنا ... حديثاً فقد حكمتُ رأيك فاحكمِ
فأحْسنُ وجهٍ فى الورى وجهُ محسنٍ ... وأيمنُ كف فيهمُ كف مُنعمِ
وأشرَفهم مَنْ كان أشرف همةً ... وأكثرَ إقداما على كل مُعْظَمِ
لمنْ تطلب الدنيا إذَا لم ترد بها ... سرورَ محبٍّ أوْ مساءة مجرمِ

ثم لما خرج من عنده بعد إنشاده القصيدة بكمالها ، قال يهجوه [من السريع] :

أنوكُ من عبدٍ ومن عرسِهِ ... منْ حكم العبدَ على نفسهِ
وإنما يظهرُ تحكيمهُ ... ليحكم الافساد فى حسهِ
مامَنْ يَرَى أنك فى وعده ... كمن يرَى أنكَ فى حَبْسهِ
العبدُ لا تفضل أخلاقهُ ... عَنْ فَرْجهِ المنتن أوضرْسهِ
لا ينجز الميعادَ فى يومهِ ... ولا يفى ما قالَ فى أمسهِ
وإنما تحتال فى جَذْبهِ ... كأنكَ الملاحُ فى قلسهِ
فلا ترجّ الخيرعندَ امرىء ... مرّتْ يدُ النخاس فى رَأْسهِ
وإن عَرَاكَ الشكُّ فى نفسهِ ... بحالةٍ فانظر إلى جنسهِ
فقلما يَلؤمُ فى ثَوْبهِ ... إلا الذى يلؤمُ فى غَرْسهِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مَنْ وَجَدَ المَذْهَبَ عَنْ قَدْرِهِ لَمْ يَجِدِ المَذْهَبَ عَنْ قِنْسِهِ (١)

ومعنى البيت : إذا قبح فعل الانسان قبحت ظنونه ، فيسىء ظنه بأوليائه و يصدق ما يخطر بقلبه من التوهم الردىء فيهم

والشاهد فيه : الحلّ ، وهو نثر النظم ، وقد استشهد به على ماحله بعضُ المغاربة بقوله « فانه لما قبحت فعلاته ، وحنظلت نخلاته ، لم يزل سوء الظن يقتاده ، و يصدق توهمه الذى يعتاده »

وذكرت بقوله « حنظلت نخلاته » قول الشريف أبى الحسن الموسوىّ ، من قصيدة يفتخر فيها ، وهو [من الطويل] : 13

بنو هاشم عينٌ ونحنُ سَوَادها على رغْم من يأبى وأنتم قَذَاتها
وأعجبُ ما يأتى به الدهرأنكم طلبتم عُلَى ما فيكُمُ أدْوَاتها
وأمْلَمُ أنْ تدركوها طوَالعاً دَعُوها ستسعى للمعالى سُعَاتها
غرسْتُ غروساً كنت أرجولقَاحها وآمُلُ يَوْماً أن تطيبَ جَنَاتها
فان أثمرت لى نلت ما كنتُ آملاً ولاذنب لى إنْ حنْظَلَتْ نخَلاتها

وروى عن إبراهيم بن العباس الصولىّ أنه قال : ما اتكلت قط فى مكاتباتى إلا على ما يجلبه خاطرى ، أو يجيش به صدرى ، إلا قولى : « فأبدلوه آجالا من آمال » فانى حللت فيه قول مسلم بن الوليد [من البسيط] :

مُوفٍ على مُهَج فى يوم ذِى رَهَج كأنهُ أجلٌ يسعى إلى أمل

وقولى : « قد صار ما يحرزهم يبرزهم ، وما يعقلهم يعقلهم » فانى حللت فيه قول أبى تمام [من الطويل] :

فإنْ بَاشَرَ الأصْحَارَ فالبيضُ وَالقَنَا قرَاهُ وأحـــوَاضُ المَنَايَا مَنَاهلُهْ

(١) القنس — بكسر القاف ، وقد تفتح — الأصل .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَإِنْ يَبْنِ حِيطَاناً عَلَيْهِ فَإِنَّمَا
أُولَئِكَ عُقَالاَتُهُ لاَ مَعَاقِلُهْ

قال ابن أبى الأصبع : ومن ذلك قوله تعالى فى الكتاب العزيز (يَعملونَ لهُ مَا يَشَاءُ مِنْ محَارِيبَ وتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كالجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) فان ذلك حلّ قول امرىء القيس [من مجزوء الرمل] :

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ وَجِفَانٍ كالجَوَابِي

على أن بعض الرواة قد ذكر أن بعض الزنادقة وضعه وتكلم على الآية الكريمة ، وأن إمرأ القيس لم يصح أنه تلفظ به

قلت: وقد تصفحت ديوانه على اختلاف رُوَاته ، فلم أجد فيه قصيدة على هذا الوزن والروى ، والله تعالى أعلم .

* * *

شاهد التلميح

٢١٥ — فَوَاللهِ مَا أَدْرِى أَأَحْلاَمُ نَائِمٍ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِى الرَّكْبِ يُوشَعُ

البيت لأبى تمام ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها أبا سعيد محمد ابن يوسف الثغرى ، أولها :

أَمَا إِنَّهُ لَوْلاَ الخَلِيطُ المُوَدِّعُ وَرَبْعٌ عفا منه مصيفٌ ومَرْبَعُ
لَرُدَّتْ على أَعقَابِهَا أَرْيَحِيَّةٌ مِنَ الشَّوْقِ وَادِيهَا مِنَ الدمعِ مُتْرَعُ
لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ خَوَّمَ الهَوَى قلوباً عهدنَا طيرَها وهىَ وُقَّعُ(١)
فَرَدَّتْ عَلَيْنَا الشمسَ والليلُ رَاغِمٌ
بِشَمْسٍ بَدَتْ مِنْ جانبِ الخدر تَطْلُعُ
نَضَا ضَوْؤُهَا صِبْغَ الدَّجنةِ وانْطَوَى
لَبَهجتِهَا ثَوْبُ السماءِ المجَزَّعُ

(١) فى أصول الكتاب « وقد خذم الهوى » وأثبتنا ما فى الديوان .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

و بعده البيت، و بعده :

وعهدِي بها تُحْيِي الهَوَى وتميتُهُ ... وتَشْعبُ أعْشار القلوب وتصدَعُ

وَأقرعُ بالعتبي حُمَيّا عِتَابِها ... وقدْ تستقيدُ الراح حين تشعشعُ

وتقفُو لىَ الجدْوَى بحَدْوَى وَإنمَا ... يَرُوقُكَ بَيْتُ الشعرِ حين يُصَرَّعُ

والشاهد فيه : التلميح ، وهو : أن يشير الشاعر فى فحوى الكلام إلى قصة أو شعر ، أو مثل سائر ، فهنا أشار إلى قصة يوشع بن نون ، فتى موسى — عليهما السلام ! — واستيقافه الشمس ، فانه روى أنه قاتلَ الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ، ويدخل السبت ، فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فردَّ له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وخرّج مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غزا نبيٌّ من الأنبياء ، فقال لقومه : لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أنْ يبنى بها ولم يبن بها ، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفه ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادتها ، قال : فغزا القرية حين صلاة العصر ، أو قريباً من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علىّ ، فحبست عليه حتى فتح الله عليه » .

وقد تطرّف الرصافىُّ البلنسى بتلميحه بهذه القصة ، فقال يخاطب بعض من اسمه موسى بأبيات ، أولها [من الكامل] :

مامثلُ موضعك ابنَ رِزْقٍ مَوْضِعٌ ... زَهْرٌ يَرِفُّ وَجَدْوَلٌ يتدَفَّعُ

يقول فيها :

وَعَشِيّةٍ لَبِسَتْ رِدَاءَ شُحُوبِهَا ... والجوُّ بالغيم الرّقيقِ مُقنعُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بلغَتْ بِنا أمَدَ السرُور تألقـاً والليـــلُ نحو فراقنا يتطلّعُ
فابْللْ بها رَمَقَ الغبُوقِ فقد أتى من دُون قرص الشمس مايتوقعُ
سقطتْ ولم يملك نديمكَ رَدّها فوددْتُ ياموسَى لوَ أنكَ يُوشَعُ

وقد قال ابن مرج الكحل فيها ينحو هذا المنحى، وأشار إلى قصة الرصافى هذه [من الكامل] :

حفَلَ المساء وَللنسيم تضوُّعُ والأنسُ ينظمُ شملنا وَيُجمّعُ
والزهرُ يضحَكُ عن بكاء غمامَةٍ ربعتْ بشيم سيوفِ برقٍ تلمعُ
فانعمْ أبا عمرانَ وآله برَوْضةٍ حَسُنَ المصيفُ بها وطاب المرْبعُ
يَاشَادِنَ البَانِ الذى دُونَ النقا
حَيتُ التقى وَادِى النقَا وَالأجرَعُ
الشمسُ يغربُ نورُهَا ولرُبمـا كَسفت ونورُكَ كل حين يطلعُ
أفَلَتْ فنَابَ سَنَاكَ عنْ إشراقِهَا وجلاَ مِنَ الظلماء ما يتوقعُ
فأمِنتُ يا موسى الغرُوبَ وَلم أقُلْ
(فوَدِدْتَ يا مُوسَى لَوَ أنكَ يُوشَعُ)

وقد لمح بهذه القصة أيضا أبو العلاء المعرى حيث قال [من الوافر] :

فلوْ صح التناسخ كنتَ موسَى وكانَ أبوكَ إسحاقَ الذبيحاَ
ويوشعُ رَدَّ يوحاً يعضَ يومٍ وأنتَ متَى سفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا

ويوح ويوحى — بياءين مثناتين من أسفل — من أسماء الشمس .

وقال كثير من اللغويين : إنهما بالباء الموحدة ، وكذا رواه أبو على البغدادى ، والصحيح الأول .

ويروى أن المعرّى اعترض عليه فى هذه اللفظة ببغداد فى حلقة ابن المحسِّن

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فاحتج عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب ، فقال : هذه نسخ مُحْدَثَة غيرها شيوخكم ولـكن أخرجوا مافى دار العلم من النسخ القديمة فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال .

وقد لمح ابن قلاقس إلى هذه القصة أيضا بقوله [من الطويل] :

ومنتصر فى منع مقلوب عقربٍ ... بما تحته من لسع مقلوب برْقُعِ
أبَتْ شمسهُ إلا الغروبَ وقد سَما ... بها كَلَفِى منْ كل عضو بيوشَعِ

وابن مطروح ، بقوله [من الطويل] :

وماَ أنسَ لاَ أنسَ المليحةَ إذْ بدَتْ ... دُجًى فأضاءَ الأفقُ مِنْ كلّ موْضعِ
فحدّثتُ نَفسى أنهاَ الشمْسُ أشرَقَتْ ... وَأنّى قَدْ أوتيتُ آيـــةَ يُوشَعِ

والملك الناصر داود بقوله ، يرثى الامام المنتصر بالله ، ويمدح المعتصم ، من قَصيدة طويلة [من الطويل] :

أقامَ مَنارَ الدين بعدَ اعوجاَجهِ ... وشَيَّدَ واهى الدينِ بعدَ التضعضعِ
بأقدَامِ منصورٍ وعزمَـةِ قادرٍ ... وَسـيرَةِ مهدِىٍّ وَإخباتِ طَيِّـعِ
به رجعَتْ شمسُ المكارِمِ والعلا ... كما رَجعتْ شمسُ النهار ليُوشَعِ

ونصر بن أحمد الخبزأرزى ، بقوله من قصيدة [من البسيط] :

وَلّى فأقبلتِ الأردافُ لاَعبةً ... كما تلاعبتِ الأمواجُ فى اللججِ
ثم انثنى بانعطافٍ منهُ ملتفتاً ... كما ثَنَى نَفساً خوف الرقيب شَجِى
كأنّ يوشعَ رَدَّ الشمْسَ ثانيةً ... عنـدَ التفاتتِهِ نحوى بمنعرجِ

وابن اللبانة ، بقوله [من الطويل] :

بكَتْ عندَ توديعى فما علم الركبُ ... أذَاكَ سقيطُ الطلّ أم لؤلؤ رطبُ
أتابعها سرْبٌ وَإنى لمخطىء ... نجُومُ الدياجى لا يقال لها سربُ
لئنْ وقفَتْ شمْسُ النهار ليوشع ... لقد وقفَتْ شمْسُ الهوَى لى والشُّهْبُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد لمح إليها حازم فى مقصورته ، فقال [من الرجز] :

وكم رأتْ عينى نقيض ما رأتْ ... من اطلاع نورها تحتَ الدُّجى
فيالَها من آيةٍ مبصرةٍ ... أبصرها طرفُ الرقيب فامترَى
وَاعتورَتهُ شبهة فَضلَّ عنْ ... تحقيق ما أبصرهُ وَما اهتدَى
وظنَّ أنَّ الشمْسَ قد عادَتْ لهُ ... فانجَابَ جنحُ الليل عنها وانجلى
والشمسُ ما رُدَّتْ لغير يوشع ... لما غزَا وَلعـلىّ إذْ غفَا

فلمح إلى قصة يوشع بن نون عليه السلام ، ثم زاد قصة رجوع الشمس لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه ، وخبر ذلك مارواه الطحاوى عن أسماء بنت عُمَيْس من طريقين أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ، ورأسه فى حجر علىّ ، رضى الله عنه ! فلم يصلِّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أصليت ياعلىّ؟ » قال : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس » قالت أسماء : فرأيتها طلعت بعد ماغربت ، ووقعت على الجبال والأرض .

ومن ظريف ما يحكى هنا ما روى أن المظفر المَرْوَزِىّ الواعظ جلس يوما ما بالناجية ببغداد بعد العصر ، وأورد حديث رد الشمس لعلى رضى الله عنه ، وأخذ فى ذكر فضائله ، فنشأت سحابة غطت الشمس وظن أنها غابت ، فأومأ إليها وارتجل [من الكامل] :

لا تَغْرُبى يا شمس حتى ينتهى ... مَدْحى لآل المصطفى ولنجله
واثنى عنانك إن أردتِ ثناءهم ... أنسيت إذ كان الوقوف لأجلهِ
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

فطلعت الشمس من تحت الغيم عند انتهاء الأبيات ، فلا يدرى ذلك اليوم ما رمى عليه من الأموال والثياب .

ومن التلميح بالقرآن قول ابن المعتز [من الخفيف] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أتَرَى الجيرَةَ الذين تَدَاعوْا عندَ سير الحبيب وقت الزوالِ
علموا أننى مُقِيمٌ وقلبى رَاحلٌ فيهمُ أمام الجمالِ
مثلُ صاع العزيز فى أرْحُلِ القَوْ مِ ولا يعْلَمُونَ ما فى الرِّحالِ
ما أعزَّ المعشُوقَ ما أهْوَنَ العا شِقَ ما أقْتَلَ الهوَى للرجالِ

أشار إلى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل أخيه، و إخوتُه لم يشعروا بذلك .

وقول أبى نصر محمد الأصفهانى فى ذم مملوك [من الطويل] :

بُليتُ بمملوكٍ إذا ما بَعَثْتُهُ لأمْرٍ أعيرَتْ رجله مِشْيَةَ النملِ
بليدٍ كأن الله خالقَنَا عَنى بِهِ المثَلَ المضرُوب فى سورةِ النَّحْلِ

يشير إلى قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شىء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ـ الآيات) .

ومنه ما ذكره أبو بكر بن الأبّار فى تحفة القادم أن أبا بكر الشبلى جلس يوماً على نهر شبل بالجسر، فتعرضه بعض الجوارى للجواز، فلما أبصرته رجعت بوجهها وسترت ما قد ظهر له من محاسنها، فقال أبو بكر المذكور [من الكامل] :

وعقيلةٍ لاحَتْ بشاطىء نهْرها كالشمس طالعَةً لدى آفاقِهَا
فكأنها بَلْقِيسُ وافَتْ صَرْحَهَا لو أنها كَشفَتْ لنا عن ساقِهَا
حورية قمرية بدوية ليس الجَفَا والصد من أخلاقِهَا

قال التيجانى فى كتابه تحفة العروس : ويمكن تغيير البيتين الأولين بأن يقال [من الكامل] :

وعقيلة لاحت بشاطى نهرها كالشمس تبلو فى المشارق صُبْحَهَا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فتباعد عن الحى ، وتبعه جساس ومعه عمرو بن الحارث ، فأدرك جساس كليبا فطعنه بالرمح فدق صلبه فأنفذه ، ثم أدركه عمرو بن الحارث ، فقال : ياعمرو أغثنى بشربة ماء ، فقال: تجاوزتَ شُبَيْثًا والأَحصَّ ، يعنى موضع الماء ، وأجهز عليه ، فقيل * المستجير بعمرو — البيت * ونشبت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، حتى قتل أكثر بكر ، وكانت الغلبة لتغلب عليهم ، قال ابن إسحاق: كان بين هذه ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم ستون سنة .

ومن محاسن التلميح هنا قول ابن حجاج الشاعر [من المنسرح]:

ولى شفيعٌ إليك شَرَّفَنى إيجابه لى وزَادَ فى قَدْرى
نَبَّهْتُ منه لحاجتى عُمَرًا ولم أعَوِّلْ فيه على عَمْرِو

يريد بالشطر الأول قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيْقَظَتْكَ حروب العِدَى فنبِّهْ لها عمرًا ثمَّ نم

و بالثانى البيت المار .

ومن لطيف ما يذكر هنا أن قائداً من قواد أحمد بن عبد العزيز بن دلف ابن أبى دلف هرب إلى عمرو بن الليث ، وهو يومئذ بخراسان ، فغم ذلك أحمد وأقلقه ، فدخل عليه أبو نجدة ، وهو سحيم بن سعد شاعر عجلى ، فأنشده [من البسيط] :

يا ابن الذين سبى كسرى بجمعهم فجللوا وَجْهَه قاراً بذى قار
دَوِّخْ خراسان بالجرد العتاق و بالبيض الرقاق بأيدى كلِّ مِسْغَار
يامَنْ تيَمَّمَ عمرا يَسْتَجيرُ به أما سمعتَ ببيت فيه سَيَّار
(المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار)

فسر أحمد بذلك وسُرِّىَ عنه ، وأمر لأبى نجدة بجائزة .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وذكرت بهذا البيت ما حكى أن بعضهم كان إذا فرغ من صلاته وضع خده على الأرض وقال :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وهو يقدر أنه يستجير بالله من النار .

وأنشد المبرد لأبى كريمة البصرى يقول لعمرو الجاحظ [من البسيط] :

لم يظلم الله عمراً حين صيَّرَهُ من كل شىء سوى آدابه عارِ
بَتَّتْ حبَال وصالى كفُّهُ قُطِعَتْ لما استَعنت به فى بَعْضِ أوطارى
فكنت فى طَلَبِى من عنده فرجاً كالمستجير من الرمضاء بالنار
إنى أعيذك والمعتاذ محترس مِنْ شُؤْم عمرو بعز الخالق البارى
فان فَعَلْتَ فحظ قد ظَفِرْتُ به وإن أبيتَ فقد أعلنت أسْرَارى

وما أحسن قول السراج الوراق مشيراً إلى ذلك [من البسيط] :

مالى أرى عُمَراً أنَّى استَجَرتُ به قد صار عَمْراً بواوٍ فيه وانْصَرَفا
ونامَ عن حاجَةٍ نبهْتُهُ غلطاً لها فألفَيْتُ منه السهد والأسفا
والمستجيرُ بعمرو قد سمعتَ به فما أزيدك تَعْريفاً بما عُرِفا

وقوله أيضاً [من المتقارب] :

أقمْتَ المطامِعَ من نَوْمها ونمت فمن ذا بهذا حكم
وحاشاك تَسْمَعُ فى مِثْلها فنبه لها عُمَرًا ثم نَمْ

وقوله أيضاً [من مجزوء الرجز] :

لا عدِمَتْكَ حاجةٌ حَمَلْتَ عنى كَلَّهَا
قد نَامَ عنها عُمَرٌ وأنت يَقْظَانُ لها

ومن لطيف مجونه فى تضمين هذا المعنى قوله [من المتقارب] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

نشطت لسُرَّيَّتِي فانثنى متاعى من بَعْدِ ما قَدْ عَزَمْ
فقلت: تنامُ ولى مُقْلَةٌ مُسَهَّدَةٌ ؟ مَنْ بهذا حكم ؟
فقال: أما قال بَشَّارُكم فنبه لها عمراً ثم نم

ومنه قول الصفى الحلى فى رجل اسمه أحمد كان يرمى بأبنة وهو يدعى حب غلام اسمه عمر [من المتقارب]:

توالت على أحمد أبْنَةٌ فأقْبَلَ يشكو إلىَّ الألمْ
فقلتُ له إنها فِتْنَةٌ فنبه لها عُمَراً ثم نَمْ

وقد عكس هذا المعنى بقوله [من السريع]:

أنا الذى خالَفْتُ كلَّ الورى فى خبرٍ أثْبَتَهُ الوَقتُ
لما أتانى عُمَرٌ زائراً أنمْتُهُ ثم تَنَبَّهْتُ

وظريف هنا قول الشهاب محمود من قصيدة [من الكامل]:

بينى و بين الحظ داجيةٌ عمياء لا نجْمٌ ولا شَجَرُ
لا يُهْتَدَى فيها ولوطَلَعَتْ فى أفقها أخلاقُكَ الغرَرُ
وأرى وحاشَاكَ الكرامَ وما لى عِنْدَهم ظل ولا ثمَرُ
لو أننى نَبَّهْتُ فى وطَرٍ عمراً لماتَ من الكَرَى عمَرُ

ومن التلميح قول بشار [من البسيط]:

اليوم خمرٌ ويبدو فى غد خبرٌ والدهر ما بين إنعام و إيآس

يشير إلى قصة امرى القيس ، وقد بلغه أن أباه قتل ، وكان يشرب فقال : اليوم خمر ، وغداً أمر .

ومن مجون التلميح قول ابن حجاج [من الطويل]:

غضبَت صباح وقد رأتنى قابضاً أيرى فقلت لها مقالة فاجر

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بالله إلا ما لطَمْتِ جبينهُ حتى يحقق فيك قول الشاعر

يريد به قول ابن نباتة السعدى فى وصف فرس أغر محجل [من الكامل] :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينَهُ فاقتصّ منهُ فخاض فى أحشائه

وما أحسن قول بعض شعراء المغرب فى التلميح [من الوافر] :

وعندى من لواحظها حديث يُخبِّرُ أن ريقتَها مُدَامُ

وفى أعطافها النَّشْوَى دليل وما ذقنا ولا زعمَ الهمامُ

يشير إلى قول النابغة [من الكامل] :

زعمَ الهمام بأن فاها باردٌ عذبٌ مُقبَّلُهُ شهىُّ المورِدِ

زعمَ الهمام ولم أذقهُ أنهُ عذب إذا ما ذقتهُ قلت ازدد

وقد مر فى السرقات الشعرية طرف مما قيل فى هذا المعنى .

ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع المنصور ، فقد روى أنه وعده بجائزة ثم نسى ، فحجّا معا ، ثم مرا فى المدينة ببيت عاتكة ، فقال الهذلى : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الأحوص [من الكامل] :

يا بَيْتَ عاتكة الذى أتغزَّلُ حذرَ العدى وبهِ الفؤاد موكلُ(١)

فأنكر عليه المنصور ابتداءه من غير سؤال ، ثم أمرَّ القصيدة على باله ليعلم ما أراد ، فاذا فيها :

وأراك تفعَلُ ماتقولُ وبعضهم مَذِقُ اللسانِ يَقُولُ مالا يَفعَلُ

فعلم أنه أشار إلى هذا البيت بتلميحه الغريب ، فتذكر ما وعده به ، فأنجزه له

ومثله ماحكى أن أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبي وشَرَح ديوانه وسماه

(١) وقع فى المطبوعتين « يابيت عاتكة التى أتقرل » محرفا عما أثبتناه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

« معجز أحمد » فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى ، فجرى ذكر المتنبي فهَضَم المرتضى من جانبه ، فقال المعرى : لو لم يكن له من الشعر إلا قوله [من الكامل] :

* لكِ يا منازل فى القلوب منازلُ *

لكفاه ، فغضب المرتضى وأمر بسحْبِه و إخراجه(١) ،وقال للحاضرين :أتدرون ماعنى هذابذكر هذا البيت ؟ قالوا : لا ،قال:عنى به قول المتنبي[من الكامل] :

وإذا أتَتْكَ مَذمتى من ناقِص فهىَ الشَّهادةُ لى بأنى فاضلُ

ومن التلميح بهذا البيت بعينه ماحكاه صاحب الحدائق أن الفتح ابن خاقان ذكر ابن الصائغ فى كتابه المسمى بقلائد العقيان فقال فيه « رَمدعين الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يتشرَّع ، ولا يأخذ فى غير الأضاليل ولا يشرع ، ناهيك من رجل لا يتطهر من جَنَابه ، ولا يُظهِرُ مخائل إنابه » فبلغ ابنَ الصائغ انتقاصُه له ، فمر يوما على الفتح وهو جالس فى جماعة ، فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح ، وقال له : شهادة يافتح ، ومضى ، فلم يَدْرِ أحدٌ ما قال إلا الفتح ، فتغير لونه ، فقيل : ماقال لك؟ فقال : إنى وصفته بما تعلمون فى كتابى ، فما بلغت بذلك عُشْرَ ما بلغ هو منى بهذه الكلمة ، إنه يشير بها إلى قول المتنبي [من الكامل] :

وإذا أتَتْكَ مذمتى من ناقص فهىَ الشهادة لى بأنى فاضلُ

ومن هذا القبيل قصة السَّرى الرفاء مع سيف الدولة بن حمدان بسبب المتنبى أيضاً ، فانهما كانا من مُدَّاحه ، فجرى ذكر المتنبي يوماً فى مجلس سيف الدولة ،فبالغ فى الثناء عليه ، فقال السرى : أشتهى أن الأمير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لأعارضها ،و يتحقق بذلك أنه أرْكَبَه فى غير سَرْجِه،فقال له سيف الدولة : عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها[من الطويل] :

---

(١) فى المطبوعتين « وأمر بسجنه وإخراجه » وليس بشىء ، ومن أين للمرتضى أن يأمر بالسجن ؟ !

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

لِعينَيْكِ ما يَلْقَى الفؤادُ وما لقى ... وللحُبِّ ما لم يبق منى وما بقى

قال السرى : فكتبت القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته ، لكن رأيته يقول فيها :

إذا شاء أن يَلهو بلِحْيةِ أحْمَق ... أراهُ غُبَارى ثم قال لهُ الْحقِ

فعلمت أن سيف الدولة إنما أشار إلى هذا البيت ، فأحجمت عن معارضته

ومن بديع التلميح قول الرئيس أبى العباس بن أبى طالب رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

وكم ليلةٍ نلتُ فيها الْمُنَى ... وبات لى الحِبُّ فيها نجيًّا

إذا ضلَّ لَحْظىَ فى جُنحها ... هدَتْ وجنَتَاه الصِّرَاط السويًّا

أراع فأسأل عن صُبْحها ... فيرجع لى جُنْحها نم هَنيًّا

إلى أن بَدَالىَ سِرْحانُها ... يُحاول للجَدْى فيها رقيًّا

فيا لك من ليلةٍ مِتُّها ... أنادمُ بدرَ دُجاها البهيًّا

حكت ليلة السفح فى حُسنِها ... فأصبَحْتُ أحكى الشريف الرضيًّا

يشير إلى قول الشريف الرضى رحمه الله تعالى فى قصيدته البديعة المشهورة وهو [من البسيط] :

ياليلة السَّفح هلاَّ عُدْتِ ثانيةً ... سقى زمانكِ هطّال من الدِّيم

وأمستِ الريح كالغيْرَى تجاذِبنا ... على الكثيبِ فضُول الرَّيط واللمَم

يَشِى بِنَا الطيبُ أحياناً وآونة ... يُضيئنا البرقُ مجتازاً على إضم (١)

وباتَ بارِقُ ذاك الثَّغْر يوضحُ لى ... مَواقع اللثم فى داج من الظُّلم

و بيننا عفّة بايعتها بيدِى ... على الوفاء لها والرَّعْىِ للذمم

و بَلَّلَ الطَّلُّ بُرْدَيْنَا وقد نَسمَتْ ... رويحة الفجر بين الضال والسَّلم

(١) فى المطبوعتين « يشوبنا الطيب » وأثبتنا ما فى الديوان .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وأكتمُ الصبحَ عنها وهي غافلة حتى ترنمَ عصفورٌ على عَلَمِ
فقُمْتُ أنفُضُ برداً ما تعلّقَهُ غيرُ العفافِ وراء الغَيْبِ والكرَمِ
وألْمَسَتْنِي وقد جدَّ الوَدَاعُ بنا كفًّا يشيرُ بقضْبَانٍ مِنَ العنمِ
وألْثمتني ثَغراً ماعدلْتُ به أرْيَ الجنى بِبنات الوَابِلِ الرذمِ
ثم انثنينا وقد رَابَتْ ظواهرُنا وفي بواطننا بُعْدٌ عن التهمِ

ومن لطائف التلميح قول أبي فراس من أبيات [من الطويل]:

وقال أصَيْحَابي الفِرارُ أو الردى فقلتُ ها أمران أحلاهما مُرُّ
ولكنني أمضي لمالا يَعيبني وحسْبُكَ من أمرين خيرهما الأسْرُ
ولا خير في دفع الردى بمذلةٍ كما ردها يوماً بِسَوْأتِهِ عمرو

يريد عمرو بن العاص لما ضربه علي رضي الله عنه يوم صفين، فاتقاه بسوأته كاشفاً عنها، فأعرض وقال: عورة المرء حمى، وقد وقع ذلك لبشر بن أرطاة أيضا مع علي رضي الله عنه كما وقع لعمرو، وكان مع معاوية بصفين أيضا، فأمره أن يلقى عليا، وقال له: سمعتك تتمنى لقاءه، فلو ظفرك الله به حصلت على دنيا وأخرى، ولم يزل يشجعه ويمنيه حتى رآه، فقصده في الحرب، والتقيا، فصرعه علي، فكشف عن سوأته، فتركه، وفي ذلك يقول الحارث بن النضر السهمي، وكان عدواً لعمرو وبشر [من الطويل]:

أفي كل يوم فارسٌ ليس ينتهي وعورَته وَسْطَ العَجاجةِ بادِيَهْ
يكف بها عنهُ عليٌّ سنانه ويضحكُ منهُ في الخلاء مُعَاوِيَهْ
بدَتْ أمس من عمرو فقَنَّعَ رأسه وعَوْرة بشر مثلها حذو حاذِيَهْ
فقولا لعمرو ثم بشر: ألا انظرا سبيلكما لاتلقيا الليث ثانيَهْ
ولا تحمدا إلا الحيا وخُصَاكما هُمَا كانتا والله للنفس واقيَهْ
فلولا هُمَا لم تنجيَا من سنانِهِ وتلك بما فيها عن العَوْد ناهيَهْ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

متى تَلْقَيا الخيلَ المشيحةَ صُبْحَةً وفيها علىٌّ فاتركا الخيلَ ناحيَهْ
وكونا بعيداً حيثُ لاتدرك القنا نحورَ كما إن التجارب كافيَهْ

ومن التلميح البديع قول أبي فراس أيضاً [من الطويل] :

وقد علمت أمى بأن مَنِيَّتى بحد سِنَانٍ أو بحدّ قضيبِ
كما علمت من قَبْلِ أن يغرق ابنُهَا بمُهْلَكِهِ فى الماء أمُّ شبيبِ

يشير إلى مارأته أم شبيب الخارجى فى منامها وهى حامل به من أن ناراً خرجت من بطنها فاشتعلت الآفاق ، ثم وقعت فى ماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها غير مرة لم تصدق ، حتى قيل لها : إنه قد غرق ، فصدّقت ، وأقامت المَنَاحة عليه . 14

ومن بديع التلميح ماحكى أن عبدالرحمن بن الحكم قدم على معاوية رضى الله عنه الشام ، وكان قد عزل أخاه مروان عن المدينة وولى سعيد بن العاص ، فوجّهه أخوه وقال له : القه أمامى ، فعاتِبْه لى واستصلحه ، فلما قدم دخل عليه وهو يُعشى الناس ، فأنشأ يقول [من الوافر] :

أتَتْكَ العيسُ تنفخ فى براها تكشف عن مَنَاكِبها القُطُوعُ
بأبْيَضَ من أمية مضرحيٍّ كأن جَبينَهُ سيف صنيعُ

فقال له معاوية: أزائرا جئت أم مفاخرا أم مكاثرا ؟ فقال : أىّ ذلك شئت، فقال : ما أشاء من ذلك شيئا ، وأراد معاوية رضى الله عنه أن يقطعه عن كلامه الذى عَنَّ له ، فقال: على أى الظهر آتيتنا ؟ قال : على فرس ، قال : ماصفته ؟ قال : أجشّ هزيم ، يعرض بقول النجاشى له [من الطويل] :

ونَجّى ابنَ حَرْبٍ سابحٌ ذو عُلالة أجَشُّ هزيمٌ والرماح دَوَانى
إذا خِلْتَ أطرافَ الرماح تنالُه مَرَرْتَه به الساقانِ والقَدَمانِ

فغضب معاوية رضى الله عنه ، وقال : أما إنه لا يركبه صاحبه فى الظلم إلى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

الريب ، ولاهو ممن يتسوّر على جاراته ، ولا يتوثّب على كنائنه بعد هجعة الناس، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك فى امرأة أخيه ، فخجل عبد الرحمن وقال : يا أمير المؤمنين ، ماحملك على عزل ابن عمك ؟ أالخيانة أوجبت سخطا أم لرأى رأيته وتدبير استصلحته ؟ قال : لتدبير استصلحته ، قال : فلا بأس بذلك ، وخرج من عنده فلقى أخاه مَرْوَان ، فأخبره بما جرى بينه و بين معاوية فاستشاط غيظاً ، وقال لعبدالرحمن : قبحك الله ! ما أضعفك ! عرضت للرجل بما أغضبه حتى إذا انتصر منك أحجمت عنه ، ثم لبس حلته وركب فرسه وتقلد سيفه ودخل على معاوية رضى الله عنه فقال له حين رآه وتبين الغضب فى وجهه : مرحباً بأبى عبد الملك ، لقد زرتنا عند اشتياق منا إليك ، قال : لاها الله مازرتك لذلك ، ولا قدمت عليك فألفيتك إلا عاقا قاطعاً ، والله ما أنصفتنا ولا جزيتنا جزاءنا ، لقد كانت السابقة من بنى عبدشمس لآل أبى العاص بصهر رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلافة فيهم ، فوصلوكم يابنى حرب وشرفوكم وولوكم فما عزلوكم ولا آثروا عليكم ، حتى إذا وليتم وأفضى الأمر إليكم أبيتم إلا أثَرَةً وسوء صنيعة وقُبح قطيعة ، فرُوَيْدًا رويداً قد بلغ بنو الحكم و بنو بنيه نيفا وعشرين ، و إنما هى أيام قلائل حتى يكملوا أربعين و يعلم أمَرْوَان يكون منهم حينئذ، ثم هم للجزاء بالحسنى و بالسوءى بالمرصاد ، فقال له معاوية رضى الله عنه : عزلتك لثلاث لو لم تكن منهن إلا واحدة لأوجبت عزلك : إحداها أنى أمرتك على عبدالله بن عامر و بينكما ما بينكما فلم تستطع أن تثنى منه ، والثانية كراهتك لأمر زياد ، والثالثة أن ابنتى رملة استعدتك على زَوْجها عمرو بن عثمان رضى الله عنهما فلم تُعْدِها ، فقال له مروان : أما ابن عامر فانى لا أنتصر منه فى سلطانى ، ولكن إذا تساوت الأقدام علم أين موقفه ، وأما كراهتى أمر زياد فان سائر بنى أمية كرهوه ، وجعل الله لنا فى ذلك الكره خيراً كثيراً ، وأما استعداء رملة على عمرو فوالله إنه ليأتى على سنة أو أكثر وعندى بنت عثمان رضى الله عنه فما أكشف لها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ثوبا ، يعرض بأن رملة إنما تستعدى عليه طلباً للنكاح ، فقال له معاوية رضى الله عنه : يا ابن الوَزَغ لست هناك ، فقال له مروان : هو ذاك الآن ، والله إنى لأبو عشرَة وأخو عشرة وعم عشرة ، وقد كاد ولدى أن يكملوا العِدة ، يعنى أربعين ، ولو قد بلغوها لعلمت أين تقع منى ، فانخزل معاوية رضى الله عنه ، ثم قال مروان [من الوافر] :

فانْ أَكُ فى شِرَارِكم قليلاً ... فانى فى خيارِكُمُ كثيرُ

بُغَاثُ الطير أكثرها فراخاً ... وأمُّ الصقرِ مِقلاة نَزُورُ(١)

فما فرغ من كلامه حتى استخزى معاوية فى يده ، وخضع ، وقال : لك العتبى وأنا رَادُّك إلى عملك ، فوثب مروان وقال : كلا وعيشك لا رأيتنى عائداً إليه أبداً ، وخرج ، فقال الأحنف لمعاوية : ما رأيت قط لك سقطة مثلها ، ما هذا الخضوع لمروان ؟ وأى شىء يكون منه ومن بنى أبيه إذا بلغوا أربعين ؟ وأى شىء تخشاه منهم ؟ فقال له : ادْنُ منى أخبرك بذلك ، فدنا منه ، فقال له : إن الحكم ابن أبى العاص كان أحد من قدم مع أختى أمِّ حبيبة لما زفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو تولى نقلها إليه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحِدُّ النظر إليه فلما خرج من عنده قيل له : يارسول الله ، لقد أحْدَدْتَ النظر إلى الحكم ، فقال : ابن المخزومية ، ذاك رجل إذا بلغ ولده ثلاثين أو أربعين ملكوا الأمر بعدى ، فوالله لقد تلقاها مروان من عين صافية ، فقال له الأحنف : لا يسمعن هذا منك أحد ، فانك تضع من قدرك وقدر ولدك بعدك ، وإن يَقْضِ الله عز وعلا أمراً يكن ، فقال له معاوية رضى الله عنه : فاكتمها على يا أبا بحر إذا فقد لعمرى صدقت ونصحت .

ومن ظريف التلميح أن حمزة بن بيض الحنفى الشاعر قدم على بلال بن أبى بُردة ، وكان كثير المزاح معه ، فقال لحاجبه : استأذن لحمزة بن بيض الحنفى ،

(١) فى المطبوعتين « بغاث الطير أكثرهم » وليس بشىء .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فدخل الحاجب فأخبره به ، فقال : اخرج فقل له : حمزة بن بيض بن من ؟ فقال له: ادخل فقل له: الذى جئت إليه بنيار الحمام وأنت أمْرَدُ تسأله أن يهب لك طائرا فأدخلك وناكك ووهب لك الطائر ، فشتمه الحاجب ، فقال له: ما أنت وذاك ؟ بعثك برسالة فأخبره بالجواب ، فدخل الحاجب وهو مُغضَبٌ فلما رآه بلال ضحك وقال : ما قال لك قبحه الله ؟ فقال : ما كنت أخبر الأمير بما قال ، فقال: يا هذا أنت رسول فأد الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فحص برجليه ، وقال : قل له قد عرفنا العلامة فادخل، فأكرمه وسمع مديحه وأحسن صلته ، وأراد بلال بقوله بيض ابن مَنْ قول القائل [من البسيط]:

أنتَ ابنُ بيضٍ لَعَمْرِى لستُ أنكره فقدْ صدقتَ ولكن مَنْ أبو بيض

وعلى ذكره فقد ذكرت له واقعة مع أحد بنى مروان ، وكان يعبث به كثيراً فوجه إليه رسوله ليلة وقال : ائتنى به على أى حالة وجدته ، فهجم الرسول عليه فوجده داخلا إلى الخلاء ، فقال: أجب الأمير، فقال : ويحك ! أكلت كثيراً، وشربت نبيذاً حلوا وقد أخذنى بطنى ، فقال : لا سبيل إلى مفارقتك ، فأخذه وأتى به إليه ، فوجده قاعداً فى طارمة وعنده جارية عجيبة يتحظاها وهى تسجر البخور ، فجلس يحادثه وهو يعالج ماهو فيه من ذات بطنه ، فعرضت له ريح فسيَّبها ظنًّا أن البخور يسترها ، قال حمزة : فوالله لقد غلب ريحها المنتن ذلك الند، فقال : ما هذا يا حمزة ؟ فقلت : علىّ عهد الله والمشى والهَدْى إن كنت فعلتها وما فعلها إلا الجارية ، فغضب وخجلت الجارية وما قدرت على الكلام ، ثم جاءتنى أخرى فسرحتها ، وسطع والله ريحها ، فقال : ماهذا ويلك أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق إن كنت فعلتها ، وهذه اليمين تلزمنى إن كنت فعلتها ، ماهو إلا عمل هذه الجارية ، فقال : ويلكِ ! ماقصتكِ ؟ قومى إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئاً ، فأطرقت ، وطمعت فيها فسرحت الثالثة فسطع من ريحها مالم يكن فى الحساب ، فغضب عند ذلك حتى كاد يخرج من جلده، ثم قال : ياحمزة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

خذ بيد هذه الزانية فقد وهبتها لك ، وامض فقد نغصت على ليلتى ، فأخذت بيدها ، وخرجت ، فلقينى خادم فقال لى : ماتريد أن تصنع ؟ فقلت: أمضى بها، فقال : والله لئن فعلت ليبغضنك بُغضاً لا تنتفع به بعده ، وهذه ثلثمائة دينار فخذها ودع الجارية ، فقلت : والله لا نقصتك عن خمسمائة دينار ، فقال : ليس إلا ماقلت لك، قال : فأخذتها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعانى فلقينى الخادم وقال : هذه مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرك ولعله ينفعك ، فقلت : وماهو ؟ قال : تدعى أن تلك الفسوات الثلاث منك ، فقلت : هاتها ، ودخلت ، فلما وقفت بين يديه قلت : لى الأمان أيها الأمير ، فقال : قل ، فقلت : أرأيت تلك الليلة وما جرى من الفسوات ؟ قال : نعم ، قلت : علىّ وعلىّ إن كان فَسَاهُنّ غيرى ، فضحك حتى سقط على قفاه ، قال : فلم ويلك ما أخبرتنى ؟ فقلت : أردت خصالا ، منها أن قمت وقضيت حاجتى ، ومنها أنى أخذت جاريتك ، ومنها أنى كافأتك على أذاك بمثله حيث منعنى رسولك من دفع أذاى ، قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما خرجت من دارك ، وأخبرته الخبر ، فسر به ، وأمر لى بمائتى دينار أخرى ، وقال : هذه لجميل فعلك وتركك أخذ الجارية

ومن جيد التلميح قول أبى تمام الطائى [من الطويل] :

لئن فَخَرَت يوماً تميمٌ بقوسها ... وزَادَتْ على ما وَطَّدَت من مَنَاقِب (١)

فأنتم بذى قار أمالَتْ سيوفُكمْ ... عروش الذين استرْهَنُوا قوس حاجِبِ

يشير إلى قصة حاجب بن زُرارة حين أتى كسرى فى جَدْب أصابهم بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه لقومه أن يصيروا فى ناحية من بلاده حتى يحيوا فقال : إنكم معاشِرَ العرب ذوو غَدْر وحرص ، فان أذنت لكم أفسدتم البلاد ، وأغرتم على العباد ، فقال حاجب : إنى ضامن للملك أن لا يفعلوا ، فقال : ومن لى بأن تفى ؟ فقال: أرهنك قوسى، فضحك مَنْ حوله، فقال كسرى: ما كان ليسلمها

(١) فى المطبوعتين « نجارا على ما وطدت » وأثبتنا ما فى الديوان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أبداً ، فقبلها منه وأذن لهم، ثم أحيى الناس بدعوته صلى الله عليه وسلم ، وقدمات حاجب ، فارتحل ابنه عطارد رضى الله عنه إلى كسرى يطلب قوس أبيه، فردها وكساه حلة ، فلما رجع أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم يقبلها ، فباعها من يهودى بأربعة آلاف درهم .

ويشير فيه أيضاً إلى وقعة ذى قار المشهورة ، وكانت بين الفرس والعرب ، وكانت بعد وقعة بدر بأشهر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ولما بلغه خبرها قال : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبى نصروا .

وعن ابن عباس قال : ذكرت وقعة ذى قار عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ذلك يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبى نصروا » .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثلت له الواقعة وهو بالمدينة فرفع يديه ودعا لبنى شيبان ولجماعة ربيعة بالنصر ، ولم يزل يدعو لهم حتى رأى هزيمة الفرس .

ويروى أنه قال « إيهاً بنى ربيعة » فهم إلى الآن إذا حاربوا دعوا بشعار النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته لهم ، وقال قائلهم : يارسول الله وَعْدَكَ ، فاذا دعوا بذلك نصروا .

وقد لمح إلى ذلك المطرانى بقوله [من المنسرح] :

تَزْهو علينا بقَوْس حاجبها زَهْوَ تميم بقوس حاجبها

وقد لمح إلى ذلك الصفدى فقال مُوَريا فى مليح قلندرى حلق حاجبيه [من الطويل] :

بَدَا لِىَ فى حَلْقِ الحَواجِبِ فِتْنَةٌ فقُلْتُ بِعقْلٍ ذاهلٍ فيه ذاهِبِ

حَبِيبِى بِحَقِّ اللهِ قل لِىَ ما الَّذِى دَعاكَ إلى هذا ، فقال مُجَاوِبِى:

وَعدْتُ بِوَصْلِ العاشِقِينَ تَعطفاً فَلْيَتقوا واستر هنوا قَوْسَ حاجِبِى

ومن لطيف التلميح قول الحسن بن القوطية [من الطويل] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رأى صاحبي عَمْراً فكَلَّفَ وصْفَهُ وحملنى من ذاكَ ما لَيْسَ فى الطَّوْقِ
فقلت: له عمرٌو كعمرٍو، فقَالَ لى: صَدَقْتَ ولكن شَبَّ عمرو عن الطوْقِ

يشير إلى قصة عمرو بن عدى بن أخت جذيمة الأبرش، وكانت الجن قد استهوته صغيراً. ثم قدم وقد التحى، فى خبر طويل، فأدخلته أمه رقاش إلى الحمام، وألبسته ثياب الملك، ووضعت فى عنقه طوقاً من ذهب كان له، وأزارته خاله، فلما رأى لحيته والطوق فى عنقه قال «شبَّ عمرٌو عن الطوق» فذهب مثلا.

و إلى ذلك لمح السراج الوراق بقوله من أبيات [من البسيط]:

بطوق سمورةٍ كادت محاسنهُ تكونُ للوُرْق فى أفنانهن سَمَرْ
إن شب عمرو عن الطوق الذى زعموا فقل وقد شب فى الطوق الوزير عُمَرْ

وأشار إلى ذلك بقوله أيضاً [من مجزوء الرمل]:

مثل ما قد شب عمْرٌو هكذا شابَ عُمَرْ

ومن غريب التلميح ما حكى أن رجلا قعد على جسر بغداد، فأقبلت امرأة بارعة الجمال من ناحية الرصافة إلى الجانب الغربى، فاستقبلها شابٌّ فقال لها: رحم الله على بن الجَهْم! فقالت له: رحم الله أبا العلاء المعرى! وما وَقَفَا بل سارا مشرقاً ومغربا، قال: فتبعت المرأة وقلت لها: لئن لم تخبرينى بما أرا بابن الجهم وما أردت بأبى العلاء فضحتك، فقالت: أراد به قوله [من الطويل]

عُيون المَهَا بينَ الرصافةِ والجِسرِ جَلَبْنَ الهوى من حيثُ أدْرى ولا أدْرى

وأردت أنا بأبى العلاء قوله [من الطويل]:

فيا دارَها بالخَيْفِ إنَّ مَزارَها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوالُ

ومن التلميح أيضاً قوله [من الوافر]:

شقيت بكم وكنت لكم جليساً فَلَسْتُ جليسَ قَعْقَاعِ بن شورِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وهذا يشبه تعريض ولادة بنت المستكفى فى قولها [من السريع] :

إنَّ ابن زَيْدونَ على فضله يَغْتابُنى ظلماً ولا ذَنْبَ لِى

يلْحَظُنِى شَزْراً إذا جئْتُه كأنَّنى جئتُ لأخْصِى عَلِى

ومثله قول أبى الحسن بن نفادة [من المقتضب] :

إن ابن زَيْنَبَ رامٍ له مَرَامٍ بَعيدَهْ

يَرِيشُنى بسهامٍ تجىء غيرَ سَديدَهْ

والله إن لم يَدَعْنى لأخصينَّ عبيدَهْ

وما أحسن قول أبى نواس [من الوافر] :

فأعْرَضَ هيْثَمٌ لما رآنى كأنى قد هجوتُ الأدعياء

فعرَّض بكونه دعياً ، ثم تهكم به ، فقال :

فقد آليتُ لا أهْجُو دَعِيًّا ولو بَلَغَتْ مُرُوءتُهُ السماء

ومن ظريف التلميح ما روى أن شريك بن عبد الله النميرىّ ساير يزيد ابن عمرو بن هبيرة الفزارى يوماً ، فبرَزَتْ بغلة شريك ، فقال يزيد : غض من لجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، أصلح الله الأمير ! فقال له يزيد : ما ذهبتُ حيث أردت .

ويزيد أشار إلى قول جرير [من الوافر] :

فغضَّ الطرفَ إنكَ من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغْتَ ولا كلاَبَا

فعرَّض له شريك بقول ابن دارة [من البسيط] :

لا تأمننَّ فزارِيًّا نزلْتَ به على قلوصكَ واكتبها بأسيارِ

وكان بنو فزارة يُرْمَوْنَ باتيان الابل .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومثله ما حكى أن تميمياً نزل بفزارى ، فقال له : قلوصَكَ يا أخا تميم لا تنفر القطا ، فقال : إنها مكتوبة .

أشار الفزاريّ إلى قول الطرماح [من الطويل] :

تميمٌ بِطُرْقِ اللؤم أهدَى مِنَ القَطَا
ولوْ سَلَكَتْ سُبْلَ المكارم ضَلّتِ

وأشار التميمى إلى بيت ابن دارة المـار .

و بيت الطرماح هذا يقول بعده :

ولوْ أنّ بُرْغوثاً على ظهرِ قملةٍ يكرّ عَلَى صَفِّ تميم لولّتِ

وقد أخذ ابن لنكك صدر البيت الأول ، فقال [من الطويل] :

تعستمْ جميعاً مِنْ وجوهٍ لبلدةٍ تكَنفكمْ لؤمٌ وجَهْلٌ فأفْرَطَا
أرَاكمْ تعيبونَ اللثـامَ وإننى أرَاكم بطرق اللؤم أهدى من القطَا

ومثله ما حكى أن تميما قال لشريك النميرى : مافى الجوارح أحبُّ إلى من البازى ، فقال النميرىّ : خاصة إذا كان يصيدُ القطا

أشار التميمى إلى قول جرير [من الوافر] :

أنَا البازِى المطلّ على نمـيرٍ أتيحَ من السماء له انصبابَا

وأشار النميرى إلى بيت الطرماح المـارّ قبله .

ومن ذلك ما روى أن رجـلا من بنى مُحارب دخل على عبد الله بن يزيد الهلالىّ ، فقال عبدالله: ماذا لقينا البارحة من شيوخ بنى محارب، ما تركونا ننام، فقال المحاربى : أصلحك الله ! أضلوا البارحة برقعاً فكانوا فى طلبه .

أراد الهلالى قول الأخطل [من الطويل] :

تَرِيشُ بِلاَ شىء شيوخ مُحاربٍ وما خِلْتُهَا كانتْ تَرِيشُ ولاتبرِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ضَفادِعُ فِي ظلماء ليل تجاوَبتْ فدَلَّ عليها صوتُها حيةَ البَحرِ

وأراد المحاربي قول الآخر [من الطويل]:

لكل هلالي من اللؤم بُرْقُعٌ ولابن هلال برْقُعٌ وجِلالُ

ومنه ما ذكره صاحب البيان، قال: دخل عبد الحميد بن سعيد بن مسلم الباهلي ومعه ابنه الأفوه، وكان مبغضاً، فتخطى الناس حتى بلغ إلى عمر بن فرج الرخجي، فلما قرب منه قال له: من هذا؟ فقال: ابني، أصلحكَ الله! وهل يخفى القمر، فقال: إن كان كذلك فرفع عنه حاشية الازار.

أراد قول بشار بن برد [من الوافر]:

إذا أعيتك نسبةُ باهليّ فرَفع عنه حاشية الازارِ

على أستاهِ سادَتهمْ كتابٌ مَوَالى عامرٍ وَسْماً بِنَارِ

ومن ظريف التلميح: ما حكي أن الحَيْصَ بَيْصَ حضر ليلةً عند الوزير في شهر رمضان على السماط، فأخذ أبو القاسم بن القطان قطاة مشوية، وقدمها إلى الحيصَ بَيصَ، فقال الحيص بيص للوزير: يا مولانا هذا الرجل يؤذيني، فقال الوزير: وكيف ذاك؟ قال: لأنه يشير إلى قول الشاعر:

تميمٌ بطرقِ اللؤمِ أهدَى مِنَ القَطَا

ولَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ المكارِمِ ضَلَّتِ

وكان الحيص بيص تميمياً، وقد سبق له ذكر في شواهد الهزل الذي يراد به الجد، وكان ابنه يلقب هَرْجَ مَرْجَ، وابنته: دَخْلَ خَرْجَ.

ومما يستظرف لأبي القاسم المذكور، وهو مما نحن فيه: أنه لما ولي الزينبي الوزارة دخل عليه والمجلس حافل بالرؤساء والأعيان، فوقف بين يديه ودعا له، وأظهر الفرح والسرور، ورقصَ، فقال الوزير لبعض من يفضي إليه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بسرّه : قبح الله هـذا الشيخ ! فانه يشير برقصـه إلى قولهم : ارقص للقرد فى دولته .

وقد نظم أبو القاسم المذكور هذا المعنى ، وكتبه إلى بعض الرؤساء [من مجزوء الخفيف] :

يا كمال الدين الذى هُوَ شَخصٌ مشخّصُ
والرئيسُ الذى بـهِ ذنبُ دَهرى يمحّصُ
كلما قلتُ قدْ تبغـــدَدَ قومى تحمصُوا
وغوَاشٍ على الرؤو سِ عليها المقرنصُ
والرّواشـــينُ وَالمناَ ظر والخيلُ تقمصُ
وأنا القردُ كـل يَو مٍ لـكلب أبصبصُ
كلّ منْ صفقَ الزما نُ لهُ قُمتُ أرقصُ
محنٌ لاَ يفيدُ ذَا النـــون منهاَ التبرصصُ
فمتىَ أسمعُ النـــدَا ء وقدْ جاَء مخلصُ

وفى معناه قول ابن عتبة الاشبيلى ، وكان قد فارق الأندلس وهى مضطربة بدولة ابن هُودٍ ، وقدم مصر ، فلما سئل عن حاله أنشد [من مخلع البسيط] :

أصْبحتفىمصرمستضاماً أرقصُ فى دولة القرودِ
واضيعةَ العمرِ فى أخيرٍ من النصارى أو اليهودِ
بالجدّ رزقُ اللئام فيهمْ لا بِذوَات ولا جدُودِ
لاتبصرُ الدهرمن يُراعى معنى قصيد ولا قصُودِ
أودّ من لؤمهم رُجُوعاً للغرب فى دولة ابن هُودِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وعلى ذكر الرقص للقرود فبديع قول أبي الحسن الأهوازى [من مخلع البسيط] :

قلتُ لمَنْ لامَ لا تلمنى كل امرىء عالم بشانه
لا ذَنب فيما فعلتُ إنى رقصتُ للقرد فى زمانه
من كرم النفس أن تراها تحتملُ الذلّ فى أوانه

ومنه قول على بن بسام [من مخلع البسيط] :

لابدَّ يانفسُ من سجود فى زمن القرْد للقرودِ

وقوله أيضاً [من الوافر] :

سَجدنا للقرودِ رَجاء دُنيا حَوَتْهَا دوننا أيدى القرودِ
فما آلت أناملنا بشىء علمناه سوَى ذل السُّجُودِ

وكان أبو القاسم بن القطان صاحب نوادر، منها أنه دخل يوما على الوزير ابن هُبيْرَةَ وعنده نقيب الأشراف، وكان ينسب إلى البخل، وكان فى شهر رمضان والحر شديد، فقال له : أين كنت ؟ قال : فى مطبخ سيدى النقيب، فقال الوزير : ويلك فى شهر رمضان فى المطبخ، قال : وحياة مولانا كسرت فيه الحر، فتبسم الوزير، وضحك الحاضرون، وخجل النقيب

وهجا قاضى القضاة جلال الدين الزينبي بقصيدة كافية أولها [من مجزوء الخفيف] :

يا أخى، الشَّرْطُ أملَكُ لستُ للثلب أتْرُكُ

وهى تزيد على مائة بيت، فسير إليه أحد الغلمان، فأحضره، وصفعه، وحبسه فكتب إلى مجد الدين استادار الخليفة [من الوافر] :

إليك أظلُّ مَجْدَ الدين أشكو بلاءً حلَّ لستُ له مطيقا
وقوماً بلّغُوا عنى مُحالاً إلى قاضى القُضاةِ النذب سيقا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فأحضرنى بباب الحكم شخصٌ غليظٌ جرَّنى كما وزيقا
وأخفقَ نعلُه بالصفْعِ رأسى إلى أن أوجسَ القلبُ الخفوقا
على الخَصْم الأداء وقد صُفِعْنَا إلى أن ما تَهَدَّيْنَا الطريقا
فيا مولاى هب ذا الافك حقاً أنُحْبَسُ بعد ما استَوْفَى الحقوقا

فشفع فيه فأطلقه من الحبس ، فقال [من السريع] :

عند الذى طرق بى أنه قد غضَّ من قَدْرى وآذانى
والحبس ما غيَّر لى خاطراً والصفع مالين آذانى

ويضارع هذا ما حكى أنه كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير ، وكان قد بلغ سناء الملك أنه قد هجاه ، فأدبه بالصفع وشتمه ، فكتب إليه ابن المنجم الشاعر [من البسيط] :

قل للسعيد أدام الله دولته صديقنا ابن وزيرٍ كيف تظلمه
صفعته إذ غدا يهجوك منتقماً منه ، ومن بعد هذا ظَلْتَ تشتمه
هجو بهجو ، وهذ الصفع فيه رِبًا والشرع ما يقتضيه بل يُحَرِّمه
فان تقل ما لهجو عنده أثر فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وما أظرف قول القائل [من الطويل] :

حباها بأكرام وقام مبادراً إلى وتد البيقار علق خفها
وكان إذا مارَابَهُ سوء فعلها يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقد كان أبو الفرج بن السوادى الشاعر الواسطى مدح قاضى القضاة الزينبى لما قدم من واسط ، فتأخرت عنه جائزته فاجتمع بابن القطان وشرح له حاله ، فكتب إلى صديق لقاضى القضاة [من المديد] :

يا أبا الفضل الهجاء إذا ضاق صَدْرٌ منه يتسع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقوافي الشعر واثبةٌ ولها الشيطان متبع
فاحذرُوا كافات منحدر مالكم فى صفعه طمعُ

فاتصلت الأبيات بالزينبي ، فأجاز ابن السوادى وأرضاه .

ومن نوادر ابن القطان أنه قصد دار بعض الأكابر فى بعض الأيام ، فلم يؤذن له ، فعز عليه ، فأخرجوا من الدار طعاماً لكلاب الصيد ، وهو يبصره ، فقال : مولانا يعمل بقول الناس « لعن الله شجرة لا تظل أهلها »!

ومن ظريف التلميح ما حكاه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل إلى الجامع الأزهر يوماً ، فوجد أبا الحسين الجزار جالسا وإلى جانبه مليح ، ففرق بينهما وصلى ركعتين ، فلما فرغ قال لأبى الحسين : ما أردت إلا قول ابن سناء الملك . وقال أبو الحسين : وأنا تفاءلت بقول صاحبنا السراج الوراق

أراد ابن النحاس بقول ابن سناء الملك [من مجزوء الرمل] :

أنَا فى مقعد صدقٍ بين قوّاد وعلق

وأراد الجزار بقول السراج الوراق [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ رَاض الأبيّ فقاده سلس القياد
لما توسط بيننا جرت الأمور على السداد

ومحاسن ما أتينا به من التلميح تغتفر الاطالة . والله تعالى أعلم .

* * *

شاهد حسن الابتداء

٢١٧ — قِفَا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ
بسقط اللوَى بينَ الدَّخُولِ فحوْملِ

البيت من الطويل ، وهو مطلع قصيدة امرىء القيس السابقة فى شواهد المقدمة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

والسقط : حيث انقطع معظم الرمل ودق ، واللوى : ما التوى من الرمل أو مُسْتَرَقُّه ، والدَّخُول وحَوْمل : موضعان .

والشاهد فيه: حسن الابتداء ، ويسمى براعة المطلع ، وبراعة الاستهلال ، فبيت أمرىء القيس هذا أبدع فيه، لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ، عذب اللفظ، سهل السبك ، وانتقد عليه عدم المناسبة فى الشطر الثانى .

و أحسن منه فى التناسب ـ و إن كان مطلع امرىء القيس أكثر معانـ قول النابغة [من الطويل] :

كِلينى لهمٍّ يا أُمَيْمَةَ ناصِبِ وليلٍ أقاسيهِ بطىءِ الكواكِبِ

فان قسميه متناسبان وألفاظه متلائمة .

وما سمع أشد مباينة من قسمى بيت جميل فى قوله [من الطويل] :

ألاَ أيها النُّوّام وَيْحَكُمُ هُبُّوا أسائلكم هل يَقْتُلُ الرجُلَ الحبُّ

وهذا البيت هو الذى قال فيه الرشيد إما للمفضل الضبى أو غيره: هل تعرف بيتاً نصفه بدوى فى شملة و باقيه مخنث فى بِذْلَةٍ ، فأنشده البيت ، فاستحسن فكره.

* * *

شاهد
حسن الابتداء

٢١٨ — قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وسَلَامُ خَلَعَتْ عليه جمالها الأيامُ

البيت لأشجع السلمى ، من قصيدة من الكامل يمدح بها الرشيد ، والرواية « نثرت» بدل « خلعت » ، و بعده :

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتَّقَى للمُلْكِ فيه سلامَةٌ وسلامُ

قصرٌ سقُوفُ المزن دون سقوفِهِ فيه لأعلام الهدَى أعلامُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

نَشَرت عليه الأرض كسوتها التي نسجَ الربيعُ وزخْرَفَ الإرْهامُ
أدنتكَ من ظل النبي وَصِيَّةٌ وقرابة وشجَتْ بها الأرحامُ
بَرَقَتْ سماؤك في العَدُوِّ فأمطرَتْ هاماً لها ظلُّ السيوف غمامُ
وإذا سُيُوفكَ صافحَتْ هامَ العدا طارَت لهن عن الرؤوس الهامُ
يُثْنى على أيامك الاسلامُ والشاهِدَان الحلُّ والاحْرَامُ
وعلى عدوِّكَ يابنَ عَمِّ محمد رَصَدَانِ ضوء الصبح والاظلامُ
فاذا تَنَبه رُعْتَهُ وإذا غفَا سَلَّتْ عليه سُيُوفَكَ الأحلامُ

حدث عبد الله بن العباس الربيعي أن أول من أدخل أشجع إلى الرشيد الفضل بن الربيع، فانه مدحه، فوصفه للرشيد، وقال: هو أشعر شعراء هذا الزمان وقد اقتطعته عنك البرامكة، فأمر باحضاره وإيصاله مع الشعراء، فلما وصل إليه أنشده هذه القصيدة، فاستحسنها، وأمر له بعشرين ألف درهم، فمدح الفضل ابن الربيع وشكر له إيصاله إلى الخليفة، فقال فيه قصيدته التي أولها [من الكامل]:

غَلَبَ الرقادُ على جُفُونِ المسعِدِ وغرقْتُ في سَهَرٍ وليلٍ سَرْمَدِ
قد جدَّ بي سهرٌ فلم أرقُدْ له والنومُ يلعبُ في جفون الرقَّدِ
ولطالما سَهِرَتْ بحبي أعينٌ أهدى السهاد لها ولما أسْهَدِ

ويقول فيها:

أأقيم مُحْتملا لضَيْمِ حوادثٍ مَعَ هِمَّةٍ مَوْصولة بالفَرْقَدِ
وأرَى مخايلَ ليس يَخلف نوءها للفضل إن رَعدت وإن لم ترعَدِ
للفضل أموال أطاف بها الندى حتى جَهَدْنَ وجودُه لم يجهَدِ
يا ابن الربيع حسرت شكرى بالذى أوليتنى في عَوْدِ أمرِكَ والبَدِ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أوْصَلْتَنى ورَفَدَتنِي وكلاهما شَرَف فقأتُ بهِ عيونَ الحسَّدِ
وكفيتنى منن الرجال بنـائل أغنى يدى عن أن تُمَدَّ إلى يدِ

والشاهد فى البيت : حسن الابتداء .

وقد ضمنه الصلاح الصفدى فى مرثية فقال [من الكامل] :

صَلَّى وراءك كل مَنْ عاصرته علماً بأنك فى البيـان إمامُ
وكأن قـبرك للعيون إذا بدا (قصرٌ عليه تحية وسلامُ)

ومن محاسن الابتداء قول أبى نواس [من الطويل] :

خليليّ هذا موقف من متيم فعُوجا قليلا وانظراهُ يسلم

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لمن دمَنٌ تزدادُ حُسْنَ رسومِ على طول ماأقْوَتْ وطيب نسيمِ

وقول البحترى [من الطويل] :

يُودِّىَ لو يَهْوَى العذول و يَعْشَقُ ليعلم أسبابَ الهوى كيف تَعْلَقُ

وقول أبى تمام [من الكامل] :

لا أنتَ أنتَ ولا الديارُ ديارُ خَفَّ الهوَى وتقَضَّتِ الأوْطارُ

وقول المتنبى [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاق تحسبُ الدمْعَ خِلْقَةً فى المآقى

وقوله [من الطويل] :

حُشَاشة نفس وَدَّعتْ يوم ودعوا فلم أدرأىَّ الظاعنـينَ أشيعُ

وقول ابن المعتز مع تناسب القسمين [من الخفيف] :

أخذَتْ من شبابىَ الأيامُ وتولَّى الصِّبَا عليه السلامُ

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يا ساهرَ البرق أيقظْ راقدَ السَّمرِ لعلَّ بالجزْعِ أعواناً على السَّهرِ

وقول ابن هانى ، مع بديع الاستعارة [من الكامل] :

بَسَم الصَّباحُ لأعين النُّدَماءِ وانْشقَّ جَيْبُ غلالة الظَّلْماءِ

وقول الشريف أبى جعفر البياضى مشيرا إلى الرفق بالابل عند السُّرى [من الكامل] :

رفقاً بهنّ فما خُلقْنَ حديدَا أوَما تَراها أعظُماً وجُلودَا

وقول ابن قاضى ميلة [من الطويل] :

يذيل الهَوَى دَمْعى وقلبى المعنّفُ وتَجْنى جفونى الوجْدَ وهو المكلَّفُ

وقول التهامى [من الخفيف] :

حازَكِ البينُ حين أصبحْتِ بَدْرَا إنَّ للبدر فى التّنقُّل عذْرَا

وما أرشق قوله بعده :

فارْحلى إن أرَدت أو فأقيمى أعْظَمَ الله للهَوَى فىّ أجْرَا

لا تقولى لقاؤنا بعدَ عشْرٍ لستُ ممن يعيشُ بعدك عشْرَا

وقول علىّ الشطرنجىّ الحلبىّ من قصيدة نظامية [من الكامل] :

أمّا عُلاكَ فدونها الجوزاء قَدْراً فماذا يَنْظِمُ الشعراء

وما أبدع ما قال بعده:

يَرْتَدُّ عنك الفكرُ وهوَ مُهَنَّدٌ ويضيق فيك القولُ وهو فضاء

شرفٌ أناف على السِّماك وهمةٌ ضاقَتْ بمسرح عزمها الدهناء

وفضائلٌ جاءتْ أخيرَ زمانها فحثت على ما سَطَّرَ القدماء

وقول سعيد بن على من نظامية [من الطويل] :

أبى الضيمَ قلبٌ بين جنبَىَّ قُلَّبُ وعزمٌ من الشهبِ الثواقبِ أثْقَبُ

و بديع قوله بعده :

وكلفنى خَوْضَ الدجى طلبُ العلا ولولا المعالى ما طَيانى مركبُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فما لى وللاّحى يُطيل ملامتى كأنى لغير المجد أسعى وأدأبُ

وقول ابن العواذلى من نظامية [من البسيط] :

لو كان للدَّهْرِ حِسٌّ أو له كَلِمُ أثنى عليكَ بما يُثنى به الخَدَمُ

* * *

شاهد قبح الابتداء

٢١٩ — * مَوْعِدُ أحبابك بالفرقَةِ غَدْ *

قائله ابن مقاتل الضرير، أحد شعراء الجبال، فى مطلع قصيدة من الرجز أنشدها للداعى إلى الحق العلوى الثائر بطبرستان، فقال له : بل موعد أحبابك ولك المثل السوء .

والشاهد فيه : قبح الابتداء

وروى أيضاً أنه دخل عليه فى يوم مِهْرَجان وأنشده [من المديد] :

لا تَقُلْ بُشْرَى ولـكن بُشْرَيَان غُرّة الداعى ويَوْمُ المِهْرَجان

فتطير منه الداعى، وقال : أعمى يبتدىء بهذا يوم المهرجان، وأمر ببَطْحِه وضربه خمسين عَصاً، وقال : إصلاح أدبه أبلغ فى ثوابه

ومن الابتدا آت القبيحة قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان [من الوافر] :

* أتَصْحُو أم فؤادك غير صاح *

فانه لما أنشده قال له عبد الملك : بل فُؤادك يابن الفاعلة

ومثله قول ذى الرمة لما دخل على عبد الملك وأنشده قصيدته التى أوّلها [من البسيط] :

* ما بالُ عينِكَ منها الماء ينسكبُ *

وكانت عين عبد الملك تَدْمع دائما، فتوهم أنه خاطبه وعرض به، فقال له :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة ؟! ومقته وأمر باخراجه .

ومثله قول أبى النجم حين دخل على هشام بن عبد الملك وأنشده أرجوزته فى وصف الشمس [من الرجز] :

صَفْراء قد كادَتْ ولما تَفْعَلِ ... كأنها فى الأفق عينُ الأحْوَلِ

فأمر بوجء عنقه وإخراجه من الرصافة

ومن قبيح الابتداء قول البحترى ، وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التى أولها [من الطويل] :

* لك الوَيلُ من لعلٍ تقاصَرَ آخِرُهْ *

فقال له : بل لك الويل والحَرَبُ .

ومنه ما حكى أن أبا نواس مدح الفضل بن يحيى البرمكى بقصيدة أولها [من الطويل] :

أرَبْعَ البِلَى إن الخشوعَ لبادِ ... عليك ، وإنى لم أخُنْكَ ودادِى

فتطير الفضل من هذا الابتداء ، فلما انتهى إلى قوله فيها :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فُقِدتُمُ ... بنى بَرْمَكٍ من رائحين وغادِ

استحكم تطيره ، فلم يمض أسبوع حتى نزلت بهم النازلة .

ومنه قصة إسحاق بن إبراهيم الموصلى مع المعتصم ، فانه دخل عليه وقد فرغ من بناء قصره بالميدان ، فشرع فى إنشاد قصيدة أولها [من الكامل] :

يادار غَيَّرَكِ البِلَى وعَفَاكِ ... يالَيْتَ شِعرِى ما الَّذِى أبْلاكِ

فتطير المعتصم من قبح هذا الابتداء ، وأمر بهدم القصر على الفَوْر ، وهذا مع يقظة إسحاق وشهرته بحسن المحاضرة ، وطول خدمته للخلفاء ، ولكن قد يَخْبو الزِّناد ، ويكبو الجواد ، مع أنه قيل : أحسنُ ابتداء ابتدأ به مولد قول إسحاق الموصلىّ [من الخفيف] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

هل إلى أن تَنَامَ عَيْنِي سَبيلُ إنَّ عهدى بالنوم عهدٌ طويلُ

ولقد عيب على أبى الطيب المتنبي خطابه لممدوحه حيث قال [من الطويل]:

كفى بك داء أن ترَى الموت شافيًا وحَسْبُ المنايا أن يكنَّ أمانيا

ومما يتعجب منه فى هذا الباب قول مهيار [من الطويل] :

وإنك مَذْخورٌ لإحياء دولةٍ إذا هى ماتت كان فى يدك النَّشْرُ

كيف تفاءل لممدوحه بنشر يده ، وكذلك قوله يتغزل [من الكامل] :

فى صَدْرها حَجَرٌ وتحت صدارها ماء يشف وبانةٌ تتعطَّفُ

فقوله « فى صدرها حجر » أبشع لفظ ، لما فيه من إيهام الدعاء .

وكذلك ابن قلاقس فى قوله [من الكامل] :

بطلاقة أبدَتْ بصفحةِ وجهِهِ وضَحَ الصباحُ لمن له عَينانِ

حيث جعل الوضحَ بوجهه

ولا يخفى ما فى كثير مما ذكر من المشاحة والتعنت .

ومنه ما قاله الناصر بن العزيز للحاجرى حين أنشده [من الطويل] :

وما اخضرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتًا وإنما لكثرة ما شُقَّتْ عليهِ المَرَائِرُ

عسى هذا الخدُّ كان مسلخًا

وهذا أمر يطول استقصاؤه ، وفيما أوردناه مقنع ، إن شاء الله تعالى .

***

شاهد براعة الاستهلال

٢٢٠ — بُشْرَاكَ قدْ أنجزَ الاقبالُ ما وعَدَا

هو من البسيط ، وقائله أبو محمد الخازن ، من قصيدة يهنىء بها الصاحب ابن عباد بسِبْطه الشريف أبي الحسن عباد بن على الحسنى[1] ، وتمام المطلع :

(١) اقرأها فى يتيمة الدهر (٣ ـ ٢٣٦ بتحقيقنا)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تفرّع فى النبوة ثم ألـقى بِضَبْعَيْهِ إلى خير الصِّحاب
تلاَقتْ لابن عباد فروع الـــنبوّة والوزارة فى نصـاب
فلاَ تُغْرَرْ بِرَقدَته الليالى ولاَ تسمدْ لهُ الهمم النوَابى
فَمَنْ خَضعت له الأسد الضوَارى تَرَفّعَ عن مغاوَرَةِ الذئاب

ولما أملك عباد هذا بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة ، قال إسماعيل الشاشى قصيدة ، أولها [من البسيط] :

المجدُ ما حرست أولاهُ أخراهُ والفخرُ ما التفّ أقصاه بأدناهُ
والسعىُ أجلبهُ للحمد أصعبهُ والذكرُ أعلاه فى الأسماع أغلاهُ
والفرْعُ أذهبهُ فى الجوّ أنضَرُهُ والأصل أرسخهُ فى الأرض أنقاهُ
اليومَ أنجَزَتِ الآمالُ ماوعدَتْ وأدركَ المجدَ أقصى ما تمنّاهُ

يقول فيها :

اليومَ أسفرَ وجهُ المُلْكِ مُبتسماً وأقبلتْ بـبَرِيدِ السعد بشراهُ

يقول فيها أيضا :

قدْ زُفَّ مَنْ جَدُّه كافى الـكفاةِ إلى
مَنْ خَالُهُ ملكُ الدنيا شهنشاهُ

والشاهد فى البيت : براعـة الاستهلال ، وهو : أن يكون فى الابتـداء إشارة إلى ماسيق الكلام لأجله .

فمن ذلك ، وهو ممـا يشعر بالتهنئة بزوال المرض ، قول أبى الطيب المتنبي [من البسيط] :

المجدُ عُوفِىَ إذ عُوفيتَ والـكرَمُ
وزَالَ عنكَ إلى أعدائكَ السَّقَمُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول لسان الدين الخطيب ، المشعر بالتهنئة ، والنصر على الأعداء ، [من الكامل] :

الحقُّ يعلو والأباطلُ تسفلُ والله عن أحكامهِ لا يُسْألُ

وقول مهيار الديلمى المشعر بالاعتذار [من الطويل] :

أما وهَوَاهَا عِذرَةً وتَنَصُّلاً لقدْ نقل الواشى إليها وأمحلاَ
سعَى جهدهُ لكنْ تجاوز حدَّهُ وكَثَّرَ فارتابَتْ ولوْ شاء قللاَ

وقول الباخرزى المشعر بالتهنئة [من الكامل] :

وفَتِ السعودُ بوعدها المضْمونِ وتَرَادَفت بالطائرِ الميمونِ
وعلاَ لواء المسلمين وشافَهُوا تحقيقَ آمالٍ لهم وظُنُونِ

وقول أبى نصر أحمد بن إبراهيم الكاتب فى التهنئة ببناء دار [من المنسرح]:

أهلا بدار أبان بانيها دلائلَ المجد فى مَغانيها
دارٌ حكَتْ صَدْرَ رَبِّهاسَعَةً تُسافر العينُ فى نواحيها

وقول محمد بن أبى العباس المسكانى فى التهنئة بالوزارة [من الوافر] :

يبشرنى علوّك بالوزارهْ وذاك الملك أولى بالبشارهْ

وقول أبى محمد المطرانى ، المشعر بذم المشيب ومدح الشباب [من المتقارب]:

ألمّ المشيبُ برأسى نذيرا ووَلَّى الشباب بعهدى نضيرا
وأصبحَ ضوْءُ صباح المشيب لغرْبان ليل شبابى مَطيرا
كذَاك إذَا لاَح نور البكورِ لسود الطيور هَجَرْنَ الوكُورا

ترجمة أبى محمد الخازن

وأبو محمد الخازن : هو عبد الله بن أحمد الخازن ، قال فيه صاحب اليتيمة[1] : هو من حسنات إصبهان وأعيان أهلها فى الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها فى الشعر

(١) اقرأ ترجمته فى يتيمة الدهر (٣ - ٣٢١ بتحقيقنا)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومن خواص الصاحب، ومشاهير صنائعه، وذوى السبق فى قديم خدمته (١).

وكان فى اقتبال شبابه ورَيْعَان عمره يتولى خزانة كتبه، وينخرط فى سلك ندمائه، ويقتبس من نور آدابه، ويستضيء بشعاع سعادته، فتصرف من الخدمة فيما قَصَّرَ أثره فيه، عن الحد الذى يحمده الصاحب ويرتضيه، كالعادات فى هفوات الشبيبة، وسقطات الحداثة، فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله، ذهب مغاضبا أو هارباً، وترامت به بلدان العراق، والشام، والحجاز فى بضع سنين، ثم أفضت حاله فى معاودة حضرة الصاحب بجرجان إلى مايقصه ويحكيه فى كتاب كتبه إلى صديقه أبى بكر الخوارزمى، وذكر فيه عُجرَه وبُجَره، وقد ذكرته تنبيها على بلاغتـه وبراعته، واختصارا للطريق إلى معرفة قصته.

وهذه نسخته — كتابى، أطال الله بقاء الأستاذ، سيدى ومولاى! من الحضرة التى نُرحل عنها اختياراً، ونرجع إليها اضطراراً، ونسير عن فنائها إذا أبطرتنا النعمة، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة. ومن لم تهذبه الاقالة هذبه العثار، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار. وما الشأن فى هذا، ولـكن الشأن فى عشر سنين فاتت بين علم ينسى، وغم لا يحصى. وإنفاق بلا ارتفاق وأسفار لم تسفر عن طائل، ولم تغن عنى بريش طائر، وبُعدٍ عن الوطن على غير بلوغ الوطر، ورجعت — يشهد الله — صفرَ اليدين من البيض والصفر، أتلو «والعصر إنَّ الإنسان لفى خُسْرٍ» وأنا بين الرجاء فى أن أقال العثار، والخوف من أن يقال: زأر الليثُ فلا قَرَار، ولـكننى قد كنت قدّمت تطهير نفسى، فلجت حتى حجت، وعدت بغبار الاحرام، وبركة الشهر الحرام.

وحين خيمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس — أدام الله تمكينه! — خبرى إلى الحضرة، حَرَسَ الله بهاها وسَناها، والناسُ ينظرون هل أقبل، فيتلقونى بأكرم الرتب، أم أسخط، فيتحامونى كالبعير الأجْرب،

(١) فى اليتيمة «وذوى السابقة فى مداخلته وخدمته»

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وَوَرَدَ توقيعُ مولانا الصاحب كافى الكفاة ـ أطالَ الله مدته ، وكبت أعداءه ، وحَسدته! ـ بعالى خطه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا الأستاذ ـ أدَام الله عِزَّه ! ـ أن الكرم صاحبيّ لا برمكيّ ، وعَبَّادى لاحاتمى ، وأنا نتجرم ، ثم نتندم ونميل على جانب الادلال ، ثم لا نروى إلا من الماء الزلال ، والتوقيع « ذكر مولاى ، أدام الله عزه عَوْدَ أبى محمد عبدالله الخازن ـ أيده الله ! ـ للفناء الذى فيه دَرَج ، والوكرِ الذى منه خَرَج ، وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى إيابه ، لم يكن بأقل منه عند اغترابه [1] ، فانأحبّ أن يقيم مُدَيْدَة ، يقضى فيهاوطر الغائب ، و يضع معها أوزار الآئب ، فليكن فى ظلّ من مولانا ظليل ، ورأى منه جميل ، وَبرمن دِيوانتا جزيل ، وإن حفزه الشوق فَرِحاً بمن قَربته التربية لدينا ، فأفسدته العزة [2] علينا ، وردَّته التجربة إلينا ، وسبيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، و يعينه على كل قبيل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى ، لا جرم أنى أخذت مالا ، وأغنيت عيالا ، وقلت : ليس إلا الجمازة ، والمفازة ، وصبحت جرجان [مُسْيَ] عاشرة أهدى من القَطَا الكُدْرى ، كأنى دعَيْمِيصُ الرمل ، أستاف أخلافَ الطرق ، وأنَا مع ذلك أحسب العفو عنى حلماً ، ولا أقدّر ما جنيت يعقب حلما ، وكأنى ما خطوت إلا فى التماس قربة ، ولا أخطأت إلا لتأثيل حرمة ، وكأنى لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ فىّ بقول الله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » ، وقد ورد فى التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب فى المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر. وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا إلى دورنا بفضلات الخير ، وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم ، وراجع الطبع شيء كان يُدْعى الشعر ، كذلك آدم عليه السلام : أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج منها بما كان من جُرْمه ، وهو عائد إليها بعفو الله وطَوْله ، وحسبى الله ونعم الوكيل .

(١) فى اليتيمة «وقد علم الله أن إشفاقى عليه فى اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إيابه » (٢) فى اليتيمه « الغرة » .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال الثعالبي : فهذا الكلام كما تراه يجمع بين السهولة والحلاوة ، وحسن التصرف في لطائف الصنعة ، ويملك رق الاتقان ، والابداع والاحسان ، ويعبر عما وراءه من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة .

وأما شعره فجار مجرى عُقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وهو من نظراء الخوارزمي والرستمي ، وما أصدق قوله [من البسيط] :

لا يحسن الشعرُ ما لم يسترق له ... حرُّ الكلام وتستخدم له الفِكَرُ
انظرْ تجد صور الأشعار واحدةً ... وإنما لمعانٍ تُعْشَقُ الصورُ
والمعدمون من الابداع قد كثروا ... وهم قليلون إن عُدُّوا وإن حصروا
قومٌ لو انهمُ ارتاضوا لما قرضوا ... أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

قال : وكان أبو بكر الخوارزمي أنشدني لمعاً من شعره ، كقوله في وصف الغبار وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه [من الخفيف] :

إنَّ هذا الغبارَ ألبسَ عِطْفَيَّ سواداً ، ودينَ التوحيدُ
وكساعارضيّ ثوب مشيبٍ ... ورداء الشباب غضٌّ جديدُ

وقوله ، أو هو لأبيه أحمد[1] [من الكامل] :

منْ يستقمْ يحرمْ مناه ومن يزغْ ... يختص بالاسعاف والتمكين
انظر إلى الألف استقام ففاته ... نقطٌ وفاز به اعوجاجُ النون

وعكس هذا المعنى أبو طالب يحيى بن زياد ، فقال [من الكامل] :

إن كنتَ تسعى للزيادة فاستقمْ ... تنَلِ المراد ولو سموْتَ إلى السما
ألفُ الكتابة وهوَ بعضُ حروفها ... لما استقام على الجميع تقدَّما

(١) نسبه ابن خلكان لأبيه أحمد في ترجمته (انظر الترجمة رقم ٦١ في وفيات الأعيان ١/١٣١ بتحقيقنا)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رجع إلى شعر الخازن

وله أيضاً فى الغزل [من الكامل] :

حُثَّ المطىَّ فهذه نجْدُ ... بَلَغَ المَدَى وتزايد الوَجْدُ

ياحبذا نجد وساكنها ... لو كان ينفع « حبذا نجد »

و بِمُنْحَنَى الوادى لنا رشأ ... قد ضل حيث الضال والرَنْدُ

هند ترى بسيوف مقلتها ... مالاَ تَرى بسيوفها الهندُ

وله أيضاً من قصيدة يعتذر فيها إلى الصاحب [من الوافر] :

لنار الهم فى قلبى لهيبُ ... فَعَفوا أيها الملك المهيبُ

فقد جاز العقابُ عقابَ ذنبي ... وضج الشعر واستعدى النسيب

وفاضت عبرةً مهجُ القوافى ... وغصصها التذلل والنحيب

وقد فصمت عراها واعتراها ... لسخطك بعد نَضْرتها شحوب

وقالت مالعفوك ليس يندى ... لنا وسماء مجدك لاتَصُوبُ

ومن يك شوط همته بعيداً ... فمثنى عطفه سهل قريب

تجاوزَتِ العقوبةُ منتهاها ... فهَبْ ذنبى لعفوك ياوَهُوبُ

وأحْسِنْ إننى أحسنت ظنى ... وأرجو أنَّ ظَنِّى لايخيب

أترضى أن أكون لَقًى مقيما ... على خَسْفٍ أذوب ولاتثوب

أبيت ومقلتى أبِقٌ كَرَاها ... وفى ألحاظها صَابٌ صَبيب

وقيذاً لايلائمنى طعامى ... ولاينساغ لى الماء الشروب

صببت على سوطا من عذاب ... يذل لبأسه الدهر الغلوب

وأرهقنى نكيرك لى صَعُودا ... من الأشجان ليس له صَبُوب

وماعَونى على بَلْوَاى إلا ... رجائى فيك والدمع السكوب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فان تعطف على رجل غريب فانى ذلك الرجلُ الغريبُ
عليك أنيخ آمالى فَرحِّبْ بها ، وإليك من ذنبى أتوب
وأخطو مايريب إذا دَهَتْنى غوامضه إلى مالا يريب
فأية طَرْبة للعفو إن الـ ـكريم ـ وأنت معناه ـ طروب
فانى نَشْء دارك والمغذَّى بسَيْبك والصنيعةُ والرَّبيبُ
وأبْتُ إليك من عفوٍ مدِلا بما يقضى علاك لمن يؤب
ولذت ببابك المعمور علما بأن ذراك لى مَرْعَى خصيب
وأن شعابه أندى شعاب إليها يلجأ الرجل الأديب
وسُقْتُ بناتِ آمالى إليها وقد حفيت وأنضاها الدءوب
فَبوِّئنى اختصاصك حيث تُجْنَى ثمار العز والعيشُ الرطيب
ولكن كادنى خب حقود لعقرب كيده نحوى دبيب
ومالجموح ألفته جنيب ولالشَّمال فرقته جَنُوبُ
ولايشفيه منى لو رآنى وقد أخذت بحلقومى شَعُوبُ
بلوت الناس من ناء ودان وخالطنى القبائلُ والشُّعُوبُ
فكل عند مغمزه ركيك وكل عند مشربه مَشُوبُ
فجُدْلى بالرضا واقبل متابى وعذرى ، إننى أسِفٌ كئيب

وله من قصيدة صاحبية طويلة [من الكامل] :

مازلت أعتسفُ المهامه والفَلا وأواصل الإغوار بالإنجَاد
حتى نأيت عن الخواضِر ملقيا رَحْلى بواد فى نخوم بوادى(١)
فاذا بسعدى وهى بدر طالع من فوق غصن فى نَقَى مُنْهَاد(٢)
وطرقها وعداؤها رقباؤها فى صورة المرتاب لاالمرتاد

(١) فى المطبوعتين « حتى نأيت عن الخواطر » وأثبتنا ما فى اليتيمة وهو الذى يتسق مع عجز البيت (٢) هكذا فى اليتيمة وفى المطبوعتين « نقى مهاد »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فحللت منها حيث كان وشاحها درعى وساعدها الوثير وسادى
وخمارها حصنى وساحر طرفها سيفى وفاحمها الأثيث نجادى
وعقاصها المرصول زهرة روضتى ورضابها المعسول صوب عهادى
حيث الصباعبق الحواشى مونق يزهى بناعم غصنه الميـاد
والروض أحوى والحمائم هتف والظل ألمى والقيان شوادى

ومحاسنه كثيرة، وفيما أوردناه كفاية

* * *

من شواهد مراعاة الاستهلال

٢٢١ — هى الدُّنْيا تقُولُ بملء فِيهَا حَذَارِ حَذَارِ مِنْ بَطشى وفَتكى

البيت لأبى الفرج الساوى، من قصيدة من الوافر، يرثى بها فخر الدولة ابن بُوَيْه

وكان من خبر وفاته — كما حكاه العُتْبى — أنه لما فرغ من القلعة التى استحدثها على جبل طبرك نزل بها مرتاحا، فاشتهى طرائح من لحم البقر، فنُحِرت بين يديه واحدة، وطفق أصحابه يَطْهُونَ له من أطايبِهَا، وهو ينال منها، وأتبعها بعناقيد كَرْم، ودارت عليه الكؤوس ملأى ولاء، فلم يلبث أن لوى عليه جوفه، واتصل على الألم صوته، إلى أن جثَم عليه موته، فرثاه الساوى بهذه القصيدة، وبعد البيت:

ولا يغركم حُسْنُ ابتسامى فقولى مُضْحك والفعلُ مُبكى
بفخر الدولة اعتبرُوا فانى أخذْتُ الملك منه بسيف ملكى
وقد كان استطال على البَرَايَا ونظَّمَ جمعهم فى سِلك ملك
فلو شمس الضحى جاءته يوما لقال لها عُتُوًّا أفٌّ منك
ولو زُهْرُ النجوم أتت رضاه تأبَّى أن يقول رضيت عنك
فأمسى بعد ما قَرَع البرايا أسير القبر فى ضيق وضَنْك

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أقدر أنه لو عاد يوماً إلى الدنيا تَسَرْبل ثوب نُسك
دعى يانفس فكرك فى ملوك مضوا بك فى انقراض وَيْكِ فابكى
فلا يغنى هلاك الليث شيئاً عن الظبي السليب قميص نسك
هى الدنيا أشبهها بشَهْدٍ يسم ، وجيفةٍ طُلِيَتْ بمسكِ
هى الدنيا كمثل الطفل ، بينا يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
ألا ياقومنا انتبهوا فانا نحاسب فى القيامة دون شك

والشاهد فيه : براعة الاستهلال أيضاً ، فانه يشعر بابتدائه بأنه فى الرثاء

ومن ذلك قول التهامى فى مرثية ولده ، وهى من غرر القصائد [من الكامل] :

حُكْمُ المنية فى البرية جارى ماهذه الدنيا بدار قَرَار
طُبعت على كدر وأنت تريدُها صفواً من الأقذاء والأكدار
بينا يرى الانسان فيها مخبِراً حتى يرى خبراً من الأخبار
ومكلِّفُ الأيام ضدَّ طباعها متطلبٌ فى الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فانما تبنى الرجاء على شفير هار
العيش نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال سارى
فاقضوا مآربكم عِجَالاً إنما أعماركم سَفَرٌ من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا أن تستردَّ فانهن عوارى

ومنها :

ليس الزمان وإن حرصت مُسالما خُلُقُ الزمان عداوةُ الأحرار
وَلَدُ المعزى بعضُه ، فاذا مضى بعضُ الفتى فالكلُّ فى الآثار
أبكيه ثم أقول معتذراً له وقفت حين تركت ألأم دار

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

جاورت أعدائى وجاور ربّهُ شتان بين جواره وجوارى
أشكو بعادك لى وأنت بموضع لولا الردى لسمعتَ فيه سِرارى
والشرق نحو الغرب أقرب شُقّةً من بُعْدِ تلك الخمسة الأشبار

ومنها :

وَطَرِى من الدنيا الشبابُ وروقه فاذا انقضى فقد انقضت أوطارى
قصرت مسافته وماحسناته عندى ولا آلاؤه بقصار
تزداد هَمًّا كلما ازددنا غِنًى فالفقر كل الفقر فى الاكثار
مازاد فوق الزاد خلف ضائع فى حادث أو وارث أو عار
إنى لأرحم حاسِدِىَّ لحرّما ضمنت صدورهُمُ من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة وقلوبهم فى نار
لاذنب لى، قدرمْتُ كَتْمَ فضائلى فكأنما برقعت وجه نهار
وسترتها بتواضعى فتطلعت أعناقُها تعلو على الأستار
ومن الرجال مجاهل ومعالم ومن النجوم غوامض ودرارى
والناس مشتبِهون فى إيرادهم وتفاوت الأقوام فى الإصدار

وهى طويلة ، وإنما أثبت منها ماأثبت ليكون غرة لهذا الكتاب ، وتذكرة لأولى الألباب

ومن القصائد المشهرة بالرثاء قولُ الشريف الموسوى يرثى أبامنصور الشيرازى الكاتب [من المنسرح] :

أى دُمُوعٍ عَلَيْكَ لم تَصِبِ وأى قلب عَلَيْكَ لم يَجِبِ
مالى وما للزمان يَسْلُبنى فى كل يوم غرائب السلب
أما فتى ناصرُ الصبا كأخى عندىَ أو زائدُ المدَى كأبى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وإننى للشقاء أحسُبُنى ألعب بالدهر وهو يلعب بى

وقول ابن نُباتة يهنىء الملك الأفضل صاحب حماةَ ويعزيه بوالده الملك المؤيد وهى من غرر القصائد [من الطويل] :

هَنَاء مُحاذاك العزاء المقدَّما فما عَبَسَ المحزونُ حتى تَبَسَّما

ثُغُورُ ابتسام فى ثُغُورُ مدامع شبيهان لا يمتاز ذو السَّبق منهما

ترد مجارى الدمع والبشرُ واضحٌ كوابلٍ غيثٍ فى ضحى الشمس قدهمى

والفاتح لهذا الباب أبو نُوَاس ، وقيل : أبو الشيص، حيث قال يهنىء الأمين بالخلافة ويعزيه بالرشيد [من المنسرح] :

حرَتْ جوارٍ بالسَّعْدِ والنحس فالناسُ فى وحشةٍ وفى أنس

والعينُ تبكى والسِّنُّ ضاحكةٌ فنحنُ فى مأتم وفى عُرْس

يضحكها القائم الأمين ويبـــكيها وفاة الرشيد بالأمس

بدران بدرٌ أضحى ببغداد فى الـــخلد و بدرٌ بطوس فى الرَّمس

ومنه قول صالح بن عبد الله القدوس [من المديد] :

رب مغرُورٍ بلذّته فقدته كفُّ مغترسهْ

وكذاك الدهر مأتمه أقربُ الأشياء من عُرُسِهْ

وقول يعقوب بن الربيع [من الكامل] :

أتتِ البشارةُ والنعىُّ معاً ياقربَ مأتمها من العُرْس

ولأبى دُلامة يعزِّى بالمنصور ويهنىء بالمهدى [من الكامل] :

عيناى واحدة ترى مسرورة بأميرها جذلاً وأخرى تذرف

تبكى وتضحك تارة ويسوءها ما أنكرت ويسرها ماتعرف

فيسوءها موت الخليفة محرماً ويسرها أن قام هذا الأرأف

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ماإن رأيتُ كما رأيتُ ولاأرى شعراً أرجّلُهُ وآخر ينتف
هلك الخليفة يا لأمّة أحمدٍ وأتاكم منْ بعده من يخلفُ
أهدى لهذا الله فضل خلافةٍ ولذاك جنات النعيم تزخرف

ولمروان بن أبي الجنوب يرثي المعتصم ويهنىء الواثق [من الوافر] :

أبو إسحاق مات ضُحى فهُنّا وأمسينا بهارون حُبينَا
لئن جاء الخميس بما كرهنا فقد جاء الخميس بما هَوينَا

وبديع قول ابن قلاقس [من الكامل] :

خلف السعيد به الشهيد فأدمعٌ مُنهلّةٌ في أوجهٍ تتهلل
ملكان هذا راحلٌ وثناؤه باق ، وذا باق ثناه يَرْحَلُ

ولنذكر هنا من مطالع المتأخرين مايُزْرِى بمطالع البدور ، ويبهر نظمه محاسن الدر المنثور

فمن ذلك قول القاضي الفاضل [من الكامل] :

زار الصباحُ فكيف حالُكَ يادجى قم فاستدم بفرعه أو فالنّجا

وقوله أيضاً يخاطب العاذل [من البسيط] :

أخرِج حديثكَ من سمعي فمادخلا لاترْمِ بالقول سَهْماً رُبَّمَا قتلا

وما ألطف ماقال بعده :

ولايخفّ على قلبي حديثُك لي لا والذي خلقَ الانسان والجبلا

وقوله [من المتقارب] :

سمِعتُك والقلبُ لم يَسْمَعِ فكم ذا تَقولُ وكم لا يعى
يقول وما عندَه أنني بغير فؤَاد ولا أضلع
أما معَ هذا الفتى قلبُهُ فقلتُ نعم يافَتًى مامَعِي

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول ابن النبيه [من البسيط] :

يا ساكِنِي السَّفح كم عَيْنٍ بكُم سفحت ... نزحتم فَهْيَ بعدَ البُعْدِ قد نزحت

وقوله [من الطويل] :

رنا واثنى كالسيفِ والصُّعْدَة السَّمْرَا ... فما أكثر القتلى وما أرخص الأسْرَى

وقول ابن قلاقس [من البسيط] :

كم مُقلة للشَّقيق الغضِّ رمدَاءِ ... إنسانُهَا سابحٌ فى دمع أندَاءِ

وقوله [من الطويل] :

قِفَا فالأسى منى زفيرا وأدمعا ... أكانا لهُمْ إلا مصيفاً ومربعَا

وقول الظهير البارزى [من الطويل] :

يذكّرنى وجدى الحَمَامُ إذا غَنَّى ... لأنا كلانا فى الهَوَى نعشَقُ الغُصْنَا

وقول ابن العفيف [من الوافر] :

أعزَّ الله أنصار العيون ... وخلَّدَ ملكَ هاتيك الجفون

وما أظرف ماقال بعده :

وضَاعفَ بالفتور لها اقتِدَاراً ... وجَدَّدَ نعمة الحُسن المصُون

وصانَ حجابَ هاتيكَ الثنايا ... وإن ثنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجون

وأسبَغَ ظل ذاكَ الشعر يوماً ... على قدٍّ به هَيَفُ الغصون

وخَلَّد دولة الأعطافِ فينا ... وإن جارتْ على القلب الطعين

وقوله أيضاً [من الوفر] :

أدام الله أيام الوصال ... وخلد عُمرَ هاتيك اللّيالى

وأسبغَ ظل أعطاف التدانى ... وزادقُدُودها حسناً اعتدَال

ولازالت ثمارُ الوَصل فِيها ... تزيدُ لطافةً فى كل حال

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولا بَرِحَتْ لنَا فيها عُيُونٌ تغازل مُقلتى خَشْفِ الغزال

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل] :

حُرُوف غرامِى كلّها حرفُ إغراء على أن سقمى بعضُ أفعال أسماء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

أهلاً بطيفكم وسَهْلاً لو كنْتُ للإغفاء أهـلاَ
لـكـنّهُ وافى وقد حلَفَ السُّهادُ عَلىَّ أن لا

وقوله [من مخلع البسيط] :

ويلاه من نَوْمَىَ المشَرَّدْ وآه من شمـلىَ المُبَدَّدْ(١)

وقول ابن عنين [من الـكامل] :

ماذا على طيفِ الأحبةِ لوسَرَى وعليهمُ لوسامحُونى بالـكرى

وقول ابن نباتة المصرى [من البسيط] :

فى الريق سكر وفى الأصداغ تجعيدُ هذِى المدام وهاتيكَ العناقيدُ

وقوله [من الوافر] :

بدَا ورنَتْ لوَاحظُهُ دلالا فما أبهى الغَزَالةَ والغزَالا

وقوله أيضاً [من البسيط] :

سلبْتَ عقلى بأحداق وأقداح ياساجىَ الطَّرفِ أو ياساقىَ الرّاح

وما ألطف ما قال بعده [من البسيط] :

سَكْرَانُ من مُقلَة الساقى وقهوتِهِ فاترُك مَلاَمك فى السُّكرين ياصاح

وقوله [من البسيط] :

إنسان عينى بِتَعجيل السُّهادِ لِى عَمْرِى لقد خُلقَ الإنْسانُ من عجل

وقوله [من الخفيف] :

---

(١) سيأتى هذا المطلع مع جملة أبيات من القصيدة فى (ص ٢٥٩)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وقد أخذ ذلك بعدهما أبو إسحاق الغزى فقال [من الوافر] :

تقول إذا حثثناها فظلَّتْ تناجينا بألسنةِ الكلالَ

إلى أفقِ الهلالِ مَسيرُ رَكبِى فقلنا بل إلى أفق النوال

وقومس ـ بضم القاف وآخرها سين مهملة ـ صقع كبير بين خراسان و بلاد الجبل ، والمهرية ـ بفتح الميم ـ الابل المنسوبة إلى مَهْرة بن حيدان ، والقود : الطوال الظهور والأعناق ، واحدها أقود

والشاهد فيهما : حسن التخلص، وهو الخروج مما ابتدىء به الكلام من نسيب أو غيره إلى المقصود، مع رعاية الملاءمة بينهما ، وهو قليل فى كلام المتقدمين

وأبدع ما أوردوه لهم قول زهير بن أبى سلمى [من البسيط] :

إن البخيل مَلوم حيث كان ولَـــكنَّ الجَوَادعلى عِلاَّتِهِ هَرِمُ

ومنه قول الفرزدق [من الطويل] :

وركبٍ كأن الريح تطلب عندهم لها تِرَةً من جذبها بالعصائب

سَرَوْا يخبطون الليل وهى تلفهم إلى شعب الأكوار من كل جانب

إذا آنسُوا ناراً يقولون ليتها وقدخَصِرَتْ أيديهمُ نار غالب

وقول أبى نواس يمدح الخصيب صاحب مصر [من الطويل] :

تقول التى من بيتها خف محملى يعز علينا أن نراك تسير

أما دون مصر للغنى مُتَطلَّبٌ بلى إن أسباب الغنى لكثير

فقلت لها واستعجلتها بوادر جرت فجرى فى إثْرِهن عَبيرُ

دعينى أكن حاسديك برحلة إلى بلد فيه الخصيب أمير

إذا لم تطأ أرض الخصيب ركابنا فأى فتى بعد الخصيب نزور

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فتى يشترى حسن الثناء بماله ... ويعلم أن الدائرات تدور
فما جازه جود ولا حل دونه ... ولكن يصير الجود حيث يصير[1]

وقوله [من الكامل] :

وإذا جلست إلى المدام وشربها ... فاجعل حديثك كله فى الكاس
وإذا انتزعت عن الغواية فليكن ... لله ذاك النزع لا للناس
وإذا أردت مديحَ قوم لم تَمِنْ ... فى مدحهم فامدح بنى العباس

وقول مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أجدك هل تدرين كم رب ليلة ... كأن دُجاها من قُرونك تُنْشَرُ
لهوتُ بها حتى تجلَّتْ بغرة ... كغُرة يحيى حين يمدح جعفر

وقول أبى تمام من قصيدة [من الكامل] :

فالأرض معروف السماء قرى لها ... وبنو الرجاء لهم بنو عباس

وقوله [من الكامل] :

لا والذى هو عالم أن النوى ... صبر وأن أبا الحسين كريم

وقد عيب عليه هذا التخلص كما عيب على المتنبي قوله [من الوافر] :

غدا بك كلُّ خلْوٍ مستهاما ... وأصبح كل مستور خَليعَا
أحبك أو يقولوا جَرَّ نَمْلٌ ... ثَبيرًا وابن إبراهيم رِيعَا

وما أحسن قول البحترى [من الطويل] :

رياض تردت بالنبات مُجُودَة ... بكل جديد الماء عذب المواردِ
إذا راوحتها مُزْنَةٌ بكرت لها ... شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت ... عليها بتلك البارقات الرواعد

(١) الذى فى ديوانه وفى الموازنة ، وهو المحفوظ :

* ولكن يسير الجود حيث يسير *

ووقع فى وفيات الأعيان (١ — ١٢٠ بتحقيقنا) كما هنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقول المتنبي يمدح أحمد بن عمران من قصيدة [من الكامل] :

ومَطَالِبٍ فيها الهلاكُ أتيتها ثبتَ الجنان كأنني لم آتها
ومَقَانِبٍ بمقانب غادرتها أقواتَ وحشٍ كنّ من أقواتها
أقبلتها غرر الجياد كأنما أيدى بنى عمران فى جَبَهَاتِهَا

وقوله يمدح ابن عامر ، ويعرض بذكر أبيه بعد وفاته ، من قصيدة [من الطويل] :

ويوم وصلناه بليل كأنما على أفقه من برقه حُلَلٌ حُمْرُ
وليلٍ وصلناه بيوم كأنما على متنه من دَجْنِهِ حللٌ خضر
وغيث ظننا تحته أن عامراً علاً لم يمت أو فى السحاب له قبر

وقوله يمدح سيف الدولة [من الطويل] :

خليليّ مالى لا أرى غير شاعر فَلِمْ منهم الدعوى وَمنى القصائد(١)
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكنّ سيف الدولة اليوم واحد

وقول أبى العلاء من قصيدة [من الوافر] :

ولو أن المطى لها عقول وحقك لم نَشُدَّ لها عِقَالاَ
مواصلة بها رحلى كأنى من الدنيا أريد بها انفصالا
سألن فقلن مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهنّ فالا

وقول النامى [من الطويل] :

وليل له نجم كَلِيلٌ عن السُّرَى تحيَّر لا يَهْدى لقصد ولا يُهْدَى
كأنّيَ وَابن العمد والطرف أنجم على قصدها والنجم ليس على قصد
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضب جناحيه وَرْساً عُلّ بالعنبر الوردى
وحلت يد الجوزاء عقد وشاحها إزاء الثريا وهى مقطوعة العقد
فقلت أخيل التغلبى مغيرة أم الفجر يرمى الليل سدّاً على سد

(١) يروى « فكم منهم الدعوى »

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله من قصيدة [من الوافر] :

ألا ياماء دجلة لست تدرى بأنى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكراً عليك فلم تكن ياماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا بِمَ استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لأنك كل يوم تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شيء يضيق عن احتمالك فيه صدرى

ومن مخالصه على طريقته المشهورة فى السخف والمجون قوله [من الوافر] :

وقد بادلتها فمبالها لى بمشورة استها ولها قذالى
كما لابن العميد جميع مدحى ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص البديعة قول مهيار الديلمى يمدح سيف الدولة بن مزيد [من البسيط] :

تسعى السقاة علينا بين منتظر بلوغ كأس ووثاب فمستلب
كأنما قولنا للبابلىّ أدِرْ سُلَافَةً قولُنَا للمزيدى هَبِ

وقوله يمدح فخر الملك [من الوافر] :

أرى كبدى وقد بردت قليلا أمات الهمُّ أم عاش السرور
أم الأيام خافتنى لأنى بفخر الملك منها أستجير

وقوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها [من الكامل] :

لو كان يرفق ظاعن بمشيع ردّوا فؤادى يوم كاظمة معى
إن شاء بعدهم الحياة فَلْيَنْسَكِبْ أو شاء ظل غمامة فَلْيُقْلِعِ

يقول فيها :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فَمَقيل جسمى فى ظلال ربوعهم كاف ، وشربى من فواضل أدمعى
لزمت جفونى فى الديار فأخصبت فتنيت أن أردَ المياه وأرتعى
فكأن دمعى مدّ من أيدى بنى عبد الرحيم ومائها المتنبع
وكأن ليلى من تفاوت طوله أسيافهم موصولة بالأذرع

وقول الأرجانى يمدح ولىّ الدين الكاتب من قصيدة [من الخفيف] :

تركتنى معانيا لمعانٍ وأعادت أعاديا أصدقانى
كدرت مشربى وقد كان عين الـ شمس والماء دونه فى الصفاء
بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا تتثنّى كالبانة الغنّاء
وأمورى كأنها ألفاتٌ خطهن الولىُّ فى الاستواء

وقوله يمدح سديد الدولة الأنبارى مترسل الخلافة من قصيدة [من البسيط]:

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل ولا فؤادى على ما سُمتِ صبّارُ
إلا لأنك منّى اليومَ نازلةٌ بالقلب حيث سديد الدولة الجار

وقوله يمدح شهاب الدين أحمد بن أسعد الطغرائى من قصيدة مطلعها [من الطويل] :

إذا لم يخن صب فَفِيمَ عتابُ وإن لم يكن ذنب فمِمَّ يُتابُ
أجل مالنا إلا هواكم جناية فهل عندكم غيرَ الصدود عقابُ

يقول فى مخلصها :

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما لكل مسلم جيئة وذهاب
وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا إلى أن بدا للناظرين شهاب

وقول أبى نصر محمد الأصفهانى [من الكامل] :

بتنا نظن الليل ما اكتسب الدجى حتى نعاه صباحه بظلام

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ودنا الثريا للمغيب كأنها بدرُ اللآلى نُضِّدَتْ لنظام
والصبح قد صَدَعَ الظلامَ كراية بيضاء فى سود من الأعلام
أو رأى مولانا الوزير إذا احتبي يمحو ظلامَ الشك فى الأحكام

وقال بعده مع الزيادة فى الغلوّ :

ودّ الهلال لو أنه لجواده نعل وحافره أوان تمام
تا لله لو أصفى هواه مشرك لأقيم عند الله خير مقام

أستغفر الله من ذلك ! ! :

ومن المخالص البديعة الفائقة قول أبى القاسم بن هانى الأندلسى فى قصيدته البديعة التى منها [من الطويل]

بعيشك نبه كأسه وجفونه فقد نبه الابريق من بعد ماأغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها وقدقام جيشُ الليل للصبح واصطفّا
وولّتْ نجومٌ للثريا كأنها خواتيم تبدو فى بنان يدٍ تَخْفَى
ومَرَّ على آثارها دبرانها كصاحب ردء كنت خيله خلفا
وأقبلت الشعرى العبور ملية بمرزمها اليعبوب تجنبه طرفا
كأن بنى نعش ونعشا مطافل بوَجْرَةَ قد أضللن فى مهمه خشفا
كأن سُهَيلا فى مَطَالع أفقه مُفَارقُ إلفٍ لم يجد بعده إلفا
كأن سُهَاها عاشق بين عُوَّدٍ فآونة يبدو وآونة يخفى
كأن الهزيع الآبنوسى وَهْنَةً سرى بالنسيج الخسروانى ملتفا
كأن ظلام الليل إذ مال ميلة صريعُ مدام بات يشربها صرفا
كأن السماكين اللذين تظاهرا على كتديه ضامنان له الحتفا
كأن معلى قطبها فارس له لوا آن مركوزان قد كَرِهَ الزَّحفا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كأن قُدَامَى النسرِ والنسرُ واقعٌ ضعفن فلم تسم الخوافى به ضعفا
كأن أخاه حين دَوَّمَ طائراً أبى دون نصف البدر فاختطف النصفا
كأن رقيب الصبح أجدَلُ مرقب يفتش تحت الليل فى ريشه طرفا
كأن عمود الصبح خاقان عسكر من الترك نادى بالنجاشى فاستخفى
كأن لواء الشمس غرّة جعفر رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

ومثلها فى الحسن والوزن والقافية قول الخفاجى [من الطويل] :

سلا ظبية الوعساء هل فقدت خَشْفَا فانا لمحنا فى مراتعها ظِلْفَا
وقولا لخوط البان فاتمسك الصبا علينا فانا قد عرفنا بها عَرْفَا
سرت من هضاب الشأم وهى مريضة فما ظهرت إلا وقد كاد أن يخفى
عليلة أنفاس نداوى بها الجوى وضعفا ولكنا نرجى بها ضعفاً
وهاتفة فى البان تملى غرامها علينا وتتلو من صبابتها صحفا
عجبت لها تشكو الفراق جهالة وقد جاوبت من كل ناحية إلفا
ويشجو قلوب العاشقين حنينها وما فهموا مما تغنّتْ به حرفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى لما لبست طوقا ولا خَضَبَتْ كفا
أجارتَنَا أذكَرْتِ من كان ناسياً وأضرمْتِ نارا للصبابة لا تُطْفَى
وفى جانب الماء الذى ترِدينَهُ مواعيدُ ما يُنْكرن ليًّا ولا خُلْفَا
ومهزوزة للبان فيها شمائل جعلن له فى كل قافية وصفا
لبثنا عليها بالثنية ليلة من السود لم يطوا الصباح لها سجفا
لعمرى إن طالت علينا فاننا نكم الثريا قد قطعنا لها كَفَّا
رمينا بها فى الغرب وهى رميمة ولم نبق للجوزاء عِقْدًا ولا شَنْفَا
كأن الدجى لما تولّتْ نجومه مدبِّرُ حربٍ قد هزمنا له صفا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كأن عليه المجرة روضة مفتحة الأنوار أو نثرة زغفا
كأنا وقد ألقى إلينا هلاله سلبناه جاما أو قصمنا له وقفا
كأن السها إنسان عين غريقة من الدمع يبدو كلما ذرفت ذرفا
كأن سهيلا فارس عاين الوغى ففرّ ولم يشهد طرادا ولا زحفا
كأن سنا المريخ شعلة قابس تخطفها عجلان يقذفها قذفا
كأن أفول النسر طرف تعلقت به سِنَةٌ ماهبَّ منها ولا أغفى
كأن نصير الملك سلَّ حُسامه على الليل فانصاعت كواكبه كسفا

ولحازم صاحب المقصورة قصيدة طائية حذا فيها هذا الحذو، وهى بديعة فأحببت أن أعزز هاتين القصيدتين بها، ومطلعها [من الطويل] :

أمن بارق أوْرَى بجنح الدجى سِقْطَا تذكرت مَنْ حَلَّ الأبارق فالسقطا

يقول فيها بعد أبيات :

وكم ليلة قاسيتها نَابِغِيَّةٍ إلى أن بدت شِيباً ذوائبها شُمْطَا
وبت أظن الشهب مثلى لها هوى وأغبطها فى طول ألفتها غبطا
على أنها مثلى عزيزة مطلب ومن ذا الذى ماشاء من دهره يُعْطَى
كأن الثريا كاعب أزمعَتْ نوى وأمت بأقصى الغرب منزلة شحطا
كأن نجوم المقعة الزهر هَوْدَجٌ لها عن ذرى الحرف المناخة قد حطا
كأن رشاء الدلو رشوة خاطب لها جعل الأشراط فى مهرها شرطا
كأن السُّهَا قِدِدقٌ من فرط شوقه إليها كما قد دقَّقَ الكاتب النقطا
كأن سهيلا إذ تناءت وأنجدت غدا يائسا منها فأتهم وانْحَطا
كأن خفوق البرق قلبُ متيمٍ تعدى عليه الدهر فى البين واشتطا
كأن كلا النسرين قد رِيع إذ رأى هلال الدجى يهوى له مخلبا ملطا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

كأن الذى ضم القوادم منهما هوى واقعا للأرض أوقص أوقطا
كأن أخاه رام فوتا أمامه فلم يَعْدُ أن مَدَّ الجناحين وارتطَّا

ومثلها فى الحسن قول على بن محمد الكوفى من قصيدة [من الطويل] :

متى أرتجى يوما شفاء من الضنا إذا كان جانيه علىّ طبيبى
ولى عائدات شُقْتهن فجئن فى لباسِ سوادٍ فى الظلام قَشيبِ
نجوم أراعى طولَ ليلىَ برجها وهن لبعد السير ذات لغوب
خوافق فى جنح الظلام كأنها فؤاد مُعَنَّاة بطول وجيب
ترى حوتَها فى الشرق ذات سباحة وعقربها فى الغرب ذات دبيب
إذا ماهوى الإكليل منها حسبته تَهَدل غصن فى الرياض رطيب
كأن التى حول المجرة أوردت لتكرع فى ماء هناك صبيبَ
كأن رسول الصبح يخلط فى الدجى شجاعة مقدام بجبن هَيُوبِ
كأن اخضرار الفجر صَرْحٌ ممرّد وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بنقوب
كان سواد الليل فى ضوء صبحه سواد شباب فى بياض مشيب
كأن نذير الشمس يحكى بشره علىّ بن داود أخى ونسيبى
ولولا اتقائى عَتْبَهُ قلت سيدى ولكن يراها من أجلّ ذنوبى
نسيب إخاء وهو غير مناسب قريب صفاء وهو غير قريب

ومن المخالص البديعة قول القاضى الفاضل ، من قصيدة يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها [من الطويل] :

ترى لحنينى أو حنين الحمائم جَرَتْ فحكت دمعى دموعُ الغمائم

وما أحلى قوله بعده :

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا فكل أراها دارساتِ المعالم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا و إن كان يَهْفُو بالغصون النواعم
تأخَّرْتُ فى حمل السلام عليكم لديها لما قد حمات من سمائم
فلا تسمعوا إلا حديثاً لناظرى يعاد بألفاظ الدموع السواجم
فان فؤادى بعدكم قد فطمته عن الشعر إلا مدحة لابن فاطم

ومنها قول شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية نبوية مطلعها [من مخلع البسيط]:

وَيْلاَهُ من نومىَ المشرد وآه من شَمْلِيَ المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الألفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة إلى أن قال:

أكسبنى نشوةً بطَرْفٍ سكرتُ من خمره فعربد
غصن نقاحلَ عقْد صبرى بلين خصرٍ يكاد يُعْقَدْ
فمن رأى دلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف من قصيدة مطلعها [من الوافر]:

لنا من رَبَّةِ الخالين جَارَهْ تُوَاصِلُ تارةً وتَصُدُّ تَارَهْ
تُعَاملنى بما يحلى سُلُوًّى ولكن ليس فى جَوْفى مَرَارَهْ

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازل إلى أن قال:

وقالوا قد خسرت الروح فيها فقلت الربح فى تلك الخساره
بأيسر نظرة أسرت فؤادى كما نشأ اللهيب من الشراره
ويفتك طرفها فيقول قلبى أشَنٌّ ترى صلاحُ الدين غاره

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك الأمجد [من الرمل]:

ظبية حكم ظُبَا مقلتها عزة الظبى وذل الأسد
كنت فى ذاك الهوى مجتهدا وهى كانت زلة المجتهد
كملت حسناً فلولا بخلها خلتها بعض خلال الأمجد

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ومنها قول ابن قلاقس من قصيدة يمدح بها أبا المنصور نور الدين محموداً عين الأمراء بالديار المصرية [من البسيط]:

ماذا على العيس لو عادت بربتها ... بقدر ما تتقاضاها المواعيدا
ردّ الركاب لأمرٍ عنّ فى خَلَدِى ... وسَمْهُ فى بديع الحسن ترديدا
وقف أبثك مالان الحديد له ... فان صدقت فقل لى كنت داودا
حلت عرى النوم من أجفان ساهرة ... ردالهوى هدبها بالحسن معقودا
تفجرت وعصا الجوزاء تضربها ... فأذكرتنى موسى والجلاميدا
يا ثعلب الهجر ياسرحان أوله ... كُلِ الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر درر هذا النظم إلى أن قال:

مالى وما للقوافى لا أسيّرها ... إلا وأقعد محروماً ومحسودا
أسكرتهم بكؤوس النظم مترعة ... ولم أنل منهم إلا العرابيدا
سمعت بالجود مفقوداً ونائله ... يقول لى قد وجدت الجود موجودا
الحمد لله لا والله ما نظرت ... عيناى بعد أبى المنصور محمودا

وقوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالحصرى [من الوافر]:

سقى مصرا وساكنها بويل ... صليل البرق صخاب الرعود
موارد من له ظمأ شديد ... ولكن لاسبيل إلى الورود
هل الرأى السديد البعد عنها ... نعم إن كان للشيخ السديد

وقول القاضى سعيد بن سناء الملك يمدح القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى [من الكامل]:

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه ... أرأيتم من ضن حتى بالضنا
ياعاذلين جهلتم قدر الهوى ... فعذلتم فيه ولكنى أنا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

إنى رأيت الشمس ثم رأيتها ماذا علىَّ إذا هويت الأحسنا
وسألت من أى المعادن ثغرها فوجدت من عبد الرحيم المعدنا
أبصرت جوهر ثغرها وكلامه فعلمت حقاً أن هذا من هنا

وقوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم عيسى مطلعها [من الطويل] :

تقنعت لكن بالحبيب المعمم وفارقت لكن كل عيش مذمم
و باتت يدى فى طاعة الحب والهوى وشاحاً لخصر أو سواراً لمعصم
سعدت ببدر خدُّه بُرْجُ عقرب فكذب عندى قول كل منجِّم
وأقسم ما وجه الصباح إذا بدا بأوضح منه حجة عند لوَّمى
ولا سيما لما مررت بمنزل كفضلة صبر فى فؤاد متيم
وما بان لى إلا بعود أراكة تعلق فى أطرافه ضوء مبسم
وقفت بها أعتاض عن ثم مبسم شهى لقلبى ثم آثار منسم
ولم ير طرفى قط شملا مبدداً فقابله إلاَّ بدمع منظَّم
ولم يسل قلبى أوفمى عن غزالة وعن غزل إلا مديح المعظم

وقول البهاء زهير من قصيدة يمدح بها الأمير ناصر الدين الملطى مطلعها [من الطويل]:

لها خَفَرٌ يوم اللقاء خفيرُها فما بالها ضنت بما لا يضيرها
أعادتها أن لا يعاد مريضها وسيرتها أن لا يفك أسيرها

يقول فيها :

وها أنا ذا كالطيف فيها صبابةً لعلى إذا نامت بليل أزورها
من الغيد لم توقد مع الليل نارها ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق منى حشاشة مُرَوَّعة لم يبق إلا يسيرها

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وإن الذى أبقته منها يَدُ الهوى فداء بشيرٍ يوم وافى نصيرها

وقوله يمدح الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز من قصيدة مطلعها [من الكامل] :

عرف الحبيبُ مكانه فتدللا وقنعت منه بزورة فتعللا

وافى الرسول ولم أجد فى وجهه بشراً كما قد كنت أعهد أولا

ولم يزل هائماً فى طريقته الغرامية إلى أن قال :

آها لقلب ما خلا من لوعة أبدا يحن إلى زمان قد خَلاَ

ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى لو لم تبادره الدموع لأشعلا

ولقد كتمت حديثه وحفظته فوجدت دمعى قد رواه مسلسلا

أهوى التذلل فى الغرام وإنما يأبى صلاح الدين أن أتذللا

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه وأردت قبل الفرض أن أتنفلا

وقول ابن النبيه من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها [من البسيط] :

يا كر صَبُوَحك أهنى العيش باكرُهُ فقد ترنم فوق الأيك طائرُه

والليل تجرى الدرارى فى مجرته كالروض تطفو على نهر أزاهره

يقول فيها :

واجسر على فُرَصِ اللذات محتقرا عظيم ذنبك إن الله غافره

فليس يخذل فى يوم الحساب فتى والناصر ابن رسول الله ناصره

ومن مخالصه الموسوية من قصيدة مطلعها [من السريع] :

يا نار أشواقىَ لا تخمدى لعل ضيف الطيف أن يهتدى

إلى أن قال :

غازلنا من نرجس ذابل وافتر عن نَوْرٍ أقاح نَدِى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقام يَلْوى صُدْغه قائلا لا تغترر بى فكذا موعدى
فقلت بالله أمات الوفا فقال موسى لم يمت خذ يدى

وقوله فيه [من البسيط] :

ياطالب الرزق قد سدت مذاهبه قل يا أبا الفتح ياموسى وقد فتحت

وقوله فيه [من الكامل]

بتنا وقد لف العناق جسومنا فى بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح كجحفل راياته رنك الأمير الأشرف[1]

وقوله فيه من قصيدة [من الوافر] :

يذود شَبَا القنا عن وجنتيها كمنع الشوك للورد الجنى
إذا مارمتُ أقطفه بعينى يقول حذار من مرعى وَبِىٍّ
لسان السيف من أدنى وُشَاتى ومن رقباى طرف السمهرىٍّ
كأنّ بجفنها فى كل قلب فعال المشرفى الأشرفى

وقول الشاب الظريف محمد بن العفيف من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر مطلعها [من البسيط] :

روح يمينك مما أنت معتقل أمضى الأسنة ما فولاذه الكَحَلُ
يامن يرينا المنايا واسمها نَظَر من السيوف المواضى واسمها مُقَلُ
ما بال ألحاظك المرضى تحاربنى كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كثب من دونها حرس من دونها قُضُبٌ من دونها أسَلُ
ومعشر لم تزل فى الحرب بيضهم حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى أعطافهم طربا كأن ذِكْرَ المنايا بينهم غَزَلُ
من كل ذى طُرَّةٍ سوداء يلبسها وشَيْبُهَا من غبار الحرب متصل

(١) كذا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حاولتْ زورتى فنمَّ عليها قُرْطها فى الدجى ومسك الغُلالَهْ
ثم لما أن سَلَّمَتْ أذكرتنى مدح من سلمت عليه الغزاله

وقد آن أن نتخلص من سرد هذه المخالص البديعة إلى غيرها ، فالشرح قد طال ، وربما يحدث منه الملال .

* * *

شاهد الاقتصاب

٢٢٣—لوْ رأى اللهُ أنَّ فى الشيب خيراً جاوَرَتهُ الأبرارُ فى الخلدِ شيبَا
كل يوْمٍ تُبدِى صروفُ الليالى خلقاً من أبى سعيد رَغِيبَا(١)

البيتان لأبى تمام ، من قصيدة من الخفيف يمدح بها محمد بن يوسف أولها :

من سجَايا الطلول أن لا تجيبا فصوابٌ منْ مُقلتى أن تَصُوبَا
اسألنها واجعل بكاك جوابا تخدم الشوْق سائلا ومجيبَا
قد عهدنا الرسوم وهى عكاظ للصبا تزدهيك حسنا وطيبَا
أكثر الأرض زائراً ومزورا وصعوداً مِنَ الهوَى وصبوبَا
وكعاباً كأنما ألبستها غفَلاَتُ الشبَابِ برداً قشيبَا
بينَ البين فقدها قلما تعرف فقداً للشمس حتى تغيبَا
لعبَ الشيب بالمفارق بل جدّ فأبكى تماضراً ولعوبَا
خضبت خدَّها إلى لؤلؤ العقد دَما أن رأت شَوَاتى خضيبَا
كل داء يرجى الدواء له إلا الفظيعين ميتة ومشيبَا
يا نسيم الثُّغَام ذنبُكَ أبقى حسناتى عند الحسان ذنوبَا

(١) المحفوظ * خلقا من أبى سعيد غريباً *

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ولأن عِبْنَ ما رَأَينَ لقد أنـــكرن مستنكراً وعبْنَ معيبا
أو تصدَّ عن قلى فكفى بالـــشيب بينى وبينهنَّ حسيبا

و بعده البيتان ، والرواية فى الديوان «فضلا» بدل «خيراً» ،والقصيدة طويلة.

والشيب — بكسر الشين المعجمة — جمع شائب[1] ، والرغيب : الواسع.

والشاهد فيه : الاقتضاب ، ويسمى : الاقتطاع، والارتجال ، وهو : أن ينتقل الشاعر مما ابتدأ به الكلام إلى مالا يلائمه ، وهذا مذهب العرب الجاهلية والمخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام ، مثل : لبيد، وحسان ، والشعراء الاسلاميون قد يتبعونهم فى ذلك ويجرون على مذهبهم ، كأبى تمام هنا ، والبحترى بقوله من غير ارتباط بما قبله [من الطويل] :

وَرَدْنا إلى الفتح بن خاقان إنه أعمُّ ندًى منكمْ وأيْسرُ مطلبا

وهو كثير فى شعره ، حتى إنَّ السليمانى الشاعر عرّض به فى قوله [من مجزوء الكامل] :

يغتابنى فاذا التفـــتُّ أبان عن محض صحيح
وَثْبًا كوثب البحترى من النسيب إلى المديح

وكأبى نواس ، وهو الغالب على شعره ، كقوله يمدح الأمين بن الرشيد [من المديد] :

يا كثير النوح فى الدمن لا عليها بل على السَّكَنِ
سنة العشاق واحـــدة فاذا أحببتَ فاستكن
ظن بى من قد كلفت به فهو يجفونى علىَ الظنن
قَامَ لاَ يعنيه ماَ لقيت عين ممنوع من الوسن

(١) صوابه جمع أشيب كبيض من جمع أبيض

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رَشأٌ لولاَ ملاحتهُ خَلَتِ الدنيا من الفِتَنِ
ما بدا إلا استرَق له حسنهُ عبداً بلا ثمن
فاسقنى كأساً على عَذَلٍ كرهَتْ مسموعهَ أذنى
من كميت اللون صافية خير ما سلسلت فى بدنى
ما استقرت فى فؤاد فتى فَدَرَى ما لوعة الحزن
مزجت من صوب غادية حلبته الريح من مزن
تضحك الدنيا إلى ملك قَامَ بالآثار وَالسنن

فهو كما تراه انتقل من الغزل إلى المديح من غير تخلص .

* * *

شاهد حسن المقطع

٢٢٤ — وَإنى جَدِيرٌ إذْ بلغتك بالمنى وأنتَ لما أملتُ منكَ جديرُ
فانْ تُولِنِى منكَ الجميلَ فأهله وَإلا فانى عاذرٌ وشكُورُ

البيتان لأبى نواس ، من قصيدة من الطويل ، يمدح بها الخصيب صاحب مصر ، أولها :

أجَارَةَ بَيتينا أبوكِ غَيُور ومَيْسُورُ مايُرْجَى لدَيكِ عسير
فان كنت لاخلمًا ولاأنت زوجة فلا بَرِحَتْ دونى عليك ستور
وجاورت قوما لاتجاور بينهم ولاوصلَ إلا أن يكون نشور
فما أنا بالمشغوف ضربةَ لازبٍ ولا كل سلطان على قدير
وإنى لطرف العين بالعين زاجر فقد كدت لايخفى على ضمير

وهى طويلة ، وتقدم ذكر شىء منها فى حسن التخلص ، وقد عارضها أحمد

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ابن دَرَّاج القَسْطَلِيُّ بقصيدة طنانة ، منها [1] [من الطويل] :

أَلم تعلمى أن الثوَاء هو التَّوَى ... وأن بُيُوت العاجزين قُبُورُ
تخوفنى طولَ السفار وإنه ... لتقبيل كف العامرى سفير
دعينى أرد ماء المفاوز آجنا ... إلى حيث ماء المكرمات نَمِير
فان خطِيراتِ المهالك ضُمَّن ... لراكبها أن الجزاء خطير
ولما تدانت للوداع وقد هفا ... بصبرىَ منها أنة وزفير
تناشدنى عهد المودة والهوى ... وفى المهد مبغوم النداء صغير
عَيِىٌّ بمرجوع الخطاب ولحظُه ... بموقع أهواء النفوس خبيرُ
فكل مفَداة الترائب مرضع ... وكل مُحَيَّاة المحاسن ظِيرُ
عصيت شفيع النفس فيه فقادنى ... رَواحٌ لتدآب السرى وبكور
وطار جناح البين بى وهَفَتْ بها ... جوانح من ذعر الفراق تطير
لئن ودعت منى غيوراً فاننى ... على عزمتى من شجوها لغيور
ولو شاهدتنى والهواجر تلتظى ... على ورقراق السراب يمور
أسلط حَرَّ الهاجرات إذا سطا ... على حُرِّ وجهى والأصيل هجير
وأستنشق النكباء وهى لواقح ... واستوطىء الرمضاء وهى تفور
وللموت فى عين الجبان تلون ... وللذعر فى سمع الجرىء صفير
لبان لها أنى من الضيم جازع ... وأنى على مض الخطوب صبور
ولو أبصرت بى والسرى جل عزمتى ... وجرسى لجنان الفلات سمير
وأعتسف الموماة فى غسق الدجى ... وللأسد فى غيل الغياض زئير

(١) ذكر الكثير منها القاضى ابن خلكان فى وفيات الأعيان فانظره (١ / ١٢٠ بتحقيقنا)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وقد حومت زهر النجوم كأنها كواعب فى خضر الحدائق حُورُ
ودارت نجومُ القُطْب حتى كأنها كؤوس مَهًا والىُ بهن مُديرُ
وقد خَيَّلَتْ طرق المجرة أنها على مفرق الليل البهيم قتير
وثاقب عزمى والظلام مروع وقد غض أجفان النجوم فتور
لقد أيقنت أن المنى طوع همتى وأنى بعَطْفِ العامرى جدير

قال ابن فضل الله : ومَنْ وقف على هذه القصيدة وقصيدة أبى نواس عرف فضل قائلها على من تقدم ، وشهد له بأنه سَبَق وإن تأخر ، وجزم بأن الرجال معادن ، وأن لكل زمان محاسن ، ولم يشك أن الخواطر موارد لاتنزح ، وأن الأفكار مصابيح لاتطفى ، وأن الأفهام مَرَاءٍ [1] لاتتناهى صورها ، وأن العقول سحائب لاينفد مطرها ، وعلم أن المعانى غير متناهية ، والفضائل غير متوارية ، وإن أم الليالى لوَلُود ، وإن الفضل فى كل حين لمشهود ، وإن هذا الشاعر فى قصيدته هذه التى عارض بها أبا نواس لم يدع له عارضا يستمطر ، ولا عارضة تذكر ، وإنه لحقيق أن ينشد [من الطويل]

وإنى وإن كنت الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل

يروى أن أبا نواس لما قدم على الخصيب صادف فى مجلسه جماعة من الشعراء ينشدونه مدائح لهم فيه ، فلما فرغوا قال الخصيب : ألا تنشدنا ياأبا على ، فقال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هى بمنزلة عصا موسى تَلْقَفُ مايأفكون ، فأنشده هذه القصيدة ، فاهتزَّ لها وأمر له بجائزة سنية

وفى كتاب آداب الغرباء أن أبا نُوَاس كان عائداً من الشام إلى بغداد ، قال : فأنى على ظهر فرسى إذ ترنَّمت بهذه الأبيات * تقول التى من بيتها خف محملى * الأبيات المارة فى حسن التخلص ، قال : فسمعت ورائى شَهْقَة ، فالتفت ، فاذا شيخ

(١) الصواب أن يقول « مرايا » مثل وخطايا .

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

عليه أطْمَار رَثّة يقود فرساً أعجف ، وهو منتجد سيفه ، فقال لى : أعد ياأبانواس هذه الأبيات ، فأعدتها، فقال : لمن هذه ؟ قلت : لى ، امتدحت بهـا الخصيب أمير مصر ، قال : ما أرفدك ؟ قلت : إنه ملأ فِيَّ جوهراً بعته بمـائة ألف درهم ، قال : أتعرفه ؟ قلت : نعم ، قال : أنا والله الخصيب ، فلما عرفته نزلت عن دابتى وقبلت يده ورجله ، فقال : لاتفعل ، ثم سألته عن حاله وسبب تغير أمره ، فقال لى : قولك الدائرات تدور ، قال : فدفعت إليه جميع ما كان معى من مركوب ونفقة وثياب ، وسألته قبول ذلك ، فأبى وقال : والله لاأخذت من يد أرفدتها ، ثم ركب دابته وتركنى ومضى

وحدث معاوية بن صالح الطبرانى قال : ماج الناس فى مصر بسبب السعر ، فبلغ الخصيبَ وهو يشرب مع أبى نواس ، فقال : دعنى أيها الأمير أسكنهم ، فقال : ذلك إليك ، فخرج أبو نواس حتى وافى المسجد الجامع فصعد على المنبر ، واعتمد على عضادتيه ، وحول وجهه للناس ، وعليه ثياب مشهرات ، فقال [من الطويل]:

مَنَحْتُكمُ ياأهل مصر نصيحتى ألا فخذُوا من ناصح بنصيب
ولاتَثْبُوا وثب السّفاه فتركبُوا على ظهر عارى الظهر غير ركوب
فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

قال : فتفرق الناس ولم يجتمعوا بعده

وحدث مطيعٌ خادمُ البرامكة قال : كنت واقفاً على رأس الرشيد إذ دخل أبو نواس ، فقال : أنشدنى قولك فى الخصيب :

فان يك باقى إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب

فأنشده ، فقال الرشيد : ألاقلت « فباقى عصا موسى بكف خصيب » فقال أبونواس : هذا أحسن والله ، ولـكنه لم يقع لى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

وحكى إسماعيل بن أسباط قال : لما قال أبو نواس * منحتكم يا أهل مصر نصيحتى * رأى الخصيبُ فى المنام قائلا يقول : يا خصيب ، مافوق هذا المدح مدحٌ ، قال : فما جزاؤه ؟ قال : نبحة كلب ، قال : وما نبحة كلب ؟ قال : ألف ، قال : من أى الحجرين ؟ قال : من الصفر ، فلما أصبح صبح أبانواس بألف دينار ، فقال أبو نواس [من الكامل] :

أنت الخصيبُ وهذه مصر فتَدَفَّقَا فكلاكما بحر

وقال ابن قتيبة : لما قال أبو نواس *فان يك باق إفك فرعون فيكم * و بلغ الرشيد فقال : يا ابن اللخناء ، أنت المستخف بنبى الله موسى عليه السلام ، وقال لابراهيم بن مهيك : لايأوين أبو نواس عسكرى من ليلته ، فقال له : ياسيدى ، فأجل ثمود ، فضحك وقال : أجله ثلاثا ، فبعث الأمين إلى إبراهيم فقال : والله لئن مسست منه شعرة لأقتلنك ، فأقام عند إبراهيم حتى مات الرشيد ، وأخرجه محمد الأمين سنة تسع وتسعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وخمسين سنة

قال أبوعبدالله حمزة : قد غلط ابن قتيبة فى التاريخ لأن الأمين تولى الخلافة سنة ثلاث وتسعين ومائة فى جمادى الآخرة

والجدير : الخليق بالشىء

والشاهد فيهما : الانتهاء ، و يسمى حسن المقطع ، وحسن الخاتمة ، وهو أن يختم الناظم أو الناثر كلامه بأحسن خاتمة ، لأنه آخر ما يعيه السامع ويرتسم فى النفس

ومثل البيت الأول قول بعضهم [من الطويل] :

و إنى خليق من نداك بمثلها وأنتَ بما أمّلتُ منكَ خليقُ

وقول الآخر [من الرمل] :

فجديرٌ أنا بالشكر كما أنتَ بالطَّول وبالحسنى جديرُ

وقول ابن شداد [من الخفيف] :

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

فجدير بالشكر أنت ، فشكرى لك ، والحمد دائماً والثناء

* * *

٢٢٥ ـ بَقيتَ بَقَاء الدَّهْرِ يا كهف أهله وهَذَا دُعَاء للبرية شَامِلُ

شاهد حسن الانتهاء

البيت من الطويل ، ونسب لأبى العلاء المعرى ، ونَسَبه ابن فضل الله لأبى الطيب المتنبي ، ولم أره فى ديوان واحد منهما

والشاهد فيه : حسن الانتهاء

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة [من الطويل] :

فان يك ذنبٌ عَنَّ أوتَكُ هفوة على خطإٍ منى فعُذْرى على عَمْدِ

وقول أبى الطيب فى ختام قصيدة [من الوافر] :

فلاحطَّت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقت لك الدنيا فِراقا

وقول أبى العلاء المعرى [من البسيط] : 18

ولا تزال لك الأيام ممتعة بالآل والحال والعلياء والعُمُرِ

وقول الأرجانى [من الطويل] :

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحاً فانكَ فى هذا الزمان فَريدُ

عُلاك سِوَار والمالك مِعْصَم وجودك طَوْقٌ والبرية جِيدُ

وقول إبراهيم الغزى [من الطويل] :

بقيت بقاء الدهر ماذرَّ شارق وغار جديد المكرمات وأنجدا

وقول الخوارزمى [من الوافر] :

بقيت لنا تجود مَدَى الليالى فانك مابقيت لنا بقينا

وقول الرستمى [من الطويل] :

بقيت مدى الدنيا وملكُكَ راسخٌ وظلُّكَ ممدود وبابكَ عامرُ

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

يود سَنَاكَ البدرُ والبدرُ زاهرٌ ويَقْنُو نداكَ البحرُ والبحرُ زَاخر
وهنئت أياما أتتك سعودُها كما تتوالَى فى العقود الجواهر

وقول ابن النبيه [من السريع] :

دمتم بنى أيوب فى نعمة تجوز فى التخليد حَدَّ الزَّمانْ
والله لا زلتم ملوكَ الوَرَى شَرْقاً وغرْباً وعلىٌّ الضّمانْ

وقول شيخ شيوخ حماة [من الطويل] :

فلا زلت فى مُلكٍ جديد مؤيد تدينُ لكَ الدُّنيا وتصفُو لك الأخرى
ولا زال للأيام طَوْلٌ على الورى وما الطول إلا أن تطيل لك العمرا

وقول ابن سناء الملك [من البسيط] :

بقيت حتى يقول الناس قاطبة هذا أبو الياس أوهذا أبو الخضر

وقول ابن نباتة [من الخفيف] :

فابق عالى المقام دانى العطايا قاهرَ البأس ظاهرَ الأنباء
يتمنَّى عدوُّكَ العيشَ حتى أتمنى له امتداد البقاء

وقول مؤلفه مترجياً حسن الختام لمن سطر باسمه بديع هذا النظام [من السريع] :

لازال مَنْ سُطِّرَ ذا باسمه يبقى بقاء الفَلَكِ الدائر
ومن يناويه يعش بائساً يسحب ذيل الخاسىء الخاسر

* * *

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : وكان الفراغ من تأليفه ، وتوشيته وتفويفه ، بالقاهرة المعزية ، عام واحد وتسعمائة ، ومن زَبْرِهِ وتحريره يوم الأربعاء المبارك الثانى والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره وحرمته ، عام أربعة وثلاثين وتسعمائة ، وذلك على يد مؤلفه الفقير الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسى ، ستره الله عيوبه ، وغفر ذنوبه ، ولمن نظر فيه ودعا له بالمغفرة والرحمة ! وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم ! !

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

قال أبو رجاء محمد محيي الدين عبدالحميد :

قد تم - بحمدالله تعالى وحسن توفيقه - كتاب « معاهد التنصيص على شرح شواهد التلخيص » للشيخ عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن أحمد العباسى ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد إمام الهدى وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين

مكتبة
الدكتور مروان العطية

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مكتبة
الدكتور مروان العطية

فهارس كتاب

معاهد التنصيص ، على شرح شواهد التلخيص

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

١ – فهرست بالموضوعات البلاغية

التى وردت الشواهد لإيضاحها

أولا – فى الجزء الأول

ص	الموضوع
	تقديم محقق الكتاب
	التعريف بمؤلف معاهد التنصيص
٢	خطبة مؤلف معاهد التنصيص
٣	وصف الكتاب
	موضوعات شواهد المقدمة
٨	شاهد التنافر فى حروف الكلمة
١٤	شاهد الغرابة
١٨	شاهد مخالفة القياس اللغوى
٢٦	شاهد الكراهة فى السمع
٣٤	شاهد تنافر الكلمات
٣٥	شاهد آخر لتنافر الكلمات
٤٣	شاهد التعقيد اللفظى
٥١	شاهد التعقيد المعنوى
٥٩	شاهد تتابع الإضافات
	موضوعات شواهد علم المعانى
٧٢	شاهد تنزيل غير المنكر منزلة المنكر
٧٣	شاهد الحقيقة فى الإسناد بالنظر للمتكلم
٧٨	شاهد ظهور حقيقة المجاز فى الإسناد بعد نظر وتأمل
	موضوعات شواهد المسند إليه
١٠٠	شاهد حذف المسند إليه للاحتراز عن العبث
١٠٠	شاهد تنبيه المخاطب على خطأ وقع فى ظنه
١٠٣	شاهد الإيماء إلى وجه انبناء الخبر
١٠٧	شاهد تعريف المسند إليه بالإشارة
١١٩	شاهد الإتيان بالمسند إليه اسم إشارة للتعريض بغباوة السامع
١٢٠	شاهد الإتيان بالمسند إليه معرفا بالإضافة لقصد إحضاره فى ذهن السامع من أقرب طريق
١٢٧	شاهد تنكير المسند إليه للتعظيم وللتحقير
١٣٥	شاهد تقديم المسند إليه لتمكن الخبر فى ذهن السامع
١٤٥	شاهد على أن لفظ «كل» إذا تأخر عن أداة النفى كان المقصود بالنفى الشمول
١٤٧	إذا تقدم لفظ «كل» على النفى دل الكلام على أن النفى يعم كل فرد مما أضيف إليه كل
١٤٧	شاهد وضع المظهر الذى هو اسم إشارة موضع المضمر لتمام العناية
١٥٩	من شواهد وضع اسم الإشارة موضع المضمر

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ص	الموضوع
١٧٠	من شواهد وضع المظهر غير الإشارة موضع المضمر للاستعطاف
١٧٠	من شواهد الالتفات
١٧٣	ومن شواهد الالتفات أيضا
١٧٩	من شواهد القلب
	موضوعات شواهد المسند
١٨٦	شاهد ترك المسند
١٨٩	ومن شواهد ترك المسند
١٩٤	من شواهد حذف المسند
٢٠٢	من شواهد حذف المسند لوقوع الكلام بعد استفهام مقدر
٢٠٤	شاهد مجيء المسند فعلا ليفيد التجدد
٢٠٧	شاهد مجيء المسند اسما ليفيد الحدوث
٢٠٨	شاهد تقديم المسند للتنبيه من أول وهلة على أنه خبر
٢١٤	شاهد تقديم المسند ليدل على التشويق
	موضوعات شواهد أحوال متعلقات الفعل
٢٣٢	شاهد تنزيل الفعل المتعدى منزلة اللازم
٢٤٦	شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة لكون تعلق فعل المشيئة به غريبا
٢٥٤	شاهد ذكر مفعول فعل المشيئة لعدم القرينة التي تدل عليه إذا حذف
٢٥٥	شاهد حذف المفعول لدفع توهم غير المراد
٢٥٦	شاهد حذف المفعول لأنه يقصد إلى ذكره في جملة ثانية لإظهار كمال العناية

ص	الموضوع
	موضوعات شواهد القصر
٢٦٠	شاهد صحة انفصال الضمير مع إنما
	موضوعات شواهد الانشاء
٢٦٤	شاهد استعمال صيغة الأمر في التمني
	موضوعات شواهد « الفصل والوصل »
٢٧٠	شاهد على أنه إذا لم يكن بين الجملتين المتعاطفتين جهة خاصة تربط بينهما كان الكلام غثا
٢٧١	شاهد امتناع العطف لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاء
٢٧٨	شاهد كمال الاتصال بين الجملتين
٢٧٩	شاهد عطف البيان في المفردات
٢٧٩	شاهد وقوع الجملة الثانية مستأنفة لكونها جوابا عن سؤال تضمنته الجملة الأولى
٢٨١	شاهد أن الاستئناف قد يقع جوابا لسؤال عن غير سبب
٢٨٢	شاهد حذف الاستئناف وقيام شيء مقامه
٢٨٤	شاهد الجامع الوهمي بين المتعاطفين
٢٨٥	شاهد دخول الواو على جملة الحال الفعلية التي فعلها مضارع مثبت
٢٨٧	شاهد مجيء جملة الحال بغير واو
٣٠٤	من شواهد مجيء جملة الحال بغير واو
٣٠٥	ومن شواهد مجيء جملة الحال بغير واو

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ص	الموضوع
١٤	شاهد التجريد بطريق الكناية
١٤	شاهد التجريد بمخاطبة الإنسان نفسه
١٦	شاهد المبالغة (التبليغ)
٢٥	شاهد الإغراق
٢٧	شاهد الغلو
٣٤	شاهد الغلو المقبول
٣٦	شاهد إدخال كلمة في العبارة تقرب الغلو من الصحة
٤٦	شاهد إخراج الغلو مخرج الهزل
٤٨	شاهد المذهب الكلامي
٥١	شاهد حسن التعليل
٥٣	شاهد ظهور علة لصفة غير علتها الحقيقية
٥٤	شاهد إثبات صفة ممكنة لموصوف
٦٧	شاهد إثبات صفة غير ممكنة لموصوف
٦٩	شاهد التعليل على سبيل الشك
٨٨	شاهد التفريع
١٠٧	شاهد تأكيد المدح بما يشبه الذم
١١١	شاهد تأكيد المدح بواسطة الاستدراك
١٣٢	شاهد الاستتباع
١٣٤	شاهد الإدماج
١٣٨	شاهد التوجيه
١٥٦	شاهد الهزل يراد به الجد
١٥٩	شاهد تجاهل العارف
١٦٤	من شواهد تجاهل العارف للمبالغة في المدح
١٦٥	من شواهد تجاهل العارف للمبالغة في الذم
١٦٧	من شواهد تجاهل العارف للتدله في الحب
١٨٠	شاهد القول بالموجب (أسلوب الحكيم)
٢٠١	شاهد الإطراد
٢٠٦	شاهد الجناس المستوفى
٢١٠	شاهد جناس التركيب
٢٢١	شاهد الجناس المفروق
٢٢٥	شاهد الجناس المطرف
٢٣٠	شاهد الجناس المذيل
٢٤٢	شاهد رد العجز على الصدر
٢٥٠	نوع آخر من رد العجز على الصدر
٢٥٧	نوع من رد العجز على الصدر
٢٥٧	نوع من رد العجز على الصدر
٢٦٥	نوع من رد العجز على الصدر
٢٦٦	نوع من رد العجز على الصدر
٢٧٧	نوع من رد العجز على الصدر
٢٧٨	نوع من رد العجز على الصدر
٢٨٥	نوع من رد العجز على الصدر
٢٨٨	نوع من رد العجز على الصدر
٢٨٩	نوع من رد العجز على الصدر
٢٨٩	شاهد التسجيع في النظم
٢٩١	شاهد التشطير في النظم
٢٩٣	شاهد المماثلة
٢٩٥	شاهد القلب (مالا يستحيل بالانعكاس)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ص	الموضوع
٢٩٩	شاهد التشريع
٣٠٣	شاهد لزوم ما لا يلزم

رابعا — في الجزء الرابع

ص	الموضوع
٤	شاهد السرقة الشعرية المذمومة (وتسمى النسخ والانتحال)
٢٦	شاهد حسن الاتباع
٤٦	شاهد كون المأخوذ دون المأخوذ منه في البلاغة
٥٠	شاهد مماثلة المأخوذ للمأخوذ منه
٥٦	شاهد السلخ (ويسمى الإلمام)
٥٨	من شواهد السلخ
٥٩	شاهد نوع آخر من السلخ
٧٦	شاهد الأخذ الخفي والمعنيان متشابهان
٧٨	شاهد نقل المعنى المأخوذ إلى موضع آخر
٨٠	شاهد مجيء المأخوذ أشمل من معنى المأخوذ منه
٨٥	شاهد مجيء المأخوذ نقيض المأخوذ منه
٩٥	شاهد أخذ المعنى وإضافة ما يحسنه إليه
١٠٩	شاهد الاقتباس من القرآن الكريم
١١٠	شاهد الاقتباس من الحديث النبوى
١٣٧	شاهد الاقتباس من القرآن الكريم مع نقله عن معناه الأصلى
١٣٩	شاهد الاقتباس من القرآن الكريم مع تغيير يسير فى التفقية
١٥٢	شاهد التضمين
١٥٤	من شواهد التضمين أيضا
١٨٢	شاهد العقد
١٩٠	شاهد الحل
١٩٤	شاهد التلميح
٢٠١	من شواهد التلميح أيضا
٢٢٤	شاهد حسن الابتداء (براعة المطلع)
٢٢٥	من شواهد حسن الابتداء أيضا
٢٢٩	شاهد قبح الابتداء
٢٣١	شاهد براعة الاستهلال
٢٤١	من شواهد براعة الاستهلال أيضا
٢٤٨	شاهد حسن التخلص
٢٦٦	شاهد الاقتضاب
٢٦٨	شاهد حسن المقطع
٢٧٣	من شواهد حسن الانتهاء أيضا

تم فهرس الموضوعات البلاغية التي جيء بالشواهد لبيانها ، وشرحت هذه الشواهد في كتاب «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص » والحمد لله أولا وآخرا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

٢ ــ فهرس الشواهد

المشروحة فى كتاب « معاهد التنصيص ، على شواهد التلخيص »
مرتبة على حروف الهجاء بحسب قوافيها

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
		حرف الهمزة	
٣١	١٧٨/١	ومهمه مغـــبرة أرجاؤه	كأن لون أرضـه سمـاؤه
٩٤	٩٣/٢	لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا	إلا بوجـه ليس فيه حياء
٩٦	٩٥/٢	والريح تعبث بالغصون وقد جرى	ذهب الأصيل على لجين الماء
١٠٧	١٥٢/٢	ويصـعد حتى يظن الجهول	بأن له حاجـة فى السماء
١٢٦	٣٠٠/٢	مانوال الغمام وقت ربيع	كنوال الأمير يوم عطاء
		فنوال الأمـــير بدرة مال	ونوال الغمام قطـرة ماء
١٤٣	٥١/٣	لم يحك نائلك السحاب وإنما	حمت به فصبيبها الرحضـاء
١٥٣	١٣٨/٣	[خاط لى عمرو قبـاء]	ليت عينيه سواء
١٥٧	١٦٥/٣	[وماأدرى وسوف إخال أدرى]	أقوم آل حصن أم نساء
٢٠٤	٨٥/٤	أأحبه وأحب فيه ملامة	إن الملامة فيه من أعدائه
		حرف الباء الموحدة	
٤	٢٦/١	[مبارك الاسم أغر اللقب]	كريم الجرشى شريف النسب
٧	٤٣/١	ومامثله فى الناس إلا مملكا	أبو أمه حى أبوه يقاربه
٢١	١٢٧/١	له حاجب عن كل أمر يشينه	وليس له عن طالب العرف حاجب
٣٠	١٧٣/١	طحابك قلب فى الحسان طروب	بعيد الشباب عصر حان مشيب
		يكلفنى ليلى وقد شط وليها	وعادت عواد بيننا وخطوب
٣٣	١٨٦/١	[فمن يك أمسى بالمدينة رحله]	فإنى وقيارها لغريب

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٦٠	١/٣٢٣	ولافضل فيها للشجاعة والندى	وصبر العدى لولا لقاء شعوب
٦٥	١/٣٥٥	كأن عيون الوحش حول خبائنا	وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب
٦٦	١/٣٥٨	ولست بمستبق أخا لاتلمه	على شعث أى الرجال المهذب
٧٧	٢/٢٨	كأن مثار النقع حول رءوسنا	وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
٨٥	٢/٩٥	تشابه دمعى إذ جرى ومدامتى	فمن مثل مافى الكأس عينى تسكب
		فوالله ماأدرى أبا لخمر أسبلت	جفونى أم من عبرتى كنت أشرب
٩١	٢/٩٠	صدفت عنه ولم تصدف مواهبه	عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب
		كالغيث إن جئته وافاك ريقه	وإن ترحلت عنه لج فى الطلب
١٠١	٢/١٣١	وصاعقة من نصله تنكفى بها	على أرؤس الأقران خمس سحائب
١٢٢	٢/٢٦٠	إذا نزل السماء بأرض قوم	رعيناه وإن كانوا غضابا
١٢٣	٢/٢٦٩	فسقى الغضا والساكنيه وإن هم	شبوه بين جوانح وقلوب
١٤١	٣/٤٦	أسكر بالأمس إن عزمت على الـ	شرب غداً ، إن ذا من العجب
١٤٢	٣/٤٨	حلفت فلم أترك لنفسك ريبة	وليس وراء الله للمرء مذهب
		لئن كنت قد بلغت عنى وشاية	لمبلغك الواشى أغش وأكذب
		ولكننى كنت امرأ لى جانب	من الأرض فيه مستراد ومذهب
		كفعلك فى قوم أراك اصطفيتهم	فلم ترهم فى مدحهم لك أذنبوا
١٤٤	٣/٥٣	مابه قتل أعاديه ولكن	يتقى إخلاف ماترجو الذئاب
١٤٨	٣/٨٨	أحلامكم لسقام الجهل شافية	كما دماؤكم تشفى من الكلب
١٤٩	٣/١٠٧	ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم	بهن فلول من قراع الكتائب
١٥٢	٣/١٣٤	أقلب فيه أجفانى كأنى	أعد بها على الدهر الذنوبا
١٥٤	٣/١٥٦	إذا ما تميمى أتاك مفاخرا	فقل عد عن ذا كيف أكلك للضب
١٦٠	٣/٢٠١	إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم	بعتيبة بن الحارث بن شهاب
١٦٢	٣/٢١٠	إذا ملك لم يكن ذاهبه	فدعه فدولته ذاهبه
١٦٤	٣/٢٢٥	يمدون من أيد عواص عواصم	[تصول بأسياف قواض قواضب]

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٧٣	٣/٢٧٨	ضرائب أبدعتها في السماح	فلسنا نرى لك فيها ضريبا
١٧٩	٣/٢٩١	تدبير معتصم ، بالله منتقم	لله مرتقب ، فى الله مرتغب
١٩٣	٤/٥٨	وإذا تألق فى الندى كلامه ال	مصقول خلت لسانه من عضبه
١٩٨	٤/٧٦	ومن فى كفه منهم قناة	كمن فى كفه منهم خضاب
١٩٩	٤/٧٨	سلبوا وأشرقت الدماء عليهم	محمرة ، فكأنهم لم يسلبوا
٢٠١	٤/٨٠	إذا غضبت عليك بنو تميم	رأيت الناس كلهم غضابا
٢١٦	٤/٢٠١	لعمرومع الرمضاءوالنار تلتظى	أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب
٢٢٣	٤/٢٦٦	ورأى الله أن فى الشيب خيرا	جاورته الأبرار فى الخلد شيبا
		كل يوم تبدى صروف الليالى	خلقا من أبى سعيد رغيبا

حرف التاء المثناة

٨١	٢/٥١	كما أبرقت قوما عطاشا غمامة	فلما رأوها أقشعت وتجلت
٨٣	٢/٥٦	ولازوردية تزهو بزرقتها	وسط الرياض على حمر اليواقيت
		كأنها وضعاف القضب تحملها	أوائل النار فى أطراف كبريت

حرف الجيم

٢	١/١٤	وفاحما ومرسنا مسرجا	[وكفلا وعثا إذا ترجرجا]
١١٣	٢/١٧٣	إن السماحة والمروءة والندى	فى قبة ضربت على ابن الحشرج
١٨٥	٤/٢٦	من راقب الناس لم يظفر بحاجته	وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

حرف الحاء المهملة

١١	١/٧٢	جاء شقيق عارضا رمحه	إن بنى عمك فيهم رماح
٣٦	١/٢٠٢	لبيك يزيد ضارع لخصومة	[ومختبط مما تطيح الطوائح]
٧٩	٢/٣٤	وكأن البرق مصحف قار	فانطباقا مرة وانفتاحا
٨٤	٢/٥٧	وبدا الصباح كأن غرته	وجه الخليفة حين يمتدح

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد
٩٠	٢/٨٨	كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح
١٠٣	٢/١٣٤	[أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا] وسالت بأعناق المطى الأباطح
١٠٤	٢/١٤٧	[جمع الحق لنا فى إمام] قتل البخل وأحيا السماحا
١٥٦	٣/١٦٤	ألمع برق سرى أم ضوء مصباح أم ابتسامتها بالمنظر الضاحى
١٦٥	٣/٢٣٠	إن البكاء هو الشفاء من الجوى بين الجوانح
١٧٢	٣/٢٧٧	أملتهم ثم تأملتهم فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

حرف الدال المهملة

٦	١/٢٥	كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى ، وإذا مالمته لمته وحدى
٨	١/٥١	سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
٩	١/٥٨	[وتسعدني فى غمرة بعد غمرة] سبوح لها منها عليها شواهد
٢٣	١/١٣٥	والذى حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
٢٩	١/١٧٠	تطاول ليلك بالإثمد [ونام الخلى ولم ترقد]
٥٥	١/٢٨٧	[إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها] خرجت مع البازى على سواد
٥٦	١/٣٠٤	فقلت عسى أن تبصرينى كأنما بنى حوالى الأسود الحوارد
٥٨	١/٣٠٨	والعيش خير فى ظلا ل النوك ممن عاش كدا
٧٠	١/٣٧٧	يصد عن الدنيا إذا عن سؤدد [ولو برزت فى زى عذراء ناهد]
٧٣	٢/٤	وكأن محمر الشقيـــق إذا تصوب أو تصعد أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد
١٠٥	٢/١٤٨	تقريهم لهذميات [نقد بها ما كان خاط عليهم كل زراد]
١٢٥	٢/٢٨٣	إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده
١٢٧	٢/٣٠٦	ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثى له أحد
١٣١	٣/٨	ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدوا ، قليل إذا عدوا
١٥١	٣/١٣٢	لهنئت الدنيا بأنك خالد نهبت من الأعمار مالو حويته

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
		حرف الصاد المهملة	
١١٩	٢٥٢/٢	قالوا اقترح شيئا نجدلك طبخه	قلت اطبخوا لى جبة وقميصا
		حرف العين المهملة	
١٠	٥٩/١	حمامة جرعا حومة الجندل اسجعى	فأنت بمرأى من سعاد ومسمع
١٣	٧٧/١	ميز عنه قنزعا عن قنزع	جذب الليالى أبطئي أوأسرعى
١٦	١٠٠/١	إن الذين ترونهم إخوانكم	يشفى غليل صدورهم أن تصرعوا
١٩	١١٩/١	أولئك آبائى فجئنى بمثلهم	إذ جمعتنا ياجرير المجامع
٢٢	١٢٨/١	الألمعى الذى يظن بك الظن	كأن قد رأي وقد سمعا
٢٥	١٤٧/١	قد أصبحت أم الخيار تدعى	على ذنبا كله لم أصنع
٣٢	١٧٩/١	(فلما أن جرى سمن عليها)	كما طينت بالفدن السياعا
٤١	٢٢٢/١	شجو حساده وغيظ عداه	أن يرى مبصر ويسمع واع
٤٢	٢٤٦/١	ولو شئت أن أبكى دما لبكيته	عليه ولكن ساحة الصبر أوسع
٦٢	٣٣٠/١	فإنك كالليل الذى هو مدركى	وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
٧٥	١٠/٢	وكأن النجوم بين دجاها	سنن لاح بينهن ابتداع
١٠٩	١٦٣/٢	وإذا المنية أنشبت أظفارها	ألفيت كل تميمة لا تنفع
١١٨	٢٣٦/٢	إذا لم تستطع شيئا فدعه	وجاوزه إلى ما تستطيع
١٢٩	٥/٣	حتى أقام على أرباض خرشنة للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا	تشق به الروم والصلبان والبيع والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
١٣٠	٦/٣	قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم سجية تلك فيهم غير محدثة	أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا إن الخلائق فاعلم شرها البدع
١٤٧	٦٩/٣	كأن السحاب الغر غين تحتها	حبيبا فما ترقى لهن مدامع
١٦٥	٢٤٢/٣	سريع إلى ابن العم يلطم وجهه	وليس إلى داعى الندى بسريع

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	

حرف العين المهملة

١٩١	٤/٥٦	هو الصنع إن يعجل فخير وإن يرث	فللريث فى بعض المواضع أنفع
١٩٥	٤/٥٩	ولم يك أكثر الفتيان مالا	ولكن كان أرحبهم ذراعا
١٩٦	٤/٥٩	وليس بأوسعهم فى الغنى	ولكن معروفه أوسع
٢٠٩	٤/١٣٧	لئن أخطأت فى مدحيـ ـك ما أخطأت فى منعى	
		لقد أنزلت حاجاتى	بواد غير ذى زرع
٢١١	٤/١٥٢	على أنى سأنشد عند بيعى	أضاعونى وأى فتى أضاعوا
٢١٥	٤/١٩٤	فوالله ما أدرى أأحلام نائم	ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

حرف الفاء

٣٤	١/١٨٩	نحن بما عندنا وأنت بما	عندك راض ، والرأى مختلف
٥٣	١/٢٨٢	زعمتم أن إخوتكم قريش	لهم إلف وليس لكم إلاف

١٢٤	٢/٢٧٣	كيف أسلو وأنت حقف وغصن	وغزال لحظا وقدا وردفا

١٥٥	٣/١٥٩	أيا شجر الخابور مالك مورقا	كأنك لم تجزع على ابن طريف

حرف القاف

٢٠	١/١٢٠	هواى مع الركب اليمانين مصعد	جنيب ، وجثمانى بمكة موثق
٢٦	١/١٤٧	كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه	وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
		هذا الذى ترك الأوهام حائرة	وصير العالم النحرير زنديقا
٣٨	١/٢٠٧	لا يألف الدرهم المضروب صرتنا	لكن يمر عليها وهو منطلق

١١٠	٢/١٧٠	ولئن نطقت بشكر برك مفصحا	فلسان حالى بالشكاية أنطق

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٣٨	٣/٢٧	وأخفت أهل الشرك حتى إنه	لتخافك النطف التي لم تخلق
١٤٥	٣/٥٤	ياواشيا حسنت فينا إساءته	نجى حذارك إنساني من الغرق
١٤٦	٣/٦٧	لو لم تكن نية الجوزاء خدمته	لما رأيت عليها عقد منتطق

		إذا الوهم أبدى لي لماها وثغرها	تذكرت ما بين العذيب وبارق
٢١٢	٤/١٥٤	وتذكرني من قدها ومدامعي	مجر عوالينا ومجرى السوابق

حرف الكاف

٢٧	١/١٤٩	تعاللت كي أشجي وما بك علة	تريدين قتلي قد ظفرت بذلك
٢٨	١/١٧٠	إلهي عبدك العاصي أتاكا	مقرا بالذنوب ، وقد دعاكا
٥٤	١/٢٨٥	فلما خشيت أظافيرهم	نجوت وأرهنهم مالكا

٢٢١	٤/٢٤١	هي الدنيا تقول بملء فيها	حذار حذار من بطشي وفتكي

حرف اللام

١	١/٨	غدائره مستشزرات إلى العلا	(تضل العقاص في مثنى ومرسل)
٣	١/١٨	الحمد لله العلي الأجلل	الواهب الفضل الوجوب المجزل
١٥	١/١٠٩	قال لي كيف أنت قلت عليل	سهر دائم وحزن طويل
١٧	١/١٠١	إن الذي سمك السماء بنى لنا	بيتا دعائمه أعز وأطول
٣٥	١/١٩٤	إن محلا وإن مرتبعا	(وإن في السفر إذ مضوا مثلا)
٤٥	١/٢٥٦	قد طلبنا فلم نجد لك في السؤ	دد والمجد والمكارم مثلا
٤٦	١/٢٦٠	أنا الذائد الحامي الذمار وإنما	يدافع عن أحسابهم أنا أومثلي
٤٧	١/٢٦٤	ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي	بصبح وما الإصباح منك بأمثل
٥٢	١/٢٨١	زعم العواذل أنني في غمرة	صدقوا ، ولكن غمرتي لا تنجلي

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشواهد	ص	بيت الشاهد	
٧٢	١/٣٨٢	وتنكر إن شئنا على الناس قولهم	ولا ينكرون القول حين نقول
٧٤	٢/٧	(أيقتلني والمشرفي مضاجعي)	ومسنونة زرق كأنياب أغوال
٧٨	٢/٣٢	... ...	والشمس كالمرآة في كف الأشل
٨٠	٢/٤٨	يقعى جلوس البدوي المصطلي	(بأربع مجدولة لم تجدل)
٨٢	٢/٥٣	فإن تفق الأنام وأنت منهم	فان المسك بعض دم الغزال
٨٧	٢/٨٠	كأن قلوب الطير رطبا ويابسا	لدى وكرها العناب والحشف البالي
٨٩	٢/٨٨	صدغ الحبيب وحالي	كلاهما كالليالي
٩٢	٢/٩١	وثغره في صفاء	وأدمعي كاللآلىء
٩٥	٢/٩٤	عزماته مثل النجوم ثواقبا	لو لم يكن للثاقبات أفول
١٠٦	٢/١٤٩	غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا	(غلفت لضحكته رقاب المال)
١٠٨	٢/١٦١	هي الشمس مسكنها في السماء فلن تستطيع إليها الصعود	فعز الفؤاد عزاء جميلا ولن تستطيع إليك النزولا
١١١	٢/١٧١	صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله	وعرى أفراس الصبا ورواحله
١١٦	٢/٢٠٧	ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا	وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل
١٣٢	٣/١٣	وشوهاء تعدو بي إلى صارخ الوغى	بمستلئم مثل الفنيق المرحل
١٣٤	٣/١٤	ياخير من يركب المطي ولا	يشرب كأسا بكف من بخلا
١٣٥	٣/١٤	لا خيل عندك تهديها ولا مال	(فليسعد النطق إن لم يسعد الحال)
١٣٦	٣/١٦	فعادى عداء بين ثور ونعجة	دراكا، ولم ينضح بماء فيغسل
١٣٧	٣/٢٥	ونكرم جارنا ما دام فينا	ونتبعه الكرامة حيث مالا
١٥٠	٣/١١١	هو البدر إلا أنه البحر زاخرا	سوى أنه الضرغام لكنه الوبل
١٦٨	٣/٢٥٨	وإن لم يكن إلا معرج ساعة	قليلا فإني نافع لي قليلها
١٧٠	٣/٢٦٦	وإذا البلابل أفصحت بلغاتها	فاعلم بلابل باحتساء بلابل

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
١٨٠	٣/٢٩٣	مهاالوحش إلاأن هاتا أو أنس	قنا الخط إلا أن تلك ذوابل
١٨٤	٤/٤	إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته ويركب حد السيف من أن تضيمه	على طرف الهجران إن كان يعقل إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
١٨٧	٤/٤٦	هيهات أن يأتى الزمان بمثله	إن الزمان بمثله لبخيل
١٨٨	٤/٤٦	أعدى الزمان سخاؤه فسخا به	ولقد يكون به الزمان بخيلا
١٨٩	٤/٥٠	لو حار مرتاد المنية لم يجد	إلا الفراق على النفوس دليلا
١٩٠	٤/٥٠	لولا مفارقة الأحباب ماوجدت	لها المنايا إلى أرواحنا سبلا
٢٠٦	٤/٩٥	وقد ظلمت عقبان أعلامه ضحى أقامت مع الرايات حتى كأنها	بعقبان طير فى الدماء نواهل من الجيش إلاأنها لم تقاتل
٢٠٧	٤/١٠٩	إن كنت أزمعت على هجرنا وإن تبدلت بنا غيرنا	من غير ما جرم فصبر جميل فحسبنا الله ونعم الوكيل
٢١٧	٤/٢٢٤	قفانبك من ذكري حبيب ومنزل	بسقط اللوي بين الدخول فحومل
٢٢٥	٤/٢٧٣	بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله	وهذا دعاء للبرية شامل

حرف الميم

١٨	١/١٠٧	هذا أبو الصقر فردا فى محاسنه	من نسل شيبان بين الضال والسلم
٣٧	١/٢٠٤	أو كلما وردت عكاظ قبيلة	بعثوا إلى عريفهم يتوسم
٤٤	١/٢٥٥	وكم ذدت عنى من تحامل حادث	وسورة أيام حززن إلى العظم
٤٧	١/٢٧٠	لا والذى هو عالم أن النوي	صبر ، وأن أبا الحسين كريم
٤٩	١/٢٧٨	أقول له ارحل لاتقيمن عندنا	وإلافكن فى السر والجهر مسلما
٥١	١/٢٧٩	وتظن سلمى أننى أبغى بها	بدلا ، أراها فى الضلال تهيم
٥٧	١/٣٠٥	والله يبقيك لنا سالما	رداك تبجيل وتعظيم
٦١	١/٣٢٥	وأعلم علم اليوم والأمس قبله	(ولكننى عن علم ما فى غد عم)
٦٧	١/٣٦٢	فسقى ديارك غير مفسدها	صوب الربيع وديمة تهمى
٨٨	٢/٨١	النشر مسك والوجود نا	نير وأطراف الأكف عنم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

رقم الشاهد	ص	بيت الشاهد	
٩٧	١١٢/٢	لدى أسد شاكى السلاح مقذف	(له لبد أظفاره لم تقلم)[1]
١٢١	٢٥٧/٢	قف بالديار التى يعفها القدم	بلى وغيرها الأرواح والديم
١٣٣	١٤/٣	ولئن بقيت لأرحلن بغزوة	تحوى الغنائم أو يموت كريم
١٦٧	٢٠٧/٣	ومن كان بالبيض الكواعب مغرما	فمازلت بالبيض القواضب مغرما
١٨١	٢٩٥/٣	مودته تدوم لكل هول	وهل كل مودته تدوم
١٩٢	٥٦/٤	ومن الخير بطء سيبك عنى	أسرع السحب فى المسير الجهام
٢٠٣	٨٥/٤	أجد الملامة فى هواك لذيذة	حبا لذكرك ، فليلمنى اللوم
٢١٤	١٩٠/٤	إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه	وصدق مايعتاده من توهم
٢١٨	٢٢٥/٤	قصر عليه تحية وسلام	خلعت عليه جمالها الأيام

حرف النون

٢٤	١٤٥/١	ما كل ما يتمنى المرء يدركه	(تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن)
٥٩	٣١٠/١	(وقدت الأديم لراهشيه)	وألفى قولها كذبا ومينا
٦٣	٣٣٩/١	أنا ابن جلا (وطلاع الثنايا	متى أضع العمامة تعرفوني)
٦٨	٣٦٩/١	إن الثمانين وبلغتها	قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
٩٣	٩٢/٢	حملت رديني كأن سنانه	سنا لهب لم يتصل بدخان
١٠٠	١٣١/٢	فان تعافوا العدل والإيمانا	فان فى أيماننا نيرانا
١١٢	١٧٢/٢	(الضاربين بكل أبيض مخذم)	والطاعنين مجامع الأضفان
١٣٩	٣٤/٣	عقدت سنابكها عليها عثيرا	لو تبتغى عنقا عليه لأمكنا
١٤٠	٣٦/٣	يخيل لى أن سمر الشهب بالدجى	وشدت بأهدابى إليهن أجفانى

(١) وانظره أيضا فى (٢/١٥١)

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

بعض أمثلة من مقاماته
بديع الزمان والخوارزمى
فصول من رسائل بديع الزمان
ملح من شعره
أحمد بن عبدالله بن سليمان (أبو العلاء المعرى) ١٣٦/١
نسبه ومنزلته
ابن غريب الإيادى يصف أبا العلاء
المصيصى الشاعر يصفه
بيته
سفره إلى بغداد ، ودخوله على الشريف المرتضى
ذكاؤه وحفظه
اختلاف الناس في أمره وتدينه
من غزل أبى العلاء
بعض ما أخذ على أبى العلاء
من جيد شعر أبى العلاء
وفاته
وانظر مع ذلك شرح الشواهد رقم ١٧٥ و ٢٢٥
أحمد بن محمد الأنطاكى (أبو الرقعمق) ٢٥٣/٢
منزلته
من شعره يمدح ابن كلس
ومن شعره على طريقة ابن حجاج
أحمد بن محمد بن الحسين (القاضى الأرجانى) ٤١/٣
نسبته ومنزلته
نماذج من شعره
وانظر مع ذلك شرح الشواهد رقم ١٦٩ و ١٧٢ و ١٨١
أحمد بن يحيى بن إسحاق (ابن الراوندى) ١٥٥/١
أوليته
عرف عنه أنه لايستقر على مذهب
اعتذاره بأنه صار إلى ماذهب إليه حمية
ألف كتبه الكفرية لأبى عيسى اليهودى
ابن الراوندى وأبو على الجبائى
من شعر ابن الراوندى
طلب السلطان له
وفاته
الأخطل = غياث بن الغوث بن الصلت
الأرجانى = أحمد بن محمد بن الحسين
إسحاق بن حسان (الخريمى) ٢٥٢/١
ولاؤه لابن خريم الناعم
نماذج من شعره
أبو إسحاق الصابى = إبراهيم بن هلال
إسماعيل بن عباد بن عباس (الصاحب ابن عباد) ١١١/٤
نشأته
هو أول من سمى بالصاحب من الوزراء
ثناء الثعالبى عليه
كلمة للخوارزمى عنه
أبو القاسم الزعفرانى ينشد بين يدي الصاحب
أبو محمد الخازن بين يدى الصاحب ينشده

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

نوح بن منصور ملك خراسان يكتب سرا للصاحب يطلب إليه أن ينحاز إلى حضرته
الصاحب يحضر فى صباه مجلس ابن العميد فى رمضان فينتقد أنه لم يحجز أهل المجلس للافطار عنده ، ثم يعاهد الله ألا يخل بذلك إذا قام مقامه
كانت أم الصاحب تعطيه وهو صبي كل يوم ديناراً ودرهما ليتصدق بهما على أول فقير يلقاه
دخل على الصاحب شاعر بقصيدة يفضل فيها العجم على العرب ، فانتهره وأمر بديع الزمان أن يجيبه
كتب إلى بعض العلويين وقد أرسل إليه يخبره بأنه رزق غلاما ويطلب أن يسميه
بعض توقيعات الصاحب
غرر من فقره تجرى مجرى الأمثال
بعض فصول من رسائله ورقاعه
بعض محاسن شعره
بعض مراثى الشعراء فيه
إسماعيل بن القاسم (أبو العتاهية) ٢/٢٨٥
سر تكنيته بأبي العتاهية
أول أمره
كان يتهم بالزندقة
أبو العتاهية وسائل
بخل أبي العتاهية
أبو العتاهية والمهدى
كان أبو العتاهية يحج كل سنة ويهدى للأمون
أبو العتاهية وعبدالله بن معن
كان أبو العتاهية فى حداثته يهوى امرأة
أبو العتاهية يدخل بيت ابن أذين وفيه
أبو نواس وأبو الشمقمق
الرشيد يحبس أبا العتاهية ليقول الشعر
أبو العتاهية وعتبة جارية المهدى
أبو العتاهية ومخارق المغنى
أبو العتاهية عند الموت
نماذج من شعر أبي العتاهية
وانظر مع ذلك فى الجزء الرابع شرح الشاهد رقم ٢١٣
إسماعيل بن معمر القراطيسى ٤/١٣٨
طبقته
نماذج من شعره
القراطيسى والعباس بن الأحنف
اجتمع أبو نواس وصحبه فى الحمام فقال القراطيسى شعرا يدعوهم فيه أن يكونوا عنده
أشجع بن عمرو السلمى ٤/٦٢
أوليته
مقدمه على الرشيد وإنشاده بين يديه
أشجع ينشد جعفر بن يحيى بديهة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أنس بن أبي شيخ وأشجع السلمى
أنشد أشجع جعفر بن يحيى فأعطاه قليلا
إسحاق الموصلي ينشد الرشيد شعرا لأشجع
على أنه أحسن ما يرويه فى وصف الخمر
دخل أشجع على الرشيد وقد مات ابن له يعزيه
استبطأ أشجع عطاء الرشيد فبعث إليه شعرا
أول ما أظهر أشجع اتصاله بجعفر بن المنصور
أعطى جعفر بن يحيى مروان بن أبي حفصة
أكثر مما أعطى أشجع فكتب إليه أشجع
شعرا فى ذلك
كانت لأشجع جارية اسمها ريم وكان
يذكرها فى شعره كثيراً
قدم أشجع بغداد فوجد صديقا له كان ينزل
عليه ضيفاً قد مات فقال يرثيه
دخل أشجع على الرشيد فى يوم الفطر فقال
شعراً فأجازه وأمر أن يغنى فى هذا الشعر
أشجع وجارية حرب بن عمرو الثقفى
مر أشجع وأخواه بقبرى الوليد بن عقبة
وأبي زبيد الطائى فقال أشجع فى ذلك
شعراً
انظر مع ذلك شرح الشاهد رقم ٢١٨
ابن أبي الإصبع = عبد العظيم بن
عبد الواحد

أعشى قيس = ميمون بن قيس
ابن جندل
— الأفوه الأودى = صلاءة بن عمرو
ابن مالك
الأقيشر = المغيرة بن عبد الله
— امرؤ القيس بن حجر الكندى ٩/١
نسبه من قبل أبيه وأمه
كناه وألقابه
طرد أبيه إياه وسببه
مقتل أبيه وأخذه بثأره
موت امرىء القيس بأنقرة من بلاد الروم
وانظر مع ذلك فى الجزء الأول شرح
الشواهد ٤٦ و ٦٥
وفى الجزء الثاني شرح الشواهد ٧٤ و ٨٧ و ٩٣
وفى الجزء الثالث شرح الشواهد ١٣٦ و ١٧٤
وفى الجزء الرابع شرح الشاهد رقم ٢١٧
— امرؤ القيس بن عابس بن المنذر الكندى
١٧٢/١
أوس بن حجر ١٣٢/١
نسبه
رأى الأصمعى فى أوس
أوس وحليمة بنت لقيط بن زرارة
نماذج من شعره

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف الباء

ابن بابك = عبدالصمد بن منصور
البحترى = الوليد بن عبيد بن يحيي
بديع الزمان الهمذاني = أحمد بن الحسين بن يحيى
بشار بن برد ١/٢٨٩
منزلته وطبقته واعتداده
سر تلقيبه بالمرعث
صفته
كان وهو صغير إذا هجا قوماً شكوه إلى أبيه فضربه
كان شديد التبرم بالناس
بشار وحمدان الخراط
بشار ينازع رجلا فى اليمانية والمضرية
بشار ينازع بعض موالى المهدى فى تفسير آية
بشار ويزيد بن منصور الحميرى عند المهدى
بشار وبعض المجان
بعض مزاح بشار
خلاد يقول لبشار إن فى شعرك تفاوتا فيجيبه
بين بشار وهلال بن عطية المعروف بهلال الرأى
أبو دهمان العلائي يحاول أن يعبث ببشار
بشار ورجل من الثقلاء
مات حمار بشار فرآه فى نومه ينشده شعراً
الجاحظ يذكر بعض زندقة بشار
كان الشر قد نشب بين بشار وحماد عجرد
دفن بشار وحماد عجرد فى موطن واحد فمر بقبريهما أبو هشام الباهلى فقال فى ذلك شعرا
سبب مقتل بشار
أبو هشام الباهلى يقول فى موت بشار
بشار وأبو الشمقمق
بعض نماذج من شعر بشار
وانظر مع ذلك فى الجزء الثانى شرح الشاهد : ٧٧
وانظر فى الجزء الثالث شرح الشاهد ١٥٣
وانظر فى الجزء الرابع شرح الشاهد رقم ١٨٥

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف التاء

تماضر بنت عمرو بن الشريد (الخنساء) ١/٣٤٨
دريد بن الصمة والخنساء
مقتل صخر بن عمرو أخي الخنساء وموته
الخنساء وهند بنت عتبة بن ربيعة
وفود الخنساء مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم
الخنساء تحضر حرب القادسية وتحرض أولادها على القتال ثم يبلغها مقتلهم جميعاً فتحمد الله ، فيضرب لها عمر بن الخطاب بنصيب أولادها
وانظر مع ذلك في الجزء الثالث شرح الشاهد رقم ١٦٥
أبو تمام الطائي = حبيب بن أوس

حرف الثاء

الثعالبي = عبد الملك بن محمد بن إسماعيل

حرف الجيم

جؤية بن النضر ١/٢٠٧
جبار بن جزء بن ضرار الغطفاني ٢/٣٢
جرير بن عبد المسيح الضبعي (المتلمس) ٢/٣١٢
هو أحد الثلاثة المقلين وأشعرهم
كان هو وطرفة بن العبد يندمان عمرو ابن هند
صحيفة عمرو بن هند لطرفة وللمتلمس
نهاية طرفة
بعض نماذج من شعر المتلمس
جرير بن عطية بن الخطفى ٢/٢٦٢
نسبه
كان أبو عمرو يشبه جريرا بالأعشى
جرير والراعي النميري
رؤيا لأم جرير كانت السبب في تسميته
سأل رجل جريراً عن أشعر الناس فأجابه
كان جرير أعق الناس لأبيه
طلب الحجاج إلى جرير والفرزدق أن يأتياه بلباس أبيهما في الجاهلية
وانظر مع ذلك في الجزء الرابع شرح الشاهدين رقم ١٩٧ و ٢٠١
جعفر بن علبة بن ربيعة الحارثي ١/١٢١
جعفر بن علبة وعلي بن جعدب والنضر بن مضارب يغيرون على بني عقيل
جعفر بن علبة يزور نساء بني عقيل فيمثل به بنو عقيل ، وينتهي الأمر بقتل جعفر علبة الحارثي يرثي ابنه جعفرا

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف الحاء المهملة

الحارث بن حلزة اليشكرى ١/٣١٠
الحارث بن ضرار ١/٢٠٢
الحارث بن نهيك ١/٢٠٢
حبيب بن أوس الطائى (أبو تمام الطائى) ١/٣٨
قول الناس فى نسبه
مولده ونشأته
حفظه
هجاء ابن المعذل إياه بحبسة فى لسانه
أبو تمام وأبو دلف العجلى
خالد الكاتب وأبو تمام يتنازعان هوى غلام
بديهة أبى تمام
رثاء ابن الزيات لأبى تمام
وانظر مع ذلك شرح الشواهد : ٤٨ و ٧٠ و ٨٦ و ٩١ و ١٠٧ و ١١٤ و ١٤٧ و ١٦١ و ١٦٤ و ١٦٧ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨٧ و ١٨٩ و ١٩١ و ٢٠٦ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢٢٢ و ٢٢٣
ابن حجاج = الحسن بن أحمد البغدادى
حجل بن نضلة ١/٧٣
الحريرى = القاسم بن على
حسان بن ثابت الأنصارى ١/٢٠٩
نسبه ، وأمه
منزلته
صفته
فضل حسان الشعراء بثلاثة أشياء
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لحسان بالتأييد
حسان يستأذن رسول الله فى هجاء قريش
شعراء رسول الله ، ومنزلة كل واحد منهم
شهادة ابن عباس لحسان بن ثابت
حسان ينشد عائشة رضى الله عنها شعرا فى مدحها .
حسان يعرف زجر الطير
حسان والمغيرة بن شعبة الثقفى
الحارث بن عوف يستجير برسول الله من شعر حسان
عائشة رضى الله عنها تشهد لحسان جبن حسان
وانظر مع ذلك فى الجزء الثالث شرح الشاهد : ١٣٠
الحسن بن أحمد البغدادى (ابن حجاج) ٣/١٨٨
طريقته فى القول واستهتاره بالهزل
نماذج من شعره
الحسن بن هانىء بن عبد الأول (أبو نواس) ١/٨٣
نسبه ، ومولده ، ونشأته
أول ما قاله من الشعر وهو صبى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف الزاى

زند بن الجون (أبو دلامة) ٢/٢١١
ضبط اسمه ، وأوليته .
أمر المنصور أصحابه بلباس خاص فدخل عليه أبو دلامة فيه
قال له السفاح سل حاجتك فقال كلب صيد
شهادة أبى دلامة عند ابن أبى ليلى القاضى
أبو عطاء السندى وبنت أبى دلامة
مات السفاح فدخل أبودلامة على المنصور يعزيه .
أتى بأبى دلامة إلى المنصور سكران فحلف ليخرجنه فى بعث
أبو دلامة وموسى بن داود
أبو دلامة وأمير المؤمنين المهدى
أبو دلامة يعزى أم سلمة زوج السفاح
أبو دلامة والمهدى وعلى بن سليمان وقد خرجوا لصيد
أبو دلامة والخيزران وقد خرجت للحج
أبو دلامة وابنه
زهير بن أبى سلمى المزنى ١/٣٢٧
رأى عمر بن الخطاب فى زهير
رأى الأحنف بن قيس في زهير
عمر يستنشد بعض ولد هرم ما قاله زهير فى هرم
هرم يحلف ليعطين زهيرا كل ما مدحه أو سأله أو سلم عليه
عثمان بن عفان رضى الله عنه ينشد بعض شعر زهير ويقرظه
ابن الأعرابى يقول : كان لزهير ما لم يكن لغيره
زهير مضرب المثل فى تنقيح الشعر
وانظر مع ذلك فى الجزء الثانى شرح الشواهد ٩٧ و١١١ و١٢١ و١٥٧
زياد الأعجم ٢/١٧٣
أبو زياد الأعرابى ٤/٥٩
زياد بن معاوية (النابغة الذبياني) ١/٣٣٣
رأى لعمر بن الخطاب فى النابغة
الجنيد بن عبد الرحمن يدافع عن النابغة
رأى لعبد الملك بن مروان فى النابغة
النابغة يصف المتجردة زوج النعمان بن المنذر
نقد الأصمعى لبيت من قصيدة النابغة
عبد الملك بن مروان يقول : كان النابغة مخنثا .
هرب النابغة من النعمان بن المنذر
حسان بن ثابت يتحدث عن منزلة النابغة عند النعمان
رجوع النابغة إلى النعمان بعد هربه منه وسببه
وانظر مع ذلك شرح الشواهد ٦٦ و١٤٢ و١٤٩

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف السين المهملة

سحيم بن وثيل الرياحي ١/٣٤٠
السرى بن أحمد الرفاء ٣/٢٨٠
منزلته عند الثعالبى
أوليته
اتصاله بسيف الدولة
من ملح أشعاره
سعيد بن غريض (أخو السموءل) ١/٣٩١
سلم بن عمرو الخاسر ٤/٣٧
سبب تلقيبه بالخاسر
سلم تلميذ بشار
شعر لسلم فى أبى العتاهية
قثم بن جعفر بن سليمان يستنشد الجاز شعرا لسلم في أبى العتاهية
سلم ومروان بن أبى حفصة
كان سلم قد بلى بالكيمياء
كان سلم يهاجى والبة بن الحباب
سلم يعد الشعر لما يتوقع من الحوادث
سلم وأبو الشمقمق
شعر لسلم فى الرشيد وقد عقد البيعة للأمين
شعر لسلم فى الفضل بن يحيى يوم نيروز
جاء أبو الشمقمق يستمنح سلما فمنعه فهجاه
شعر لسلم فى عاصم بن عتبة الغسانى
موت سلم ورثاء أشجع السلمى له
ابن أبى السمط ١/١٢٧
السموءل بن الغريض بن عادياء ١/٣٨٨
حصن السموءل المعروف بالأبلق
امرؤ القيس يودع السموءل دروعه وسلاحه
الحارث بن ظالم يحاول أن يأخذ وديعة امرىء القيس ويهدد السموءل بقتل ولد له فيسلم ولده ويأبى أن يخفر ذمة جاره فيضرب مثلا فى الوفاء
شعر للسموءل فى هذه القصة
شعر لأعشى قيس فى هذه القصة

حرف الشين المعجمة

الشماخ بن ضرار الغطفانى ٢/٣٢
أبو الشيص = محمد بن رزين بن سليمان

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف الصاد المهملة

الصابى = إبراهيم بن هلال الحرانى
الصاحب بن عباد = إسماعيل بن عباد ابن العباس
صريع الغوانى = مسلم بن الوليد ، والقطامى عمير بن شييم
صلاءة بن عمرو بن مالك (الأفوه الأودى) ١٠٧/٤
أبوه فارس الشهباء.
سبب تلقيبه بالأفوه
الأفوه من حكماء العرب
نماذج من شعره
الصلتان العبدى = قثم بن خبية
الصمة بن عبد الله بن الطفيل القشيرى ٢٥٥/٣
كان يهوى ابنة عم له وخطبها فلم يزوجه
موت الصمة بن عبد الله
الصنوبرى : ٤/٢
صيفى بن الأسلت (أبو قيس) ٢٥/٢
نسبه ، ومنزلته فى قومه
عبد الملك بن مروان يستشهد بشعره فى خطبة له
صالح بن حسان يفضل شعرا له على شعر حاتم والأعشى

حرف الضاد المعجمة

ضابىء بن الحارث البرجمى ١٨٧/١
عثمان بن عفان يحبس ضابئا فيجىء ابنه عمير يريد قتل عثمان ، ويقول في ذلك شعرا
سبب حبس عثمان لضابىء
ضرار بن نهشل ٢٠٢/١

حرف الطاء المهملة

ابن طباطبا = محمد بن حمد بن محمد ابن إبراهيم
طرفة بن العبد البكرى ٣٦٤/١
نسبه ، وسبب تسميته طرفة
سبب مقتله
لبيد بن ربيعة يقدم امرأ القيس ثم طرفة
من شعر طرفة وهو صبى
مما سبق به غيره من الشعراء
بعض ما يعاب من شعره طرفة بن العبد وانظر مع ذلك ترجمة المتلمس فى شرح الشاهد رقم ١٢٧
طريف بن تميم العنبرى ٢٠٥/١
مقتله
بعض ما قيل من الشعر فى مقتل طريف
أبو الطيب المتنبى = أحمد بن الحسين الجعفى

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف العين المهملة

عامر بن عمارة بن خريم ١/٢٥١
العباس بن الأحنف ١/٥٤
بشار بن برد يشهد له
اجتمعت فى العباس آلات الظرف
العباس يقول شعرا بأمر يحيى بن خالد البرمكى
فيصلح بين الرشيد وجاريته مارية
مرض العباس بن الأحنف وموته
نماذج من شعر العباس بن الأحنف
ثم راجع ترجمة أبى نواس ومسلم بن الوليد
وانظر شرح الشاهد رقم : ١٠٨
عبد الصمد بن المعذل ١/٣٨٢
عبد الصمد بن منصور بن الحسن
ابن بابك (ابن بابك) البغدادى ١/٦٤
نشأته وتطوافه فى البلاد
نماذج من شعره
الصاحب ابن عباد يمتحن ابن بابك فى قول
الشعر ، وقد ذكر بعض الناس له أنه ينتحل
شعر غيره
عبدة بن الطبيب ١/١٠٢
نسبه
الأصمعى يرى أن أرثى بيت قالته العرب
بيت لعبدة بن الطبيب
عبد الملك بن مروان يرى أن أشرف المناديل
مناديل ذكرها عبدة بن الطبيب فى
شعر له يصف فيه الخيل
عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر
(ابن أبى الإصبع) ٤/١٨٠
نسبه ، وتصانيفه
نماذج من شعره
وفاته بمصر
رثاء السراج الوراق له
عبد الله بن أحمد الخازن ٤/٢٣٥
ثناء الثعالبي عليه
كان يتولى خزانة كتب الصاحب
كتاب له إلى الخوارزمى يشرح فيه حاله
نماذج من شعره
عبد الله بن الزبير الأسدى ٣/٣١٠
نسبه وهواه
دخوله فى ثأر رجل من قرابته
دخل على عبد الملك وقد بعث إليه الحجاج
برأس عبد الله بن الزبير بن العوام ،
فأنشده شعرا
دخل على بشر بن مروان وعليه ثياب مما
خلعه عليه بشر
عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان
(العرجى) ٣/١٧٢
سبب تلقيبه بالعرجى
العرجى أحد الشعراء الغزلين
إحدى مولدات مكة تتأسى بالعرجى وقد
مات عمر بن أبى ربيعة

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف الكاف

كامل الثقفى ٣/١٦٧
كثير بن عبد الرحمن بن أبى جمعة (كثير عزة) ٢/١٣٦
صغروا اسمه لأنه كان شديد القصر
أراد الحزين الكنانى أن يهجوه فاشترى ابن أبى عتيق عرضه منه بدرهمين
كان كثير يقول بتناسخ الأرواح
كان كثير عاقا لأبيه
كان أحمق
كان عبدالملك بن مروان معجبا بشعر كثير
حديث كثير مع عزة وأول أمرهما
بعض أخبارهما
أمنية غريبة لكثير ، وبعض أماني تشابهها
باع جملا لنسوة لا يعرفهن ثم ظهر أن عزة بينهن
كان يتقول فى عشقه ولم يكن صادق المحبة
سأله عبد الملك بن مروان بحق على بن أبي طالب هل رأى أعشق منه ، فأجاب
موت كثير
وانظر مع ذلك شرح الشاهد ١٠٦
كثير عزة = كثير بن عبدالرحمن ابن أبى جمعه
الكميت بن زيد الأسدي ٣/٩٣
معرفته بلغة العرب وأيامها
كانت بينه وبين الطرماح خلطة ومودة
شهادة محمد بن أنس السلامى للكميت
الفرزدق والكميت يعرض عليه قصائده الهاشميات
إبراهيم بن سعد الأسدى يحدث عن أبيه أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه يبشر الكميت بالمغفرة
الكميت وجعفر بن محمد وفاطمة بنت الحسين
الكميت وخالد بن عبد الله القسرى
الكميت وهشام بن عبد الملك
الكميت ويزيد بن عبدالملك
مر الفرزدق بالكميت وهو صغير ينشد
وفاة الكميت

حرف اللام

لبيد بن ربيعة ١/٢٠٢
ليلي بنت طريف الشيبانى ٣/١٥٩

حرف الميم

المتلمس = جرير بن عبدالمسيح الضبعى
مجنون ليلى ٣/١٦٧
محمد بن الحسين (ابن العميد) ٢/١١٥
منزلته وشهادة الثعالبى له
كان أبوه فى الدرجة العليا من الكتابة
حياته

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مديح المتنبي وجماعة من الشعراء له
نبذة من محاسن نثره
نبذة مما استخرج من شعره
ابنه أبو الفتح ذو الكفايتين
محمد بن حمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا ١٢٩/٢
نشأته
مصنفاته
نماذج من شعره
أبو محمد الخازن = عبدالله بن أحمد الخازن
محمد بن رزين بن سليمان (أبو الشيص) ٨٧/٤
منزلته
كان أبو خالد العامري يفضله على شعراء الدنيا
من شعره يمدح أمير الرقة
أبو الشيص ومسلم بن الوليد وأبو نواس ودعبل في مجلس
أبو الشيص يجعل نسبه إلى قصيدة من شعره
أبو الشيص يتعشق قينة لرجل من أهل بغداد
كانت لأبي الشيص جارية سوداء اسمها تبر وكان يعشقها ويقول فيها شعرا
عمي أبو الشيص في آخر عمره وله مراث في عينيه
وفاة أبي الشيص
محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس ٢٧٨/٢
ابن حيوس والأمير نصر بن محمود بن شبل
أثرى ابن حيوس من بني مرداس فبنى دار بحلب
نماذج من غرر قصائده
أحمد بن محمد الخياط وابن حيوس
محمد بن وهيب الحميري ٢٢٠/١
ابن وهيب والحسن بن رجاء
ابن وهيب وأبو دلف
ابن وهيب والحسن بن سهل
ابن وهيب وعلي بن هشام
ابن الأعرابي يشهد أن أهجى بيت قاله المحدثون بيت لمحمد بن وهيب
ابن وهيب يمدح المأمون والحسن بن سهل معاً
ابن وهيب يمدح الأفشين بعد مقتل بابك الخرمي
أحمد بن أبي فنن يذم ابن وهيب فيرد عليه أحمد بن أبي كامل
ابن وهيب يمدح أحمد بن هشام
ابن وهيب وأعرابية سوداء عند عطار
ابن وهيب في علته
ابن وهيب ومحمد بن عبد الملك الزيات
وانظر في الجزء الثاني شرح الشاهد : ٨٤
المرقش الأكبر = عمرو بن سعد بن مالك
مزرد بن ضرار ٢٠٢/١
مساور بن هند العبسي ٢٨٣/١
مسلم بن الوليد ٥٤/٣
أوليته ومنشؤه
منزلته ، وشهادة الناس له
رأى عبد الصمد بن المعذل فيه وفي

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

أبي نواس
اتصاله بالبرامكة ثم بالفضل بن سهل
مسلم بن الوليد وأبو نواس
مسلم بن الوليد يمدح يزيد بن مزيد ولا يعلم
مسلم بن الوليد وضيف زاره وهو فى ضائقة
مسلم بن الوليد ويزبد بن مزيدوقد جاءه كتاب
مسلم بن الوليد والفضل بن سهل وقد دخل عليه لينشده شعرا له فيه
دعبل الخزاعى ومسلم بن الوليد
محمد بن أبي أمية ومسلم بن الوليد
راوية مسلم بن الوليد يعرض عليه شعرا بعد ما تاب
مسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف
ابن المعتز = عبد الله بن المعتز
المعذل بن غيلان بن الحكم ٣٨٠/١
المعذل وعبد الله بن سوار العنبرى القاضى
أبان اللاحقى يهجو المعذل بن غيلان فيرد عليه
معن بن أوس بن نصر ١٧/٤
نسبه ، ومنزلته
معاوية يفضل مزينة فى الشعر لأن منها زهيرا ومعنا
كان معن مثناثا وكان يحسن صحبة بناته
معن وامرأته ثور
معن والفرزدق
الأصمعى ورجل من ولد حاتم المهلبى ينشده شعراً لمعن
معن يسافر إلى الشام ويترك ابنته ليلى فى جوار عمرو بن أبى سلمة وعاصم بن عمر بن الخطاب
عبد الملك بن مروان يرى معناأشعرالعرب
خروج معن إلى البصرة ليختار منها
عبد الله بن عباس ومعن بن أوس
المغيرة بن عبد الله (الأقيشر) ٢٤٣/٢
نسبه ، وسبب تلقيبه بالأقيشر
كان خليعاً ماجنا
الأقيشر وعمة له تأمره بالصلاة
الأقيشر وشرطى من شرط الأمير
الأقيشر وقيس بن محمد بن الأشعث
الأقيشر وقوم حكموه فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى
الأقيشر وقد منعه ابن عم له السكر إذ أقبل رمضان
الأقيشر يشرب عند خمار حتى ينفد ما معه ويشرب بثيابه
الأقيشر يأتى بيت الخمار فلا يجده ويجد امرأة عبادية
الأقيشر ومجوسى يعطيه مهر ابنة عمه وقد تزوجها
كان يهجو عبد الله بن إسحاق ويمدح أخاه زكرياء
ابن مقاتل الضرير أحد شعراء الجبل ٢٢٩/٤
أبو منصور الثعالبي = عبد الملك بن محمد ابن إسماعيل

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

ميمون بن قيس بن جندل (أعشى قيس) ١٩٦/١
أبوه كان يلقب قتيل الجوع
منزلة الأعشى
أبو جعفر المنصور يبعث إلى حماد الراوية يسأله عن أشعر الناس ، فيحكم للأعشى رجل من أهل البصرة وجئ يسأله عن منزلة الشعراء .
الشعبي يقول : الأعشى أغزل الناس وأخنث الناس وأشجع الناس
الشعبي يدخل على الأخطل يسمع من شعره فيفتخر الأخطل بشعره ، فيفضل الشعبي الأعشي عليه .
وفادة الأعشي إلى النبي صلي الله عليه وسلم وانظر مع ذلك فى الجزء الثالث شرح الشاهد رقم ١٣٤

حرف النون

النابغة الذبياني = زياد بن معاوية
أبو النجم العجلي = الفضل بن قدامة العجلي
النضر بن جؤية ٢٠٧/١
نهشل بن حرى ٢٠٢/١
أبو نواس = الحسن بن هانىء الحكمى

حرف الهاء

همام بن غالب بن صعصعة (الفرزدق) ٤٥/١
أبوه ، وأمه
روايته عن بعض الصحابة
وفادته على الوليد وسليمان ابنى عبدالملك
اختلاف أهل المعرفة بالشعر فيه وفى قرينيه الأخطل وجرير
الفرزدق وامرأة من أهل المدينة
بعض نقائضه مع جرير
الفرزدق وامرأة من بنى منقر
الفرزدق وابن أبى علقمة الماجن
مر الفرزدق وهو سكران بكلاب فسلم عليهم فلما لم يسمع جوابا قال شعرا
الفرزدق يعيبه جواب دهقان
اللعين المنقرى يقضى بين جرير والفرزدق
وفاة الفرزدق
وانظر مع ذلك شرح الشواهد : ١٧و١٩و٤٦و٥٦
أبو الهيذام = عامر بن عمارة ابن خريم

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

حرف الواو

الوليد بن طريف الخارجي ١٦١/٣
الوليد بن عبيد بن يحيى (البحتري) ٢٣٤/١

صفة شعره
كان البحتري يتأسى بأبي تمام ويحذو حذوه
رأي لأبي العلاء في البحتري وأبي تمام والمتنبي
البحتري يقدم أبا تمام ، فيثني المبرد عليه
البحتري يقص أولية أمره واتصاله بأبي تمام
اختصاص البحتري بأبي سعيد
وساخة البحتري وبخله
البحتري يقول شعرا في برهان جارية المتوكل
البحتري وغلام اسمه شقران
البحتري وغلامه نسيم
البحتري ومحمد بن على القمي وقد بعث إليه هدية مع غلام استحسنه البحتري
البحتري ينشد شعره أبا تمام فيتمثل بشعر أوس بن حجر
البحتري وأبو العنبس الصيمري عند المتوكل
البحتري وغلام اسمه راح في حضرة المتوكل
شهادة لابن المعتز في شعر البحتري
جامعو ديوان البحتري ، وبعض مصنفاته
آخر أمر البحتري ، ووفاته
وانظر مع ذلك شرح الشواهد : ٤٤ و٤٥ و٩٠ و١٠١ و١١٧ و١٢٠ و١٢٣ و١٥٦ و١٩٣ و١٩٩

حرف الياء

يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي ٢٠٧/١
يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان ١٣٢/٢

وقد تم ما وفقنا الله تعالى إلى صنعه من أنواع الفهارس التي قصدنا بها تقريب البحث في كتاب « معاهد التنصيص » على من أراده وقد ألجأتنا عجلة الناشر إلى الاقتصار على هذه الأنواع ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته وسلامه على رسوله وآله وصحبه

تم تصويره بعناية مكتبة الدكتور مروان العطية - دمشق

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مكتبة
الدكتور مروان العطية

لا تنسونا من دعائكم لكل من ساهم في إنجاز هذا العمل

مكتبة الدكتور مروان العطية